

٢٤٤
٩٠٥

الشمر في آل المهالبة
((زمن بني أمية))

اعداد

محمد مصطفى سالم عثمان

المشرف : الاستاذ الدكتور

هاشم ياغزي

((عميد البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة الأردنية))

تاريخ المناقشة

١٩٧٩ /

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية

فهرس المحتويات

١ - مقدمة الصفحة

٢ - الفصل الاول : شخصية المهالبة التاريخية

أ) من هم المهالبيون ١ - ٥٩

ب) المهالبة زمن السفينيين ١ - ١٧

ج) المهالبة زمن الزبيريين ١٨ - ٢٠

د) المهالبة زمن مروانين ٢٠ - ٢٦

هـ) نكبة المهالبيون ٢٦ - ٤٣

٣ - الفصل الثاني : اتجاهات الشعر في المهالبة

أ) الاتجاه الاعلامي ٦٠ - ٢٤٦

ب) الاتجاه الحربي ٦٠ - ١٣٢

ج) الاتجاه السياسي ١٣٣ - ١٧٣

د) الاتجاه الاجتماعي ١٧٤ - ٢١٢

٤ - الفصل الثالث : وقعه عند اعلام من شعراء المهالبة

أ) ثابت قطن ٢٤٧ - ٣٠٤

ب) كعب الاشقر ٢٤٩ - ٢٦٦

ج) حمزة بن بيش الحنفي ٢٦٧ - ٢٧٨

د) زياد الاعجم ٢٧٩ - ٢٨٨

٥ - خاتمة ٢٨٩ - ٣٠٤

٦ - ثبت المصادر والمراجع

أ) المصادر ٣٠٧ - ٣٢٣

ب) المراجع ٣٠٧ - ٣١٩

٣٢٣ - ٣٢٣

كان صاحب فكرة هذا البحث أستاذي الدكتور هاشم ياغي ، فقد عرض علي موضوع البحث ، طالبا مني تقصي ما يتعلق به ، وجمعه ، لنخرج بنتيجة إذا كانت المادة تنهض برسالة جامعية . وقد شرعت في هذا العمل ، وجمعت المادة من مصادر مهملتها ومطالعتها حتى اكتملت . وعند ما تبين أن المادة تنهض بدراسة من هذا النوع ، بدأت الصلة بيني وبين شمر المهالبة .

وقد تنوعت المصادر التي أعانني في هذه السبيل ، ويمكنني أن أقسمها عدة أقسام : فقد قمت باستعراض الكتب التاريخية التي تتناول هذه الفترة من التاريخ الإسلامي ، والتي توضح علاقة المهالبة بالأحداث ، وتلقي أضواء عليها ، ولعل أهم كتب التاريخ تلك هي : تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر الطبري ، وكتاب أنساب الأشراف بأجزاء المطبوعة والمخطوطة . وقد زودنا القسم المخطوط بمعلومات ثرة عن ترمد المهالبة ، وزودنا كتاب الكامل للمبرد بفوائد جمة فقد رصد حرب المهالبة مع الخوارج على الصعيدين الأدبي والتاريخي . وتمود قيمته إلى أنه لم يلتزم بنظام الحوليات الذي اتبعه في كثرة من كتب التاريخ العربي ، وإنما راعى وحدة الموضوع في تسجيل مادته ، وهو من أقدم الكتب التي تناولت هذه القضية بتوسع . وقد أفدت من كتب البلدان وبخاصة في الفصل الذي يرصد العلاقة بين الشمر والتاريخ ، ولعل أهم هذه الكتب معجم ما استمع إليه للبكري ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي . وقد أفادتني كتب الأنساب فيما يتعلق بقضية نسب المهالبة ، حيث شك بعض الباحثين في صراحتهم ، ولعل أهم كتب الأنساب جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وكتاب الأنساب للسعدي . وكانت المعاجم ، وبخاصة لسان العرب مصدرا مهما أعانني على تفسير بعض الأحداث ، وبيان ما التبس من التعبير . وقد عرفتني كتب الرجال على جوانب جامعة من شخصيات المهالبة وشعرائهم مثل كتاب وفيات الأعيان لأبى خلكان ومعجم الأريب لياقوت الحموي ومعجم الشعراء للمرزباني .

أما كتب الأدب والمجاميع الشعرية ، فقد زودتني بمعين جيد من المقطوعات والقوائد الشعرية . ومن أبرز هذه الكتب : كتب الأمل والحماسات كأمل القاسمي واليزيدي وابن الشجري والزجاجي ، وحماسة أبي تمام وشرحها للمرزوقي والتبريزي وحماسة ابن الشجري وغيرها . وقد أفدت أفادة واسعة من ديواني جرير والفرزدق في الحصول على قصائد هما في المهالبة ، فضلا عن ديوان الطرامح الذي امتدح المهالبة ودافع عنهم بمدة مقطوعات .

وهكذا استطعت بحث العلاقة بين الأدب والأحداث ، وقد تبين أن العلاقة علاقة تبادلية ، فالأحداث تركت بصماتها على أديم الشعر ، وجعلت الطريق أمام



— ك —

الدارس أوضح ، وسهلت عليه فهم الشعر في ضوء الأحداث التي دفعت الشعراء إلى القول . أما الشعر فقد ألقى أحيانا أضواء كشافة على بعض الأحداث جعل فهم الأحداث والتفاعل معها أيسر على الباحث ، وعليه فلا يوجد تفاوت يذكر بين الشعر والتاريخ .

وانطلاقاً من هذا الفهم الذي توصلت إليه ، بعد أن استطلعت ما جمعته من مادة ، جعلت خطة البحث تتناسب مع هذا الفهم . فقد قسمت الموضوع قسمين : أولهما : تاريخي تناولت فيه شخصية المهالبة التاريخية ومشاركتهم في الأحداث ، وتفاعلهن معها بدءاً من ظهورهم وانتهاءً بنكبتهم . وقد رأيت أنهم يقفون مع الطرف الأقوى ويمثلون سلطة الأمويين .

أما القسم الثاني فيتناول الشعر ، الذي قيل في المهالبة ، وقد قسمته إلى أربعة أقسام : تناول أولها : الناحية الإعلامية في شعر المهالبة ، ودور الشعر في الرفع من قيمة المدح ، والخط من قدر المجهوم . وتناول القسم الثاني الناحية الحربية في شعر المهالبة ودور الشعر في الإفصاح عن أساليب القتال وبيان أنواع الأسلحة ، وعدد القتلى أو الجرحى أو المشاركين في المعارك ، وصدى النصر أو الهزيمة في نفوس العامة . وتناول القسم الثالث الناحية السياسية في شعر المهالبة ، وهي التي تكشف عن علاقات المهالبة بكبار القادة والسياسيين في عصرهم . وعما إذا كانت لهم أو عليهم ، وعما يبررها أو يفسرها . أما القسم الرابع فقد تناول الناحية الاجتماعية في شعر المهالبة ، ودور العصبية في انطاق الشعراء بالمدح أو الذم للمهالبة . هذه الأقسام الأربعة تلاحت في كثير من الأحيان مع الأحداث التاريخية وفسرتها أو أن التاريخ فسر هذه الأشعار حين كان الفمور يكتنف الشعر .

وتناول الفصل الثالث علاقة الشعراء بالمهالبة ، وخلصت إلى أن الشعراء كانوا — غالباً — يمدحون من أجل المال ، وحباً في المادة ، وانطلاقاً من هذا انفضوا من حول المدح أو تهافتوا عليه ، وأنه لم يثبت أحد من الشعراء غالباً على موقفه . وقد تناولت أربعة شعراء وهم : ثابت قطنة ، وكعب الأشقر ، وحمة بن بيش ، وزباد الأعجم . والحققت بالرسالة ملحاً شعرياً ، خرجت فيه شعر المهالبة قدر استطاعتي ، وقد بينت فيه اختلاف الروايات في متن كل بيت — ان وجدت — وكنت اعتمد النص الاقدم ، أو الذي يحوى على عدد أكبر من الأبيات ، وأقيس عليه ، وأسجل اختلاف الروايات .

وأخيراً أقدم جزيل الشكر ، ووافر الامتنان إلى استاذي الدكتور هاشم ياغسي الذي كان وراء فكرة البحث ، والذي تابعه بكل اهتمام ، ولم يخل علي بالمشورة والارشاد في أي زمن وفي أي مكان ، فصحح عثراتي ، ووجهني إلى ما أفدت منه .

الفصل الأول

شخصية المهالبة التاريخية

- ١ - من هم المهالبة _____ ؟
- ٢ - علاقة المهالبة بمراكز القوّة
أ (علاقة المهالبة بالسفانييين _____
ب (علاقة المهالبة بالزيريين _____
ج (علاقة المهالبة بالمروانيين _____ .
- ٣ - نكبة المهالبة _____ .

من هو المهلب؟

هو، أبو سعيد، المهلب بن أبي صفرة. واسم أبي صفرة، ظالم بن سراق، بن صبح، بن كندى، بن عمرو، بن عدى، بن وائل، بن الحارث، بن القتيك، بن الأسد، (أو الأزد)، بن عمران، بن عمرو مزيقياء، بن عامر ماء السماء، بن حارثة الفطريفي، ابن امرئ القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأزد. واسمه كزاراً بن الفوث، بن نبت، ابن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ (١).

هذا ما اتفق عليه علماء الأنساب، إلا أن هذا الاتساق والتسلسل في شجرة نسب المهالبة، لم يسلم من طعن الشعراء، استناداً الى ما نادى به بعض الرواة (٢).

ينتمي المهلب الى الأزد، وهم الأزد بن الفوث، بن نبت، بن مالك بن زيد، ابن كهلان، بن سبأ (٣). وتنقسم الأزد الى أربعة أقسام، وهي :

- ١ - انظر، جمهرة انساب العرب : ٣٦٧، فتوح البلدان : ٤١٧، الطبقات لخليفة ابن خياط : ٢٠١، التنبيه والأشراف : ٣٢٠، الأغاني : ١٩/٢٠ ((وقيل غالب ابن سارق))، الطبقات الكبير : ٧٢/٧، وفيات الأعيان : ٣٥٠/٥، تهذيب الانساب لابن الأثير : ٤٦/١، ٣٢٢/٢، تهذيب التهذيب لابن حجر : ٣٢٩/١٠ ((ابن سارق))، تاريخ جرجان : ١١-١٢، العقد الفريد : ٣٨٥/٣ ((ابن سراق))، شرح المقامات الحبرية للشوشبي : ٣٠٩/٢ ((ابن سراق))، الانساب المتفقة : ٦ - ٧.

وراجع جدول رقم (٨) للدكتور احسان النصر المتعلق بأنساب مازن بن الأزد في كتاب العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، وراجع الاكبر : ٢٧٩، التيجان : ٢٧٩.

- ٢ - هذا ما سنعالجه بالتفصيل حين نناقش قضية النسب في شعر المهالبة.

- ٣ - نهاية الأرب للقلقشندي : ٩١، صبح الأعشى : ٣١٨/١، الانباء على قبائل الرواة : ص ١٠٦، الانساب المتفقة : ٧، تاج المروسي : ٢٨٩/٢ مادة ازد، الصحاح : ٤٣٧، مادة ازد، لسان العرب : ٧١/٣ مادة ازد، انساب السمعاني : ١٨٠/١-١٨١، فتوح البلدان : ١٦٠.

أَزْدَ شَنْوَةَ (١)، أَزْدَ السَّرَاةِ (٢)، أَزْدَ عُمان (٣)، أَزْدَ غَسَّانَ (٤) * . ومن أشهر قبائلهم، دُوس (٥)، طاحية (٦)، خَزَاعَةَ (٧)، الأنصار (٨)، وبارق (٩).

وقد تشتت الأزد اثر تهديم سيل الحرم (١٠)، وانتشروا في البلاد (١١). فسكنوا مأرب (١٢)، وعمان (١٣)، والبحرين (١٤)، ودَّها (١٥)، والحال (١٦) والثَّقَس (١٧)، وشَنَ (١٨)،

- ١ — هم أبناء نصر بن الأزد . نهاية الأرب للقلقشندي : ٩١، صبح الأعشى : ٣١٩/١ .
- ٢ — هو موضع بأطراف اليمن، نهاية الأرب للقلقشندي : ٩١، صبح الأعشى : ٣١٩/١ .
- ٣ — هو ثغر بالبحرين، نهاية الأرب للقلقشندي : ٩١، صبح الأعشى : ٣١٩/١ .
- ٤ — سُمُوا غَسَّانَ ((لما نزلوا عليه اسمه غَسَّانَ، فشرهوا منه، فسموا به)) صبح الأعشى : ٣١٩/١، ويقال ان غَسَّانَ ماءً بالصُّلَّ، انباء الرواة على قبائل الرواة : ٤٨ ، ١١١، وفيات الاعيان : ٧٢/١ .
- * — انظر نهاية الأرب للقلقشندي : ٩١، صبح الأعشى : ٣١٩/١، الصحاح : ٤٣٧، القاموس المحيط : ٢٧٤/١، لسان العرب : ٧١/٣، تاج المروس : ٢٨٦/٢ مادة ازد .
- ٥ — دوس بن عبد الله بن زهران بن الأزد بن الفوث، الانباء على قبائل الرواة : ١١٣، تاريخ ابن خلدون : ٢٥٣/٢ .
- ٦ — طاحية بن دهمان بن الأزد بن الفوث، الانباء على قبائل الرواة : ١١٣ .
- ٧ — سماوا بذلك لانهم انقطعوا عن الأزد . وفيات الاعيان : ١٠٧/٤ .
- ٨ — هم أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الفطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة، جمهرة انساب العرب : ٣٣٢، صبح الأعشى : ٣١٩/١ .
- ٩ — ماء بالسراة، الانباء على قبائل الرواة : ١١٢ .
- ١٠ — معجم البلدان : ٣٦/٥، ابن خلدون : ٢٥٣/٢ .
- ١١ — فتوح البلدان : ١٦-١٧ .
- ١٢ — ((وهي بلاد الازد باليمن))، معجم البلدان : ٣٤/٥ .
- ١٣ — فتوح البلدان : ١٦، تاريخ ابن خلدون : ٢٥٣/٢ .
- ١٤ — الطبري : ٧٤٥/٢ .
- ١٥ — ((اسم موضع بين عمان والبحرين))، وفيات الاعيان : ٣٥٨/٥ .
- ١٦ — ((بلد باليمن من ديار الأزد))، معجم البلدان : ٢٠٧/٢ .
- ١٧ — ((جبل من جبال كرمان مما يلي البحر)) معجم البلدان : ٣٨٠/٤ .
- ١٨ — ((شَنَ ناحية بالسراة، وهي الجبال المتصلة ببعضها الحاجزة بين تهامة واليمن))، معجم البلدان : ٣٦٨/٣ .

وَقَتْلَيْتَ (١)، وَثَرِيَّة (٢)، وَبَيْشَةَ (٣) أَوْ بَيْشَ (٤) . وسكن بعضهم الشام، وبَزْرَع (٥) وَبَحْصَرَى (٦) والبلقاء (٧) واليرموك (٨) وحمص (٩) . وسكن بعضهم مصر، بِمَنْفَلُوط (١٠) والجيزة (١١) .

وكانت الأزد في الجاهلية وثنيين، وكان لهم وثنان، باجَر (١٢) والسَّمِيدَة (١٣) . وفي عام الوفود (١ هـ)، وفد وفد الأزد على الرسول، وأعلنوا إسلامهم (١٤)، وقد ارتدت الأزد عندما ارتد كثير من العرب (١٥) .

شاركت الأزد في فتح العراق سنة ٣ هـ، في خلافة عمر بن الخطاب* (١٦) .

١ — معجم ما استمعجم : ٩٠ / ١

٢ — معجم ما استمعجم : ٩٠ / ١

٣ — معجم ما استمعجم : ٩٠ / ١

٤ — البلدان، اليعقوبي : ٣٢٠ .

٥ — صبح الأعشى : ٣١٩ / ١

٦ — المصدر نفسه : ٣١٩ / ١

٧ — المصدر نفسه : ٣١٩ / ١

٨ — المصدر نفسه : ٣١٩ / ١

٩ — المصدر نفسه : ٣١٩ / ١

١٠ — المصدر نفسه : ٣١٩ / ١

١١ — معجم البلدان : ١٧٧ / ٢

١٢ — الاصنام، ابن الكلبي : ص ٦٣ .

١٣ — معجم البلدان : ٢٢٢ / ٣

١٤ — شرح الزرقاني على المواهب اللدنية : ٣٢ / ٤، زاد المعاد : ٣٤ / ٣ — ٣٥،

الطبري : ١٧٢٩ / ٤ — ١٧٣٠ .

١٥ — انظر الطبقات الكبير : ٧٢ / ٧، المعارف : ٣٩٩، معجم البلدان : ٤٣٥ / ٢ .

* — يرى فلهاوزن أنهم لم يشاركوا في الفتوح التي حصلت في عهد عمر وعثمان .

انظر تاريخ الدولة العربية ٣٨١، وشايخته على ذلك دائرة المعارف

الاسلامية فذكرت انهم لم يشاركوا حتى عهد عثمان : ٣٨ / ٢ . وقد وجدت

رواية عن أبي مخنف في فتوح البلدان تقول غير ذلك . (. . . ثم ان عمر

ابن الخطاب ندب الناس الى العراق، فجعلوا يتحامونه، ويتثاقلون عنده،

حتى هم ان يخزوا بنفسه، وقدم عليه خلق من الأزد، يريدون غزو الشام، فدعاهم

الى العراق، ورضيهم في غنائم آل كسرى، فردوا الاختيار اليه، فأمرهم

بالشخوص .) : ٢٥٣ .

١٦ — فتوح البلدان : ٢٥٣، الطبري : ٢١٨٧ / ٤ — ٢١٨٨ .

وفتح هَرَمَةُ بْنُ عَرَفْجَةَ الْبَارْقِي سنة ١٩ هـ ((جزيرة في البحر مما يلي فارس)) (١).

وشارك غالبية الأزد في معركة الجمل (٢) (٣٦ هـ) مع عائشة وطلحة والزبير (٣). وقد ردّ زعيمهم صَبْرَةَ بْنُ شَيْمَانَ عَلَى كَعْبِ بْنِ سُوْر (٤) حين دُلِبَ مِنْهُ أَنْ يَمَاقِدَ. بِقَوْمِهِ رَدًّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَضَى عَلَى نَصْرَةِ عَائِشَةَ (٥). يقول صبرة : ((أتاُمِرُنِي أَنْ أَغَيِبَ عَنِ صَلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ، وَأَنْ أَخْذِلَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ، أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمُ الصَّلَاحَ، وَارْدَعَ الدَّالِبَ بِدَمِ عِثْمَانَ ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا . فَأُطِيقُ أَهْلَ الْيَمَنِ عَلَى الْحَضُورِ)) (٦). وقد انجلت المعركة عن عدد كبير من القتلى، كان غالبيتهم من الأزد (٧).

وشارك الأزد يُونُ فِي مَعْرَكَةِ صَفِينِ (٣٧ هـ)، فَقَدْ وَقَفَ أَزْدُ الْعِمْرَاقِ بِجَانِبِ عَلِيٍّ، وَوَقَفَ أَزْدُ الشَّامِ بِجَانِبِ مُعَاوِيَةَ (٨). وَقَدْ أَتَبَعَ فِي الْمَعْرَكَةِ تَكْتِيكَ يَقْضِي بِأَنْ تَجَابِهَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعِمْرَاقِ أَوْ الشَّامِ اخْتِهَا مِنَ الْقَطْرِ الْآخِرِ (٩)، وَيُظْهِرُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ

- ١ — فتوح البلدان : ٣٨٦.
- ٢ — الطبري : ٣١٣٣/٥.
- ٣ — أخلص الأزد يُونُ لِعَائِشَةَ، فَذَكَرَ عِمْرَانُ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ، كَانُوا يَأْخُذُونَ بِمُحَمَّدِ الْجَمَلِ، وَيَقْتُونَهُ، وَيَشْمُونَهُ، وَيَقُولُونَ : ((بَعْرَ جَمَلٍ أُمَّنَا رِيحَهُ الْمَسْكَ)) الطبري : ٣٢٠٤/٦.
- ٤ — ذَكَرَ عَامِرُ بْنُ حَفْصٍ أَنَّ زَعِيمَهُمُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُحَشَمٍ بْنُ حَنْبَلٍ الْحِمَامِي، وَأَنَّ الرَّايَةَ كَانَتْ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْأَشْرَفِ الْمُتَكِّي. انظر الطبري : ٣٢٠٣/٦. وَذَكَرَ غَيْرُ ذَلِكَ، انظر الطبري : ٣١٧٩/٦.
- ٥ — الطبري : ٣١٧٨/٦.
- ٦ — الطبري : ٣١٧٨/٦.
- ٧ — يَذْكُرُ أَنَّ قَتْلَ الْجَمَلِ كَانُوا ٢٥٠٠ مِنْ بَيْنِهِمْ ٣٥٠ أَزْدِيًّا. الطبري : ٣٢٣٢/٦. وَيَذْكُرُ أَنَّهُ مِنَ الْأَزْدِ ٢٠٠٠ وَمِنْ سَائِرِ الْيَمَنِ ٥٠٠. الطبري : ٣٢٢٤/٦. وَيَكْشِفُ عَنْ خَسَائِرِهِمُ الْكَبِيرَةِ الشَّعْرَ الَّذِي قِيلَ فِي الْأَزْدِ. الطبري : ٣٢٠٤/٦.
- ٨ — ٣١٩٥، ٣١٩٨، ابْنُ الْأَثِيرِ : ٢٤٦/٣، ٢٤٧، ٢٦٢.
- ٩ — يَظْهَرُ أَنَّ أَزْدَ الْعِمْرَاقِ كَانُوا مِنْ أَزْدِ عِمَانَ وَأَزْدِ الشَّامِ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ. وقعة صفين : ٢٧٠، ١٦٨.
- ٩ — وقعة صفين : ٢٢٧، ٢٢٩، الطبري : ٣٢٨٧/٦، ابْنُ الْأَثِيرِ : ٢٩٦/٣.

قد عباً لجندب بن زهير، زعيم الأزدي، الذي ولاه قيادة الأزدي واليمن في المعركة (٢). يقول رداً على مخنف بن سكين حين عز عليه أن يحارب قومه: ((والله لو كنا آباءهم ولدناهم. أو كنا أبناءهم ولدونا، ثم خرجوا من جماعتنا، وطعنوا على أماننا، وآزروا الظالمين، والحاكمين بغير الحق، على أهل ملتنا وذمتنا، ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عما هم عليه، ويدخلوا فيما ندعوهم اليه، أو تكثر التقتل بيننا وبينهم)) (٣). وقد كانت حسائس الأزدي فادحة في هذه المعركة (٤).

وفي سنة ٦٤هـ (٥)، أجاز مسعود بن عمرو العتكي عبيد الله بن زياد، على كره منه، فهو لا يرغب في معارضة أهل مصره، ولا يرى أن اجارته ستجر المنافس على الأزدي قبيلته، بل ستكون بلا ثمن، كاجارتهم لزياد (٦). وقد حصل ما تنبأ به مسعود، فعادى أهل مصره، ولقي هو مصرعه، ومثل به (٧)، وقد كان وقع مقتله

١ - وبلغ من إخلاصه لعلي أنه بارز زعيم أزدي الشام، فقتله الشامي. انظر وقعة صفين: ٢٦٣، الطبري: ٣٣٠٣/٦، ابن الأثير: ٣٠٣/٣.

٢ - وقعة صفين: ١١٧.

٣ - وقعة صفين: ٢٦٢-٢٦٣، الطبري: ٣٣٠٣/٦.

٤ - يذكر نصر بن مزاحم أنه قتل من الأزدي وبجيلة ٣٠٠٠ في دفعة واحدة. انظر وقعة صفين: ٣٢٩.

٥ - عندما فقدت السلطة المركزية بموت يزيد بن معاوية، بايع الناس في العراق عبيد الله بن زياد، حتى تتفق الأمة على خليفة. ثم نقضوا بيعتهم له، وشايخ الكثيرون منهم ابن الزبير، فالتجأ عبيد الله إلى الأزدي.

انظر نقاش جرير والفرزدق: ٢/٧٢٢-٧٢٦، انساب الاشراف: ج ٤، ق ١١٨، الطبري: ٤٤٢/٧، ابن الأثير: ١٣٤/٤.

٦ - انظر نقاش جرير والفرزدق: ٢/٧٢٤، انساب الاشراف: ج ٤، ق ١٠٣، الطبري: ٤٤١/٧، ابن الأثير: ١٣٤/٤.

٧ - انظر نقاش جرير والفرزدق: ١/١١٢-١١٣، انساب الاشراف: ج ٤، ق ٢ / ١٠١، ١٠٦، ١٢٠.

عنيفاً على الأزد وحلفائها (١)، فأحرقوا دوريني العَدَوِيَّةَ (٢)، وسلبوا، ونهبوا ولم يسلم من غضبتهم الصباغين والمقعدين (٣). ونشبت معارك عنيفة بين الأزد وحلفائهم من جهة وبين تميم وأحلافها من جهة أخرى، وسفر السفراء بينهم لوقف القتال (٤). وكانت شروط الأزد وحلفائها قاسية، تدل على وقع الصدمة العنيف عليهم، كما تدل على أن قوة الأزد وحلفائها كبيرة. فقد اشترطوا عليهم أن يختاروا واحداً من ثلاثة شروط: ((...)) أن شئتم فاخرجوا من المضر، فلا يبقى فيه مضرى، وتهدر هذه الدماء. وأن شئتم فدوا قتلنا، ولا ندى قتلاكم، وتدون مسعوداً عشر ديات (٥) أو الحرب ((٦)). وقد رفض التميميون مغادرة البصرة (٧)، ورفضوا أن يدوا مسعوداً عشر ديات (٨)، وقبلوا اهدار دماء قتلاهم. وأن يدوا قتل الأزد وحلفائها (٩). وموقف

- ١ — يروى أن ثَمَمَةَ ابنة مسعود ((ركبت دابة موكفة، وولت وجهها قبل ذنبها، وسدلت شعرها وتجلبت مسحاً، ومعها نادية، تقول: — مسعود من يقتل بك، آخف لا نعطي بك — ورفضت أن تنصرف حتى يوثق لها برأس الأحنف، فأثي لها برأس قيل لها: إنه رأس الأحنف، فأزمت بأنفه عَضاً، وغصت كميها بدم لخاريدته. انظر نقاش جرير والفرزدق: ١١٥/١، انساب الاشراف: ج ٤ ق ٢/ ١١٠.
- ٢ — نقاش جرير والفرزدق: ٧٣٢/٢، انساب الاشراف: ج ٤ ق ٢/ ١٠٧، ابن الاثير: ١٣٨/٤.
- ٣ — نقاش جرير والفرزدق: ١١٤/١، ابن الاثير: ١٣٨/٤.
- ٤ — سفر بينهم قرشيان، وهما: عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر التيمي وهمر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المَخْزُومِي، انظر نقاش جرير والفرزدق: ٧٣٨/٢، انساب الاشراف: ج ٤ ق ٢/ ١٠٦، ١١٣.
- ٥ — يشرح المبرد ذلك بقوله: ((يريد أمر الطوك في الجاهلية، وكان الرجل اذا قتل، وهو من اهل بيت المطلكة، ودى عشر ديات))، الكامل: ١٤١/١.
- ٦ — انساب الاشراف: ج ٤ ق ٢/ ١١٤، ١٢٢.
- ٧ — لأن الرحيل كما قال الأحنف: ((أخو القتل، قال الله — عز وجل —: ((ولو انا كتبنا عليهم ان يقتلوا انفسكم، أو أخرجوا من دياركم ما نملوه الا قليلاً)) الكامل: ١٤١/١.
- ٨ — لأنه رجل من المسلمين، وقد أذهب الله عادات الجاهلية. انظر انساب الاشراف: ج ٤ ق ٢/ ١١٤.
- ٩ — انساب الاشراف: ج ٤ ق ٢/ ١٢١—١٢٢، الكامل: ١٤١/١.

تميم هذا يدل على ان تميما وحلفاءها ضعفوا أمام الأزد وحلفائها (١). ولعل حلف تميم قبل بذلك استشمارا لخطر الخوارج الذي أصبح محققا بالمدينة (٢)، فلا مجال للتمادي في الصراع، والعدو يقرع أبواب المدينة، وقد تمّ الصلح بين الفريقين، ودفعت الديات (٣).

عندما تكاثرت الأزد في البصرة*، سعى الريميون لمحالفتهم، رغبة في تعديل ميزان القوى، الذي كان يرجح لصالح المضرية (٤)، الذين حالفوا الأساورة (٥)، ويؤكد أبو عبيدة ان الحلف عقد اثناء فتنة مسعود سنة ٦٤ هـ تجديدا لحلف شببيه في الجاهلية (٦). وقد دعم فكرة الحلف عبيد الله بن زياد (٧). ربما لأنه أراد ان يكون

١ — اتفق الطبري رواية عن هشام بن محمد، والبلاذري رواية عن هشام الكلبى : على أن تميما بدأت بطلب الصلح من الأزد، قائلة : ((... الله، الله، يا معشر الأزد، في دماثنا ودمائكم، بيننا وبينكم القرآن، أو من شئتم من أهل الاسلام، فان كانت لكم علينا بقتل مسعود بينة، فاختراروا أفضل رجل منا فاقتلوه به، وان لم تكن بينة، فنحن نحل لكم بالله، أنا ما قتلنا، ولا أمرنا، وان الخوارج اعتمدت صاحبكم من قبل انفسهم، وانا لا نعترف قاتله، وان كرهتم ذلك، فنحن ندى صاحبكم مائة الف)). انظر انساب الاشراف : ج ٤ ق ٢/٩٨، الطبري : ١٤٢/٧، ابن الاثير : ١٤٢/٤.

٢ — الطبري : ٥١٨/٧ — ٥٨١.

٣ — يقال ان السمرين، عمر بن عبيد الله وعمر بن عبد الرحمن تحملا تسع ديات. وان تميما دفعت دية واحدة لمسعود. انظر انساب الاشراف : ج ٤ ق ٢/١١٣، ١١٥، البيان والتبيين : ٣١٩/١. ويقال ان القبايع دفع قيمة ديات مسعود. انظر انساب الاشراف : ج ٤ ق ٢/١٢٢. ويذكر زهير بن الهنيد في النقائض : ان التميميين دفعوا عشر ديات لمسعود لانهم مثلوا به. انظر نقائض جرير والفرزدق : ١١٧/١.

* كل ما أُلْعِنَا عليه بصدور الحلف جاء برواية أبي عبيدة.

٤ — يقال : ان سبب سمي ربيعة لمخالفة الأزد، معركة نشبت بين ربيعة ومضمر بسبب مساجرة نشبت بين بكرى وقرشي، فتحزبت مضمر على ربيعة. انظر انساب الاشراف : ج ٤ ق ٢/١٠٥.

٥ — فتوح البلدان : ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥.

٦ — قال مالك بن مسية (جددوا حلفنا، وحلف كئده في الجاهلية، وحلف بنو ذهل ابن ثعلبة في طى بن أد في بني كحل، ففعلوا). نقائض جرير والفرزدق : ٧٣٠/٢.

٧ — انساب الاشراف : ج ٤ ق ٢/١٠٦، ابن الاثير : ١٣٦/٤.

فيه قوة يتكفي* عليها في حكم المرافى، وقد طُبِقَ ما جاء في الحلف في فتنة مسعود (١)،
 إذ قاتل الرمييون الى جانب الأزد. ويبدو أن كلاً من الرمييين والأزد يمين كانوا
 مفتبطين بهذا الحلف، فما لك بن سَمْع يقول للأحنف بن قيس: ((كانت نعمة
 سبقناك إليها)) (٢). ويزيد بن المهلب — في فترة لاحقة — يقول: ان العزّ ((غينا
 وفي حلفائنا من ربيعة)) (٣).

وفي سنة ٦٦ هـ قاتل كل من أزد الكوفة، وأزد البصرة المختار بن أبي عبيد
 الثقفي (٤). وقد كانوا يشكلون القوة الرئيسية في جيش المهلب في حروبه ضد
 الخوارج (٦٥-٧٨ هـ). واشتركوا في فتوح قتيبة بن مسلم (٨٥-٩٦ هـ) وبخاصة
 فتح بخارى سنة ٩٠ هـ (٥). وقد اضطلعت الأزد بدور فعال في الاطاحة بقتيبة
 ابن مسلم، واحتفظوا برأسه، غير انهم اضطروا الى اخراج الرأس عند ما هددهم وكَيِّح بن
 أبي سُود بالعقاب ان لم يخرجوه (٦). وفي سنة ١١٢ هـ أبلى فرسان الأزد بلاءً حسناً
 مع الجنيد بن عبد الرحمن المُرِّي في وقعة الشَّعْب (٧).

وهكذا نجد ان الأزد شاركت في احداث العصر الأموي، غير ان مهمتنا ليست
 استقصاء ادوار الأزد في كل الأحداث.

-
- ١- كانت ربيعة على الميمنة ضد مضر في فتنة مسعود. نقائير جرير والفرزدق :
 ٧٣٧/٢، انساب الاشراف : ج ٤ ق ٢ / ١١٢.
 - ٢- انساب الاشراف : ج ٤ ق ٢ / ١٠٦.
 - ٣- عيون الأخبار : ٢٩١/١.
 - ٤- الطبري : ٦٥٢/٨ - ٦٦٠/٨، ٧٢٠-٧٢٦ هـ، ابن الاثير : ٢٣٥/٤.
 - ٥- الطبري : ١٢٠١/٨، ابن الاثير : ٥٤٣/٤.
 - ٦- نقائير جرير والفرزدق : ٣٦٣/١، فتوح البلدان : ٤٢٤، الطبري : ١٢١٩/٨.
 - ٧- الطبري : ١٥٣٤/٩ - ١٥٤٧.

نشط المهابلة في العراق وخراسان، وربما أتاح لهم حركة الرّدة الوصول الى هذه البلاد، فقد شارك أبو صُفرة في الرّدة، التي اجتاحت مناطق واسعة من جزيرة العرب، لأسباب مختلفة. ويظهر أن أزد وربه قوم المهلب، كانوا قد ارتدوا لأسباب اقتصادية، امتعاضا من الصدقات، وكرها لها مع أن القائم على أمر الصدقة عند حم كان أزديا منهم، وقد كتب الرسول له: ((... فرائض الصدقات، فكان يأخذ صدقات أموالهم، ويردّها الى فقراءهم)) (١). وعندما توفي الرسول سارعوا الى الرّدة، وطمعوا في شخّر الرسول، ((ومنعوا الصدقة)) (٢). لكن أبا بكر - كما هو معروف - لم يهادن المرتدين بل أرسل لهم قائده أينما وجد المرتدون، فقد أمر عكرمة بن أبي جهل بالسير نحوهم فقاتلهم، وقتل زعيمهم لقيط بن مالك ذا التاج (٣). ((وتحصن فلهم في حصن لهم، وحصرهم المسلمون، حتى نزلوا على حكم عكرمة، فقتل منه من أشرافهم، وسبى ذراريهم، وبعت بهم الى أبي بكر، وفيهم أبو صُفرة غلام لم يبلغ)) (٤). ودار نقاش حاد بين المسلمين، حول مستقبل أسراهم وسبيهم. فأبو بكر يشايحه فريق من المسلمين يصرون على قتلهم. ولعل موقف أبي بكر هذا يدل على أن الأزد استشفروا البعد المكاني في ردتهم، كما يدل على استشراف أبي بكر له، ومن هنا قسا عليهم. وعمر بن الخطاب يشايحه فريق آخر يرفضون ذلك قائلين: ((يا خليفة رسول الله، قوم انمسا شحوا على أموالهم. فيأبى أبو بكر ان يدعمهم. فلم يزالوا موقوفين في دار كركسية بنت الحارث، حتى توفي أبو بكر، وولي عمر بن الخطاب، فدعاهم، فقال: قد أفضى الي هذا الأمر، فانطلقوا الى أي بلاد شئتم، فانتم قوم احرار، لا فدية عليكم)) (٥).

١ - الطبقات الكبير: ٧٢/٧، المعارف: ٣١١، معجم البلدان: ٤٣٥/٢، الروض المعطار: ٢٣٢.

٢ - المعارف: ٣١٩، وفيات الاعيان: ٣٥٠/٥، الروض المعطار: ٢٣٢.

٣ - وهو لقيط بن مالك الأزدى الذي كان ((يسامى في الجاهلية الجُلندى، وأدعى بمثل ما ادعى به من كان نبيا))، الطبري: ١٩٧٧/٤ - ١٩٧٨.

٤ - المعارف: ٣١٩، فتوح البلدان: ٧٦، وفيات الاعيان: ٣٥١/٥، معجم البلدان: ٤٣٥/٢، شرح المقامات الحربية: ٣٠٩/٢، الروض المعطار: ٢٣٢.

٥ - الطبقات الكبير: ٧٢/٧، معجم البلدان: ٤٣٥/٢، الروض المعطار: ٢٣٢-٢٣٣. ويرى الدكتور شكرى غيصل: ان هذه خطوة لتصفية الاحقاد تمهيدا للانطلاق بحركة الفتح. انظر المجتمعات الاسلامية: ٣٤.

وهكذا اقتادت حركة الردة المصالبية من جنوب الجزيرة العربية، حيث لم تكن لهم شهرة ولا صيت، اقتادتهم الى العراق، ليشتبهوا، ويصبحوا زعماء وقادة، وليرتبط اسم المصالبية - فيما بعد بالبصرة. وقد استوطن المصالبية البصرة، وملكوا فيها الاقطاعات الواسعة، فمن اقطاعاتهم، خيرتان، مهلبان (١)، عيَّاسان (٢) والحاثمية (٣). وتزداد اقطاعاتهم في خلافة سليمان بن عبد الملك، ومنها الشرقي والجبان والخسنت والريحية ومفيرتان (٤) * . وقد كانت هذه الاقطاعات بحاجة الى صيانة مستمرة، وحاجة الى ايصال المياه اليها لريها. فقد ذكر البلاذري نقلاً عن المدائني: ((... حفر يزيد بن المهلب نهر يزيد، في قطيعة لمبيد الله بن أبي بكر. فقال لبشير - عبيد الله: اكتب لي كتاباً بأن هذا النهر في حقي. قال: لا والله، ولئن عزلت لأخاصمك)) (٥). وهذا يدل على انهم في سبيل ذلك كانوا يوسمون رقعة املاكهم ظلماً وعدواناً، مستغلين مركزهم السياسي. وقد شككت هذه الاقطاعات مصدر ثروة واسعة، ان يذكر المدائني: أن غلة مقل واحد ليزيد بن المهلب، كان زرع بطيخا، ساوت أربعين ألف درهم (٦). لكن ملكية هذه الاقطاعات نزعت من المصالبية أثر القضاء على ثورتهم في خلافة يزيد بن عبد الملك (٧).

أما ما زعمته الرواية، من أن أبا صفرة كان غلاماً حين قدم المرتدون، فهو باطل تصححه رواية ابن كثير النائلة: ((... وفيهم ابو صفرة، وابنه المهلب، غلام لم يبلغ الحنث)) (٨) فالغلام المهلب، وليس والده أبا صفرة، وإذا علمنا أن المهلب ولد سنة ٨ هـ. أي عام الفتح، فهل هذا يكون والده غلاماً عام الردة؟ وقد كان من صفار ولد

- ١ - فتوح البلدان: ٣٦٠، معجم البلدان: ٤٣٥/١، ويذكر ياقوت: أن خيرتان منسوب الى خيرة بنت ضمرة القشيرية، امرأة المهلب. مهلبان: منسوب الى المهلب، ويقال الى خيرة أم أبي عبيدة بن المهلب، فغلب عليه اسم المهلب.
- ٢ - فتوح البلدان: ٣٦٩. وكان الحجاج اقطعه لخيرة.
- ٣ - نسبة لحاتم بن قبيصة بن المهلب. فتوح البلدان: ٣٦٩.
- ٤ - فتوح البلدان: ٣٦٩.
- * ومن اصطلاح اهل البصرة، ان يزيدوا في اسم الرجل، الذي تنسب اليه القرية الفا ونونا، معجم البلدان: ٤٣٥/١.
- ٥ - فتوح البلدان: ٣٦٥.
- ٦ - وفيات الاعيان: ٢٨٢/٦ - ٢٨٣.
- ٧ - فتوح البلدان: ٣٦٧.
- ٨ - البداية والنهاية: ٤٢/١.

أبي صفرة. فلعل أبا صفرة قد قدم ضمن المئة الثلاث من المقاطلة المرتدين الذين قدم بهم حذيفة بن اليمان الأزدي (١). وقد أورد ابن خلكان نصاً في الوفيات نقلاً عن المعارف لابن قتيبة* ينفي هذا القول: ((...)). وهذا الحديث باطل، أخطأ فيه الواقدي، لأن أبا صفرة لم يكن في هـ ولا رآه أبو بكر قط، وإنما وفد على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو شيخ أبي بكر الرأس واللحية، فأمره أن يخضب، فخضب، وكيف يكون غلاماً في زمن أبي بكر، وقد ولد المهلب، وهو من أصغر ولده قبل وفاة النبي بسنتين، وقد كان في ولده، من ولد قبل وفاة النبي بثلاثين سنة، أو أكثر؟ ((٢)). لكن ابن قتيبة لم يثبت ما قاله من أن أبا بكر لم ير المهلب، ونحن نقول: إن اتصاله بعمر لا يمنع اتصاله بأبي بكر (٣).

ولد المهلب بن أبي صفرة عام الفتح (٤)، أو قبل وفاة النبي بسنتين، أي سنة ٨ هـ (٥)، وهو أصغر أبناء أبي صفرة. وتعمت المصادر التي بين أيدينا على أخباره، لتظهره لنا نجاة. وقد يكون لهؤلاء المؤلفين عذرهم، فلا أحد يعلم أن هذا الطفل سيكون نابهاً أو غير نابهاً. وإن كانت هناك رواية يبدو فيها الوضع، أوردها ابن حجر في الإصابة وفحواها، أن أبا صفرة وفد على عمر بن الخطاب بعشرة من ولده، أصغرهم المهلب ((فقال له عمر: هذا سيد ولدك)) (٦). ويبدو أن شخصية المهلب، كانت

- ١ - الروغز المعطار: ٢٣٢.
- * لم أجد النذر أو إشارة إليه في المعارف.
- ٢ - وفيات الأعيان: ٣٥١/٥.
- ٣ - انظر: الإصابة: ٥٠٠/٣. وانظر علاقته بعمر بن الخطاب في الشعر والشعراء: ع ١١، العقد الفريد: ٣٠٠/٢، الصناعتين: ١٥٨، شرح المقامات الحبرية: ٣٠٦/٢، الجرح والتمديد، لأبي حاتم الرازي: ق ١ من مجلد ٥٠٣/٢.
- ٤ - يرى عمر أبو النصر في كتابه عبد الملك بن مروان: إن المهلب ولد في البصرة، لكن ما اثبتته المناقشة حول مقدم أبي صفرة إلى البصرة، وهو أنه ولد فسيها وليس في البصرة. انظر كتاب عبد الملك بن مروان لعمر أبي النصر: ١٥٤.
- ٥ - الإصابة: ٥٣٥/٣، البداية والنهاية: ٤٢/٩، تهذيب التهذيب: ٣٣٠/١٠.
- ٦ - الإصابة: ٥٣٥/٣، وردت رواية مشابهة في البيان والتبيين: ٢٣٤/٣، محاضرات الأدباء: ١٤٢/١، شرح المقامات الحبرية: ٣١٠/٢.

شخصية قوية في فترة تبلورها الأولى، فلفتت نظراً أشهر شخصيات الدولة اليها (١). ولعل أقدم رواية ذكر فيها المهلب مشاركا في الأحداث ما ذكره البلاذري في فتوح البلدان يقول: ((حدثني سعدويه، ثنا شريك عن أبي اسحق، عن المهلب بن أبي صفرة. قال: حاصرنا منازلهم، فأصبنا سبيا. فكتب عمر: أن منازلهم قرية من قرى السواد، فردوا عليهم ما أصبتم)) (٢). والجدير بالذكر أن منازلهم فتحت عام ١٨ هـ (٣). فهل يعقل أن المهلب يشارك في ذلك، وهو في سن العاشرة؟ ويبدو أن المهلب كان يأخذ صف علي بن أبي طالب، إذ يذكر ابن حجر نقلا عن كتاب أخبار الخوارج، للمحمد بن قدامة، رواية عن أبي اسحق: ((... أول من عقد له لواء علي بن أبي طالب، حين انهزم الأزد، يوم الجمل)) (٤). وعلى الرغم من تكريم علي له. إلا أنه تحول إلى صف الأمويين حين دارت الدائرة على أتباع علي. إذ يقدم سنجستان عام ٤٢ هـ بمعية واليهما عبد الرحمن بن شمر، ويشارك المهلب في فتح عدد من كور خراسان (٥). وهكذا أصبح جنديا من جنود السفليانيين. والملاحظ أن المهلب كان متذبذبا في ولائه السياسي، فقد شايح عليا، ثم أخذ صف السفليانيين من بني أمية، ثم تبع ابن الزبير وأخيرا يأخذ جانب المروانيين من بني أمية.

ولكن المهلب مع ذلك، اتمت بصفات حميدة كثيرة، لعل أبرزها الشجاعة والكرم والعفو وغيره. من الصفات المحببة. يقول البيهقي: ((... وبلغنا عن المدائني، قال: ليس السواد بالشرف، وإنما ساد الاحنف بن قيس بحلمه، وحسنه بن المنذر برأيه، ومالك بن مسمع بمحبته العامة، وسويد بن منجوف بمداغفه على أرامل قوميه، وساد المهلب بجميع هذه الخصال)) (٦). وقد رويت عنه رواية في العفو عند المقدرة

- ١ — يقول الجاحظ رواية عن الأصمعي وأبي الحسن: ((... قال: أخبرنا إبراهيم ابن حبيب بن الشهيد عن أبيه، أو عن غيره، قال: بلغ سعدا شيئا فعله المهلب في العدو، والمهلب يومئذ فتى، فقال سعد: اللهم لا تره ذلًا. فيروى أن الذي ناله المهلب بتلك الدعوة)) . البيان والتبيين: ٣/ ٢٧٧-٢٧٨.
- ٢ — فتوح البلدان: ٣٧٨، وانظر معجم ما استعجم: ٤/ ١٢٦٤.
- ٣ — معجم البلدان: ٥/ ١١٩.
- ٤ — الإصابة: ٣/ ٥٣٦. لعل المصاحبة لم يشاركوا قومهم يوم الجمل الحرب مع عائشة وطالحة والزبير بدليل أن أبا صفرة يقول لزياد بن أبيه: لو أدركت يوم الجمل ما قاتل قومي أمير المؤمنين. انظر ابن الأثير: ٣/ ٣٦٣.
- ٥ — تاريخ خليفة بن خياط: ١/ ١٨٦.
- ٦ — المحاسن والمساوي: ٢/ ١٠٢، شرح الميوس: ١٩٤.

تدل على رحمته وسمة صدره، وعفوه من المذنب، وصفحه عن المسيء (١). وقد شهد له معاصروه بالتقدم. وحسبك ان تتألم استئبال الحجاج له حين أنهى أمر الخوارج. وقد شهد له غير واحد. ((وقال ابو اسحاق السبيعي : لم أرا أميرا أيمن نقيية، ولا أشجع لقا، ولا أبعد مما يكره، ولا اقرب مما يحب، من المهلب)) (٢). وقد كان ذكيا، زاهية حسن الاجابة، حاضر البديهة (٣).

أما ثقافته، فقد ثقف الثقافة الدينية، وبخاصة علم الحديث، فقد كان المهلب راوية، يروى الحديث عنه، ان يذكر ابن حجر القسقلاني : أن ابن جبان ذكره في ثقات التابعين (٤). ((وقد سمع سمرة، وابن عمر. وروى عنه ابو اسحق، وسمك بن حرب، وعمر بن سيف (٥). وقد روى عنه غير هؤلاء (٦). وقد نسبته بعض الناس إلى الكذب، وقد كان يكذب لأسباب حربية، أو يتأول حديثا وهذا أقرب إلى تضليل الخصم

١ - يقول القالي : ((وحدّثنا ابو بكر - رحمه الله - قال : حدّثنا الشّكن بن سميد ، عن محمد بن عبّاد المهلبى ، قال : قيل للمهلب : ان فلانا عين للخوارج فسي عسرك ، وأنه يتكفن بالسلاح اذا دعوا للحرب ، ليفتالك ، ويلحق بالخوارج . فبعث اليه . فأتى به . فقال له : قد تقرّر عندنا كيدك لنا ، ولم نقدّم من امرك على ما عزمنا عليه ، إلا بعد ما لم يدع اليقين للشك معترضا . فاختر أى قتلة تحب أن أقتلك ؟ فقال : سيف مجهّز ، أو عطفة من كريم ، محتقر لضغن ذوى الضفائن . قال : فانها عطافة كريم ، محتقر للذّنوب ، فخلّى سبيله ، فكان بعد ذلك من اوثق أصحابه عنده)) . انظر الامالي : ١٦١ / ١ .

٢ - الاصابة : ٥٣٦ / ٣ ، الصبر في خبر من غير : ٩٥ / ١ ، شذرات الذهب : ٩٠ / ١ - ٩١ .

٣ - البخلا : ١٩ ، المحاسن والمساوي : ٤٥٩ ، مروج الذهب : ٩١ / ٣ .

٤ - تهذيب التهذيب : ٣٣٠ / ١٠ .

٥ - التاريخ الكبير ، البخارى : ج ٤ ق ٢ / ٢٥٠ .

٦ - تاريخ جرجان : ٤٦٢ ، الاصابة : ٥٣٦ / ٣ . ذكر له ابن حجر عدة أحاديث

منها ((وقد أخرج أصحاب السنن ، من رواية المهلب ، عن سمع النبي ،

يقول : ان بيتوكم فليكن شعاركم ، حم لا ينصرون)) انظر الاصابة : ٥٣٥ / ٣ -

٥٣٦ ، كتاب الحرج والتعديل : ق ١ من مجلد ٤ / ٣٦٩ ، تاريخ جرجان :

٤٦٢ .

منه الى الكذب، ويدخل في باب الخدعة وحسن التصرف لا الكذب (١).

توفي المهلب سنة ٨٢ هـ (٢)، بينما كان عائداً من غزوه لكش. وقد توفي بزأغول من مروالروذ، عن عمر يقارب السادسة والسبعين (٣)، وان كانت بعض المصادر لا تستبعد أن يكون موته عام ٨٣ هـ (٤)، وحتى لو كان ذلك كذلك، فانه يكون توفي في مطلع سنة ٨٣ هـ، لأن ابنه المُنْثِيرَةَ مات قبله بقليل، عام ٨٢ هـ.

وكان سبب وفاته اصابته بالشَّوْصَة، أو الشَّوْكَة كما يسميها بعضهم (٥). ولعلها آكلة كانتغني رجله (٦).

وعندما مرض المهلب مرض الوفاة، استخلف ابنه يزيد (٧). ويزيد هو واحد من بين عشرة أخوة نجباء اذكيا، وهم، ((يزيد، وزياد، والمفضل، ومُذْرِك، وخبیب، والمُنْغِيرَة، وقبيصة، ومحمد، وهند، وفاطمة)) (٨). وقد ولد يزيد بن المهلب عام ٥٣ هـ (٩)، وقد استخلفه أبوه، وهو ابن ثلاثين عاماً (١٠). وبمقارنة بسيطة بين وفياة المهلب وتولي يزيد، نجد انه ولد فيما بين عامي (٥٢-٥٣ هـ). وقد تولى عدة اعمال من بينها، خراسان سنة ٨٢ هـ. وكان من القلائل الذين جمعت لهم ولاية المصريين (١١).

- ١ — الاصابة : ٥٣٦/٣، وفيات الاعيان : ٣٥٢/٥، شرح نهج البلاغة : ١٥٠/٤، شذرات الذهب : ٩١/١.
- ٢ — تاريخ خليفة بن خياط : ٢٨٨/١، طبقات خليفة بن خياط : ٢٠١، الطبري : ١٠٨٣/٨، تاريخ جرجان : ١٥، العبر في خبر من عبر : ٩٥/١، مختصر ابي الفداء : ١١٥/١.
- ٣ — الاصابة : ٥٣٦/٣، البداية والنهاية : ٤٣/٩، تهذيب التهذيب : ٣٣٠/١، معجم الأرباب : ١٢٦/٣.
- ٤ — الاصابة : ٥٣٦/٣، شرح المقامات الحيرية : ٣١٢/٢، سرح الميرون : ١٩٤.
- ٥ — ابن الاثير : ٤٧٥/٤.
- ٦ — تاريخ اليمقوبي : ٢٧٦/٢، البلدان لليمقوبي : ٢٦٦، يذكر الجاحظ في رسائله : ٢٦٣/٢ انه مات على ظهر دابته بالطالقان.
- ٧ — الطبري : ١٠٨٣/٨، تاريخ اليمقوبي : ٢٧٦/٢، البلدان لليمقوبي : ٣٠٠، ابن الاثير : ٤٧٥/٤، شرح المقامات الحيرية : ٣١٠/٢، المختصر في اخبار البشر : ١١٥/١، دول الاسلام : ٣٩/١، البداية والنهاية : ٤٣/١.
- ٨ — الاخبار الباقية : ٢٨٠، تاريخ خليفة بن خياط : ٢٠٦/١.
- ٩ — تاريخ جرجان : ١٥، شذرات الذهب : ٩١/١.
- ١٠ — المعارف : ٥٧١، الطبري : ١٣٠٥/٩، الاعلان النفيسة : ١٩٥.

ارسله أبوه بأمر الحجاج سنة ٧٧هـ على كَرْمَان (١). وقد مات مقتولا في عَقْر بَابِل عن عمر يقارب الثامنة والاربعين او التاسعة والاربعين (٢).

وكان يزيد بن المهلب شيخ أبناء المهلب. وفيه يقول أبو حنيفة الدِّينَوْرِي :
((وكان يزيد أجمل ولد المهلب جمالا ، وأكملهم عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأزربهم لسانا)) (٣).
الأنه كان متكبِّرا (٤) ، وقد كان يزيد كوالده يروى ويروى عنه الحديث (٥).

ومن أبناء المهلب، الذين اشتهروا بشجاعتهم، المفيرة أبو فراس. وقد كان المهلب يقف ههنا في قتال الخوارج ، وقد أظهر فيه ضروبا من الشجاعة والقدرة على التصرف (٦).
وقد قاد المفيرة في عام ٦٥هـ ثلاث عسكر المهلب، إذ نضج الخوارج بالسهم، حتى عبر الجيش النهر (٧) ، وقد أظهر يوم سلى وسلبى ضروبا من الشجاعة والفروسية (٨) ، وقد است خلفه والده على قتال الخوارج سنة ٦٨هـ ، حين استدعاه مُصَقَّب، ليفصل بينه وبين

- ١ — ابن الاثير: ٤ / ٤٤١ .
- ٢ — لطائف المعارف: ١٣٨ .
- ٣ — الاخبار الباقية: ٢٨٠ .
- ٤ — وفيات الاعيان: ٦ / ٢٨٤ ، نهاية الارب: ٣ / ٣٧١ . ((. . . نظر مُطَرَف بن عبد الله الشَّخَّير الى يزيد بن المهلب، وهو يمضي ، وعليه حلة يسحبها ، فقال له : ما هذه المشية التي يفضيها الله ورسوله ؟ فقال يزيد : أما تعرفني ؟ فقال : بلى . أولك نطفة مذرة ، وأخرى جيفة قدرة ، وأنت بين ذلك حامل عذرة))
انظر وفيات الاعيان: ٦ / ٢٨٤ ، وتنسب في سراج الملوك: ٣٤ ، الى المهلب .
والقاتل هناك مالك بن دينار .
- ٥ — ((اخبرني ، أبو احمد ، الحسين بن عبد الله ، بن سعيد الأديب ، بمسكركرم ، اجازة ومشافهة او سماعا ، على الشك مني ، حدَّثنا أبو بكر ، محمد بن أحمد ، بن اسماعيل ، بن ما ٥٥٠ ان الايلي ، حدَّثنا محمد بن خالد ، بن خداش ، حدَّثني أبي ، عن الهيثم بن عدي ، عن يونس بن أبي اسحق ، قال : خطبنا يزيد بن المهلب بطبرستان فقال : حدَّثنا انس بن مالك ، قال : قال رسول الله : قل ما استلحق قوم رجلا الا ورثهم . قال الهيثم : فحدَّثت به عيسى بن موسى . فقال رجل في المجلس : لو كان هذا الحديث عن غير يزيد ؟ فقال عيسى . كان يزيد اشرف من ان يكذب في الحديث)) . انظر تاريخ جرجان: ١٢٠ ، وانظر بعض روايات مشابهة في تاريخ جرجان: ١٣ - ١٤ ، وفيات الاعيان: ٦ / ٢٧٩ .
- ٦ — البداية والنهاية: ٦ / ٤٦٠ .
- ٧ — الكامل: ٣ / ٣١٢ .
- ٨ — الكامل: ٣ / ٣٢٧ - ٣٢٨ ، شرح نهج البلاغة: ٤ / ١٥٤ - ١٥٥ .

عبد الملك بن مروان (١). وفي سنة ٧٨ هـ وتوجه مع والده الى مرو، ((واستنابه عنه بمرور الشاهدجان، وتوفي في حياة أبيه، سنة ٨٢ هـ، في شهر رجب)) (٢). وقد مات والمهلب مقيم بكش. وقد حزن عليه المهلب حزنا شديدا، وجزع ((حتى ظهر جزعة عليه. فلامه بعد خاصته. فدعا يزيد، فوجهه الى مرو، فجعل يوصيه بما يعمل، ودعوه تنحدر على لحيته)) (٤) وقد كان المفيرة مسرورا، ولعله مات متأثرا بهذا المرض (٥).

ومن مشاهير أبناء المهلب حبيب الخزون. ويبدو أنه كان أسن من يزيد (٦). قدّمه المهلب سنة ٦٥ هـ أمامه ب. ٦٠٠ فارس تمكنوا من اجبار الخوارج على إخلاء المنطقة الواقعة بين جسر البصرة (٧). وفي سنة ٧٢ هـ استخلفه المهلب على الأهواز (٨)، وقدّمه المهلب حين ولي خراسان ٧٨ هـ (٩)، استعمله سليمان بن عبد الملك على حرب السند، وفي هذه الأثناء كان ملك السند، جَيْشَبَة بن داغر قد رجع الى برهمناباد، ((فنزل حبيب على شاطئ مهران، فأعطاه أهل الرور الطاعة)) (١٠). وكان حبيب ابن المهلب منجبا (١١)، وقد مات مقتولا يوم المقر سنة ١٠٢ هـ.

-
- ١ - الكامل : ٣/ ٣٣٣-٣٣٤، انساب الاشراف : ٥/ ٢٥٠، ٢٥٣، ابن الاثير :
 - ٤/ ٢٨١، شرح نهج البلاغة : ٤/ ١٥٩، نهاية الارب : ٧/ ٢٤٩.
 - ٢ - الطبري : ٨/ ١٠٧٧، وفيات الاعيان : ٥/ ٣٥٤، ابن الاثير : ٤/ ٤٧٢.
 - ٣ - الطبري : ٨/ ١٠٧٨.
 - ٤ - الطبري : ٧/ ١٠٧٧.
 - ٥ - البيان والتبيين : ٤/ ٧.
 - ٦ - صرح بذلك حين توفي له ابن، تقدّم يزيد ليصلي عليه، فقيل له : ((أتقدمه، وأنت أسن منه، والميت ابنك؟)) فقال : ان أخي قد شرفه الناس، وشاع فيهم لسه الصيت، ورمته العرب بأبمارها، فكرهت أن أصغ منه ما رفعه الله تعالى)) وفيات الاعيان ٦/ ٢٨٤، بهجة المجالس : ١/ ٧٩٢.
 - ٧ - الطبري : ٧/ ٥٩٠-٥٩١.
 - ٨ - الكامل : ٣/ ٣٥٩، شرح نهج البلاغة : ٤/ ١٧٦-١٧٧.
 - ٩ - الطبري : ٨/ ١٠٣٥.
 - ١٠ - فتوح البلدان : ٤٤١، ابن الاثير : ٤/ ٥٩٨.
 - ١١ - جمهرة انساب العرب : ٣٦٩.

ولا نريد نترجم لابناء المهلب جميعا ، لأن الشمر* لم يتضرعوا لهم جميعا ،
ومن اشهرهم ، المفضل الذي ولي خراسان سنة ٨٥ هـ ، وقاد فل المهالبة فسي
قنذابيل . ومنهم سعيد بن المهلب ، والي أرجان وسابور سنة ٧٢ هـ (١) ، وقبيصة
الذي رمي بالحمى (٢) ، وعبد الملك ومدرك . ومحمد بن يزيد بن المهلب (٣) واخوه
معاوية بن يزيد الذي قتل الاسرى حين اتاه نعي أبيه وغيرهم كثير .

وهكذا يتبدى لنا ان المهالبة ، كانوا مرموقين ، خرجوا قادة اعداء ، أغاد
منهم الامويون وسيتبدى لنا انهم جميعا امضوا الشطر الاكبر من حياتهم لصالح
الامويين ، الذين كافأهم على ذلك بنكبتهم .

-
- ١ — تاريخ خليفة بن خياط : ١ / ٢٦٥ .
 - ٢ — ((ومن حمقى الأزد ، قبيصة بن المهلب ، رأى جرادا يطير . فقال : لا يهولنكم
ما ترون ، فان عامتها موتى)) . عيون الأخبار : ٢ / ٤٥ ، أخبار الحمقى والمفقلين :
١٦٣ .
 - ٣ — ساد صبا ، توفي عن سبع وعشرين سنة بالطاعون . انظر تاريخ المعقوبي :
٣٠٢ / ٢ ، المعارف : ٥٩١ ، وفيات الاعيان : ٢٨٦ / ٦ ، الاعلاق النفيسة :
٢٢٨ .

المهالبة زمن السفينيين :-

عندما نجح معاوية بن أبي سفيان في تصفية نفوذ خصومه السياسيين، انضم المهلب إلى صفه (١). ولعله فعل ذلك، لأن الأمويين أصبحوا القوة الوحيدة المهيمنة على الأمور في العالم الإسلامي.

وفي عام ٤٢ هـ قدم المهلب سجستان، صحبة عبدالرحمن بن سبرة، والي عبدالله ابن عامر عليهما، وشارك المهلب في فتح عدد من كور خراسان (٢)، ولما استعصت كابل على عبدالرحمن، قام المهلب كما يروي أبو مخنف بمقر فيل على بابها، فلم يستطع الأعداء سد الباب (٣).

وفي سنة ٤٤ هـ غزا بعض كور السند وقد نجح في اجتياح بته، والأهواز، وغنم غنائم كثيرة (٤). وسار حتى بلغ قندابيل (٥). وفي هذه الفزوة ظهرت بعض مزايا المهلب العسكرية القيادية، فعندما رأى أن المدوق قد حذف خيله، قال: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشهير منا؟ فحذف خيله، فكان من أول من حذفها من المسلمين (٦).

وفي سنة ٥٥ هـ طمع زياد في أشد جبل الأشد لثرائهم، فطلب من الحكم بن عمرو، والي خراسان، أن يفزوهم، ففزعهم، وبينما كان ينفذ عملية تلك، حصر جيشه في أحد الشعاب. ورأى الحكم أنه عاجز عن انتقاذ جيشه من الحصار، فطلب من المهلب أن يلي أمر الحرب، ((... فلم يزل المهلب يحتال حتى أخذ عظيمًا من عظمائهم. فقال له: أوقد النار حبال الطريق من هذه الطريق، ومر بالاثقال فلتوجه نحوه، حتى إذا ظن القوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلوكه، فإنهم يستجمعون لكم، ويصرون ما سواه من الطريق، فبادرهم إلى غيره، فإنهم لا يدركونك حتى تخرج منه، ففعلوا ذلك، فنجوا وغنموا غنيمة عظيمة)) (٧).

- ١ — لم نسمعنا المصادر التي بين أيدينا بشيء يجلو سبب ذلك.
- ٢ — تاريخ خليفة بن خياط: ١/١٨٩.
- ٣ — فتوح البلدان: ٣٩٦.
- ٤ — تاريخ خليفة بن خياط: ١/١١١.
- ٥ — تاريخ خليفة بن خياط: ١/١٩٦، فتوح البلدان: ٤٣٢، البداية والنهاية: ٩/٤٢، العلاقات النفيسة: ١/١٩، المبر في خبر من غير: ١/٥٢.
- ٦ — فتوح البلدان: ٤٣٢، العلاقات النفيسة: ١/١٩، معجم البلدان: ٤/٤٢٣.
- ٧ — الطبري: ٧/١٠٩، وانظر: البلدان للمعقوبي: ٢١٧، الاصابة: ٣/٥٠٠.

ويبدو ان علاقة المهلب بزياد بن أبيه كان يسودها التوتر أحيانا إذ يذكر البلاذري بأسناد جمعي، أن زيادا حين قصد الكوفة، كان عاتبا على المهلب، فشيعه المهلب ((...)) فدنا المهلب منه، فاعتذر إليه، فقبل عذره. وقال: ان عدت وليتـك خراسان، فمات في وجهه ذلك)) (١). وهذه الرواية تدل على ان زيادا توسم فيه مزايا قيادية، وإدارية جعلته يعده بذلك.

شارك المهلب سنة ٥٦ هـ في غزو سمرقند، بمعية سعيد بن عثمان بن عفان، والي خراسان (٢)، وقد فقد المهلب فيها إحدى عينيه أثناء محاصرة سمرقند في ثالث أيام الحصار (٣).

وقد قدم المهلب خراسان في عدد من الأمراء سنة ٦١ هـ، صحبة سلم بن زياد، واليها، وقد قام المهلب في هذه المرة بعمل عسكري، أكسبه حظوة عند سلم. إذ ان ولاية خراسان درجوا على مهادنة أعدائهم انا دخل الشتاء، فینصرف الجميع لتدبير أمورهم فألح المهلب على سلم لفزوعهم في مدينة اجتماعهم، ففازهم ((...)) فصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف. قال: وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضا، فكان يأخذ الرأس بنصف ثمنه، والدابة بنصف ثمنها، والكتيخت بنصف ثمنه، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف الف)) (٤) وفي ولاية سلم بن زياد، أسهم المهلب اسهاما كبيرا في هزيمة خاتون بخارى. وكان على رأس قوة الاستطلاع التي ذهبت للتعرف على أحوال العدو وقد خاض معارك غير متكافئة، حتى جاءه المدد من سلم (٥).

وعند موت يزيد بن معاوية، اضطربت أحوال الدولة، فأخذ سلم بن زياد البيعة لنفسه ريثما يتفكر الناس على خليفة لهم، ولكن بهيئته سرعان ما نكثت، ففاد رسلا خراسان، وولى المهلب عليها لما توسم فيه مزايا قيادية، وأشرك معه في الولاية سليمان بن مرثد. ولكن عبد الله بن خازم نجح في أخذ البيعة من ابن زياد لنفسه. وقد ترك المهلب خراسان اثر ذلك. وخلف عليها رجلا جشميا، وبعد مناوشات قتل ابن خازم الجشمي (٦). ولكن لماذا تنازل المهلب عن الولاية بسهولة؟ لعل قلة عدد الأزد قبيلة

- ١ — انساب الاشراف: ج ٤ ق ٢٢/١. والجدير بالذكر ان زيادا مات سنة ٥٣ هـ.
- ٢ — خليفة بن خياط: ٢١٢/١، الطبري: ١٧٨/٧، شذرات الذهب: ٦١/١، المبر في خبر من غير: ٦١/١.
- ٣ — فتوح البلدان: ٤١١، المجبّر: ٢٦١، ٣٠٢، لطائف المعارف: ١٠٩، وفيات الاعيان: ٣٩٤/٧، صبح الأعشى: ٤٤٩/١.
- ٤ — الطبري: ٣٩٤/٧، ابن الاثير: ١٦٦/٤.
- ٥ — تاريخ بخارى: ٦٥-٦٦.
- ٦ — الطبري: ٤٨٦/٧، ابن الاثير: ١٥٥/٤، نهاية الأرب: ٥١٣/٢٠، والجشمي من ((بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم)) . الطبري: ٤٨٩/٧.

المهلب في هذه الأثناء^(١)، دفعت المهلب إلى ذلك. فسلطة الدولة ضائعة، ولا مجبر له إلا قبيلته في تلك الظروف على الأقل. ثم انه ولّى جشميا، وهو بذلك يريد أن يوقع بين قيس وتميم.

وعندما تبلورت حركة ابن الزبير، انضم المهلب إلى الزبيريين. ونلاحظ ان المؤرخين لم يلتفتوا كثيرا إلى المهلب في ظل السفينيين، فوصلتنا سيرته منقوصة غير مكتملة. ونجد أن هناك ثغرات عدة، وفترات انقطاع في سيرة المهلب، تحتاج إلى سد. أما أخباره التي وصلتنا فتدل على أنه اتصل بولاة بني أمية، ولم توضح لنا علاقته المباشر بخلفاء السفينيين، كما تدل على أن نشاطه كان عسكريا، ولا تذكر أي نشاط إداري، اللهم إلا ما وعده به زياد بن أبيه، وحال موته دون تنفيذه. وهو في نشاطه العسكري لم يكن يطالع غالبا بدور القائد العام للجيش، وإنما كان يغزو تحت راية قائد آخر. غير أن هذه الممارك أظهرت مواهبه العسكرية والقيادية، التي لفتت أنظار قادته له حتى أن الحكم ابن عمرو يوليه قيادة الجيش حين حوصره. وقد تركز نشاطه في المنطقة الشرقية من الدولة، وهذا ما أكسبه خبرة في طبعة المنطقة، استفاد منها في حرب الخوارج، وإدارة إقليم خراسان حين وليه، كما تصرف على طبعة الأعداء المحيطين بالاقليم، وهذا ما ساعده في توجيه الأمور الداخلية والخارجية بنجاح في ولايته.

المهالبة زمن الزبيريين :-

أشرت إلى أن المهلب قد انضم للزبيريين في تمردهم على الأمويين، فقد استغكر أيواء قومه عبيد الله بن زياد، والي السفينيين على البصرة. ورفض تولي زعامة قبيلته الأزدي، التي كانت منشغلة في هذه الأثناء^(٢) بالأخذ بثأر مسعود بن عمرو^(٣)، الأموي الهوي^(٤)، ومضى المهلب إلى ابن الزبير، ((وأظهر أنه كاتبه في القدوم عليه))^(٥) ولم تبين المصادر التي اطلعت عليها سبب هذا التحول السياسي في حياة المهلب، وربما تحول إلى صف الزبيريين، لواحد من سببين، أولهما : أن تجمع الأزدي الكبير كان في هذه الأثناء في العراق، وقد خضعت العراق لسلطان الزبيريين، فمن الطبيعي أن يتبع المهلب سلطانهم. وثانيهما : يعود إلى طبعة المهلب الذي يسير مع الطرف الأقوى فيما يبدو، فقد خضعت معظم الحواضر الإسلامية لسلطان الزبيريين، وكانت هذه الفترة حشة في حياة الحكم

١ — العصبية القبلية، احسان النسي: ٣٢٠، تاريخ الدولة العربية، فلها وزن: ٣١٧ —

٢٩٨، الخلافة الأموية، دكسن: ١٦٥.

٢ — ((شو مسعود بن عمرو بن الأشرف بن البخترى بن كهل بن زيد بن كعب بن الأزدي ابن الحارث بن الصتيك بن الأزدي بن عمران)) . انظر: جمهرة انساب العرب: ٣٧٠.

٣ — انساب الاشراف: ج ٤ ق ١٠١/٢ ج ٤ ق ١٢١/٢.

٤ — انساب الاشراف: ج ٤ ق ١٢١/٢.

الأموي (١) وهذا ولد شعورا عنده بأن كفة الزبيريين سترجح ، ولذا انضم الى صفهم .
اضطلع المهلب في ظل الزبيريين بمهمتين عسكريتين اساسيتين ، أولا هما : حرب
الخوارج . وثانيهما : حرب المختار بن عبيد الثقفي . فقد وجه الحرب ضد الخوارج ،
بعد أن عجز الامراء السابقون عن مواجهة الخوارج ، بحيث اصبح خطرهم محدقا
بالبصرة (٢) ، والخوف مهيمنا على السكان (٣) ، والعدو مسيطرا على سواد المدينة ،
((. . . لم يبق في أيدي أهلها الا المدينة)) (٤) . أخذ الناس يبحثون بجد عن قائد
يحمل عبء المسؤولية ، ويجلي الخوارج عن سواد المدينة ، فلم يجدوا الا المهلب
الذي كان قد أسندت اليه ولاية خراسان من جانب عبد الله بن الزبير . ((. . . فأتى
الأحنف وأشراف أهل البصرة المهلب ، فسألوه أن يتولى قتال الأزارقة ، فقال : لست
أقدر على ذلك ، هذا عهد أمير المؤمنين . الي على خراسان . قالوا : فانا نخرج
الي أمير المؤمنين ، فنسأله ان يصفيك من خراسان ، ويوليكم قتال الأزارقة . قال : فأريكم .
فخرج من خرج منهم ، فجاءوا بكتاب ابن الزبير بتوليته قتال الأزارقة . وقال بعضهم :
افتعلوه على لسان ابن الزبير) (٥) . وسواء افتعلوا الكتاب على لسان ابن الزبير أم جاءوا
بكتاب ابن الزبير . فان الصورة بالنسبة لنا لا تختلف ، إذ توضح على الحالين تبين
الناس مزايا المهلب ، ومصرفتهم بقدراته القيادية .

وافق المهلب على تسليم القيادة ، وفقا لشروط اشتراطها ، أولها : أن ما غلب عليه
من أرض فهو له ، ولمن معه من الجنود (٦) . وثانيها : ان يعطى من بيت المال ما يحتاج
اليه لتمويل قواته ، وان يختار شجيمان الناس ، وقرسانهم ، وذوي الشرف منهم (٧) . وثالثها :
((. . . ولي في كل بلد أظفربه . قال الأحنف : ليس ذاك لك ، ولا لنا انما هو في
المسلمين ، فان سلبتهم اياه ، كنت عليهم كعدوهم . ولكن لك ان تعطي اصحابك من

١ - انظر : الخلافة الأموية ، عبد الأمير دكسن : ١٦٩ ، عبد الطك بن مروان لعمر ابو النصر ،

تر ٠١١ .

٢ - يرى الدكتور علي حنفي الخريوطلي : ان الخوارج ركزوا هجومهم على البصرة ، معقل

المرب ، دون الكوفة ، مسكن الموالي ، لانهم عرفوا فضل الموالي . انظر كتابه الدولة

المصرية الاسلامية : ٢٨٥ . ولكن . ما رأى الدكتور في أن الكوفة كانت مسرحا لهجمات

عنيفة من جانب الصُفَرِيَّة بقيادة شَيْبَة ؟

٣ - الكامل : ٢٦٣/٣ - ٣١ ، الطبري : ٥٨١/٧ ، ابن الاثير : ١٩٤/٤ ، نهاية

الارب : ٥٢٤/٢٠ .

٤ - تاريخ اليعقوبي : ٢٦٤/٢ .

٥ - انساب الاشراف : ٢٥٢/٥ ، وانظر : الطبري : ٥٨٢/٧ - ٥٨٤ ، نهاية الارب : ٢٠/

٥٢٤ ، سرح العميون : ١٩٧ .

٦ - تاريخ اليعقوبي : ٢٦٥/٢ ، الطبري : ٥٦٠/٧ ، نهاية الارب : ٥٢٤/٢٠ .

٧ - الكامل : ٣١١/٣ ، الطبري : ٥٨٤/٧ ، شرح نهج البلاغة : ١٤٥/٤ ، نهاية الارب :

٥٢٤/٢٠ .

في كل بلد تغلب عليه ما شئت ، وتنفق منه ما شئت على محاربة عدوك ، فما فضل عنكم كان للمسلمين . فقال المهلب : فمن لي بذلك ؟ قال الاحنف : نحن وأميرك ، وجماعة أهل مصرك)) (١) . وحين أراد المهلب أن يمول عسكره ، لم يكن في الخزائن ما ينهض بذلك ، فاستدان من التجار ، ((. . . ما يصلح عسكره)) (٢) . وكان قد انتخب من الجند من يريد (٣) .

عند ما اكمل المهلب استعداداته ، عبر جسر البصرة ، واصطدم بالخوارج ، وهزمهم وطاردهم حتى الأحواز ، وجبى الخراج ، وسدد للتجار ما عليه . وتكاثر عسكره رغبة في الغنيمة ، ورهبة من بطش الخوارج (٤) .

قصد المهلب بعسكره سولاف ، حيث تجمع الخوارج ، تاركا أخاه ، المَعَارِك بن أبي صفرة على نهر تيسرى . فأرسل عبيد الله بن بشير بن الماحوز ، قائد الخوارج ، واقبدا مولى أبي صفرة * لمباغته المَعَارِك ، فباغته وقتله . فاغطر المهلب إلى إرسال المفسرة ابن المهلب بمفرزة من الجند ، لرد الخوارج ، فقام المفسرة بمهمته ، وعاد إلى والده (٥) .

التقى المهلب بالخوارج في سولاف ، وتمكن الخوارج من هزيمته ، حتى وصل فلهم (أى جند المهلب ، البصرة . يقول الطبري رواية عن أبي مخنف : ((. . . فأجفل الناس ، وانصاعوا منهزمين لا تلوى أم على ولد ، حتى بلغ البصرة هزيمة الناس وخافوا السبأ)) (٦) ويبدو أن أبا مخنف يحاول تبرير هزيمة عسكر المهلب حين ينوّه بسلاح الخوارج . فخيولهم أكرم ، وسلاحهم أكثر ، بدعوى أنهم أكلوا ما بين كرمان إلى الأهواز . على حد تعبيره (٧) .

لكن المهلب لم يستسلم للهزيمة ، ولم يخاره اليأس ، بل استطاع أن يخلق من الهزيمة نصرا . إذ أسرع ليعلمو مكانا مرتفعا ، يوجه منه الدعوات إلى الفارين ، وليثبوا إلى أنفسهم ، ويعيدوا تنظيم صفوفهم لمعاودة الهجوم . وفعلا أغلح في جمع ثلاثة آلاف مقاتل ، غالبتهم من سرية عمان (٨) . شجع المهلب الذين اجتمعوا إليه ، وحشهم على أن يحمل كل منهم عدة أحجار ، وهكذا حذاه تفكيره إلى هذه الخطة التي فوجئ بها الخوارج ،

- ١ - الكامل : ٣١١/٣ - ٣١٢ ، شرح نهج البلاغة : ١٤٥/٤ .
- ٢ - الكامل : ٣١٢/٣ ، شرح نهج البلاغة : ١٤٥/٤ - ١٤٦ .
- ٣ - الكامل : ٣١٢/٣ ، الطبري : ٥٦٠/٧ ، ابن الأثير : ١٩٦/٤ ، شرح نهج البلاغة : ١٤٥/٤ ، نهاية الأرب : ٥٢٥/٢ .
- ٤ - الكامل : ٣١٣/٣ - ٣١٤ ، الطبري : ٥٩١/٧ ، شرح نهج البلاغة : ١٧٤/٤ .
- * هو من سبي الجاهلية . انظر : الكامل : ٣١٦/٣ .
- ٥ - الكامل : ٣١٦/٣ ، ابن الأثير : ١٩٧/٤ ، شرح نهج البلاغة : ١٤٨/٤ - ١٤٩ .
- ٦ - الطبري : ٥٨٧/٧ ، ابن الأثير : ١٩٨/٤ .
- ٧ - الطبري : ٥٨٦/٧ - ٥٨٧ . وراجع بشأن سلاح الخوارج : الكامل : ١٤٧/٣ - ١٤٨ ، ثمار القلوب : ٥٠٠ ، ابن الأثير : ١٩٦/٤ ، شرح نهج البلاغة : ١٦٨/٤ ، شرح
- ٨ - البيهقي : ١١٨ ، الطبري : ٥٨٧/٧ .

وَأَثَرَتْ فِيهِمْ (١).

يروى الطبري عن أبي مخنف (٢) : أن المهلب تحول فوراً من الهزيمة إلى الهجوم المنتصر، وشايعه على ذلك ابن الأشير (٣) . ولكن هذا يبدو غير مستساغ لعدة أمور، أولها : أن جيش المهلب عزم في الوقت الذي كان فيه متكافئاً، فكيف يهاجم جند الخوارج الطافرين، وهو المهزوم الضعيف ؟ زد عليه أن جيش المهلب مرهق، راحته الهزيمة، وحدايات من معنوياته . هذا بالإضافة إلى أن هزيمة الخوارج التي منوها عنها عقب سولاف وقعت في سلى وسلبرى، فهل سولاف هي نفسها سلى وسلبرى ؟ هذا ما ترفضه كتب البلدان (٤) . غير أن ذلك لا ينفي أن كلاً من المهلب وابن الماحوز قد فكر في مهاجمة خصمه مستغلاً ظروفه . فقد أراد ابن الماحوز استغلال ظروف المهلب السيئة، كما أن المهلب أراد أن يدفع عن ابن الماحوز هذا الوهم . ولكن كليهما طلب منه بعض أصحابه ترك هذه الفكرة، إذ ناشدوا قنديل مولى أبي صفرة ابن الماحوز ترك ذلك، خوفاً من استئصال القوم، مع أن الهاربين هم الضعفاء، ولم يبق مع المهلب إلا الصناديد (٥) . كما ناشد الحرث بن هلال المهلب ترك هذه الفكرة نظراً لتعب أصحابه وأصابتهم بجروح اللهم إلا إذا هوجموا (٦).

ارتحل عسكر المهلب والخوارج . فقد عبر المهلب دَجِيلاً ليقوم في عاقول حصين، ولا يوتئ إلا من جهة واحدة، مدة ثلاثة أيام حتى استراح أصحابه ثم ارتحل في طلب الخوارج بسلى وسلبرى (٧) . وهناك عزم الخوارج، وأباد منهم أعداداً كبيرة، وقد باشر القتال بنفسه . وهذا يدل على تأصل الروح القيادية بين جنبي المهلب . فهو يرى أنه لكي يكسب ثقة جنده واحترامهم، عليه أن يتحمل ما يتحملون، بل وأكثر . انظر إليه في المعركة، كما يحدثنا بذلك المبرّد . ((. . .)) . وفقد المهلب، وثبت المفيرة في جمع أكثرهم أهل عمان . ثم نجم المهلب في فئة فارس، وقد انغمست كفاه في الدم، وعلى رأسه قلنسوة، مربعة فوق الصفر، محشوة قزاً، وقد تعزقت، وأن حشوها لبتاير، وهو يلهم، وذلك في وقت الظهر)) (٨) . وصورته بهذه تدل على أنه لم يكن يذخر جهداً في سبيل تحقيق النصر .

- ١ — الكامل : ٣/ ٣٢٦، الطبري : ٧/ ٥٨٧—٥٨٨، ابن الأشير : ٤/ ١١٦، شرح نهج البلاغة : ٤/ ١٥٤ .
- ٢ — الطبري : ٧/ ٥٨٨ .
- ٣ — ابن الأشير : ٤/ ١١٦ .
- ٤ — معجم ما استمع : ٣/ ٧٤٨، معجم البلدان : ٣/ ٢٣٢، ٣/ ٢٨٥ .
- ٥ — الكامل : ٣/ ٣٢٢—٣٢٣ .
- ٦ — الكامل : ٣/ ٣١٩، شرح نهج البلاغة : ٤/ ١٥٠—١٥١ .
- ٧ — الكامل : ٣/ ٣١٩—٣٢٠، شرح نهج البلاغة : ٤/ ١٥١ .
- ٨ — الكامل : ٣/ ٣٢٣ .

وبعد قتال عنيف، رأى الخوارج أن يكيدوا عسكري المهلب باشاعة قتل المهلب، لكنه خرب عليهم خطتهم في ساحة المعركة، حين ركب برذونه، ((...)) وأقبل يركض بين الصفين... وهو يصيح، أنا المهلب)) (١). ونمي بالبصرة. ((...)) فهم أهل البصرة بالنقلة الى البادية، حتى ورد كتابه بظفره، وتراجع من كان ذهب منهم)) (٢). وتصرف البصريين هذا يدل على تقديرهم المهلب وثقتهم به.

أثر هزيمة الخوارج هذه التي فقدوا فيها أميرهم، عبيد الله بن الماحوز، ارتحل الخوارج الى أرجان، وبايعوا الزبير بن علي، الذي أخذ يذرع المنطقة، ما بين أرجان وأصفهان، آملا أن يشايعه بعض الناس ليعوض النقص الذي أحدثته مقتلة سلمي في عسكره، ويشد بهم أزر جماعته، ويرفع معنوياتهم، وقد احرز بعض ذلك. ((...)) ثم كر راجعا الى أرجان، وقد جمع جموعا)) (٣). ورغب الزبير في تنفيذ عمل عسكري، يعيد لجندة ثقتهم بأنفسهم، فلم يجد خيرا من اغتيال المهلب، ولكن المهلب الحذر تمكن من كشف الكمين الذي أعد لأغتياله، وهكذا فشلت خطة الزبير بن علي تلك (٤).

وفي سنة ٦٧ هـ، ولي مصعب بن الزبير المهلب بن أبي صفرة بلاد الموصل، والجزيرة وأرمينية ليفصل بينه وبين عبد الملك بن مروان (٥). وهذا يدل على معرفة مصعب بحنكة المهلب، وقد رآته العسكرية، فهو القائد الذي لا يشق له غبار، ولذا وضعه في وجه خصمه القوي.

ولكن الخوارج بقيادة قطري بن الفجاءة المازني ضيقوا على أمير حرب الخوارج، والي فارس، فاضطر مصعب الى إعادة المهلب الى الساحة التي خبرها، وهي ساحة الخوارج (٦)، وقد ظل يقاتلهم تحت راية الزبيريين، حتى افل نجم آل الزبير.

وقد اضطلع المهلب كذلك بدور فاعل في انهاء أمر المختارين أبي عبيد الثقفي ففي سنة ٦٧ هـ، أراد مصعب بن الزبير الشخيرة لمحاداة المختار، وتصفية نفوذه في الكوفة، استجابة لرغبة زعمائها الذين تركوها فرارا من أعمال المختار فيها. ولأن ابن الزبير تحقق ((من دبر المختار وكذبه)) (٧).

١ - الكامل ٣/ ٣٢٤.

٢ - المصدر نفسه ٣/ ٣٣٢.

٣ - المصدر نفسه ٣/ ٣٣١.

٤ - الكامل ٣/ ٣٣١، شرح نهج البلاغة ٤/ ١٥٦-١٥٧.

٥ - انساب الاشراف ٥/ ٢٧٤، الكامل ٣/ ٣٣٤، الطبري ٨/ ٧٥٣، ابن الاثير ٤/ ٢٨١، نهاية الارب ٢٠/ ٥٢٥.

٦ - انساب الاشراف ٥/ ٣٣١، الطبري ٨/ ٧٦٥، ابن الاثير ٤/ ٢٨٦.

٧ - العبر في خبر من غير ١/ ٧٥.

استعدّ مصعب لذلك وأرسل في طلب المهلب، مستشعرا مزاياه القيادية ولكن المهلب لم يرغب في مصاحبة مصعب في حملته تلك، ((فاعتلّ بالخراج)) (١). ولكن، لم يكره المهلب في المشاركة في تلك الحملة ؟ . لم تسعفنا المصادر التي اطلعنا عليها إلاجابة وتظل الإجابة اجتهادية . فقد رأى المهلب أن هناك ثلاث قوى تتصارع في الساحة الإسلامية، وهي، قوة المختار وابن الزبير والامويون . وقد رأى أن المشاركة في المعركة مع أي من الطرفين (المختار، ابن الزبير)، لا تحسم الوضع في العالم الإسلامي نهائيا، لأن هناك طرفا ثالثا سيلتقي المنتصر به، وهو الأمويون . وهذا الطرفي يحسب حسابه لأنه سيكون أقوى من أي من الطرفين اللذين سيخوضان المعركة، لذا فضل البقاء في مواجهة الخوارج، الذين يرفضون كل ما هو مطروح في الساحة من مبادئ تتعلّق بنظام الحكم غير مبادئهم، وهم بهذا المفهوم لا يتفقون مع أي من القوى المتصارعة . ومحاربتهم والقضاء عليهم سيهم الطرف المنتصر، الذي لن يحاسب المهلب في حال سيطرته على مقاليد السلطة، وهذا ما حصل فعلا حين انتصر الأمويون على الزبيريين .

عندما أبدى المهلب ثقافته عن السير إلى المختار بصحبه مصعب، رفض مصعب التوجه إلى المختار إلا به . وأرسل محمد بن الأشعث إلى المهلب على يقنعه بالشخص إلى مصعب، وفعلنا نجح محمد في مسعاه ذلك بعد محاورة دارت بينه وبين المهلب، فعندما رأى المهلب محمدا ((قال : يا محمد، أما وجد مصعب بريدا غيرك ؟ فقال : يا أبا سعيد، والله ما أنا إلا أريد نساءنا وابنائنا . فاقبل المهلب)) (٢) قاصدا البصرة حيث مصعب ينتظر . فسلمه مصعب قيادة أحد جناحي الجيش . والتقى الجيشان بالمقدار . وبدأ المعركة عباد بن الحصين الحنظلي بهجوم، تلاه المهلب بهجوم آخر، وقد صمد أتباع المختار بقيادة عبدالله بن كامل للهجومين .

وقد طوّر المهلب هجومه بهجوم آخر، كيلا يطمع أتباع المختار بهم، ونجح المهلب في هزيمة ابن كامل . والمهلب القائد لا يعتمد بأدوية حرب السيوف دون حرب الكلمة التي تثبط الهمم، وتحط من زخم الجند الحربي . فحين هزم عسكر المختار، تنادوا : ((أي أتباع المختار)) يا معشر جميلة، وخشم، الصبر الصبر . فناداهم المهلب : الفرار اليوم أنجى لكم، علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان ؟)) (٣) . وحين تراجع أتباع المختار أعدر المختار أمره إلى عبدالله بن جندة بمهاجمة عسكر مصعب، ونجح ابن جندة في تحقيق هزيمة في عسكر مصعب حتى بلغت الهزيمة مصعبا . والمهلب ثابت مكانه لا يريم، منتظرا فرصة، غير مستعد لتقديم جنده ضحايا بلا ثمن على مذبح المختار، وحين

١ - انساب الاشراف : ٢٥١/٥، الطبري : ٧١٩/٨، ابن الاثير : ٢٦٧/٤ .

٢ - انساب الاشراف : ٢٥٢/٥، الطبري : ٧١٩/٨، ابن الاثير : ٢٦٨/٤ .

٣ - انساب الاشراف : ٢٥٤/٥، الطبري : ٧٢٢/٨، ابن الاثير : ٢٦٨/٤ .

رأى أن ريحده قد عمت، اغتنمها ((فحمل بخمسة على أصحاب المختار، فحطموهم، وحمل الناس بأجمعهم، فانهزم أصحاب المختار)) (١).

هزم المختار، وحصر في قصر الامارة. فطالب المهلب من مصعب أن يجعل عليه دروبا، حتى لا يدخل عليهم أناس، يحضرون الامداد لهم (٢). واستمر مصعب في حصاره لهم حتى قتل المختار، واستسلم اتباعه، فقتلهم مصعب بوحشية (٣).

ومن هنا نتبين سداد موقف مصعب حين أصّر على الخروج بصحبة المهلب، إذ كان للمهلب الدور الحاسم في انتصار الزبيريين.

واخيرا فإننا نرى أن المهلب اضطلع بدور عسكري بارز في ظل الزبيريين ولم يقيم بدور اداري، لأن الظروف لم تسمح له بذلك، وبخاصة خطر الخوارج، الذين آمن الناس بـ بأن المهلب وحده يستطيع صد هذا الخطر.

المهالبة زمن مروانيين *

حين أفل نجم الزبيريين، وخسر مصعب بن الزبير المعركة التي خاضها ضد عبد الملك بن مروان في بـالجـمـيرا، انضم المهلب الى عبد الملك مغيرا ولائه السياسي مرة أخرى. وقد تبين الخوارج انتهازية المهلب، ومشايعته للطرف الأقوى، فهو يعمل وفقا لمصلحته الذاتية ويسير مع التيار الأقوى لأنه يحقق له مكاسب أكثر. وحين علم الخوارج بمقتل مصعب سألوا المهلب وجنده، كما أورد الطبري رواية عن هشام بن محمد: ((... ألا تخبروننا ما قولكم في مصعب؟ قالوا: امام مدى. قالوا: فهو وليكم في الدنيا والآخرة. قالوا: نعم. قالوا: فما قولكم في عبد الملك بن مروان؟ قالوا: ذلك ابن اللعين، نحن الى الله منه براء، هو عندنا أحلّ دما منكم. قالوا: وأنتم له أعداء،

١ — انساب الاشراف: ٢٥٩/٥، الطبري: ٧٢٨/٨، ابن الاثير: ٢٧٠/٤.

٢ — انساب الاشراف: ٢٦٠/٥، الطبري: ٧٣٤/٨.

٣ — راجع حول ثورة المختار: الاخبار الطوال: ٣٠٤—٣٠٥، انساب الاشراف:

٢٣١/٥—٢٥٩، الطبري: ٧١٩/٨—٧٣٣، التنبيه والاشراف: ٣١٢—٣١٣.

ابن الاثير: ٢٦٧/٤—٢٧٢، شذرات الذهب: ٧٤/١، الصبر في خبر من غير:

٧٥/١، المختصر في اخبار البشر: ١١٢/١، سرح العيون: ١١٩٩.

* — قسمنا هذا الفصل قسمين، الأول يتناول الاحداث التي شارك فيها المهالبة زمن مروانيين. والثاني: يتناول نكبة المهالبة. وقد فعلنا ذلك تجنباً للمتشتت وبخاصة في موضوع نكبتهم.

أحيا" وامواتا، قالوا : نعم، نحن له أعداء، كعداوتنا لكم، قالوا : فان امامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان، ونراكم ست جعلون غدا عبد الملك امامكم، وأنت الآن تتبرأون منه، وتلعنون اياه)) (١). وقد تحققت نبوءة الخوارج.

ولكن، السؤال الملح . ما هذا الموقف من المهلب؟ لم لم يقف ضد الامويين؟ ولم لم يعاقبه عبد الملك حين صار اليه؟ يبدو أن المهلب كان أمام امرين : أما أن ينضم الى عبد الملك وأما أن يلحق بصف الخوارج . والأمر الثاني صعب نظرا لأن المهلب أفنى عمره في محاربة الخوارج، ولأن قوة الخوارج لم تكن — بالقياس الى قوة المروانيين — تمدد حركة ثورية، قليلة الاتباع والتأثير في سير الاحداث. زد عليه ان الذي ينضم الى صفوف الخوارج يخسر أضعاف ما يربح، لأنهم حركة مبدئية، وقد رأينا المهلب بميدا عن الايمان بالمبادئ في ضوء ثقليه السياسي، ولذا انضم الى المروانيين . والذي يستعرض أعمال المهلب يجد انها لم تمس الامويين غالبا، فقد أسهم اسهاما فعالا في القضاء على حركة المختار، والحق الهزيمة الساحقة به، وهذه لا تعد طعنا عليه امام بني أمية، لأن المختار عدو لكل من الزبيريين والامويين . هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كرس المهلب جهده، وأمضى معظم وقته في محاربة الخوارج، والخوارج كذلك عدو مشترك للزبيريين والامويين، وهذا، ما تأكد فيما بعد، ان أناط الامويين بالمهلب مهمة مطاردة الخوارج والقضاء عليهم . ويبدو أن عبد الملك قد رُفِرَ المهلب، فعالية قبيلته موجودة في العراق، وما كان للمهلب ان يفعل غير ما فعل عندما خضع العراق للزبيريين . ويبدو أن المهلب كان قائدا عسكريا متخصصا لا يكثر بالأمور والبرامج السياسية التي كانت تتطأرحها الفئات الاسلامية المتصارعة ولهذا لم يمتنع الفكر الزبيرى . وقد نستطيع القول أنه لو سيطر على العراق سلطة غير سلطة الزبيريين لتبعها المهلب . وقد استشرى عبد الملك بمقايته الاستراتيجية قدرات الرجل العسكرية، فطامع في استغلالها، وفصلا استغلالها في محاربة أخطار أعدائه، وهم الخوارج، ولم يولّه عملا اداريا أبعد أن قضى عليهم. ولكن القضية تظل طبسة على الرغم من هذه التفسيرات والتعليلات . ان يورد البلاذري عدة روايات تبين اخلاص المهلب لابن الزبير فينقل عن خلف بن سالم قوله : ((... ان أشرف أهل العراق كتبوا الى عبد الملك بن مروان يدعونه الى أنفسهم، ويخبرونه أنهم مابيعوه، فلم يبق بالبصرة شريف الا كتب اليه غير المهلب بن أبي صفرة)) (٢) . ويذهب البلاذري الى أبعد من ذلك، فيذكر ان المهلب طلب من مصعب بن الزبير ان يكون برفقه في حرب عبد الملك، قائلا : ((... لا تتحني عنك، واجملني منك قريبا .

١ — الطبري : ٨٢١/٨، وراجع : الكامل : ٣٤٩/٣، ابن الأثير : ٣٣٤/٤، شرح نهج البلاغة : ١٦٩/٤، شرح الصيون : ٦٩ .
٢ — انساب الاشراف : ج ٤ ق ١٥٧/١، وانظر : ٣٣٣/٥ .

فقال له المصعب: أن أهل البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى ابعدك لقتال الحرورية. وأنا أكره إذا أقبل عبد الملك إليّ الأسير إليه. فاكفني هذا الشر. فقال المهلب: اني لست آمن غدر القوم بك ((١)).

ونحن نقول: مثل تبدو هذه الروايات موضوعة؟ أم هي صحيحة؟ ولكن عبد الملك تمسك بالمهلب نظراً لقوة الأزد في العراق وخراسان. ورغبة منه في كسبها لجانيه. وان عبد الملك عزف عن اشغال نارفتنة جديدة. فحين انتصر على مصعب أرسل إلى المهلب كتباً، يقول فيه: ((ان الناس مجتمعون على بيعتي، فان دخلت فيما دخل الناس فيه، عرفنا لك منزلتك وشرفك. وان لم تفعل استعنا بالله عليك. فكتب إليه: أما إذا اجتمع الناس، فاني لم أكن أشق عصا المسلمين، ولا أسفك دماءهم، ولا أفرق جماعتهم. فكتب إليه باقراره على ما هو بسبيله ((٢)). ونستشف من هذه الرسالة ان المهلب بمن معه من جند كان يحسب لهم حساب، ولذا أثر عبد الملك ضمهم إلى صفه بالتي هي أحسن. ولعل عبد الملك شعر أن المهلب أمن العراق، وأن الخوارج لا يستأيع مناهضتهم سواء، زد عليه أن عبد الملك كان يرى في الخوارج خيراً حقيقياً ((٣)).

وهناك رواية أوردها خليفة بن خياط عن ابن عيَّاش، أنه بينما كان المهلب جالساً في مجلس يزيد بن معاوية، دخل عبد الملك عليهما، وعندما خرج، قال يزيد: ((... يا مهلب، فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: زعم أهل الكتاب أن هذا سيملك. قال: فقلت: الله أعلم. والله لئن ملك أنه لعفيف في الإسلام، واسط في المشيرة. قال: فبلغت عبد الملك عن المهلب، فكان يشكرها له، حتى كتب إليه بما كتب، ثم استعمله بعد ذلك على خراسان ((٤)). وقد وقف أمام هذه الرواية الدكتور عبد الأمير دكسن، واعتبر مصدرها أموياً ((٥))، ويظهر الافتعال في هذه الرواية، فقد اعتمد يزيد ابن معاوية على مقولات أهل الكتاب. أما المهلب فاعتمد في رده على ركيزتين كانتا تهماً الحاكم في ذلك الوقت، أولاًهما: التدين. وثانيهما: النسب. وهكذا نستأيع قبول ما ذكره الدكتور دكسن باطمئنان، ولعله روج لها في عهد عبد الملك بالذات، إذ استفاد منها كل من المهلب وعبد الملك.

وعلى كل فقد أعبح المهلب من جنود الأمويين المخلصين، ومن عمالهم النشيطين الذين تقانوا في سبيل تثبيت سلطانهم.

- ١ — انساب الاشراف: ٣٣٢/٥.
- ٢ — المصدر نفسه: ج ٤ ق ١/١٥٨.
- ٣ — مروج الذهب: ١٦٩/٣.
- ٤ — تاريخ خليفة: ٢٥٨/١.
- ٥ — الخلافة الأموية: ٨-١٠، ٣٢-٣٣.

وفي سنة ٧٢٢ هـ ولي خالد بن عبد الله بن أسيد البصرة، لعبد الملك بن حسن مروان فحزم على تنحية المهلب عن قتال الخوارج . ويدور أن الولاة الأمويين كانوا يعسكرون المهلب ومنفسون عليه مواهبه وسيتة الذي عاقبه في ساعة الخوارج . كما فعل خالد ، وكما سيفعل بشر بن مروان في فترة لاحقة .

يتم خالد وجهه شطر الخوارج مصطحباً المهلب، الذي لم يتوان عن استدعاء النصيح خالد ، رغم موقف خالد غير المشجع . طلب المهلب من خالد أن يخندق على نفسه في مواجهة الخوارج ، وللب منه كذلك تغريب السفن . عين حط بالأسوار كيلا يرقها العدو ، فلم يصح خالد له ، فحدث ما توقعه المهلب ، وأحرق الخوارج سفن خالد (١) رانسعبراً ، متعللين عدم الاصطدام بجموع خالد الكثيفة . وعين رأى خالد انسابهم من الى البصرة ، مختلفاً أخاه عبد العزيز على حربهم ، ومولياً المهلب بسبب خراج الأوزار ، وكان خالد رأى ان النصر أصبح وشيكاً ، ورأى أن ينسب شمسـرف تنفيه الخوارج الى أشبه بدلا من المهلب . ولكن أخاه المتعجل ، وقع في شركه الخوارج ، فمزموه في دكر بجرد وأهابوا من جنده مقتلة عظيمة ، وسبوا من جنده الكثيرين ، ووقعت زوجته في أيديهم سبية (٢) . أرسل خالد نبأ الهزيمة الى عبد الملك ، فأباه : (٣) أما بعد ، فاني كنت حدث لك حذاً في أمر المهلب ، فلما ملكت أمرك ، نبذت رأيي ، واستبدت برأيك ، فوليت المهلب الجباية ، فوليت أخاك حرب الأزارقة ، فتبع الله أذا رأيا ، أتبعث فلاناً فمرا لم يحرب الحروب المحارب ، وتترك سيداً شجاعاً ، مديراً ، سارماً ، قد مارس الحروب ، تشاك بالجباية ؟ (٤) . وهكذا اضطلع المهلب بحرب الخوارج .

وفي سنة ٧٢٤ هـ ، ولي عبد الملك أخاه ، بشر بن مروان السراق (٥) ، وللب منه ان يرأى المهلب قتال الخوارج لحنكته ، فوافق بشر على منحه حتى قيل انه جعل بشر في قتل المهلب ، وهذا يبين حسد أمراء السراق الأمويين للمهلب (٦) . انتخب المهلب البند من البصريين . أما الكوفيون فقد أمر عليهم عبد الرحمن بن مؤمن ، الذي حاول بشر أن يبعده ضد المهلب ، ليفسد على المهلب رأيه ، ويظهر عجزه . ولكن ابن مغنف لم يصح لأقوال بشر (٦) ، لأنه أزدى كالمهلب . كما ان ابن مغنف أكثر تجربة وحكمة

- ١ - الكامل : ٣٤٦ / ٣ - ٣٥٠ ، السبكي : ٨ / ٨٢٦ ، ابن الاثير : ٤ / ٣٤٤ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٧١ - ١٧٢ .
- ٢ - الكامل : ٣ / ٣٥٥ - ٣٥٦ ، السبكي : ٨ / ٨٢٢ - ٨٢٣ ، ابن الاثير : ٤ / ٣٤٢ - ٣٤٣ .
- ٣ - الكامل : ٣ / ٣٦١ - ٣٦٢ ، السبكي : ٨ / ٨٢٥ ، ابن الاثير : ٤ / ٣٤٣ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٧٧ .
- ٤ - انساب الاشراف : ٥ / ١٧١ .
- ٥ - الكامل : ٣ / ٣٦٢ ، السبكي : ٨ / ٨٥٥ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٧٨ .
- ٦ - السبكي : ٨ / ٨٥٦ - ٨٥٧ ، الكامل : ٣ / ٣٦٤ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٧٦ - ١٨٠ .

من الشاب بشر بن مروان . وقد راعى مصلحة قومه ومنه على ((نزوات الوالي ورفاته الشخصية)) (١).

اتجه الحسكran - بعد أن تجهّزاً ، وأعدّ العدة - سوب الخوانج في رامهرمز ، ولما كان الحسكرين لم يوحداً ، بل ظل كل واحد منهما مستقلاً عن الآخر . فقد نزل ابن مخنف على مسافة ميل أو ميل ونصف من عسكر المهلب (٢).

بعد أن واقفا الخوانج بفترة قصيرة ، مات بشر . وبعد وفاة بشر ، تمدّد الحسكran . فقد ترك كثير من البند المرباطة في مواجهة الخوانج وبخاصة ممن كان يقودهم ابن مخنف ، الذي نزل مرباطاً مع المهلب بمن بقي معهما من جنود .

أرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي ، والياً على العراق ، فطلب الناس خطابة توعدهم فيها . يقول : ((وإن أمير المؤمنين أمرني بأعلاءكم أعلياتكم . وإن أوجبكم لصارمة عدوكم مع المهلب بن أبي سفرة . وإنني أقسم بالله ، لا أجد رجلاً تخلّف بعد أشدّ عذابه بثلاثة أيام الاضربت عنقه)) (٣) . وبدأ الحجاج يدين خطاته الدموية ضد الذين لم يسارعوا الى صفوف عسكر المهلب ، فقتل عُمير بن ضابي الكرجي (٤) ، وقتل سلمياً وشكراً في الكوفة (٥) . وبذلك اخاف الحجاج الناس وأدخل في قلوبهم الرعب ، بحيث أخذوا يتدافعون الى البصرة ، الذي أصدر الحجاج أمره ببقائه مفتوحاً مدة الانذار . وهي ثلاثة أيام (٦) . أصيبت هذه الخباوة المهلب ، الذي أشدّ بهجس بأن القضاء على الخوانج أصبح وشيكاً ، ((فقال المهلب : قدم العراق اليوم رجلاً ذكر ، اليوم قوتل العدو)) (٧) .

شجع الحجاج هذه الغارات برسالة نوقة ، ألّب فيها من المهلب مهاجمة الخوانج ، مبيناً انه خصه بذلك من دون أقرانه ، ورغم أنه من أهل عمان ، ومدد بمعاقبته ان لم يهاجم العدو في يوم محين ، وقد رد عليه المهلب بالأسلوب نفسه ، قائلاً :

- ١ - الخلافة الاموية : ٢٨٦ .
- ٢ - الطبري : ٨٥٧/٨ ، ابن الاثير : ٣٦٥/٤ .
- ٣ - الكامل : ٣٨٤/١ .
- ٤ - انساب الاشراف : ٨٤/٥ ، الكامل : ٣٦٦/٣ ، الطبري : ٣٣٥/٦ ، ٨٧٠/٨ - ٨٧١ ، الأفاقي : ٢٤٣/١٤ ، ابن الاثير : ٣٧٨-٣٧٩ ، شح نهج البلافة : ٤/١٨١-١٨٢ ، وفيات الاعيان : ٣/٣٣ ، الاخبار المرفقيات : ١٨-١٩ ، خزائن اليعقوبي : ٨١/٤ ، شرح شواهد الكشاف : ٢٣٤ ، المستلرف : ١/٥٢ ، طبقات نحل الشمر : ١٤٦-١٤٧ ، الشمر والشعر : ٢٠٤ ، مروج الذهب : ٣/١٢٩ - ١٣٠ .
- ٥ - الكامل : ٣٦٨/٣ ، الطبري : ٨٧٣-٨٧٤ .
- ٦ - الطبري : ٨٦٦/٨ ، ابن الاثير : ٣٧٧/٤ .
- ٧ - الطبري : ٨٧٠/٨ .

((ان شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل، لم يستقر في واحدة منهم . وزعمت
أني ان أم القهم في يوم كذا في مكان كذا ، أشرفت الي صدر الرمح ، فلو فعلت ، لقلبت
اليك نحر المجن)) (١).

ونلاحظ من ذلك أن علاقة الحجاج بالمهلب لم تكن ودية ، ومن أدل على
ذلك من اغتياح الحجاج عهده بهذه الرسالة الى المهلب . كما تبين ان مركز المهلب
في المجتمع قوى والأمن يجبره على مجابهة الحجاج بمثل هذا المنطق ؟ ولكن هذا
يدل أيضا على أن علاقة المهلب بعكام السراق لم تكن على ما يرام . غير أن المهلب -
مع هذه الاغاثات - لم ينصرف عن خط سيره المؤيد لسليمان بنى أمية ، إذ أسرع الى
مناصرة الفجاءة ، واجلاهم عن رامهرمز سنة ٧٥هـ ، حتى ينزل الفجاءة بكارزون من
أرض سابور (٢) . وهناك يرفض عسكار بن مخنف الاصفاء الى نصائح المهلب ، وتحذيرهم
من هجمات الفجاءة الليلية المباغتة ، ونجح الفجاءة في تنفيذ هجوم ليلي عنيف
ضد ذلك الحسكر ، وقتلوا منه عددا كبيرا ، وكان ابن مخنف من بين ضحايا ذلك الهجوم ،
بعد أن قاتل في مدح من أصحاب الشبث والقراء قتال الرجال . ومهما يقتل
اليعربون والكوفيون في سبب مزينة ابن مخنف فان ذلك يظل بسبب عدم تحوّلهم
وتحرزه كما كان يفعل المهلب (٣) . وفي هذه الاثناء وجه الحجاج رسالة الى المهلب
يستعده فيها . فقاتلهم أشد قتال أمام رسول الحجاج ، وكتب اليه : ((اني متناحر
بهم احدى ثلاث ، موت ذريع ، او جوع مفر ، او اختلاف في أهوائهم)) (٤) . وتلحس
من رسائل الحجاج المتتالية للمهلب ، تصور الحجاج أن بقاء المهلب في مركز حرس
مردون ببقاء الفجاءة ، ولذا فانه تصور أن المهلب يعتمد المالة أمد العرب .

وفي سنة ٧٦هـ ، أرسل الحجاج عتاب بن زرقاء التميمي ، على عسكر الكوفية ،
ليكمل المهمة التي مات دونها ابن مخنف ، وهكذا توزعت العتبية كلا الحسكرين ،
محتقة بذلك توزيعها للمدينتين . أمر الحجاج عتابا أن يعمل بمشورة المهلب ، فقبض
ذلك على كره منه وجعل يعمل دون استشارة المهلب ، فساء ذلك المهلب بما أدى الى

- ١ - الكامل : ٣ / ٣٧٠ ، شح نهج البلاغة : ٤ / ١٨٦ - ١٨٧ ، نهاية الأرب : ٧ / ٢٤٦ .
- ٢ - الأبري : ٨ / ٨٧٥ .
- ٣ - الكامل : ٣ / ٣٧٢ - ٣٧٣ ، الأبري : ٨ / ٨٧٦ ، ابن الاثير : ٤ / ٣٨٨ - ٣٨٩ ،
شح نهج البلاغة : ٤ / ١٨٩ - ١٨٨ .
- ٤ - الكامل : ٣ / ٣٧٤ ، شح نهج البلاغة : ٤ / ١١٠ .

تنازعهما واختصاصهما ، فكتب عتاب الى الحجاج ، يشكو المهلب ، ((ويسأله أن يخلصه اليه ، فوافق ذلك من الحجاج . فاجة اليه ، فيما لقي أشرف الكوفة من شبيب ، فبعث اليه أن اقدم ، واركب ذلك الجيش الى المهلب ، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب)) (١) .

عاد عتاب الى الحجاج ، وخلا الجو للمهلب وبنيه ليتولوا قيادة الجيش ضد الخوارج ، يليه أكر النضر باسمهم .

أقام المهلب في مواجهة الخوارج فترة أولية ، ثم راحهم يوم السبتان ، فاقتلوا قتالا شديدا (٢) . ويبدو أن الخوارج لم يدعوا فرصة للإيقاع بالمهلب تفوتهم ، حتى يوم النحر (٣) . والحجاج في كل ذلك لا يتوانى عن إرسال الرسائل ، وبعث المستعشين لحث المهلب على مهاجمتهم ، وهو لا يتورع في كل رسالة عن الإزاء بالمهلب . يقول : ((ولكنك تعيب بقاءهم لتأكل الأرض حولك)) (٤) . ويقول في رسالة أخرى : ((وما أظن بك مع هذا مصيبة ولا حرجا ، ولكنك اتخذت أكلا ، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم)) (٥) . والمهلب في كل ذلك يحاول انقاذ نفسه من هذه المأزق ، ودفع هذه التهم بأشغال القتال بضرورة رسل الحجاج ، وذلك أن نرى أنه بالرغم من الإزاء الحجاج به ، لم يفكر في خلع طاعته كما فعل ابن الأشعث مثلاً سنة ٨١ هـ ، وكيف يشمل ذلك وهو يشمر انه بجندى من بجنده ؟

في هذه الأثناء وقع الخلاف بين الخوارج (٦) ، ويرى المؤرخون أن المهلب اضطر للحل بدور فعال في تمزيق صفوفهم عن طريق مكائدهم ، وتحطيم صفوفهم من الداخل

- ١ - الأبري : ٨ / ٨٧٨ ، الكامل : ٣ / ٣٨٠-٣٨١ ، ابن الأثير : ٤ / ٣٩٠ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١١٥ .
- ٢ - الأبري : ٨ / ١٠٠٣ .
- ٣ - الأخبار الأوائل : ٢٧٥ ، الكامل : ٣ / ٣٧٦-٣٧٧ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٢٢ ، الروض المصنوع : ٣٠٠ .
- ٤ - الأبري : ٨ / ١٠٠٤ .
- ٥ - الكامل : ٣ / ٣٧٧ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١١٣-١١٤ ، نهاية الأرب : ٢ / ٢٤٧ .
- ٦ - يرى الدكتور علي حسني الخربوطلي : أن اختلاف الخوارج انقذ المهلب من الهزيمة . انظر : الدولة العربية الإسلامية : ٢٧٢ . وهذا الرأي فيما يبدو عديم الجدوى ، لأنه غير مدعوم بالحجج ، زد عليه أن المتتبع لسير المصارع لا يفسر بما خرج به الاستاذ الخربوطلي ، إذ أن كفة المهلب كانت راجحة فيها .

بيث الأشاعات وافشاً الدسائس واختلاف الأكاذيب. فالمهلب لم يكن عسكرياً متهوراً وإنما آمن بجدوى الخدعة في الحرب، وأهميتها في احراز النصر وجلب الظفر. ((قال المهلب لبنيه: عليكم بالمكيدة في الحرب، فإنها أبلغ من النجدة)) (١). والمهلب يرى أن المكيدة حزم، وأن الصبر حتى تلوح الفرصة مهم لنيل الظفر، وهو يقول: ((تجرع الفصص إلى أن تنال الفرص)) (٢). والانسان الحازم يجب أن يصرف عن طاعة الهوى (٣).

والروايات الثلاث التي تضمنت ثلاثة أحداث (٤) تتعلق بتفريق الخوارج، وتشير

- ١ — العقد الفريد: ١٤٣/١، نهاية الارب: ١٧٦/٦.
 - ٢ — نزهة الجليس، ومنية الأديب الأنيس: ١١١/١.
 - ٣ — بهجة المجالس: ٨٦/١، شرح المقامات الحربية: ٣١٠/٢.
 - ٤ — ذكرت عدة روايات حول سبب افتراقهم، منها: ((أن رجلاً حداداً من الأزارقة كان يصنع نعلين مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك إلى المهلب، فقال: أنا أكفيكموه إن شاء الله، فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب، وألف درهم إلى عسكر قطاري، فقال: ألق هذا الكتاب في عسكر قطاري، واحذر على نفسك، وكان الحداد يقال له ابزى، فمضى الرسول. وكان في الكتاب: أما بعد فإن نمالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك ألف درهم، فاقبضها، وزدنا من هذه النصال، فوقع الكتاب والدراهم إلى قطاري، فدعا بابزى. فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري، قال: فهذه الدراهم؟ قال: ما أعلم علمها، فأمر به، فقتل فجاءه عبد ربه الصغير، مولى بني قيس بن ثعلبة. فقال له: أقتلت رجلاً على غير ثقة ولا تبين؟ فقال له: ما حال هذه الدراهم؟ قال: يجوز أن يكون أمرها كذباً، ويجوز أن يكون حقاً قال له قطاري: قتل رجل في صلاح الناس غير منكر، وللامام أن يحكم بما رآه صلاحاً، وليس للرعية أن تعترض عليه، فتذكر له عبد ربه في جماعة معه)) انظر: الكامل: ٣٨٢/٣، ابن الأثير: ٤٣٨/٤، شرح نهج البلاغة: ١٦٦/٤، سرح الميرون: ٢٠٠.
- وهكذا بذر المهلب بذور الشقاق بين الخوارج، ولكنه لم يكتف بذلك، بل لقد استفحل بساطة الخوارج، وأخذهم بظاهر الدين، فأرسل نصرانياً، وطلب منه أن يسجد لقطاري، ففعل النصراني ذلك، فاعترض الخوارج على ذلك، ولم يجد لهم فاع قطاري عن نفسه شيئاً باستناده إلى أن النصارى عبدوا المسيح من دون الله. انظر: الكامل: ٣٨٣-٣٨٢/٣، ابن الأثير: ٤٣٨-٤٣٦، شرح نهج البلاغة: ١٦٧/٤، سرح الميرون: ٢٠١.
- والمهلب كما تدل هذه الرواية عمد إلى إيقاع البلبلة الفكرية بين صفوف الخوارج بطارحه مثل هذه القضايا المطبسة، فعندما قتل الأزارقة النصارى وجه المهلب ((إليهم رجلاً يسألهم عن شيء تقدم به إليه، فأثام الرجل، فقال: أرايتسم رجلين خرجا مهاجرين إليكم، فمات أحدهما في الطريق، وبلغكم الآخر فامتحنتموه، فلم يجز المحنة، ما تقولون فيها؟ فقال بعضهم: أما الميت فمؤمن من أهل الجنة، وأما الآخر الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها، وقال قوم آخرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثرا الاختلاف)) انظر: الكامل: ٣٨٣/٣، شرح نهج البلاغة: ١٦٧/٤.

الى أن المهلب كان بالنها، تركز على كما أشيع من سداجة الفوارج وسد نفهم وأخذهم
بأنهم الاشياء، غير أن القارىء المصنف المنظر، لا يرى فيها مبررا لتشتت الفوارج
وانفصالهم. وهذه الروايات غير معتمدة لدى الأبرى، الذى يرى أن سبب اغتراقهم
يعود الى أن المقطع الضبسي، أحد رجال الفوارج، قتل، خارجيا في إحدى
هجماته. فغالب الفوارج قتلوا بقتل المقطع (١). والمعقوبي يرى أن سبب
اغتراقهم يعود الى كذبة ((...)) وقصوا عليها من قارىء. فقالوا له: تب. فذكره أن يوجب
على نفسه التوبة، فغلبوه ((٢)). وأيا كانت الأسباب فانه - ان سمحت هذه الروايات -
يكون المهلب باع أول في تشتت شمل الفوارج، وإشاعة البلبة بين صفوفهم، وقصد
تشتت المهلب أهمية تفريق الفوارج، قائلا: ((ان اختلاهم أشد عليهم مني)) (٣). وعندما
شعر قارىء بمشاوره الموقف، وانفلات الزمام من بين يديه، طلب من الفوارج الخروج
لمهاجمة معسكر المهلب، ولكن دعوته أفضت ولم تجد ان ناسا غنية (٤).

تتضح في غنة الفوارج مقدرة المهلب العسكرية، التي تهدف الى ترسيخ نظام
الحكم الاموي، ودعم ركائزه، فقد كتب الى الحجاج يبين له اختلاف الفوارج، واقتراح
امرهم فكتب الحجاج اليه امرا اياه بمهاجمتهم، مستغلا خلافتهم. فغضب ذلك قائلا:
((أما بعد، فقد بلغني كتاب الأمير، وكل ما فيه فهمت، ولست أرى أن اقاتلهم، وما
داموا يقتل بعضهم بعضا، وينقض بعضهم عدد بعض، فان تموا على ذلك فهو الذى
نريد، وفيه هلاكهم، وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقت بعضهم بعضا، فأتاهمهم
على تفتئة ذلك، وهم آمنون ما كانوا، واغضبوا شوكه)) (٥).

بلا قارىء عن مدينة جبرفت، وبعد أن ارتحل عنها، لم يبق أمام المهلب الا
مهاجمة معسكر عديريه، فشدد العساكر عليهم في مدينة جبرفت، حتى أكلوا خيلهم (٦).
ولما زال العساكر عليهم تركوا المدينة بعد قتال عنيف على مداخلها (٧)، فلاحقهم
المهلب واستمر في مطاردتهم يومين. وحين رأى عديريه الا محييين عن اللقاء الحاسم،
خطب أصحابه، قائلا: ((يا معسكر المهاجرين، روحو بنا الى الجنة، فان القوم رائعون

- ١ - الطبرى: ١٠٠٦/٨
- ٢ - تاريخ اليعقوبي: ٢٧٥/٢
- ٣ - الكامل: ٣١١/٣
- ٤ - شرح نهج البلاغة: ٢٠٤/٤
- ٥ - الطبرى: ١٠٠٧/٨، ابن الاثير: ٤٣١/٤
- ٦ - الاخبار الطوال: ٢٧٨
- ٧ - الكامل: ٣١٨/٣، شرح نهج البلاغة: ٢٠٨/٤

الى النار)) (١) ووطن نفسه وجماعته على الموت، واليك هذا الوصف المثير الذي ينقله لنا أبو عبيدة الدينوري عن ذلك اليوم : ((... غاصوا بالرمح حتى تكسرت، واضطربوا بالسيوف حتى تقالعت، ثم صاروا الى المعانقة، فترجل المصلب في جماعته، وحمل عليهم وهو يتلو قول الله عز وجل : ((وقتلونهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)) * فلم يزالوا يقتتلون حتى حال بينهم الليل، ثم غدوا على الدرب، وقد كسرت الخوارج بعقون سيوفهم، وحلقوا رؤوسهم، فاقتتلوا، فقتل عبد ربه، وجميع ابائهم (٢) . وهكذا كانت نهاية الخوارج، نهاية شجسان، آمنوا بصادقهم، ودافعوا عنها دفاعا صبيحا، بكل ما أوتوا من قوة غير موغرين في سبيل ذلك شيئا، وقد استمر سراعهم نيفا وعشرين سنة .

قدى المصلب على طائفة جيدة في التاريخ الاسلامي، تهدف الى اعادة الناس الى الاسلام بصورته المشرقة، فلو كتب لها البقاء لتخير سير الاحداث . وسراع المصلب مع الخوارج أثبت أن المصلب يمثل سلالة الأمويين ويسعى بكل ما أوتي من قوة لتثبيت حكم الأمويين ودعاه . وهو على استعداد في سبيل ذلك لتقديم نفسه وابنائهم . وعلى ذلك نرى ان سورة المصلب لا تختلف عن سورة زياد بن أبيه بشكل من الاشكال، أو الحجاج أو غيرهما من ولادة بني أمية الذين نجح الأمويون في تجنيدهم لخدمة مصالحهم .

وفي غمرة انتشاره على الخوارج، أرسل مبشرين الى سيديه، عبد الملك والحجاج ليقلبا شجرة انتشاره، ولينال الحضرة عند أسياده، فقد قام بالدور الذي نيط به خيسر قيام ونفد المهمة . ولذا نراه يتبع في رسالته التي أرسلها الى الحجاج بما قام به ويسنده الخوارج من المرات . يقول : ((أما بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بلغك، وكما ونحن وعدونا، على هالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يسروننا، ويسرونهم منا أكثر مما يسرونهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان على أمرهم، حتى ارتاعت له الفتاة، ونسروا به الرضيع، فانتشزت منهم الغرصة، في وقت إمكانها، وأدنت السواد من السواد، حتى تمارغت الوجوه، فلم نزل كذلك . حتى بلغ الكتاب أجله ((فقلع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)) (٣) . وكتب رسالة مشابهة الى عبد الملك (٤) . ويبدو أن المصلب

- ١ - الاخبار الاول : ٣٧٦، ابن الاثير : ٤/ ٤٤٠، شرح نهج البلاغة : ٤/ ٢٠٧ .
- * الآية ١٩٤ البقرة .
- ٢ - الاخبار الطوال : ٢٧١، وانظر : الكامل : ٣/ ٣٨٣-٣٨٤، الطبري : ٨/ ١٠٠٣، ابن الاثير : ٤/ ٤٣٦، شرح نهج البلاغة : ٤/ ١٢٧-١٢٨ .
- ٣ - الكامل : ٣/ ٤٠٤-٤٠٥، ديوان الصماني : ٢/ ١٦، شرح نهج البلاغة : ٤/ ٢٢٠-٢٢١، شرح الصيوني : ٢٠٢، نهاية الارب : ٥/ ١٤٥-١٤٦ .
- ٤ - المحاسن والساوي : ٤٤٨، ديوان الصماني : ٢/ ١٦ .

أحسن اختيار مشيريه ، فلم يفتقر أي رسول ، بل راعى في رسله قوة المدفق وطهارة الحديث بحيث يجرى رسولُه العجاج حينئذ بأمر الحرب ، وتعرف المهلب في المصرة ، فأنبأ المهلب ((أعداء البيت عتي يأمنوا ، وأصحاب السرح حتى يردوا)) (١) أما موقف المهلب من بيئته فقد وصفه أحد رسله بقوله : ((أرضنا دم الحق ، وأشباههم الخيل . وكانوا مع وائل يقاتل بهم مقاتلة النملوك ، وبسوسهم سياسة الملوك . فله منهم بسر الأولاد ، ولهم منه شفقة الوالد)) (٢) .

وهكذا يتبين لنا أن رسل المهلب كانوا ينطلقون بلسانه ، ويعبرون عما يجب أن يقوله ، ولذا جعلت العجاج يحفل بالمهلب ويكرمه ، مع ما كان بين المهلب والعجاج . وينقل لنا الأبري رواية من هشام بن محمد صورة من استقبال العجاج المهلب ، فيقول : ((... ان المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة ، قدم على العجاج ، وذلك سنة ٥٧٨ هـ ، فأجاسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب . فأخذ العجاج لا يذكر له المصائب ربلا من أصحابه ببلاء حسن الأمدقة العجاج بذلك . فحملهم العجاج وأحسن عالياهم ، وزاد في أعالياتهم . ثم قال : هؤلاء أصحاب الضعفاء ، وأحق بالأموال . هؤلاء حماة النخسور وفيذل الأعداء)) (٣) . أما المهلب فقد كوفي على انتصاره بولايسة خراسان التي استمر يليها حتى وفاته (٤) .

وفي سنة ٥٨ هـ اجتاز المهلب نهر بلخ لمحاصرة كَنْ وَتَسَفَ وقد تمكن من محاصرتها (٥) . ومن موقعة في كَنْ وَجِه بعثين ، أحدهما بقيادة ابنه يزيد إلى الختل (٦) بناء على ما بذله ابن عم ملك الختل من مساعدات . وقد انتهت هذه الغزوة بمصالحته إياهم على فدية حطوطها إليه (٧) . أما البحث الثاني فكان بقيادة حبيب ابنه ، السدي

- ١ - مرجع الذهب : ٣ / ١٥٢ .
- ٢ - مرجع الذهب : ٣ / ١٥٢ ، وراجع بشأن رسالة المهلب : الأفاقي : ١٤ / ٢٨٥ ، العقد الفرید : ٢ / ٨١ - ٨٢ ، ٢ / ٣٠١ ، وفيات الأعيان : ٥ / ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ابن الأثير : ٤ / ٤٤٠ - ٤٤١ ، شج نهب البلاغة : ٤ / ٢١٥ - ٢١٦ ، زهر الآداب : ٣ / ٨٠٧ ، شج المقامات العربية : ٢ / ٣٦١ ، سبط الملائكي : ١ / ٥٨١ - ٥٨٠ ، نهاية العرب : ٣ / ٢٢١ .
- ٣ - الأبري : ٨ / ٣٣ ، وراجع : الأخبار الأوائل : ٢٨٠ ، ابن الأثير : ٤ / ٤٤٠ ، سنن البيهقي : ٣٠٣ .
- ٤ - انساب الأشراف : ١ / ٥٠٣ - ٥٠٤ ، تاريخ خليفة بن خياط : ١ / ٢٧٥ ، الأخبار الأوائل : ٢٨٠ ، البلدان : ٢٨٢ ، الأبري : ٨ / ٣٣ ، ابن الأثير : ٤ / ٤٦٦ ، لباب الآداب : ٣١ ، دول الإسلام : ١ / ٣٧ ، الصبر : ١ / ٨٨ ، شذرات الذهب : ١ / ٨٤ .
- ٥ - تاريخ خليفة : ١ / ٢٧٨ ، الأبري : ٨ / ١٠٤ ، ابن الأثير : ٤ / ٤٥٣ ، شذرات الذهب : ١ / ٨٨ .
- ٦ - كورة واسعة كثيرة المدن ، على تخوم السند . معجم البلدان : ٢ / ٣٤٦ .
- ٧ - الأبري : ٨ / ١٠٤١ ، ابن الأثير : ٤ / ٤٥٣ .

قاتل صاحب بخارى، وبعد مبارزات فردية كان بدالها جكلة، غلام حبيب، انسحب حبيب وانشعبت قوة من جند بخارى الى قرية، فمطاف عليهم حبيب، وظاف بهم، وأحرق القرية، فسميت المحترقة (١). عاد ابنا المهلب، يزيد وحبيب الى والدهما بعد غارتهم المذكورتين. وظال المهلب محاصرا كش سنتين (٢)، ثم صالح أهلها على فدية، وعاد الى مرو. ويمزوا ابن الاثير عودته الى مرو (٣) الى أنه اتهم ((قوما من مضر، فحبسهم، ومالح وقفل)) (٤). لكن المطالع لتاريخ خليفة بن خياط يجد أن السبب في عودته هو ثورة ابن الاشعث. يقول: ((... وحاصرهم، حتى أتاه كتاب ابن الأشعث، بدعوة الى خلع الحجاج، وذلك في سنة احدى وثمانين، فانصرف المهلب عنهم راجعا)) (٥)، فلمصلل المهلب خاف ابن الأشعث على مناطق نفوذه، وقد يكون الحاملان تضافا على المهلب، فعاد الى مرو بعد أن أخذ رهنا، وترك حريث بن قطبة، مولى خزاعة، ليقبض الفديسة، ويميد الرهن بعدها. ولما بلغ المهلب بلخ، كتب الى حريث بن قطبة: ((... اني لست آمن أن يردت عليهم الرهن، أن يغيروا عليك، فاذا قبضت الفدية، فلا تخلني الرهن حتى تقدم أرني بلخ)) (٦). وهذا يدل على تحوط المهلب، وتحززه. ولكن حريثا خالف ذلك، فوقع فيما تخوف منه المهلب، فمات المهلب على ذلك فاضطفتها على المهلب، وخدا لقتله (٧).

وفي سنة ٨١ هـ، خرج عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث على الأمويين، وأعلن انفصا له عنهم، وجرد سيفه لمحاربتهم، وأرسل الى المهلب يدعوه الى مساندته والانضمام اليه. ويظهر انه دعاه الى ذلك لأن كليهما من يمن العراق. فرفض المهلب تلك الدعوة (٨). وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من أن المهلب كان يمثل قومية

- ١ — الطبري: ٨/ ١٠٤١، ابن الاثير: ٤/ ٤٥٣.
- ٢ — الطبري: ٨/ ١٠٤١، ابن الاثير: ٤/ ٤٥٤.
- ٣ — يذكر البلاذري: انه فتح خجندة. فتوح البلدان: ٤١٧.
- ٤ — ابن الاثير: ٤/ ٤٧٤.
- ٥ — تاريخ خليفة: ١/ ٢٧٨.
- ٦ — الطبري: ٨/ ١٠٨٠، ابن الاثير: ٤/ ٤٧٤.
- ٧ — الطبري: ٨/ ١٠٨١، ابن الاثير: ٤/ ٤٧٤.
- ٨ — تاريخ خليفة: ١/ ٢٧٨، الطبري: ٨/ ١٠٤٢، ابن الاثير: ٤/ ٤٥٤، البداية والنهاية: ٩/ ٣٦، سرح السيون: ٢٠٤.

الا خلاص للأمويين . ولم يكف المهلب بهذا ، بل راح يطلب من ابن الأشعث ترك ما دعا اليه ، ((فانظر لنفسك فلا تهلكها ، ودما المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تتكها)) (١) . وطلب من الحجاج ألا يجابه الثائرين لأن ((لأهل العراق شرة في أول مخرجهم ، وسبابه إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شبي يرد عنهم حتى يسقوا إلى أعليهم ، ويشموا أولادهم ، ثم واقعهم عندها ، فان الله ناصرك عليهم ان شاء الله)) (٢) . وكان المهلب استطلع نفسيات القوم ، وعرف أحوالهم ، لكن الحجاج شك في طبيعة هذه النميحة . هل هي للحجاج أم لابن الأشعث ؟ ورغم الحجاج الحمل بها ، ووقف لابن الأشعث ، فغزم الحجاج ، وعندما تبين أهمية رسالة المهلب وعقليته العسكرية (٣) .

والتقى الجيشان ، جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث ، في دير الجماجم (٨٢-٥٨٣) . ودارت الدائرة على ابن الأشعث . الذي تشتت جنده ، وأتوا سجستان ، ولحق ابن الأشعث برزخيل (٤) . وقد طلب غله منه الصودة لقيادتهم ، ولما لبوا كذلك بأن يوجههم شطر خراسان ، غرقت في ذلك قائل : ((. . . على خراسان يزيد بـ . . .)) المهلب ، وهو شاب شجاع صارم ، وليس بتارك لكم سلطاناً ، ولو دخلتموها ، وبعدتموه اليكم سريحا)) (٥) . وهكذا تبين ابن الأشعث موقف المبالاة الموالى للأمويين . ثم ولحق قيادة الفل عبد الرحمن بن العباس ، الذي أتى دكة ، وقتل الرقاد الأزدي العتكي (٦) ، غير أن يزيد بن المهلب لم يرغب في مواجهة فل ابن الأشعث . ولعل ذلك الشهور خصامه عصبية لقومه من اليمانية فابن الأشعث يمني ، وابن المهلب كذلك يمني ، وربما تصرف ذلك التصرف مراعي تركيبة ذلك الفل ، إذ ان اليمانية يشكلون جزءاً كبيراً منه ، ولعل تصرف يزيد مع الأسرى يلقي أضواء على ذلك .

١ - الطبري : ١٠٥٦/٨ .

٢ - الطبري : ١٠٥٦/٨ ، ابن الأثير : ٤٦٤/٤ ، البداية والنهاية : ٣٦/١ ، سنن الميوني : ٢٠٥ .

٣ - الطبري : ١٠٥٦/٨ ، ابن الأثير : ٤٦٤/٤ ، البداية والنهاية : ٣٧/٩ .

٤ - من القاب الشرف لأمرأ سجستان . السيادة العربية لفان غلوتن : ٤٦ .

٥ - الطبري : ١١٠٥/٨ ، ابن الأثير : ٤٨٥/٤ .

٦ - الطبري : ١١٠٦/٨ ، ابن الأثير : ٤٨٦/٤ .

انطلاقاً من هذا التصور، طلب يزيد من قائد الفل الرحيل الى بلد لا سلطان له فيه، ويذهب الى وال كليل الحد، وأنه في سبيل ذلك مستعد لمدهم بالمال الذي يمينهم على السفر، ان ارتأوا ما أشاء ربه عليهم، فردوا عليه بأنهم ينشدون الراحة وحسب (١). فيران قائد الفل يخادع وراوغ وجبى الخراج، وحاول افساد جند يزيد عليه. عند ذلك لم يجد يزيد بداً من قتالهم، فسار اليهم، يقدمه أخوه المفضل ابن المهلب. وما هي الا جولة حتى هزمهم وأسر منهم الكثيرين (٢). وقد تصرف يزيد مع الأسرى تصرفاً جلب سخط الحجاج عليه، إذ أبلق عدداً كبيراً من أسرى اليمانيه ووجه الأسرى من المضربين الى الحجاج (٣).

ومن هنا يتضح ان يزيد بن المهلب سار على نهج والده، فهو على استعداد — حين تتعرض أركان السلطة الأموية للاضطراب — أن يقاتل حتى أبناً قبيلته، ولكنه ان استطاع ان ينهي الأمر بطريقة سهلة، عمل بها. فهو يطلب من قائد الفل ان يعود كما طلب المهلب من ابن الاشعث ترك ما بدأ به. فالمهلب ناصح الأمويين وكذلك ابنه يزيد مناصح للأمويين :

عندما ولي المهلب خراسان (٧٨-٨٢ هـ) لم يتعرض لموسى بن عبدالله بن خازم وأشياعه (٤) وقد كشف المهلب عن سبب هذا التصرف الصالح لموسى في وصية أوصى بها بنيه، يقول : ((أياكم وموسى فانكم لا تزالون ولاية هذا الثغر، ما أقام هذا الثغر بمكانه، فان قتل، كان اول طالع عليكم، أميراً على خراسان، رجل من قيس)) (٥). وكان

- ١ — الطبري : ١١٠٦/٨ — ١١٠٧، ابن الاثير : ١٨٧/٤.
- ٢ — الطبري : ١١٠٨/٨ — ١١٠٩، ابن الاثير : ٤٨٦/٤ — ٤٨٧.
- ٣ — تاريخ خليفة : ٢٨٤/١، الطبري : ١١١٠/٨، ابن الاثير : — : ٢٨٤/٤.
- ٤ — كان عبدالله بن خازم السلمي، والي خراسان للزبيريين منذ سنة ٦٦ هـ، وعندما صفى عبدالملك الزبيريين رفض عبدالله بن خازم الانضمام الى موسى الأمويين، وأعلن تمرده عليهم. وقد لاقى عبدالله بن خازم مصرعه سنة ٧٢ هـ على يد بحير بن ورقاء التميمي، وعندما قتل خلفه ابنه موسى في قيادة التمرد.
- ٥ — الطبري : ١١٥١/٨ — ١١٥٢، ابن الاثير : ٥٠٨/٤.

المهلب كان سابرا لغور الحجاج الذي ولي قتيبة بعد تصفية موسى بن خازم، بل لعله كان سابرا لغور الصراع القبلي إذ أن البلاذري يذكر ((. . . وضرب رجل ساق موسى ، وهو قتيل ، فلما ولي قتيبة ، قتله)) (١) . ويرى الدكتور احسان النمر: أن الحجاج غدر الطرف عن ثورة موسى بن خازم عصبية لقيس (٢).

عمل بنو المهلب بوصية والدهم ، فلم يتعرض يزيد في ولايته لابن خازم (٨٢ - ٨٤ هـ) على الرغم من اغارته بتشجيع من ابني قتيبة الخزامي على المناطق التي تخضع لنفوذ يزيد فيما وراء النهر (٣).

وعندما ولي المفضل بن المهلب خراسان (٨٥ هـ) ، خرج عن الطريق الذي رسمه المهلب وارتضاه أخوه يزيد لنفسه . وهكذا اندفع المفضل بالحجاج ، ظانا انه سيبارك خباوته ، وسيلقى منفذاً بالترحيب ، وانه سيحظى عند الحجاج (٤) ، فجرّد حملة عسكرية ، بقيادة عثمان بن صفوان ومُدرِك بن المهلب ، تسندهما قوات السبيل وأكرخون ، وقد تمكنت هذه القوات من تحقيق هدفها بالقضاء على موسى بن خازم ، وأرسل المفضل ببشارة النصر الى الحجاج ، الذي اشمأز لهذا النبأ (٥) . وهكذا أسدل الستار على ثورة ابن خازم . كما تبين صدق ما تنبأ به المهلب ان كان اول طالعي عليهم وال على خراسان قيسي .

وفي سنة ٨٤ هـ ، كثف يزيد بن المهلب مراقبة قلعة بان غيس ووضع عليها الارصاد والعيون ، فأخبروه بغياب نيزك عن قلعته . وقد اغتنمها يزيد فرصة ، فغالب نيزكا اليها ، وفتحها . وكان نيزك يالك هذه القلعة ((اذا رآها سجد لها)) (٦) . وقد صالح نيزك يزيد بن المهلب ((على أن يدفع اليه ما في القلعة من الخزائن ويرتحل عنها)) (٧) . غير أن نيزكا لم يحافظ على شروط الصلح (٨) ، ونقضها .

- ١ - فتوح البلدان : ٤١٩ .
- ٢ - العصبية القبلية : ٢٦٤ .
- ٣ - الطبري : ١١٥٢ / ٨ - ١١٥٣ ، ابن الاثير : ٤ / ٥٠٩ . ابنا قتيبة : هما حريث وثابت ، كان المهلب ضرب حريثا . فالتحقا بموسى . وقد قتل يزيد بن المهلب أخاهما لأمهما الحارث بن منقذ ، وجردهما من أموالهما وممتلكاتهما ، فاغارا على ما وراء النهر . انظر : ابن الاثير : ٤ / ٥٠٩ .
- ٤ - الطبري : ١١٦٤ / ٨ ، ابن الاثير : ٤ / ٥١٢ .
- ٥ - الطبري : ١١٦٤ / ٨ ، ابن الاثير : ٤ / ٥١٢ .
- ٦ - الطبري : ١١٣١ / ٨ ، ابن الاثير : ٤ / ٤٩٨ .
- ٧ - الطبري : ١١٢٩ / ٨ .
- ٨ - فتوح البلدان : ٤١٧ .

فأعاد المفضل بن المهلب سنة ٨٥ هـ مهاجمتها ، وافتتحها من جديد ، وأصاب غنائم كثيرة ، قسمها على الناس .

أراد يزيد بن المهلب في ولايته الثانية على خراسان ٩٨ هـ ، أن يحقق نصرا يوازي انتصارات قتيبة بن مسلم . أو قل : يفوقها . وكانت فكرة المنافسة تخامره قبل أن يلي خراسان انطلاقا من التنافس الشديد بين يزيد وقتيبة ورغبة في أن يظهر قائدا عسكريا فذا . وهكذا توخى يزيد الناحية الاعلامية من وراء محاولته تلك . ينقل الطبري عن علي بن محمد : أن سليمان بن عبد الملك كان يلفت نظر يزيد الى كل نصر يحرزه قتيبة ، فيجيبه يزيد : ((ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس والطريق الاعظم ، وأفسدت قومس وأبرشهر ؟)) ويقول : هذه الفتوح ليست بشي* ، الشأن في جرجان)) (١) . وربما كانت اجابة يزيد لسليمان أقرب الى الواقع ، فجرجان كانت حصينة ، اذ ينقل البازري وصفها لها : ((. . .)) وكان عليها خائط من آجر ، قد تحصنوا به من الترك ، وأحد طرفيه في البحر)) (٢) . ولم يستطع — قبل المسلمين — سابور ذو الأكتاف فتحها (٣) . كما أن أهلها لم يكونوا يلتزمون بشروط الصلح المعقودة بينهم وبين المسلمين . وكانوا يتلاعبون بمقدار الجزية كيفما شاءوا . كما انها كانت تشكل خطرا على طرق المواصلات في شرقي العالم الاسلامي (٤) .

استمدَّ يزيد لهذه الغزوة استعدادا تاما (٥) يتلاءم مع طبيعة المهمة التي سينفذها وبلغ بعثه مئة ألف ((سوى الموالي والمماليك والمتطوعين)) (٦) . وقد بدأ به هستان ، فحاصرها وقاتل أهلها أشد قتال . كما انه كان يقتل حين باغته الترك ، اثنى باشر القتال بنفسه (٨) ، وشدد يزيد الحصار عليها ، وضيق على أهلها ، فاضطروهم الى الاستسلام .

- ١ — الطبري ٩٠/١٣٢٧ ، ابن الاثير ٥/٢٩٠ .
- ٢ — فتوح البلدان : ٣٣٦ ، الروغ الممطار : ١٦٠ .
- ٣ — الروغ الممطار : ١٦٠ .
- ٤ — الطبري ٩٠/١٣٢٢ ، ابن الاثير ٥/٣٠ .
- ٥ — تاريخ خليفة : ١/٣١٩ ، المعارف : ٥٦٨ ، وفيات الاعيان : ٦/٢٩٨-٢٩٩ ، معجم البلدان : ٢/١١٩٤ ، العبر في خبر من غير : ١/١١٦ .
- ٦ — الطبري ٩٠/١٣١٨ .
- ٧ — تاريخ خليفة : ١/٣٢٠-٣٢١ ، فتوح البلدان : ٣٣٧-٣٣٨ ، الطبري ٩٠/١٣٣٢-١٣٣٣ ، ابن الاثير ٤/٣٤-٣٥ .
- ٨ — الطبري ٩٠/١٣١٩ ، ابن الاثير ٥/٢٩-٣٠ .

بعد أن فرغ من دهستان، اتجه إلى طبرستان، وطلب منه اصهبند طبرستان تركها، ويصالحه مقابل ذلك، فأبى يزيد أملاً فتحها. وبمقت قوة بقيادة أبي عيينة أخيه، فأمكن في بلاد الأصهبند، وهزمته، وصعد المهزومون جبلاً، فتبعهم المسلمون، فأغتنم الترك الفرصة وجودة موقعهم، فرشقوا المسلمين بالنشاب، ورموهم بالحجارة، فاستحال النصر هزيمة نكراء^(١). اثر هزيمة المسلمين تلك أغرى الاصهبند أهل جرجان بنكث العهد، والوثوب بمن عند هم من المسلمين، فنفذوا ذلك تحت وطأة اغراء الاصهبند^(٢). وهنا يلجأ يزيد إلى حيان الثبتي لانتقاه من هذه الورطة، ونجح حيان في اقناع الاصهبند بالصلح على ((سبعمئة ألف درهم، وأربعمئة وقر زعفران، أو قيمته من العيين. وأربعمئة رجل، مع كل رجل برنس وطيلسان وجام فضة وسرقسة حرير وكسوة))^(٣).

وعندما صالح يزيد الاصهبند اتجه إلى جرجان، ليصّب جام غضبه عليها لأنها تكلمت عن العهد. تحصن الجرجانيون في البحيرة التي حاصروهم يزيد بها سبعة أشهر، إلى أن دله صياد إلى مدخل المدينة، فأرسل يزيد مع هذا الصياد جهم ابن زحر الجعفي على رأس مجموعة صغيرة من الجند، نظراً لأن المسرب الذي سيديرون فيه، لا يستوعب أكثر من هذه المجموعة^(٤). وقد تمكنت هذه القوة من مباغتة المد وفي الوقت الذي بدأ فيه زحف يزيد إلى المدينة، فاكسحها.

وتكشف لنا كتب التاريخ عن قسوة يزيد، إذ أنه كان قد حلف على الانتقام من أهل جرجان جزاءً غدرهم، وأن يأكل خبزاً كان قد طحن برحى حركتها دماؤهم^(٥). وينقل لنا خليفة بن خياط هذا الوصف: ((ونزلوا على حكمه، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وصلبهم فرسخين، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندلس وادي جرجان فقتلهم، وأجرى الماء في الوادي على الدّم، وعليه أرحاء، ليطحن بدمائهم، فطاحن

- ١ — تاريخ خليفة: ٣٢٠/١٠، الطبري: ١٣٢٧/٩—١٣٢٨، ابن الاثير: ٣١/٥.
- ٢ — فتوح البلدان: ٣٣٦، تاريخ خليفة: ٣٢٠/١٠، الطبري: ١٣٢١/٩، ابن الاثير: ٣١/٥.
- ٣ — تاريخ خليفة: ٣٢٠/١٠، مختصر كتاب البلدان: ٣٠٨، الطبري: ١٣٢٨/٩—١٣٢٩، معجم البلدان: ١٥/٤، ابن الاثير: ٣١/٥، الروغز المعطار: ١٦١.
- ٤ — فتوح البلدان: ٣٣٧، الطبري: ١٣٣١/٩، ابن الاثير: ٣٤/٥.
- ٥ — الطبري: ١٣٣٠/٩، ابن الاثير: ٣٤/٥.

واختبر، وأكل، وكان حلف على ذلك)) (١). أمّا الفنائم فكانت كثيرة جداً، تدل على غنى أقلّيم جرجان وعلى ثروة الجرجانيين الكبيرة. فقد ذكرت أرقاما كبيرة جداً (٢)، ضمن رسالة النصر التي بعثها يزيد إلى سليمان بن عبد الملك. وعندما تناقش نكبة المهالبة سنجد أن أموال هذه الفزوة من بين أسبابها المهمة، بل هي سببها الأساسي لدى عمر بن عبد العزيز. وظاهر أن المبالغة شملت نتائج هذه الفزوة، سواء ما تعلق بالفنائم أو عدد القتلى. وقد تكون المبالغات القبلية قد تدخلت في ذلك إذا علمنا أن أعداء المهالبة كانوا كثيرين بما فيهم بعض الخلفاء.

ويبدو أن جرجان لم تكن خدّات مدينة، وأن الذي اختطها يزيد بن المهلب (٣). يقول الشّهمي: ((... فبنى سورها، واختط بها مساجد، نحو من أربعين مسجداً * اختط كل قبيلة، ممن كان معه * مسجداً لنفسه، وتلك المساجد معروفة بجرجان، بمضها داخل قصبته، وبمضها في الميكن)) (٤).

وهكذا نجد أن يزيد قام ببناء مهم في جرجان، كما أنه نجح في إنجاز عمسل عسكري عظيم. وعاد يزيد إلى مرو، واستقبله ابنه وخلد بالهدايا والترحيب (٥).

-
- ١ — تاريخ خليفة: ١٠/٣٢٠-٣٢١، فتوح البلدان: ٣٣٧-٣٣٨، الطبري: ٩٠/١٣٣٢-١٣٣٣، ابن الاثير: ٤/٣٤-٣٥.
 - ٢ — مخطوط. انساب الاشراف: ٢٠٠، فتوح البلدان: ٣٣٧، الطبري: ٩٠/١٣٣٤، وفيات الاعيان: ٦/٣٦٦، ابن الاثير: ٥/٣٦، الروض المصطار: ١٦١.
 - ٣ — ابن الاثير: ٥/٢٩.
 - ٤ — تاريخ جرجان: ص ١٠ * فراغ في المخطوط. وهذه الكلمات من اقتراح المحقق.
 - ٥ — فتوح البلدان: ٣٣٧، وفيات الاعيان: ٦/٢٦٦.

نكبة المهالبة :-

كان ظلم الحجاج وغطرسته سببا وجيها في قتل عشرات الأبرياء، وانفجار بعض الثورات التي كادت ان تطوح بسلطان بني أمية (١). ولما قضى الحجاج على ثورة ابن الأشعث لم يعد في العالم الاسلامي أقوى من سلطان الحجاج والمهالبة. ففكر الحجاج بهم، وأراد أن يوقع بهم، وقد تناقل المؤرخون عدة دوافع دفعت الحجاج الى نكبتهم (٢).

ذكر الطبري رواية عن علي بن محمد : ((وحدثنا كليب بن خلف، قال : كتب الحجاج الى يزيد بن المهلب ان أغز خوارزم. فكتب اليه : ايها الامير، انها قليلة السلب، كثيرة الكلب. فكتب اليه الحجاج : استخلف، واقدم. فكتب اليه : اني اريد أن أغزو خوارزم. فكتب اليه : لا تغزها، فانها كما وصفت. فغزا ولم يطعمه)) (٣). وقد تشايح الطبري على ذلك ابن الأثير. وذكر الرواية بصيغة ضعيفة ((وقيل)) (٤). وكان نتيجة غزوته تلك سبي الكثيرين. واشتد البرد على المسكر فلبسوا ثياب الأسرى، ومات السبي (٥). ويظهر أن يزيد لم ينجح في غزوته تماما، فقد تمسرا عام مدينسة

- ١ — لعل أبرز هذه الثورات ثورة عبد الله بن الجارود ومحمد بن الأشعث. انظر : الخزانة لدكسن : ٢٤٦-٢٤٧، ٢٦٠.
- ٢ — تجمع جمهرة المصادر على أن كاهنا تنبأ بأن الذي يلي المشرق بعد الحجاج شخص اسمه يزيد، فذهب زهن الحجاج الى يزيد بن المهلب، وظنه المقصود بذلك. انظر : الطبري : ١١٣٨/٨-١١٤٠، البداية والنهاية : ٥٥/٩-٥٦، ابن الاثير : ٥٠٢/٤-٥٠٣، ونيات الاعيان : ٢٧٨/٦، سح العيون : ١٨٧-١٨٨.

ويظهر أن هذه الرواية غير مقنعة. ولعل كارهي الحجاج وضعوها عليه. يذكر الدكتور عبد الامير دكسن : أن الحجاج عزله لصالح الدولة، فقد ساعد بتصرفاته على خلق جبهة معارضة ضد الدولة، من قبائل قيس وتميم. انظر : الخلافة الأموية : ١٧٧. وهذا الرأي يتضح بطلانه اذا علمنا أن كل حاكم ممن ولوا خراسان في العصر الاموي كان يخبر قبيلته ويحرم القبائل الاخرى. ونحن نتساءل : هل عدل قتيبة الصورة، ولم يتحزب؟ أم أن سيرته تثبت غير ذلك.

- ٣ — الطبري : ١١٤٢/٨-١١٤٣.
- ٤ — ابن الاثير : ٥٠٤/٤-٥٠٥.
- ٥ — فتون البلدان : ٤١٧.

خوارزم ((فيل)) (١)، وهي المذكورة فسي شعر كعب الأشقرى (٢).

وهذه الرواية تدل على أن يزيد بن المهلب لم يكن يكثر لأوامر الحجاج وتوجيهاته ولا يلقي لها بالا، وهذا كان يفيظ الحجاج (٣).

وبعد، فما السبب في تصرف الحجاج معهم بهذا الشكل ؟ يظهر أن ما ذكره هشام بن محمد عن أبي مخنف : ((... أن الحجاج لم يكن حين فرغ مسين عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته. وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصريين بخراسان. ولم يكن يتخوف بمد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب)) (٤). يظهر أن هذا يشكل أحد الأسباب الأساسية التي دفعت إلى الإيقاع بهم. وهذه الرواية فيما يبدو — تتناسب مع ذوق الحجاج — فقد خشي نجابه يزيد بن المهلب، وخافه، وحسده (٥). ويظهر أن علاقات الحجاج مع هذه الأسرة كانت مبنية على الحسد. فهو بنفس عليهم صفاتهم، إذ ينقل صاحب الأغاني رواية عن الحسن بن علي : أن الحجاج نظر إلى يزيد بن المهلب، وهو يخطر في مشيته، فيقول : ((لئن الله المفسرة بسن حَبْنًا حيث يقول : —

جميلُ المحيا، بَخْتَرَى إذا مشى وفي الدرع ضخمُ المنكبين شَنَاقُ (٦)

- ١ — الأغاني : ١٤ / ٣٠٠ . ((والفيل الذي ذكره هو حصن خوارزم)) . ويذكر ابن حوقل في صورة الأرض : ٣٩٥ ، وياقوت الحموي في معجم البلدان : ٣٩٥ / ٢ : أن خوارزم ليس اسماً للمدينة بل هو للناحية جميعها .
- ٢ — قال كعب : —
رَمَتْكَ فِيلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا تَكَلَّمَتْ
الأغاني : ١٤ / ٢٩٩ .
- ٣ — كان يزيد يخاطر أحياناً بعلاقاته مع الحجاج ، فقد أعطى المعدل بن الفرخ بالرغم من هجائه الحجاج . وقال له : ((... قاله لا يصل إليك، وأنت في حيزي)) . الأغاني : ٢٢ / ٣٥١ .
- ٤ — الطبري : ٨ / ١٤٣ ، ابن الأثير : ٤ / ٥٠٤ .
- ٥ — وفيات الأعيان : ٦ / ٢٧٨ .
- ٦ — الأغاني : ١٣ / ١٠٠ .

فهو ينفس علي يزيد بن المهلب بيت شعر، فكيف لا ينفس عليه امارات النجابة والذكاء (١) ؟ ويبدو أن عامل الحسد تضافر مع عامل آخر. ذكر خليفه بن خياط : أن يزيد بن المهلب حين أسر أسرى فل ابن الأشعث، وجه بالمضرية منهم الي الحجاج، وأطلق اليمانية. يقول : ((وبعت الي الحجاج بالمضرية. وكان أول من كلمه الهلقام بن نميم. فقال : لعنك الله يا حجاج ان فاتك هذا المزوني، — يعني يزيد، — قال : لم ؟ قال : —

لأنه كان في اطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضراً
وقى بقومك حر الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطراً

قال : كذبت. وأمر بقتله (٢). ويورد الطبري هذا التعليق : ((ولم تنزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان، وحبسه)) (٣). وهكذا تضافر عامل الحسد مع عامل العصبية. والآن. نسأل : هل هذا الحسد انعكس في تعامل الحجاج مع يزيد من المهالبة فقط ؟ ربما تكون الاجابة بالنفي، اذ انه في تعامله مع عميد الأسرة، كان قد اختط لنفسه المنهاج نفسه، فقد حسد المهلب على حسن تأتبه في حروب الخوارج. ويتضح ذلك في كثرة من أرسل من المستحثين لحث المهلب على انها أمر الخوارج بأسرع وقت (٤). ويبدو وحقد الحجاج وحسده للمهالبة من خلال هذه الرسالة التي بعثها الي المهلب أثناء محاربته الازارقة. يقول : ((. . . وانسي وليتك، وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المصاشمي، وعباد بن الحصين الحبلي. واخترتك وأنت من أهل عمان، ثم رجل من الأزد. فالتهم يوم كذا، في مكان كذا، والآن اشرعت اليك صدر الرمح)) (٥). وكان الحجاج يضايق المهلب في جمع الخراج، فحين طرد المهلب الخوارج عن فارس، أرسل الحجاج جباته اليها، فرفض هذا الاجراء عبد الملك بن مروان (٦).

- ١- يذكر البلاذري في مخطوط أنساب الاشراف : ١٩٥ ((. . . فبلغ الحجاج عنه ما يكرهه)) ، ولم يذكر غير ذلك. ويورد البلاذري في مخطوط أنساب الاشراف رواية أخرى، بقوله ((وذكروا)) ١٩٦، تدل على حنق الحجاج عليه لصلابة اخلاقه.
- ٢- تاريخ خليفة : ٢٨٤/١.
- ٣- الطبري : ١١٢١/٨ — ١١٢٢.
- ٤- الاخبار الطوال : ٢٧٥، الكامل : ٣/٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٩٥ — ٣٩٦، الطبري : ٨/١٠٠٤ — ١٠٠٨، شرح نهج البلاغة : ٤/١٨٩، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ابن الاثير : ٤/٤٣٧ — ٤٣٨، سرح العيون : ٢٠٠، نهاية الأرب : ٧/٢٤٧ — ٢٤٨.
- ٥- الكامل : ٣/٣٧، شرح نهج البلاغة : ٤/١٨٦ — ١٨٧، نهاية الأرب : ٧/٢٤٦.
- ٦- الطبري : ٨/١٠٠٣ — ١٠٠٤.

وهكذا نرى أن نكبة المهالبة، كانت جذورها قديمة. لكنها اكتملت في نفس الحجاج بعد أن فقد الشجر الأقوى من المهالبة، وبعد أن استقرت الدولة، ولم تعد الفتن تنخر جسمها. صمم الحجاج على أن ينكب المهالبة، ونجح في اقناع عبد الملك بن مروان بوجوب عزل يزيد بن المهلب عن خراسان، بدعى أن المهالبة كانوا يؤيدون حركة ابن الزبير قبل انضمامهم إلى الأمويين (١).

وعندما لبى عبد الملك مطلب الحجاج ذلك، أراد الحجاج أن يستدعي يزيد ابن المهلب، دون أن يستشير شريكه حتى لا يمتنع عليه، فطلب منه أن يستدعي أخاه المفضل بن المهلب، ويقدم عليه. استشار يزيد حصنين بن المنذر، فأشار عليه بالتدخل، وعدم الرضوخ إلى طلب الحجاج ومراسلة عبد الملك أملاً أن يثنى الخليفة الحجاج عن مطلبه، فرد يزيد بن المهلب عليه: ((أنا قوم شرفنا بالطاعة، وبورك لنا فيها)) (٢). وهذا يدل على أن يزيد قد سار على الخط الموالي للأمويين، الذي كان قد اختاره المهلب. فهو حتى الآن لم يفكر في التمرد وإعلان العصيان على الحجاج، أو رفض بطشه ومقاومة غطرسته.

اعتقد الحجاج يزيد والمهالبة، واقتن في تعذيبهم، مدعى أنهم اختانوا أموال المسلمين، وعليهم أن يدفعوها. وصبر المهالبة، واحتملوا ما لقوه وعلى رأسهم يزيد. وقد أثار هذا الحجاج، لأنه لم يستمتع بمنظر يزيد وهو يشكو، واكتشف أن خشبة نشبت في ساق يزيد، وأنه إن أتى من قبلها سيشكو فطلب من جلالته التركيز عليها، وأخذ يزيد بالمذاب من جهتها. فصاح وصاحت اخته جند، وزوج الحجاج، لصياحه فطلقها الحجاج (٣).

بعد أن ذاق المهالبة ما ذاقوا في سجن الحجاج، أخذوا يفكرون بوسيلة للخلاص من هذا المصير. فهدأهم تفكيرهم إلى ضرورة الهرب من السجن، واحتالوا في سبيل ذلك. فذكر بعد المؤرخين أنهم خرجوا من السجن بلحن مستمارة (٤).

- ١ — الطبري: ١١٤٣/٨ — ١١٤٤، البداية والنهاية: ٥٥/٩ — ٥٦، ابن الأثير: ٥٤/٤، سرح الميرون: ١٨٧ — ١٨٨، ديوان الفرزدق: ١٧/١.
- ٢ — مخطوط انساب الاشراف: ٩٥، وانظر: الطبري: ١١٤١/٨، وفيات الاعيان، ٢٩٠/٦، ابن الأثير: ٥٠٣/٤.
- ٣ — الطبري: ١٢٠٨/٨ — ١٢٠٩، وانظر: مخطوط انساب الاشراف: ١٩٦، وفيات الاعيان: ٢٩١/٦، البداية والنهاية: ٧٨/٩، ابن الأثير: ٥٤٥/٤.
- ٤ — المحبر: ١٩١، مخطوط انساب الاشراف: ١٩٦، اليعقوبي: ٢٨٨/٢، الطبري: ١٢٠٩/٨ — ١٢١٠، ديوان الفرزدق: ١٦/١ — ١٧، وفيات الاعيان: ٢٩٣/٦، البداية والنهاية: ٧٨/٩، ابن الأثير: ٥٤٥/٤.

غيسران الأتشيبي يذكر: أن يزيد توصل ((بحسن تلطفه، وأرغب السجان، واستماله، وهرب هو والسجان)) (١). وعلى كل فقد أفلت المهالبة من سجن الحجاج سنة ٩٠ هـ. ويمموا شطرا فلسطين (٢)، حيث سليمان بن عبد الملك. وطار صواب الحجاج طائفا انهم اتجهوا نحو خراسان يبعثون الثورة، ويصنعون صنيع ابن الاشعث (٣)، ولكنه هدأ حين علم انهم قصدوا سليمان بن عبد الملك (٤). وعندما بلغوا فلسطين نزلوا على وهيب ابن عبد الرحمن الأزدي، الذي أعلم سليمان انهم يستجيرون به من الحجاج، فرد عليه: ((فأتني بهم، فهم آمنون، لا يوصل اليهم ابدا، وأنا حي)) (٥). ولكن، لم قصدوا سليمان بن عبد الملك دون غيره من زعماء بني أمية؟ هل كان الحجاج وقتية بن مسلم متورطين في هاتيك الاثنا؟ في قضية ولاية العهد؟ فقد حاول الوليد بن عبد الملك أن يأخذ البيعة من بعده لابنه عبد العزيز، وهو بذلك يحرم ولي العهد الأعلي سليمان ابن عبد الملك من حقه (٦). هل كانت هذه القضية مطروحة في هذه الاثنا؟ ربما. ولعل المهالبة انطلاقا من حنق سليمان على الحجاج، قصدوه دون زعماء بني أمية.

بدأ سليمان بالتوسط لهم عند الوليد توسط اهل فيه سليمان كل ما يستطيع من جهد وعرف، على الخليفة أن يسد دوما بقي عليهم. ((وكان الحجاج أفرمهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهي علي)) (٧). غير أن الوليد رفض الآن يحيى يزيد وأخوته اليه، فعرض عليه سليمان المجبي* معهم، فرفض الوليد. أمام اصرار الوليد أرسل سليمان يزيد بن المهلب مع ابنه أيوب بن سليمان في منظر دراماتيكي مشير ((فوجهه يزيد، ومعه ابنه أيوب. وقال له: اذا دخلت على أمي المؤمنين، فكن أنت وهو غي سلسلة. فلما رآه الوليد. قال: أنا لله! لقد

- ١ — المستطاب: ١/١٣٥. وانظر: ثمرات الأوراق: ٢/٢٤٠.
- ٢ — مخطوط انساب الاشراف: ١٩٧، ديوان الفرزدق: ١/١٧٠.
- ٣ — الطبري: ٨/١٢١١، وفيات الاعيان: ٦/٢٩٢، البداية والنهاية: ٧٨/٩.
- ٤ — الطبري: ٨/١٢١٣، البداية والنهاية: ٧٨/٩، ابن الاثير: ٥٤٦/٤.
- ٥ — الطبري: ٨/١٢١٢، البداية والنهاية: ٧٨/٩، ابن الاثير: ٥٤٦/٤.
- ٦ — نقائض جريز والفرزدق: ١/٣٥٣، الطبري: ٦/١٢٨٤.
- ٧ — الطبري: ٨/١٢١٣، ابن الاثير: ٥٤٦/٤، ثمرات الأوراق: ٢/٢٤٠، المستطاب: ١/١٣٥، الاخبار الموفقيات: ٤٩٧-٤٩٨.

شققنا على سليمان)) (١). ويضيف الى ذلك صاحب المستطرف: ((...)) وكتب اليه: أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد وجهت اليك يزيد، وابن أخيك أيوب بن سليمان. ولقد هممت أن أكون ثالثهما، فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد، فبالله عليك أبدأ بأيوب من قبله، ثم أجعل يزيد ثانياً، وأجعلني — اذا شئت — ثالثاً، والسلام)) (٢).

أثرت وساطة سليمان عن عبد الملك، ونال المهالبة عطف الخليفة، الذي طلب من الحجاج ألا يراجعه بشأن المهالبة. وأن يضع عنهم الاموال، ويرفع التعذيب عن من هو واقع تحت طائلته من المهالبة. وقد نفذ الحجاج ذلك، وكف عن أبي عيينه ابن المهلب وحبيب بن المهلب، وترك ملاحقتهم (٣).

وبعد أن عفا الوليد عن المهالبة، عاد يزيد بن المهلب، ومن معه من اخوته الى سليمان، ليحيوا حياة هارئة في ظل سليمان ((...)). وكان لا تأتي يزيد بن المهلب هدية إلا بعث بها الى سليمان. ولا تأتي سليمان هدية ولا فائدة، إلا بمـثـ نصفا الى يزيد بن المهلب (٤).

وهكذا بدأت متاعب المهالبة، على يد الحجاج لتتصّخم في عهد الخليفتين: عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك.

-
- ١ — مخطوط. انساب الاشراف: ١١٧، الطبري: ١٢١٣/٨ — ١٢١٤، البداية والنهاية: ٧٩/٩، ابن الاثير: ٥٤٦/٤، الاخبار الموفقيات: ٤٩٨.
 - ٢ — المستطرف: ١٣٥/١ — ١٣٦، ثمرات الأوراق: ٢٤١/٢.
 - ٣ — مخطوط. انساب الاشراف: ١١٨، الطبري: ١٢١٥/٨، البداية والنهاية: ٧٩/٩، ابن الاثير: ٥٤٧/٤، الاخبار الموفقيات: ٥٠٠، المستطرف: ١٣٦/١، ثمرات الأوراق: ٢٤١/٢.
 - ٤ — الطبري: ١٢١٥/٨، البداية والنهاية: ٧٩/٩، ابن الاثير: ٥٤٧/٤، هبة الایام: ٢٥٩.

فكر الوليد بن عبد الملك باستخلاف ابنه عبد العزيز بدلا عن أخيه سليمان بن عبد الملك. وشايعه على ذلك واليا المشرق القيسيان : الحجاج وقتيبة . ويروى صاحب النقاش عن زهير بن الهيثم قائلا : ((. . . ثم طعن في نيط الوليد ، — يعني مات ، كما تقول : طعن في جهاره ، وذلك اذا مات —)) (١) . وعندما مات عبد العزيز ، بقي سليمان وليا للمهد . ولما مات الوليد تسلم سليمان ذرى الدولة . وهنا يأتي دور تصفية الحسابات . أما آل الحجاج فقد سيموا الخسف ، وعذبوا عذابا شديدا . وأما قتيبة ، فإنه لقي سوء مصيره فكتب ثلاثة كتب ، أرسلها مع باهلي الى سليمان . وتجمع جمهرة المصادر على أن الكتاب الأول جاء فيه : ((يا أمير المؤمنين ، ان من بلائي في طاعة أبيك ، وطاعتك ، وطاعة أخيك ، كيت وكيت)) (٢) . بيد أن أبا عبيدة يذكر : ان الكتاب الأول كان فيه : ((وقبعة في يزيد بن المهلب ، يذكر قدره وكفره وقلة شكره)) (٣) . لكن ما جدوى هذه الوقعة بين صديقين كسليمان ويزيد ؟ وكتب كتابا آخر ((يعلمه فيه فتوحه ونكايته ، وعظم قدره عند ملوك المعجم ، وهيبته في صدورهم ، وعظم صوته فيهم . ويذم المهلب وآل المهلب ، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلصه)) (٤) . إلا أن أبا عبيدة يخالف هؤلاء جميعا . فيذكر ان الكتاب الثاني كان فيه اشارة بيزيد ابن المهلب (٥) . وكتب كتابا ثالثا يخلع فيه سليمان . وسلم الكتب الثلاثة لباهلي . طالب منه ان يدفعها الى سليمان بالتعاقب ، ان دفعها سليمان الى يزيد بن المهلب .

ونلاحظ هنا عدة ملاحظات : الأولى : أن الكتب الثلاثة تعتمد في كتابتها على الصدفة ، فقد يصل الرسول في وقت يكون فيه يزيد بن المهلب في غير مجلس سليمان . أما الملاحظة الثانية : فتدل على الصلة الوثيقة التي تصل يزيد بن المهلب بسليمان ، بحيث يتصور قتيبة ان يزيد لا يفارق سليمان . أما الثالثة : فهي شمس المراء والحق الذي يأكل قلب قتيبة على يزيد بن المهلب . ولعله متأثر في ذلك بسلفه الحجاج .

وصلت هذه الكتب سليمان . وحاول قتيبة اعلان التمرد ، ولكن التوفيق جانبه نظرا لغلظته . فيغامر بمغامرة يدفع ثمنها لها رأسه ، ان يشتم القبائل ولا يستثنى منها قبيلة ، ويركز على الأزدي . يقول : ((. . . وأما هذا الحي من الأزدي فعلوج خلق الله

- ١ — نقاش جرير والفرزدق : ٣٥٣/١ ، الطبري : ١٢٨٤/٩ ، البداية والنهاية : ١٦٦/٩ ، خزنة الأدب : ٦٥٧/٣ .
- ٢ — عيون الاخبار : ١٩٦/١ . وانظر : وفيات الاعيان : ٢٩٥/٦ ، البداية والنهاية : ١٦٧/٩ ، ابن الاثير : ١٢/٥ ، سرح الميرون : ١٩١ ، خزنة الأدب : ٦٥٧/٣ .
- ٣ — نقاش جرير والفرزدق : ٣٥٣/١ . وانظر : الطبري : ١٢٨٥/٩ .
- ٤ — الطبري : ١٢٨٤/٩ — ١٢٨٥ ، وفيات الاعيان : ٢٩٥/٦ ، البداية والنهاية : ١٦٧/٩ ، ابن الاثير : ١٢/٥ ، سرح الميرون : ١٩٢ ، خزنة الأدب : ٦٥٧/٣ .
- ٥ — هبة الايام : ٢٦٠ .
- نقاش جرير والفرزدق : ٣٥٣/١ .

وأنبأ طه . وأيم الله لو ملكت أمر الناس، لنقضت أيديهم)) (١) . ثم شتم الزعماء الذين تولوا أمر خراسان . وركز على المهلب وابنه يزيد . وقال عن المهلب : انه في ولايته ((لم يجب مالا ، ولم يستفي فيثا ، ولم ينك عدوا . ثم بنوه من بعده كأطباء الكلبسة ، منهم ابن كحمة ، حصان يضرب في عانة ، تبارى له النساء صباح مساء . وجئتكم أنا فانظروا)) (٢) . ويرى فلها وزن : أن الناس خالفوا قتيبة نظرا لشوقهم إلى الأهل والولد ، ولأنهم كانوا في آخر حملتهم تلك السنة (٣) .

وحين أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ، تألق نجم المهالبة ، إذ عين يزيد على العراق . غير أن الطريق لم يكن ممهدا أمام ابن المهلب . فأسلوب الحجاج في سياسة الرعية لم يكن معجبا له ، بل كان يزيد زاعجا به ، لكنه على أي حال لا يقبل أن يأتي لسليمان بأقل مما كان الحجاج يأتي به (٤) . فكرر يزيد في خطوة يخطوهاها تخلصه من هذه المعضلة ، فلم يجد خيرا من التخلي عن مهمة جمع الخراج ، وإناطتها بشخص يرتبط بالخليفة مباشرة . فمعرض هذه الفكرة على سليمان ، فوافق عليها ، وعين صالح بن عبد الرحمن ، مولى تميم ، على خراج العراق بتزكية من يزيد (٥) . لكن صالحا لم يطلق العنان ليزيد بن المهلب في أموال الخراج ، بل ضيق عليه ، فضجر يزيد (٦) ، وفكر في التخلي عن العراق إلى خراسان . ويظهر أن هناك أسبابا أخرى (٧) دفعت يزيد إلى ذلك . لعل أبرزها : أن تجمع الأزد كان أكثر في خراسان ، وليس

- ١ - البيان والتبيين : ١٣٣/٢ - ١٣٤ ، المقد الفريد : ١٢٦/٤ .
- ٢ - نقائغ جرير والفرزدق : ٣٥٦/١ ، البيان والتبيين : ١٣٤/٢ - ١٣٥ ، المقد الفريد : ١٢٦/٤ - ١٢٧ .
- ٣ - تاريخ الدولة المربية : ٤١٨ .
- ٤ - الطبري : ١٣٠٦/٩ ، ابن الاثير : ٢٣/٥ .
- ٥ - تاريخ خليفة : ٣١٧/١ ، الطبري : ١٣٠٦/٩ ، ابن الاثير : ٢٠/٥ .
- ٦ - مخطوط أنساب الاشراف : ١١٩٩ .
- ٧ - يرى فان فلوطن : أن يزيد فكر بترك العراق إلى خراسان لأنها تدر عليه ثروات أكثر من العراق . انظر : السيادة العربية : ٢٣ . لكن - المعروف - أن خراسان تخضع لسلطان العراق .

في العراق (١)، كما أن الأزديين الذين في خراسان كانوا يخلصون ليزيد (٢)، فرأى أن يقترب من أشياعه هناك. هذا ما نستنتجه من قوله له يوم المقر، رواها الطبري عن هشام بن محمد: ((والله لقد أحصى ديواني مئة وعشرين الفا، والله لوددت أن مكانهم الساعة ممي من بخراسان من قومي)) (٣). فعمل هذا السبب مع تضييق صالح (٤) تضافرا في سبيل ذلك.

وافق سليمان بن عبد الملك على نقل يزيد بن المهلب الى خراسان، عندما عرعر عليه ذلك، عبد الله بن الاهتم، الذي أرسله يزيد بن المهلب بهذه المهمة (٥). ويبدو أن هذا الطالب صاف هو، في نفس سليمان، الذي طلب منه السير اليها لصلاحها، وتسكين الناس بها، على حد تعبير البلاذري (٦).

أراد سليمان ويزيد أن يصفيا حساباتهما مع أتباع الحجاج، الذي كان قد وافق — كما قلنا — على خلع سليمان. وعذب المهالبة عذابا شديدا. فعذب المهالبة آل أبي عقيل، رهط الحجاج الأذنين. وتولى الاشراف على تعذيبهم عبد الملك بن المهلب (٧). وعذبوا محمد بن القاسم الثقفي، وألبسه حبيب بن المهلب الصُوح (٨)، وصلب زياد بن المهلب الخيار بن سبرة المجاشعي بعمان (٩).

- ١ — يذكر الطبري ١٠٠/١٢٩١، وابن الاثير ٥/١٥، انه كان في خراسان من الأزد سنة ٩٦ هـ عشرة آلاف جندي. وهذا العدد يساوي عدد مقاتلة تميم. وهذا يدل على أن الأزد كان لديهم اكبر عدد من المقاتلين في خراسان. ويذكر الدكتور حسين عطوان. أن الأزد كانت الثانية في الضخامة والكبر بخراسان: انظر: الشعر العربي بخراسان: ٦٢. ويرى فلهاوزن: أن المهلب حمل معه الى خراسان قبيلته. انظر: تاريخ الدولة العربية: ٤٠٨.
- ٢ — انظر للتدليل على ذلك معاتبة يزيد لقومه عندما عاد الى خراسان في ولايته الثانية. انظر: نقاش جرير والغزدي ١/٣٦٧—٣٦٨.
- ٣ — الطبري ٩/١٣٩٧—١٣٩٨.
- ٤ — وان كان تضييق صالح لا يشكل سببا رئيسيا، لأن صالحا كان ثمة من ثمرات يزيد بن المهلب.
- ٥ — الطبري ٩/١٣١١، وفيات الأعيان: ٦/٢٩٦—٢٩٧، ابن الاثير ٥/٢٤—٢٥.
- ٦ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٠.
- ٧ — تاريخ خليفة: ١/٣٢٤، الطبري ٩/١٢٨٢—١٢٨٣.
- ٨ — تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٦، فتوح البلدان: ٤٤٠.
- ٩ — المعبر: ٤٨٢، الاشتقاق: ٢٤١، ديوان جرير: ١/٥٢١.

أصبح يزيد بن المهلب من أقرب مقرّبي سليمان، فقد ((خصّه، وأبّره)) (١)، غير أن ولاية يزيد لم تكن خالية من المشكلات. فظهرت مشكلات في بعض كور خراسان، ومن جانب رتبيل. ففرق يزيد أخوته في تلك الكور فأرسل مدرك بن المهلب إلى خراسان، ثم عزله، وولّى معاوية بن يزيد بدلا منه (٢). وولّى محمد بن المهلب على مرو (٣). وولّى مخلد بن يزيد سمرقند (٤). وولّى زياد بن المهلب عمان (٥). وهكذا تالّق نجم المهالبة. ولكن إلى حين.

لم يكن عمر بن عبد العزيز مرتاحا لتصرفات يزيد بن المهلب قبل توليه الخلافة. وقد كشف ذلك في غير مناسبة. فهو يعارض ترشيح يزيد بن المهلب يزيد بن أبي مسلم على خراج العراق (٦). ويرى أن المهالبة جبابرة (٧). وقد حدثت مشادة بين عمر بن عبد العزيز ويزيد بن المهلب في مجلس سليمان بسبب اختيال يزيد كما يرى ذلك عمر (٨). غير أن الذي يبحث عن دافع تصرف عمر معهم هذا التصرف، يجد أنه دافع اقتصادي. فهو ينكر توليته يزيد بن أبي مسلم على الخراج. وهو ينكر عايا يزيد ابن المهلب أثناء ولايته في خلافة سليمان (٩). وهو أخيرا يطالب ابن المهلب بالأموال التي ذكر يزيد أنه غنمها في غزوة لجرجان. يذكر الهلذري عن عمر بن شبة: أن عقر عندما استدعى يزيد، قال له: ((هذا كتابك، وهذا خاتمك؟)) قال. نعم. يا أمير المؤمنين. كتبته استعظاما لسليمان عليّ. وعلمت أنه لا يأخذني مع رأيه فسيّ بالمال. قال: فنحن آخذوك باقرارك (((١٠). ومما يدل على أن تصرف عمر معهم كان مخطئا له، أنه رفض من يزيد أن يخرج من السجن عليه يجمع الأموال المطلوبة

- ١ — تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٩٥.
- ٢ — تاريخ خليفة: ١/٣٢٤، فتوح البلدان: ٤٠٠، تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٩٦، البلدان لليعقوبي: ٢٨٣.
- ٣ — تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٩٦.
- ٤ — المصدر نفسه: ٢/٢٩٦.
- ٥ — تاريخ خليفة: ١/٣٢٥.
- ٦ — مخطوط انساب الاشراف: ١١٩، البيان والتبيين: ١/٣٩٦.
- ٧ — البدء والتاريخ: ٦/٤٦-٤٧، الطبري: ٩/١٣٥٠، ابن الاثير: ٥/٤٣، هبة الأيام: ٢٦٣.
- ٨ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٠، ثمار القلوب: ٨٨.
- ٩ — الطبري: ٩/١٣١٣.
- ١٠ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠١، وانظر: البدء والتاريخ: ٦/٤٦، الطبري: ٩/١٣٥٠، ابن الاثير: ٥/٤٩، هبة الأيام: ٢٦٣.

منه، من الناس: قائلًا: ((تأخذها منهم مرة أخرى ؟ لا نعلم عين)) (١). وهو يفرض مصالحته مغلد بن يزيد علي بعض الاموال (٢). والملاحظ أن السبب لا يقتضي الذي أخذ يزيد به، يتكفي على مبدأ إسلامي، انطلق منه عمر. وهذا المبدأ يطلب من الحاكم ألا يبذر أموال الدولة لصالحه (٣). ولعل هذا يبين سبب تصلب عمر في قضيتهم. ففي رسالته التي بعثها الى يزيد يذكر: ((وليس الذي ولا ني الله من ذلك بهين علي، ولو كانت رغبتني في اتخاذ الأزواج، واعتقاد الاموال، كنت قد بلغت من ذلك أفضل ما بلغه أحد)) (٤).

ولي عمر عددي بن أرتاة الفزاري البصرة. وطلب منه ارسال يزيد اليه، فأرسله (٥) وأودعه سجن حصن حلب (٦)، وأراد نفيه الى ديهلك لولا خشيته من تمرد الازد، قبيلة ابن المهلب (٧). وظل يزيد رهين محبسه، حتى مرض عمر مرض الوفاة، ففر من السجن، خشية بطش يزيد بن عبد الملك به (٨).

قلنا: ان المهادنة كانوا يدورون في فلك الأمويين، وأنهم لم يفكروا بالتمرد على سلطتهم. حتى عندما صب الحجاج جام غضبه عليهم، وعذبهم تعذيباً شديداً. وعندما سجن عمر بن عبد العزيز عميدهم يزيد بن المهلب لم يفكروا في التمرد ايضاً. أنقول: أنهم في المرة الأولى انظروا خلافة سليمان، وفي المرة الثانية اطمأنوا الى عدل عمر؟

- ١ — تاريخ اليعقوبي: ٣٠٢/٢.
- ٢ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠١، الطبري: ٣٥٠/٩ — ٣٥١، ابن الاثير: ٤٩/٥.
- ٣ — لم ينطلق عمر بن عبد العزيز من منطلق شخصي ذاتي، في تصرفه مع المهادنة بدليل انه احتقر عددي بن ارتاة عندما طلب منه ان يسمح له بالزواج من زوجة يزيد بن المهلب. انظر: حماسة التبريزي: ٣٧١/١.
- ٤ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٠، الطبقات الكبير: ٢٨٠/٥، الطبري: ٩/١٣٦٣، ابن الاثير: ٦٠/٥.
- ٥ — المصارف: ٣٦٢ — ٣٦٣، ٤٠٠، تاريخ خليفة: ٣٢٦/١، تاريخ اليعقوبي: ٣٠١/٢ — ٣٠٢، الطبري: ١٣٤٦/٩.
- ٦ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٢، وفيات الاعيان: ٣٠١/٦، هبة الايام: ٢٦٣.
- ٧ — الطبري: ٩/١٣٥١ — ١٣٥٢، وفيات الاعيان: ٢٩٦/٦ — ٣٠٠، ابن الاثير: ٤٩/٥ — ٥٠.
- ٨ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٢، تاريخ اليعقوبي: ٣٠٨/٢، الطبري: ٩/١٣٥٩ — ١٣٦٠، وفيات الاعيان: ٣٠١ — ٣٠٠/٦، ابن الاثير: ٥٧/٥، شذرات الذهب: ١/١٢٤، هبة الايام: ٢٦٤ — ٢٦٥.

لعمل هذا ما تكشفه رسالة يزيد — أثناء هروبه — الى عمر . يقول : ((. . . ولو وثقت بحياتك ، ولم أخف وفاتك ، لم أخرج من محبسك ، ولكني لم آمن أن تهلك ويلي يزيد فيقتلني شر قتله)) (١) . فالمهالبة حتى آخر خدعة عمر راضون عن عاقبتهم بالأموال غير مطمئنين الى الخلاف ، بل يذهب الظن ببعض المهالبة الى ضرورة الاستجابة بمسألة بن عبد الملك في النافورة من يزيد بن عبد الملك ، على يفعل ما فعله سليمان (٢) . ولكنهم عند ما شعروا أن نهايتهم اقتربت بخلافة يزيد بن عبد الملك ، هربوا من السجن (٣) .

والسؤال الآن : ما سر هذا الفرع من يزيد بن عبد الملك ؟ تجمع جمهرة المصنفين على أن يزيد بن عبد الملك قد غيظ من يزيد بن المهلب ، بسبب تعذيبه أصحابه آل أبي عقيل ، ردًا على ما فعله الحجاج بالمهالبة . ان بحث يزيد بن المهلب ((الى البلقاء ، من عمل دمشق ، وبها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله . فنقلهم وما معهم اليه ، وكان فيمن أتى به أم الحجاج ، بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عقيل . وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف ، وكانت امرأة يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأم الوليد ابن يزيد بن عبد الملك المقتول ، فكان عبد الملك (٤) يمد بها بأمر أخيه يزيد بن المهلب في منزله . فكلّمه فيها ، فأبى أن يشفعه فيها . فقال : الذي وقفتم عليها علي ، فأبى قبول ذلك . فقال يزيد : أما والله ، لأن وليت من الأمر شيئاً لا قطع منك ما بقى ، فقال يزيد بن المهلب : وأنا والله ، فلتن كان ذلك الأمر لأمرئك بمئة ألف عنان . وقال قوم لم يفعل ذلك بأمر الحجاج بنت محمد ، وإنما فعله باختها)) (٥) . فسبب العدا يرجع الى استصفاة ابن المهلب أموال آل أبي عقيل وتعذيبهم وبخاصة زوجة يزيد بن عبد الملك أو اختها على أبعد تقدير . وعدم احترامه يزيد بن عبد الملك وقبول شفاعته (٦) .

- ١ — مخطوط انساب الاشراف : ٢٠٢ ، الطبري : ١٣٦/٩ ، وفيات الاعيان : ٣٠١/٦ ، ابن الاثير : ٥٨/٥ .
- ٢ — مخطوط انساب الاشراف : ٢٠٢ .
- ٣ — الطبري : ١٣٦٠/٩ ، ابن الاثير : ٥٨/٥ ، هبة الايام : ٢٦٤-٢٦٥ .
- ٤ — هو عبد الملك بن المهلب .
- ٥ — مخطوط انساب الاشراف : ١٦٩ ، وانظر : الطبري : ١٣٥٩/٩ — ١٣٦٠ ، الاغانى : ١/٧ ، وفيات الاعيان : ٣٠٠/٦ — ٣٠١ ، ابن الاثير : ٥٧/٥ .
- ٦ — هناك رواية يذكرها ابن الاثير : ٨٦/٥ — ٨٧ . يذكر : أن يزيد بن المهلب خرج متضمخًا بالغالية ، فتمنى يزيد بن المهلب أن مثال الغالية بألف درهم . فرد عليه ابن المهلب متمنيا : أن يكون في جهة أسد . فحصلت بينهما مشادة .

فر المهالبة من السجن، مملنين تمرد هم (١. ٥). وأموا البصرة التي نجحوا في اقتحامها بعد معارك خفيفة متفرقة على مشارفها وداخلها. وأسروا عدي بن أرطاة الفزاري، والي البصرة وبصر: قاده (١). وحين دخل يزيد بن المهلب البصرة، فكر فسي أخذ أمان من يزيد بن عبد الملك، وأرسل وفدا إلى الشام في سبيل ذلك، وقد عكس الوفد فعلا، يحمل الامام، ولكن بعد أن زلت القدم (٢). وبايع الناس على كتاب الله وسنة نبيه، وعلى ألا تطأ الجنود أرضهم، والأتعاد سيرة الحجاج فيهم (٣). إلا أن البلاذري يذكر أن يزيد بن المهلب قد دعا للرضي من بني هاشم (٤). وسقى الفضل بن عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطالب بن هاشم. ((وبايعه، فتواري)) (٥). ويبدو أن هذا هو الأرجح، إذا علمنا أن يزيد بن المهلب سؤد الرايات (٦). وإذا علمنا أن الصراع القبلي لا يسمح بقيام خلافة أو سلطة من طرف قبلي واحد في ظل تركيبة السكان في مصر. وهو ان وافق موقتا تحت تأثير الشعارات المطروحة، فإنه لن يوافق إلى الابد، ولعل يزيد ناوّر بمبايعة هاشميا، قاصدا ضرب قريش ببعضهم.

وزع يزيد بن المهلب ولائه على الأمصار التي خضعت له (٧). وشدد قبضته على البصرة، فأخضعها لنفوذه، ولكنه لم يستطع إسكات عدة أصوات، أبدى أصحابها آراءهم في ثورة يزيد. منهم: الحسن البصري الذي وقف ضد ثورة المهالبة بشبكات (٨). وقتاده بن دعامة السدوسي الذي نفاه يزيد بن المهلب إلى الأندلس.

- ١ — المعارف: ٣٦٤، مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٣-٢١٠، تاريخ اليعقوبي: ٣١٠/٢، تاريخ خليفة: ٣٢٨/١، التنبيه والاشراف: ٣٢٠-٣٢١، الطبري: ١٣٧٩/٩-١٣٨٠، ابن الاثير: ٧١/٥-٧٢.
- ٢ — مخطوط انساب الاشراف: ٣٠٤، ٢١١، الطبري: ١٣٨٧/٩-١٣٨٨، ابن الاثير: ٧٣/٥.
- ٣ — البداء والتاريخ: ٤٧/٦، الطبري: ١٣٩٨/٩، وفیات الاعيان: ٣٠٤/٦، البداية والنهاية: ٢٢٠/٩.
- ٤ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٩.
- ٥ — المصدر نفسه: ٢١١.
- ٦ — شذرات الذهب: ١٢٤/١، المعبر في خبر من غير: ١٢٤/١، دول الاسلام: ٤٩/١.
- ٧ — مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٩، الطبري: ١٣٨٩/٩-١٣٩٠، ابن الاثير: ٧٥/٥.
- ٨ — مخطوط انساب الاشراف: ٢١٠، ٢١٣، الطبقات الكبير: ١١٦/٧، الطبري: ١٣٩١-١٣٩٣، ١٤٠٠-١٤٠١، وفیات الاعيان: ٣٠٤/٦، مثالب الوزراء: ٣٠، البداية والنهاية: ٢٢٠/٩-٢٢١، ابن الاثير: ٨٠/٥-٨١، محاضرات الادباء: ٣٢، دول الاسلام: ٤٩/١.

ومحمد بن سيرين (١) وهذا الموقف من هؤلاء الفقهاء يدل على أن الفقهاء كانوا موافقين للناس . وكانوا يشعرون بأن أمانة في أعناقهم ، أن لم يبلغوها للناس حوسبوا عند رب العباد . وقد نالوا لامة الناس (٢) .

وبه الأمويون (٢٠٢ هـ) جيشا كبيرا بقيادة مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد بن عبد الملك لا خضاع تمرد يزيد بن المهلب (٣) . استشهد يزيد بن المهلب لذلك واستخلف ابنه معاوية على واسطه ، وخلف عنه الأموال والأسرى ، واتجه نحو الحجاز ، حيث عسكر . تصاف المسكران في الحقر ، وعرضت على يزيد بن المهلب عدة مناهل (٤) ، ولكنه رفضها مقترحا تبليط عسكر مسلمة ، فرفض ذلك كثير من اتباعه (٥) . وهذا يدل على أن سيطرة يزيد على جيشه لم تكن تامة .

تراجع المسكران ، وبدأ القتال . وفي غضون ذلك أحرق الأمويون المسكر ، الذي نصبه عسكر يزيد ، وعند ما رأى المسكر ذلك انهزموا . فاستفسر يزيد عن سبب ذلك ، فأخبر ، فقال : ((نحن نسوا الكتيبة والعسكر ، كأنهم غنم شد في ناحية ذيب)) (٦) . أو قال : ((قبحهم الله ، بقى دغن عليه غبار)) (٧) . وهكذا نرى أن حبيب بن المهلب أصاب كبد الحقيقة حين قال لأخيه يزيد : ((لا تخدعن فان أهل مترك غير مقاتلين معك)) (٨) . حين رأى يزيد تصرف عسكره ، وظن نفسه على الموت ، وأصر على الدمود .

- ١ - معاديل انساب الاشراف : ٢١٠ .
- ٢ - معاديل الادباء : ٣٢ . يرى عليها وزن : أن السبب في عدم تصرف يزيد بدفع مع الحسن البصري أن اتباع الحسن لم يكونوا ((من ذوي النباهة)) . انظر : تاريخ الدولة العبرية : ٣٠٦ .
- ٣ - معاديل انساب الاشراف : ٢١٢ ، تاريخ خليفة : ١ / ٣٣٢ ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣١٠ ، جذرات المذهب : ١ / ١٢٢ ، تاريخ الخلفاء : ٢٢١ .
- ٤ - عثر عليه حبيب بن المهلب التوجه الى فارس والتحنن بها . كما عثر عليه التوجه الى الموصل . واستنقار من بها من قومه ، عثر . انظر : معاديل انساب الاشراف : ٢١٣ ، الطبري : ١ / ١٣١٣ - ١٣١٤ ، ابن الاثير : ٥ / ٧٦ - ٧٧ . ورأى حبيب بن المهلب أن الرأي كان اقتحام الكوفة . انظر : الطبري : ١ / ١٣١٣ ، ابن الاثير : ٥ / ٧٦ - ٧٧ .
- ٥ - معاديل انساب الاشراف : ٢١٤ ، الطبري : ١ / ١٣١٦ - ١٤٠٠ ، ابن الاثير : ٥ / ٨٠ .
- ٦ - معاديل انساب الاشراف : ٢١٥ .
- ٧ - الطبري : ١ / ١٤٠٣ ، رفيات الاعيان : ٦ / ٣٠٥ ، شرح نهج البلاغة : ٣ / ٢٥٢ ، البداية والنهاية : ٤ / ٢٢١ ، ابن الاثير : ٥ / ٧٦ - ٧٧ .
- ٨ - معاديل انساب الاشراف : ٢١٣ ، انظر خلب يزيد بن المهلب يوم الحقر : البيان والتبيين : ١ / ٢١٢ - ٢١٣ ، ٤١٠ ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣١٠ - ٣١١ ، العقد الفرید : ٤ / ١٢٧ ، ابن الاثير : ٥ / ٧٤ .

يقول : ((والله لو جاء بأهل الأرض جميعا ، وليس الا أنا ، ما برحت العرقمة حتى تكون لي أولهم)) (١) . وقد ثبت يزيد في نفر قليل حتى قتل .

تشقت معسكر المهالبة عقب مقتل يزيد بن المهلب ، وانسحب الفضل بن المهلب بمن معه من الجند الى واسط . وفي غمرة انفعال المهالبة وتأثرهم الناجم عن هزيمتهم وفقدانهم بعض اقرباب الاسرة . قتل معاوية بن يزيد بن المهلب الاسرى ، الذين كانوا عنده في واسط (٢) . غير أنه ضمن بركيع بن زياد ، بن الربيع ، بن أنس ، بن الريان ، لأنه ((. . . شيخ من قومي ، له شرف ومعروف وبیت عظيم ، ولست اتهمه في ود ، ولا أخاف بغيه)) (٣) . وهذا يبين أن المهالبة لم ينسوا العصبية لقبيلتهم حتى في أحلك الظروف .

أثر هزيمة المهالبة في الحقر ، وتجمعهم بواسط ، توجهوا الى كركمان حيث قاتلهم مذكور بن كسب الكلبي ، وأصاب مقتلة عظيمة منهم (٤) . اتجهت فلول المهالبة الساسية قنذا بيل ، من أرض السند ، آملين أن يعتصموا بها ، حتى يأخذوا لأنفسهم أمانا لكن واليها ونجاح بن حكيم الأزدى غدر بهم ، ونكث بوعده ليزيد (٥) ، عيين ولأه أياها (٦) . وجّه مسلمة بن عبد الملك هلال بن حمز المازني في طلبهم ، فقتلهم ، فظهر ثورتهم .

- ١ - تاريخ خليفة : ٣٢٢/١ ، التنبيه والاشراف : ٣٢٠-٣٢١ ، الطبري : ١٤٠٥/٩ - ١٤٠٦ ، شن نهج البلاغة : ٢٥٣/٣ ، وفيات الاعيان : ٣٠٥/٦ - ٣٠٦ ، ابن الاثير : ٨٣/٥ ، لسان العرب : ١١/٤ ، مادة عقر . هناك رواية في مصنفهم الادباء : ١٦٥/١ - ١٦٦ تبين أن يزيد بن المهلب وجد ميتا بلا الحنسة ولا ضربة ، بل انسدت أذناه ومنخرأه ، وامتلائمه بخبار المسكر غمات ، فلا يعرف قباه قتل فبار .
- ٢ - مخطوط انساب الاشراف : ٢١٦ ، تاريخ خليفة : ٣٣٢-٣٣٣ ، تاريخ - اليحقرقي : ٣١١/٢ ، الطبري : ١٤٠٧/١ ، وفيات الاعيان : ٣٠٦/٦ - ٣٠٧ ، البداية والنهاية : ٢٢١/١ ، ابن الاثير : ٨٤/٥ - ٨٥ ، الحبر في غير من غير : ١٢٤/١ - ١٢٥ .
- ٣ - الطبري : ١٤٠١/١ .
- ٤ - مخطوط انساب الاشراف : ٢٢١ ، الطبري : ١٤١٠/١ - ١٤١١ ، البداية والنهاية : ٢٢١/١ ، ابن الاثير : ٨٥/٥ - ٨٦ .
- ٥ - كان فادسه اذا هزم المهالبة ، أن يفتح لهم باب المدينة ، ويساعدهم ، حتى يأخذوا لأنفسهم أمانا .
- ٦ - مخطوط انساب الاشراف : ٢٠١ ، الاشتقاق : ٥٠٨ ، الطبري : ١٤١٠/٩ ، ابن الاثير : ٨٥/٥ .

وهزمهم هزيمة نكراء، واغنى ربهم (١).

لم تشف هذه الإبادة الجماعية غليل الأميين، وراحوا ينفسون عن حقد ثم يماينا في الدين الذي يهجم على كظم الغيظ. ربما يناغي الذوق والعرف الانسانيين فقد صلب مسلة جثة يزيد بن المهلب ((بجسر بابل. وعلق معه خنزيرا وسمكة وزق (خمر)) (٢). وبقيت ذراري المهالبة. ولم تجد نفعا استرحامات رجاء بن حيوة، وخالد القسري وشريك بن أبي ربيعة وغيرهم نفعا (٣).

أورد أتباع المهالبة والمتعاطفون معهم. فقد عزل بشام بن عبد الملك عام ١١٦ هـ الجعيد بن عبد الرحمن المكي عن ولاية خراسان، والمحب من واليه الجديد ان يقتله، لانه تولى التاخلة بنت يزيد بن المهلب (٤).

يتبين لنا مما سبق، ما لاقاه المهالبة من غمت، لم تسلم منه النساء ولم يسلم منه الا اقل، لم تسلم منه اليمن بشكل عام (٥).

ومكذا تغبو نار هذه الأسرة العريقة في العصر الأموي. ولم تعد مشاركة في الأحداث منذ وقعة الممر (١٠٢ هـ) وحتى سنة (١٢٦) هـ، حيث يشارك سليمان بن عبيد بن المهلب في ثورة شيكان الحروري (٦). وفي سنة ١٣٢ هـ سود سفيان بن معاوية ابن يزيد بن المهلب الرايات لصالح العباسيين (٧).

- ١ - منذ وطأ انساب الاشراف : ٢٢١، مرقى الذئب : ٣/ ٢٠٠-٢٠١، التنبيه والاشراف : ٣٢٢، تاريخ خليفة : ١/ ٣٣٤، تاريخ البعقري : ٢/ ٣١١، غنى البلدان : ٤٤٦، السند الفريد : ٤/ ٤٤٢-٤٤٣، الفهرى : ١/ ١٤١٢-١٤١٤، ابن الاثير : ٥/ ٨٦.
- لم يبق من المهالبة كما تذكر الروايات الا أبو عيينة، وعمر بن يزيد بن المهلب، وشمان بن المغفل. انظر : مخطوط انساب الاشراف : ٢٢٣، شمس نهج البلافة : ٣/ ٢٥٤، ابن الاثير : ٥/ ٨٦-٨٧.
- ٢ - المحبر : ٤٨٢، مخطوط انساب الاشراف : ٢٢٠، نزعة المجلس : ١/ ٣١١.
- ٣ - مخطوط انساب الاشراف : ٢٢٧، البيان والتبيين : ١/ ٢١٠، ٢/ ١٠٧، الدبر : ١/ ١٤٠، السند الفريد : ٢/ ١٨٨، سراج الملوك : ٧٦.
- ٤ - ابن الاثير : ٥/ ١٨٢.
- ٥ - ان سعيد بن عبد العزيز بن المارث المعروف بخد ينسمة، عذب بعض البيانية، واتي على حياة جدهم بن زهر الجعفي مدعى انهم اختنوا أموال الدولة أيام المهالبة. انظر : نقاشي جبريل والفردق : ١/ ٣٦٣، الطبري : ١/ ١٢١٧.
- البداية والنهاية : ١/ ٢٢٢، ابن الاثير : ٥/ ١٠-١١.
- ٦ - تاريخ خليفة : ٢/ ٤٠٨-٤٠٩، ابن الاثير : ٥/ ٣٥٤.
- ٧ - تاريخ خليفة : ٢/ ٤٢٦-٤٢٧، جمهرة انساب العرب : ٣٦١.

الفصل الثاني

اتجاهات الشعر في المهالبة

- ١ - اتجاه اعلامي
في تصوير عطاياهم ، واظهار محاسنهم ، والدفاع عنهم ، وتسجيل
مثالبهم ومعاردتهم والتنكر لهم .
- ٢ - اتجاه حربي
في الممارك الحربية التي شاركوا فيها .
- ٣ - اتجاه سياسي
في العلاقة بين المهالبة وكبار الولاة والقادة .
- ٤ - اتجاه اجتماعي
في الصبغة القبلية .

١ - الاتجاه الاعلامي في شعر المهالبة

في تصوير عطاياهم، واظهار محاسنهم، والدفاع عنهم، وتسجيل
مثالبهم، ومعاردتهم، والتنكر لهم.

اتصل بالمهالبة عدد كبير من شعراء العصر الأموي، بدءاً بالفحول كجبرير والفرزدق، وانتهاءً بالشعراء المقلين. وهو هؤلاء الشعراء كانت تتوزعهم الكتل القبلية جميعاً. فالفرزدق مثلاً تميمي، والقطامي تغلبي، وكعب الأشقرى ازدى، وضار بن تَوْسعة ريمي، وغير هؤلاء. ويلاحظ أن أقوال الشعراء فيهم تتراوح بين مجموعة أبيات، ومجموعة قصائد أحياناً. وهي تتناسب في كثرتها أو قلتها مع درجة اتصال الشاعر بهم، وحملته لقضاياهم.

ويلاحظ أيضاً أن الشعراء اتصلوا بهم لأسباب كثيرة، ففالبيتهم اتصلوا بهم طمعاً في المنايا، وأمثالاً في الثراء، ومنهم من اتصل بهم تحزباً لقييلته، ومنهم من اتصل بهم نصرة لهم (للمهالبة). وعلى ذلك فقد تفاوتت درجات الاخلاص للمهالبة وبخاصة بعد نكبتهم. إذ أننا وجدنا بعض الشعراء يجرد لسانه لينال منهم، ويثلبهم أشد الثلب، في حين أن بعضهم وقف مدافعاً عنهم، باكياً عليهم، راشياً لهم. ووجدنا بعضهم الآخر يقف محايداً. ومن هنا نجد في شعرهم عدداً كبيراً من الأبيات التي لا تنسب لشاعر، وأصحابها مجهولون، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن صاحب البيت أو البيتين أو المقطوعة، لم يجروا على نسبتها إلى نفسه خوفاً من عقاب السلطة التسي طاردت المهالبة، ولاحقت انصارهم. ولكن الملاحظ بالنسبة لقضية الاخلاص إلى مدوح، لم نجد في هذا العصر شاعراً أخلص لجماعته دأماً، وحتى خلفاء بني أمية نجس الشعراء لا يقفون موقفاً ثابتاً محدداً منهم.

وقد اتصل بالمهالبة عدد من الشعراء، أصحاب المذاهب الفكرية، كالكميث شاعر الشيعة، والبرمّاح، الذي وإلى الخوارج، وابن قيس الرقيات الذي وإلى الزبيريين. وقد توزع الشعراء الذين اتصلوا بالمهالبة على رقعة مكانية كبيرة، تمتد على طول البلاد الإسلامية وعرضها، وإن تركّزوا في خراسان والمراق.

قدر المهالبة الشعراء، وعرفوا قيمة شعرهم، وتبينوا تأثيره في الأحداث، ودوره في رفع الممدوح، وخفض قيمة المذموم، واستشعروا قيمته الاعلامية، وأهميته في الترويج للحاكم. ويبدو أن المهالبة كانوا يشقون الشعر وأيام العرب، فالمهلب يتعرف على نسب واحد من جنده، من شعر كان ينشده هذا الجندى (١)، وكان المهالبة يتمثلون

١ - يروى المبرد: أن المهلب سمع رجلاً ينشد :-

جزائي برائي ذو الخمار وصنعني
أخادعهم عنه ليفيق دونهم

كأنني وأبدان السلاح عشيبة
يُمر بنا في بطن قحان طائفة

« فدعاه المهلب : فقال : أتممي أنت ؟ قال : نعم . قال : أحتظلي ؟ قال : نعم .

قال : أيربوعي ؟ قال : نعم . قال : أثلبي ؟ قال : نعم . قال : أمن آل نؤيرة ؟

قال : نعم . أنا من ولد مالك بن نؤيرة وسبحان الله يا أمير أيكون مثلي في عسكرك

ولا تصرفه ؟ قال : عرفت بالشعر . انظر : الكامل : ٤٠٠ / ٣ .

بالشعر عند الحاجة (١)، وينظمونه أحيانا (٢). ومن أشهر من نظم الشعر من المهالبة
المفضل بن المهلب. يقول عقب مقتل اخوته يوم العقر (٣) : —

ارِ الشَّمْسَ يَنْفِي الهمَّ عَنِّي طَلُوعُهَا وَيَأْوِي إِلَيَّ الهمُّ حِينَ تَغِيْبُ
هَلْ الْمَوْتُ إِنْ جَدْنَا بِسَفَاكِ دَمَانَا مَطَّهَرْنَا مِنْ عَثْرَةٍ وَذَنْبَانَا
وَمَا هِيَ إِلَّا وَسَنَةٌ تُورِثُ السَّنَا لَمَعْبُكَ مَا حَنَّتْ رَوَائِمُ نَيْبَانَا
وَمَا خَيْرٌ عَيْشٍ بَعْدَ فَقْدِ مُحَمَّدٍ وَفَقْدِ يَزِيدٍ وَالْحَرُونَ حَبِيبَانَا
وَالنَّاسُ الذِي يَشْقِفُ الشَّعْرَ، وَيَنْظُمُهُ، وَيَتَمَثَّلُ بِهِ، يَكُونُ أَقْدَرُ عَلَى تَشْوِيقِ
الشعر (٤)، وتمثله من غيره .

تجسّد تقدير المهالبة للشعراء من خلال ممارسات المهالبة، وخاطروا أحيانا
بمركزهم وسدّاتهم في سبيل حماية شاعر، زواج بهن مدحهم وهجاء غيرهم. فقد رفض
المهلب أن يشكك كعبا الأشقرى إلى الحجاج حين قال كعب بحضرة رسول الحجاج (٥) : —

إِنْ ابْنَ يَوْسَفَ غَرُّهُ مِنْ غَزَوَكُمَّ خَفَضَ الْمَقَامَ بِجَانِبِ الْأَمْسَارِ
لَوْ شَاهَدَ الصَّغِينِ حِينَ تَلَاقِيَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ رَحِيَّةُ الْأَقْطَارِ
مِنْ أَرْضِ سَابُورِ الْجَنُوبِ وَخَيْلِنَا مِثْلُ الْقِدَاحِ بَرَيْتَهَا بِشَفَارِ
مَنْ كُلُّ خَنْدِيزٍ يُرَى يَلْبَانِيهِ وَقَعَ الطَّبَاقُ مَعَ الْقَنَا الْخَطَارِ
وَرَأَى مُعَاوَدَةَ الرَّيَاحِ غَنِيمَةً أَرْزَمَ كَانَ مُحَالِفًا الْاِقْتَارِ
فَدَعِ الْحُرُوبَ لِشَبَابِهَا وَعَلَيْكَ كُلُّ خَرِيدَةٍ مَعْطَارِ

وأطلع المهلب كعبا على مضمون طلب الحجاج، وأرسل كعبا إلى عبد الملك
(من تحت ليلته وكتب إليه يستوهبة منه) (٦).

وسار يزيد على نهج والده، وحمى العدلي بن الفرج، عندما هجا الحجاج
بقوله (٧) : —

لَنْ أَرْجَحَ الْحَجَّاجَ بِالْبَخْلِ بَابَهُ فَبَابِ الْفَتَى الْأَزْدِيِّ بِالْعُرْفِ يُفْتَحُ

- ١ — انظر : المقد الفريد : ١/٢٢، المحاسن والمساوي : ١٩٠، محاضرات الادباء :
- ٢ — الكامل : ٣١٠/١،
- ٣ — معجم الشعراء : ٢٩٧.
- ٤ — انظر : الحيوان : ١٥١/٧، سرح العميون : ٢٠٤، المقد الفريد : ١٩٠/٢،
- ٥ — الاغاني : ٨٧/١٣،
- ٦ — الاغاني : ٢٩١/١٤، سرح العميون : ١٧٠-١٧١.
- ٧ — الاغاني : ٢٩١/١٤، سرح العميون : ١٧١.
- ٨ — الاغاني : ٣٦٠/٢٢.

فتى لا ييالي الدهر ما قلّ ماله
يداه يدك بالمرفق تنهب ما حوت
إذا ما أتاه المرملون تيقنوا
أقام على الصافين حراس بابسه
هلموا إلى سيب الأمير وعرفيه
وليس كحلج من ثمود بكفسه
إذا جعلت أيدى المكارم تسفح
وأخرى على الأعداء تسطو وتجرح
بأن الغنى فيهم وشيكا سيسترح
ينادونهم والحر بالحر يفرح
فان عطاياهم على الناس تنفسح
من الجود والمروءة حرم مطوح

ولما فرغ المديّل من أبياته هذه، قال يزيد: ((عرضت بنا ، وخاطرت بدمك .
وتالله لا يصل إليك ، وأنت في حيزي)) . فأمر له بخمسين ألف درهم ، وأمر له بأفراس .
وقال له : الحق بعلياً نجد ، وأحذر أن تعلقك حبائل الحجاج ، أو تحتجك محاجنه ،
وابعث إلي في كل عام ، فلك عليّ مثل هذا ، فارتحل . وبلغ الحجاج خبره ، فأحفظه
ذلك على يزيد ، وبالب المديّل ففاته)) (١) .

خاضع المطلب ، ومن بعده ابنه يزيد بمركزهما ، وبملاقاتهما مع الوالي المسؤول عنهما
مباشرة ، وهو الحجاج ، الذي كان متنفذاً في خلافتي عبد الملك وابنه الوليد ، وقد كان
الحجاج من أقوى الشخصيات في الدولة آنذاك ، غير أن المهالبة عرفوا للحجاج ذلك ،
فالمطلب أشخص كعباً إلى عبد الملك . ويزيد أبعد المديّل إلى الصحراء . وهذا الموقف
منهما يكشف عن ثقل الحجاج وقوته . وعند ما ناقشت نوبة المهالبة قلت : ان عدم تنفيذ
أوامر الحجاج ، والاستهتار بها ، كان من العوامل التي جعلت الحجاج يسمى للإيقاع
بالمهالبة .

والإنسان لا يخاف بمثل هذه المفامرة الخطيرة إلا إذا وجد مبرراً لذلك . فهل
وجد المهالبة المبرر في كسب رضى الشعراء عنهم ، وأطرائهم لهم ؟ على أية حال يظن
هذا الموقف دالاً على تقدير المهالبة للشعراء ، ومعرفة مكانتهم . ولقد أكرم المطلب
المعذّل البكرى لقوله (٢) : -

جزى الله فتیان المتكبر وان نأت
متاعهم فوضى فضا في ديارهم
هم خلناوني بالنفوس وأكرموا الـ
كان دنانيراً على قسماهم
بي الدار عنهم خير ما كان جازما
ولا يحسنون الشرا لا ناديا
صحابة لما حم ما كان آتيا
إذا الموت للابطال كان تحاسيا

١ - الاغانى : ٢٢ / ٣٦٠ - ٣٦١ .

٢ - معجم الشعراء : ٣٠٤ .

وقال المهلب لقومه: ((يا معشر الأزد . هذا الذي يقول ، وأنشد هذه الأبيات فجمعوا له خمسين وصيفا ، وأعطاه المهلب مثلها)) (١) . وقد تقبل المهالبة نقسرات الشعراء لسياستهم بصد رحب ، وأحلوا بعضا من شعرائهم في مراكز مرموقة ، كما أنهم قربوا اليهم عددا كبيرا من الشعراء ، بحيث رافقوهم في حلهم وترحالهم . وكانوا كالمنداحين لهم (٢) .

وبلغ من اكرام المهالبة للشعراء ، انهم اعطوهم ، وهم في أمس الحاجة الى المال ، وذلك عند ما سجنوا . والمعروف انهم سجنوا في امارة الحجاج ، وخلافة عمر بن عبد العزيز بسبب المال . فقد طالباهم بمبالغ ضخمة من المال . دخل الفرزدق الى سجن المهالبة ، فقال (٣) : —

أبا خالٍ بادَتْ خراسانُ بعدكم وقال ذوو الحاجات : أين يزيـد ؟
فما قُطِرَتْ بالشرق بمدك قطرة ولا اخضر بالمروين بمدك عود
وما لسرور بعد عَزَّك بهجسة وما لجواد بمد جودك جـود

((فقال يزيد للحاجب : ادفع اليه المائة الف درهم (٤) ، التي جمعت لنا ، ودع الحجاج ولحمي ، يفعل فيه ما يشاء)) (٥) * .

-
- ١ — معجم الشعراء : ٣٠٤ .
 - ٢ — منهم : ثابت قُطَّانة ، كعب الاشقرى ، حمزة بن بيهن . انظر : الأغاني : ١٤٠ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ١٦٠ / ٢٠٢ ، الشعر والشعراء : ٤٠١ ، تهذيب تاريخ ابن عسائر : ٤٠ / ٤٤٠ ، معجم الادباء : ١٠ / ٢٨٠ ، ٢٨١ ، فوات الوفيات : ١٠ / ٢٩٠ .
 - ٣ — ديوان الفرزدق : ١٠ / ١٦٠
 - ٤ — كان المهالبة يشرون بها عذابهم يوميا .
 - ٥ — انظر : وفيات الاعيان : ٢٧٩ / ٦٠ — ٢٨٠ ، المستطرف : ١٠ / ١٦١ ، ثمرات الأوراق : ٢ / ٢٤٣ ، شرح المقامات الحربية : ٢ / ٣١٠ . هناك حوادث مماثلة ، حدثت في سجن المهالبة مع الشعراء . انظر حادثة مع الفرزدق ايضا : وفيات الاعيان : ١٠ / ٣٠٠ ، العقد الفريد : ١٠ / ٣٥٠ — ٣٥١ . وانظر حادثة مع حمزة بن بيهن : الأغاني : ١٦٠ / ٢٠٩ . وقد أعطاه يزيد فصاً باع به ثنتين . الفا . وانظر حادثة مع سعيد بن عمرو بن العامر : وفيات الاعيان : ١٠ / ٢٨٠ هبة الايام : ٢٦٣ — ٢٦٤ .
 - * — تنسب في وفيات الاعيان ، وشرح المقامات الحربية للأخطل ، وهذا غير صحيح لأن الابيات ثابتة في ديوان الفرزدق .

وهكذا نرى ان يزيد بن المهلب قد قبل العذاب، ولم يقبل اعادة الشعراء خائبين بالرغم من اعداء بعضهم له (١). وهذا الموقف يبين مدى تقدير المهالبة للشعراء، وتأصل الكرم فيهم، وأن الشعراء لم يفقدوا الأمل في المهالبة بالرغم من سجنهم. وقد يكون اعداء بعض الشعراء ليزيد بن المهلب ظاهرة وفساساً، وتقديراً من الشعراء لهم.

وقد تجسدت ظاهرة الوفاء هذه بشكل بين عند بعض الشعراء كثابت قطنة الأزدي الذي ظل يبيكيهم طوال حياته، غير عابي بما يكنه الخلفاء الأمويون من حقد شديد على المهالبة. كما ظهر الاخلاص المزوج بالشفقة - ولو آنيا - عند كثير، الذي قال عند احضار سبي المهالبة اثر هزيمتهم في قنّد ابيل (٢): -

حليم اذا ما نال عاقب مجملًا	أشدّ العقاب أو عفا لم يشرب
فصفوا أمير المؤمنين وحسبة	فما تحسب من عالج لك يكتب
أساووا فان تغفر فانك قادر	وأعظم حلم حسبة حلم مغضوب
نفتهم قريش عن أباطح مكة	وذو يمن بالمشرقي المشطوب

فكثير - كما نرى - يحاول استثارة عاطفة الشفقة والرحمة في يزيد بن عبد الملك، ولكن دعوته تلك ذهبت أدراج الرياح، ولم يستجب يزيد بن عبد الملك لها. غير أن هذا لا يعني ان كل من اتصل بالمهالبة من الشعراء قد وفى لهم (٣)، وقد

١ - انظر: العقد الفريد: ١/ ٣٥١، وفيات الاعيان: ٦/ ٢٨٠، المستطرف: ١٦١/ ١، ثمرات الاوراق: ٢/ ٢٤٣، هبة الایام: ٢٦٣.

٢ - انظر: تاريخ خليفة: ١/ ٣٣٤، ديوان الحماسة: ٢/ ٤٨٩، ابن الاثير: ٥/ ٨٧، شرح نهج البلاغة: ٣/ ٢٥٣-٢٥٤، وانظر: ديوان كثير: ٣٥١-٣٥٢. وانار علاقة كثير بالمهالبة في الأغاني: ٩/ ٢٢، مروج الذهب: ٣/ ٢٠٠.

٣ - ((أخبرني ابو خليفة، الفضل بن الحباب، عن محمد بن سلام عن أبي العرفاء عمن يشق به، قال: بعت يزيد بن عبد الملك - حين قتل يزيد بن المهلب - في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المهلب. منهم: الفرزدق، وكثير والأخويع. فقال الفرزدق: لقد امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحداً، واندليقبح بمثلي أن يكذب نفسه، على نبر السن، فليعفني أمير المؤمنين. قال: فأعفاه. وقال كثير: اني أكره أن اعرض نفسي لشعراء أهل العراق، ان هجوت بني المهلب. وأما الأخويع فإنه هجاهم)) انظر: طبقات فحول الشعراء: ٥٤٢، الأغاني: ٤/ ٢٥٥-٢٥٦.

ولا أدري كيف يتسق سياق هذه الرواية مع مهاجمة الفرزدق لهم.

هجاهم عدد من الشعراء الذين مدحهم أيام عزهم .

وقد رفض المهلب أن يتعرّس للشعراء، أو أن يؤذيههم، تجنباً لشريمهم، وكيفاً
تلكه ألسنتهم، فعند ما طالب منه بعض جنده أن يحكم أيهما أشعر جرير أم الفرزدق؟
رفض ذلك قائلاً: ((لا أقول فيهما شيئاً — وكره أن يعرض نفسه — ولكن ادلكما على من
يهون عليه سخطهما، عبدة بن هلال الميثري، وهو مولى بني قيس بن ثعلبة، وهو
يومئذ في عسكر قطرى. فأثياه، فوقفا حيال المسكر فدعوا، وخرج جرح راحه، وظن أنه
دعي للفران، فقال له: الفرزدق أشعر أم جرير؟ فقال: عليكما، وعليهما لعنة الله
قالا: نحب أن نخبرنا، ثم نصير إلى ما تريد. قال: من يقول: —

وطوى القياد مع الطراد بطونها طي التجار بحضرموت —
قالا: جرير. قال: هو أشعرهما)) (١)

وهذا يدل على ثقافة جند المهلب، الذين كانوا يحاربون الخوارج، وتعلقهم
بالشعر وروايتهم له. فهم يرفضون من عبدة بن هلال أن يقرأ لهم القرآن، ويطالبونه
انشاد الشعر قائلين: ((... أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ولكن تنشد نسا.
فيقول: يافسقة، قد والله علمت انكم تختارون الشعر على القرآن: ثم لا يزال ينشد هم
حتى يملوا، ويفترقوا)) (٢). ولعل هذا يلقي أضواء على طبيعة جيش المهلب،
فقد كان جنوده من القبائل العربية التي شاركت في حركة الفتح، والعربي بطبيعته
يحب الشعر، ويتعلق به ((وكأنه من غريزة خاصتهم وعامتهم)) (٣).

كان مجلس المهلب أشبه بمنتدى أدبي (٤)، يتقارب فيه الشعراء الشعراء،
ويتناشدونه وينالون المطايا مقابل ذلك، وكانوا يتنافسون في اجادة النظم، ويتحاسدون
لتفاوت المأايا. وربما تعمّد المهلب أن يفاوت بينهم في المأايا، اعتماداً على جودة
شعرهم وعلى اشياء أخرى (٥).

أكرم المهلب الشعراء، وكان يفضّل عند ما يتعرّس أحد أفراد أسرته لشاعر
بسر، وقد يشتمه، ويغلط له. فعند ما أساء المفضل بن المهلب إلى المغيرة بن
كعبنا، وبلغ ذلك المهلب. تناول المفضل بلسانه ((وشتمه، وقال: أردت أن يتمخض

- ١ — طبقات فحول الشعراء: ٣٢٢-٣٢٣. وانظر: الاغاني: ١٤٩/٦، ١٧/٨.
- ٢ — شرح نهج البلاغة: ٤٣-٤٢/٨، شرح نهج البلاغة: ١٧٠/٤.
- ٣ — تاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، كارل نلينو: ٢١٩،
وانظر: شعر الحرب في ادب العرب: ١٠١، تاريخ النقائش في الشعر العربي:
ص ٢٠٦. شعر البصرة في العصر الاموي: ٩٢، ٣٠٥.
- ٤ — البيان والتبيين: ١٦٨/٢، الاغاني: ٣٧/١٢، ٩١/١٣، ٨٩/١٣-٩٠.
- ٥ — أعدى زيادا الأعجم أكثر من المغيرة بن كعبنا وكعب الاشقرى. وعند ما سئل عن
سبب ذلك، قال: ((ولكن زيادا يكرم لسنة وشعره و موضعة من قومه)). الاغاني:
٩٠/١٣.

هذا اعراضنا ! ما حطك على أن اسمعته ماكره، بعد مواكلك اياه (١) ؟ أما ان كنت
تمافه، فاجتنبه، أو لا تؤذه، ثم بمشاليه بمشرة الاف درهم، واستصفحه عن المفضل،
واعتذر اليه، فقبل رفته وعذره (٢). وسارع المهلب الى ترضي زياد الأعجم حين
قتل حبيب بن المهلب حمامة أجارها زياد (٣)، وكان المهلب حريصا على أن يخطي

١ - يذكر ان المفضل بن المهلب تعرض للمغيرة بن حينا على مائدة الأول. قال
المفضل :-

فلم أر مثل الحنظلي ولونه
رفع المغيرة يده، وقام مفضيا، ثم قال له :-
اني امرؤ حنظلي حصن تنسني
لام العتيك ولا أخوالي الموق
الاغاني : ١٣ / ٩١ .

٢ - الاغاني : ١٣ / ٩١ .

٣ - ينقل ابو الفرج : أنه بينما كان زياد جالسا مع حبيب بن المهلب ((في دار له،
وفيها حمامة، إذ سجت الحمامة، فقال زياد :-

تقني أنت في زمي وعهدي
وبيك فاصلحيه ولا تخافني
فأنت كلما غنيت صوتي
فأما يقتلوك طالبت أرا
وزمة والدي ان لم تطاري
على صفر مزقة صفار
ذكرت أحبتي وذكر داري
له نبالك في جوار

فقال حبيب : يا غلام، مات القوس. فقال له زياد : وما تصنع بها ؟ قال : أرضي
جارتك هذه. قال : والله لئن رميتها لاستعملك الامير. فأتي بالقوس،
فنزعه لها سهما، فقتلها، فوثب زياد، فدخل على المهلب، فحدثه الحديث، وأنشده
الشعر، فقال المهلب : علي بأبي سظام. فأتي حبيب. فقال له : اعطأها أمامة
دية جارتك ألف دينار. فقال : أطال الله بقاء الامير، انما كنت المعب. قال :
اعطأه لما أمرك. فأنشأ زياد يقول :-

قلله عينا من رأى كفضيلة
رماها حبيب بن المهلب رمية
فألزمه عقل القتل ابن خرة
فقال : زياد لا يروع جاره
قضى لي بها قرم المزاق المهلب
فأثبتها بالسهم والسهم يغرب
وقال حبيب : انما كنت المعب
وجارة جاري مثل جلدى وأقرب

قال : فحمل حبيب اليه ألف دينار على كره منه ((. انظر : الاغاني : ١٥ / ٣٨٣ -
٣٨٤ . وقد علق على ذلك المكي في نزعة الجليس، وقال : ((ولم يعلم
أن أحدا من الكرام، ودى الحمامة دية الحر ألف دينار الا المهلب -
ابن صخرة (الزدي) . ١ / ٣٠٢ .

وهناك حادثة أخرى أساء فيها حبيب الى زياد . انظر : الاغاني : ١٥ / ٣٨٤ .

الشعراء ما يتألبون ، رغبة في تألفهم ، ورغبة من أن يتعرضوا له بمكره (١).

وكما كان المهلب يحرض على الأيَّس الشعراء ، حرص أيضا على ألا يتعرضوا لقبيلته . فقد أصلح بين كعب الأشقرى - ابن الأزد - وزياد الأعجم - مولى عبد القيس - حين استطاع الهجاء بينهما . وانحى باللائمة على كعب ابن قبيلته ، قائلا : ((أنت أسمعنا هذا ، وأطلقت لسانه فينا به ، وقد كنت غنيا عن هجاء عبد القيس وغيرهم مثل زياد ، فاكف عن ذكره ، أنت بدأته ، ثم دعا بزياد ، فمات به)) (٢).

وقد طارد المهالبة بعضا من الشعراء لانهم هجوههم . فعندما عزل يزيد ابن المهلب عن خراسان سنة (٨٤ هـ) و (٨٥ هـ) ، مدح كعب الأشقرى قتيبة بن مسلم ، وطلب المهالبة ، وهجاهم هجاء مرا ، ودارت الدائرة على قتيبة ، وعاد يزيد سنة (٩٦ هـ) الى خراسان ، ففر كعب الاشقرى الى عمان ، وأخذ يرسل اعتذاراته ، وتأسفه على ما بدر منه ، وندمه على ما سلف منه . يقول (٣) :

بئس التبدُّل من مروضاتها	أرض عمان وسكني تحت أطواد
يُضحى السحاب ما يرا دون منصفها	كأن أجبالها علت بغر صناد
يا لهف نفسي على أمر خطلت به	وما شفيت به عمري وأحقق ادى
أفنيت خمسين عاما في مدحك	ثم اغتررت بقول الظالم الصادى
أبلغ يزيد قرين الجود مأكلة	بأن كعبا أسير بين أصفاد

١ - ينقل أبو الفرج أن زيادا أقبل على المهلب ، فقال المهلب : ((اللهم ، اني أعوذ بك من شره ، فجاء ، فقال : أصلح الله الأمير ، اني قد مدحتك ببيت صفده مئة ألف درهم ، فسكت المهلب ، فأعاد القول . فقال له : انشده ، فأنشده .

فتى زاده السلطان في الخير رغبة اذا غير السلطان كل خليل
فقال له المهلب : يا ، ابا أمأه ، مئة ألف ؟ فوالله ما هي عندنا ، ولكن ثلاثون الفا
ففيها عروى ، وأمر له بها ، فاذا هو زياد الاعجم)) . الاغاني : ٣٩١ / ١٥ ،
الفرائد الفوالي : ١٧٨ / ٣ .

٢ - انظر : الاغاني : ٢٨٨ / ١٤ . كان زياد الاعجم سليطا ، تجنبه الفرزدق . انظر :
السمة : ٦٤ / ١ ، الفرائد الفوالي : ١٧٧ / ٣ - ١٧٨ .

٣ - الاغاني : ٢٩٢ / ١٤ .

فان عفوت فبيت الجود بيتكم
والدهر طوران من غي وارشار
وان مننت بصفح او سمحت به
نزعت نحوك الطنابي واوتار

ولم ينفع هذا التوسل كعبا ، ولم تجد اعتذاراته ، وظل المهالبة يطاردونه حتى
دسوا من قتله (١).

ولعل الشعراء عرفوا هذا منهم ، وسارعوا الى نفي الشائعات او الاقاويل
التي تدور حولهم ، وتمس علاقاتهم مع المهالبة ، فعند ما اتهم أبو جلدة انه هجا
يزيد بن المهلب (٢) ، سارع ابو جلدة الى نفي ذلك .

يقول (٣) :

أبا خالد ركني ومن أنا عبده
لقد غالني الأعداء عمدا لتفضيها
فان كنت قلت ألق أذاك به العدا
فشلت يدي اليمنى وأعيت أعضاها
ولا زلت محمولا علي بلمسة
وأسيئت شلوا للسباع مثرها
فلا تسمعن قول العدا وتبينن
أبا خالد عذرا وان كنت مفضيها

يتنصل الشاعر من الأبيات التي نسبت اليه ، ويطلب من ابن المهلب ان يقبل
عذره وهذا يبين ان المهالبة ، لم يذنبوا يتساهلون او يتهاونون مع من يعرض بهم ،
او يهجوهم . ولذا خافهم من تمرين لهم من الشعراء (٤) . وعند ما كان الشاعر لا يقع

١ - الاغاني : ٢٩٨ ، ٢٩٢ / ١٤ - ٢٩٩ .

٢ - الابيات التي قيل ان ابا جلدة نظمها : الاغاني : ٣٢٨ / ١١ .

٣ - الاغاني : ٣٢٦ / ١١ .
اذا اعتكرت ظلما ليل ونومت
عيون رجال واستلذوا المضاجعا
سما نجو جدار البيت يستام عرسه
يزيد دنيئا للمعانة قابمها
اذا أمكنته جارة البيت أو ركت
اليه أتاها بعد ذلك طامعا

٤ - انظر مثلا موقف الفرزدق من يزيد بن المهلب حين دعاه الى جرجان . يقول : -

دعاني الى جرجان والرى دونه
أبو خالد اتني اذن لسروور
لا تني من آل المهلب ناعرا
ياعرضها والدائرات تدور
سأبي وتأبى لي تميم ورثما
أبيت فلم يقدر علي أميسر
كأني ورخلي والمنافي ترتمي
بنا بجنوب الشيطان حيسر

ديوان الفرزدق : ٢٤٣ / ١ .

تحت طائلة المهالبة كانوا يوعزون الى شعرائهم بالرد عليه ، فقد طلب المهلب من ثابت قطنة ، الشاعر الازدي المتعصب ، الرد على احد بني الكوا ، اليشكريين ، الذي هجا الازد والمهالبة . فقال ثابت (١) : —

كلُّ القبائل من بكر نعدُّهم	واليشكريون منهم ألام العرب
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدت	بيشكر أمه المعرورة النسب
تحاكم عن حياض المجد والدكُم	فما لكم في بني البسرساء من نسب
أنتم تحلون من بكر إذا نسبوا	مثل القراء حوالى عكوة الذنب
نبئت أن بني الكوا قد نبهوا	فقل الكلاب تتلى الليث في الأشب
يكوى الأبيجر عبد الله شيخكم	ونحن نبرى الذى يكوى من الكلب

وهذا يبين لنا أن المهالبة استخدما الشعر سلاحا اعلاميا مباشرا ضد خصومهم . من مجموع هذه الروايات ، نخلص الى أن المهالبة اهتموا بالشعر ، وأولوا الشعراء عناية خاصة . وسعوا الي ما يرضيهم ، ولو كان في ذلك ما يفض المهالبة أنفسهم ، أو يتهدرهم بالخطير . وهذا يظهر اهمية الشعراء في ذلك الوقت ، فهم وسائل الاعلام ، التي كانت تنشر المحامد ، وتفظي على المثالب . أو كانت تكشف المخازي ، وتقلل من قيمة المحامد او تطمسها ان است طاع أصحابها الى ذلك سبيلا .

وقد آتت معاملة المهالبة الهادفة للشعراء أكلها ، فنظموا في المهالبة قصائد تعد من غرر الشعر العربي ، الى حد أن عبد الملك بن مروان ، ومن بعده المنصور

١ — الأغاني : ٢٧٧ / ١٤ . لعل ثابتا رد على قتاده بن مغرب اليشكري حين هدد المفيرة ابن المهلب لهما وجاء عنقه ، ومزق ثيابه ، يقول : —

لعمرك ما الدَّيَّاج خَرقت وحده	ولكنما خَرقت جلد المهلب
فما شأن عرعر المرء غير قصيدة	يسار بها في كل شرق ومغرب
وان يدى رهن لكم بقصيدة	تكون عليكم كالحرقيق المهلب

انظر : النصف الثاني من كتاب الزهرة : ٣٠٤ .

ينفسان على المصالبة قول كعب الأشقرى (١) : —

بَرَكَ اللَّهُ حِينَ بَرَكَ بِحَرًّا — وفجر منك أنهاراً غزاراً

اتصل الشعراء بالمصالبة، وبلغ في حب المال في شعرهم على غيره، وكشفوا عما كانوا فيه من حال سيئة (٢)، مشيرين لتبدل الأحوال، وتغيير الظروف، وجدة أساليب

١ — ((دخل ابن هرمة على المنصور. وقال : يا أمير المؤمنين، اني قد مدحتك مدحا، لم يمدح أحد بمثله. قال : وما عسى أن تقول في قول كعب الأشقرى)) .
انظر : الاغاني : ١١٠/٦ .

٢ — ((قال عبد الملك بن مروان للشعراء : تشبهونني مرة بالأسد، ومرة باليازي. ألا قلت كما قال كعب الأشقرى للمهلب وولده)) . انظر : شرح نهج البلاغة : ٢١٦/٤ . وقد نفس قتيبة على المصالبة أبيات نهار بن توسعة التي رثى فيها المهلب ومطلعيها : —
ألا ذهب الغزو المقرب للفنسى ومات الندى والجود بعد المهلب
انظر : الأمايلي للقالبي : ١٤٠/٢ (١٩٥٠) .
بين الشعراء أحوالهم السيئة، وكانوا ينتجعون المال أينما وجد . ونورد هذه القصيدة لحاجب الفيل — أحد مداحي المصالبة . للدلالة على ذلك . يقول : —

لما رأيت بنتي بأني مزروع
ورأت ركا بي قريت لرحالها
أبتا أتركنا وتذهب تائمنا
فيضيع صبيتك الذين تركتهم
فيهم صغير ليس ينفع نفسه
أنا سنرضى ما أقمتم بعيشنا
والله يرزقنا فنرضى رزقه
أنا إذا ما غبت عنا لم نجده
تجفوا موالينا ويحمر جوارنا
ونخاف أن تلاقك وشك منية
فتصير بعدك ليس يرفع بيتنا
هذا الرحيل وأمرنا ما قد ترى
فخنقت من قول الصفار بمبرة
واجبت لها صبرا بنية وأعلمسي

بترحل من أرضها فمروع
قالت وغرب العين منها يدسع
في الأرض تخفضك البلاد وترفع
بمضيمة في المضر لم يترعرعوا
وعفيرة تبكي وطغل يرضع
ما كان من شيء نجوع ونشبع
وكفى يحسن مميشة من يقنع
فما تخلف عندنا ما ينفع
وقربنا الأبنى يعز ويقطع
فيصينا الأمر الجليل المفظع
ويذلنا أعداؤنا ونضيع
فمتى توءب إلى الصفار وترجع
كاد الفؤاد لؤلهم يتصدع
أن ليس يمدو يومه من يجزع

انظر : بهجة المجالس : ١/١٣٦، ٢١٠، ٢٣٩ .

الحياة. ((فقد خرجوا الى المدن واتسعت بهم ضرورات الحياة، وفرق بين رجل البادية، ورجل المدينة في المطالب اليومية لحياته)) (١). وقد جاهر الشعراء بطالب السب ومدحهم. فالأخطل يقول لعبد الملك بن المهلب: ((ما نازعتني نفسي قط، السب مدح أحد ما نازعتني الى مدحك، فاعطني عطية تبسط بها لساني، فوالله لأرغم ينكم أردية، لا يذهب صقالها الى يوم القيامة)) (٢). ونهار بن توسعة يجيب قتيبة بن مسلم بأن آل المهلب ((كانوا اهدافا للشعراء)) (٣). والغزواني يرد على سائله عن سبب جودة مدائحه في المهالبة بقوله: ((اما علمت أن الله يفتح الله، ويفرس الهوى)) (٤). وقال أحداهم: ((جود آل المهلب تركهم اهدافا للمدح)) (٥).

وصادفت رغبة الشعراء الملح في الاثراء، وكسر حاجز الفقر، عوى في نفوس المهالبة، الذين أحبوا المدح، وسموا لالتماسه أينما وجد. فالمهلب يقول لبنيه: ((فليتنا للمحسن)) (٦) ويزيد يقول: استكثروا من المعامد)) (٧). وكذلك يقول: ((والثناء الحسن خير من الحياة)) (٨). والمهالبة الولاة يريدون من يروج لهم، فلا يجدون وسيلة ترويج خيرا ممن الشعراء، فاغدقوا عليهم. والمهالبة في ذلك يرون أن الحاكم حتى يظل حاكما عليه أن يبسط يده، ويعطي المطايا الكثيرة. أما أن تمسك بالمال، فلن يستأجع الاستمرار في حكمه فترة طويلة، متعيرين بتجربة ابن الزبير (٩).

- ١ — التطور والتجديد في الشعر الأموي: ١١٨.
- ٢ — الاغاني: ٢٦٨/٨.
- ٣ — البصائر والذخائر: ٤/١.
- ٤ — محاضرات الادباء: ٥٦٨/٤.
- ٥ — المصدر نفسه: ٣٨٣/٢.
- ٦ — الكامل: ٢٦٩/١.
- ٧ — أحاسن كلم النبي: ٢٢، زهر الآداب: ٢٢٣/١، وفيات الاعيان: ٣٥٣/٥.
- ٨ — وفيات الاعيان: ٣٥٣/٥، ٢٨٢/٦، شرح نهج البلاغة: ٣٢٨/١. وانظر مثل ذلك في: عيون الاخبار: ١٣٠/٢، البداية والنهاية: ٤٢/٩.
- ٩ — أتى عبد الله بن الزبير الاسدي عبد الله بن الزبير بن الصوام ((مستحسلا، فحرمه، فقال له: لمن الله ناقة حملتني اليك. فقال له ابن الزبير: ان وراكبها، يعني نعم وراكبها، ثم خرج وهو يقول: —
 ارى الحاجات عند أبي خبيب
 من الأعمى أو من آل حرب
 وقلت لصحبتني ادنو ركبسي
 وما لي حين اقطع ذات عرق
 الى ابن الكاهلية من معاد
 انظر: تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٤٢٤/٤.

وقد ألحف الشعراء في الطلب، ولم يتخرجوا من تسمية طلبهم مباشرة. قدم حاجب ذبيان الى المهلب، فأنشده (١) : —

اليك امتطيت العيس تسعين ليلة
وأنت امروء جادت سماء يمينيه
فجدد لي بطرف أعوجي مشهر
سبح طاموح الطرف يستن مرجم
داوى الضمر منه البطن حتى كأنه
تبارر جنح الليل فرخين أقويا
فلما رأت صيدا تدلت كأنها
فشكت سواد القلب من ذئب قفرة
وسابغة قد أتنقن القين صنعها
وأبهر من ماء الحديد كأنه
وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى
فاني امروء من غصية مازنيصة

أرجي ندى كهيك يا ابن المهلب
على كل حي بين شرق ومغرب
سلم الشظا عبيل القوائم سلهب
أمر كإمرار الرشاء المشذب
عقاب تدلت من شماريح كبكب
من الزاد في قعر من الأرض مجذب
دلالة تهاوى مرقبا بعد مرقب
طويل القرا عارى المظا ممصب
واسمر خطلي طويل محسب
شهاب متى يلق الشرية يقضب
تقدم أو أركب حومة الموت أركب
نماني أب غخم كريم المركب

يقدم الشاعر نفسه لابن المهلب. فهو شاعر مجهد، أضناه سفر غير قاصد، ولملّه بالغ في وصف رحلته حين قال : ((تسعين ليلة))، وهو يريد أن يشمر الأمير بالمشقة التي تحلها في سبيل الوصول اليه. وأن للمشقة هذه ما يبررها، نظرا لعظم المهلب وكرم المدوح، الذي تجشم المصاعب للوصول اليه. ويصمد الشاعر لموضوعه ببيت آخر يهز فيه أريحية المدوح. فهو كريم، عم كرمه المشارق والمفارب. ثم يطلب الشاعر مباشرة فرسا أعوجيا، ودرعا سابغة، صنمتها يد قين صناع. ورمحا خطيا، وسيفا صقيلا. والذي يلقي نظرة سريعة، يجد أن الشاعر لم يأت لمدح ابن المهلب، وإنما جاء ليطلب ما طلب. وتنبيه الى ذلك ثابت قطانة، الذي كان في مجلس يزيد، وقال : ((ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة ! مدحت الأمير ببيتين، وسألته حوائجك في عشرة أبيات، وختمت شعرك ببيت تفخر عليه فيه)) (٢). وواضح ان الشاعر جاء مستجديا بشكل سافر. والطرامح يقول (٣) : —

١ — الاغاني : ١٤ / ٢٦٤ — ٢٦٥.

٢ — الاغاني : ١٤ / ٢٦٦.

٣ — ديوان الطرامح : ٣٧٤.

وَنِعْمَ مُعْتَمِدُ الْوَسَائِلِ
كَ وَأَنْتَ مَسْتُورُ النَّوَافِلِ
عَبْنَا مَطَا صُلْبٍ وَكَاهِلِ

انسي اعتمدتك يا يزيد
أرجو نوافل من يد
بزورة تمطو النسو

وقد تبين الناس حظوة الشعراء لدى الأمراء، وأدركوا ما بينهم من مكاشفة فكانوا يهودون بالشعراء، طالبين منهم ايصال ما يطلبون الى الأمراء، متخذين من الشعراء وسائط خير في سبيل ذلك. فقد حمل قوم ديات، ولم يقدروا على دفعها، فاتجهوا الى الشاعر حمزة بن بيش، وطلبوا منه أن يمرر عريشتهم على الأمير، عليه ينفذها او يتصرف بها، فأخذها، وذهب الى مخلد بن يزيد بن المهلب، وأشده (١) : —

وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحَبُ
مَتَى يَعِدُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا
لَهُمْ خَضَعُ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ
وَنَقْدُ كَهْمُكَ مَا أَرَبُوا
كَ مَا يَبْلُغُ السَّيِّدُ الْأَشْيَبُ
وَهُمْ لَدَاتِكَ أَنْ يَلْمَهُوا

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا
وَلَا تَكُنَّا إِلَى مَشْهِرٍ
فَانْكَ فِي الْفَرْعِ مِنْ أُسْرَةٍ
وَفِي أَدْبَارِهِمْ وَمَا نَشَأَتْ
بَلَفَتْ لِعَشْرِ مَضَتْ مِنْ سَنَةٍ
فَهَمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الْأَمْسُورِ

((فقال : مرحبا بك، وحاجتك، فما هي ؟ فأخرجت اليه رقعة القوم. وقلت : حملات في ديات. فتبسم، ثم امرني بمشرة آلاف درهم. فقلت : أو غير ذلك أيها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : أدل على قبر المهلب، حتى أشكو اليه قطيعة ولده. فتبسم، ثم قال : زده يا غلام عشرة آلاف أخرى. فأبيت، وقلت : بل أدل على قبر المهلب. فقال : زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها، ويزيدني عشرة آلاف. حتى بلغت سبعين ألفا، فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي. فقلت : وصلك أيها الأمير وأجرك وأحسن جزاءك. فقال مخلد : أما والله لو أقميت على كلامك، ثم اتى على خراج خراسان، لأعطيتك (((٢). يلاحظ أن المبالغة كانوا يفيثون الطهوف، حتى وهم لا يعرفونه أحيانا. فيزيد دفع الديات دون أن يعرف أصحابها وقد يكون في صور الكرم هذه الكثير من المبالغة.

وقد تغنن حمزة بين بيش في سبيل الحصول على المال من الأمراء، ولجأ الى عالم الاحلام، وهو بذلك يرجو أن يهزأ ربحية الممدوح، ويدفعه الى اعطائه. ينقل

١ — الاغاني ٢١٢/١٦.

٢ — المصدر نفسه ٢١٢/١٦.

صاحب الاغاني هذه الرواية : ((قال حمزة بن بيزر : دخلت يوما على مخلص بن يزيد ، فقلت : —

ان المشارق والمغرب كلها تجبى وانت أميرها واما مهـ

فضحك . ثم قال : مه ؟ فقلت : —

أغفيت قبل الصبح نوم مسـ في ساعة ما كنت قبل أنا مهـ

قال : ثم ، ماذا كان ؟ فقلت : —

فرايت أنك جدت لي بوصيفة موسومة حسن علي قيا مهـ

قال : قد فعلت . فقلت : —

وبدرة حطت الي وبغلة سفوا ناجية يصل لجامهـ

قال : قد حقق الله رؤياك . ثم امر لسي بذلك ، وعلم الله اني ما رايت من ذلك شيئا)) (١).

يرى حمزة في نومه المفتعل ، ما تتوق اليه نفسه من مطالب . وقد زويت رايض اخرى لحمزه مع يزيد بن المهلب ، فقد " دخل على يزيد بن المهلب يوم جمعه ودسويته للضي الى المسجد وجاريتته تعمه ، فضحك . فقال له يزيد : مم تضحك ؟ قال : من رؤيا رايتها ، ان أذن لي الأمير قصصتها . قال : قل . فأنشأ يقول : —

رأيك في المنام سننت خـ على بتفسجا وقضيت ديني

فصدق يا هديت اليوم رؤيا رأيتها في المنام كذاك عيني

قال : كم دينك ؟ قال : ثلاثون ألفا . قال : قد أمرنا لك بها ويمثلها . ثم قال : يا غلمان ، فتشوا الخزائن ، فجيئوه بكل جبة خز بنفسج تجدونها . فجاءوا بثلاثين جبة . فنظر اليه (لاحظ الجارية . فقال : يا جارية ، عاودي عمك ، على قبض الجباب ، فإذا وصلت الى منزله ، فأنت له ، فأخذها والجباب ، وانصرف)) (٢) . وقد لفت نظرنا دين الشاعر الذي يساوي ثلاثين ألفا . وتحمل الانسان لمثل هذا المبلغ من الدين ، يدل على انه ينتظر مصدرا يقضيه عنه ، وأنه يعتمد على ثروة تغطي هذا الدين . ويبدو أن الشاعر قد وجد في كرم الوالي الرصيد الذي يغطي دينه . وقد تدل هذه الرواية كذلك على الصلة الوثيقة بين الشاعر والأمير ، والآن كيف نفسر دخول الشاعر غرفة الأمير الخاصة ، التي يتعمم بها ؟

١ — الاغاني ١٦٠ / ٢١٨ .

٢ — معجم الادباء ١٠٠ / ٢٨٣ . وانظر : تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٠ / ٤٤٠ —

وعندما كانت صلة الشاعر تتأخر، كان يلج في لفت نظر ممدوحه . وان وجدته غير سامع، يعاتبه عتاباً قد يكون حاداً . يقول حمزة بن بيهز في عتاب مخلص بن يزيد (١) : —

أُخْلِدُ ان الله ما شاء يصنع	يجود فيمطي من يشاء ويمنع
واني قد أملت منك سحابة	فحالت سرايا فوق بيدا تلمع
فاجمعت صرماً ثم قلت : لعله	يثوب الى امر جميل فيرجع
فأياسني من خير مخلص أنه	على كل حال ليس فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنسه	من البغز الشنان أسمى يقطع
ويبخل بالمعروف عن يوده	فوالله ما أدرى به كيف أصنع
أأصره فالهزم شر مقبلة	ونفسي اليه بالوصال تطالع
وقد كان دهرأ واصلا لي مودة	ويمنني من صرف دهرأ أضرع
وأعقبني صرماً على غير إحنة	وبخلاً وقد ما كان لي يتبرع
وغيره ما غير الناس قبله	فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

وقد لجأ المهالبة — تنفيذاً لسياستهم المالية التي كان من عناصرها عنصر الكرم المشا راليه سابقاً — الى الضغط على الرعية، وسلب بعض الناس حقوقهم (٢) . كما عملوا على زيادة مساحة اقطاعاتهم، عليها تغطي جزءاً من هذه المصاريف . ورغم ذلك كان المهلب، كما ينقل الطبري رواية عن علي بن محمد ((اذا عزل ، استقرض)) (٣) رغم ما يملكه من اقطاعات، وما تدره عليه من أموال، لأنها لا تنهض بمشاريعه تلك، فقد عجزت ميزانية الاقليم الذي يحكمه عن النهوض بذلك، وأصابها المجز . وهذا ما فهمه الحجاج ، فطلب من المهلب سنة ٧٨ هـ ، أن يدفع عن خراج الاهواز ألف ألف، ولكن المهلب لا يستطيع ذلك، فقال لابنه المغيرة : ((فنصف علي ونصف عليك)) (٤) غير أن المهلب لم يستطع دفع ذلك، فاستقرض من ابي ماوية، مولى عبدالله بن عامر ثلاثمئة ألف، واكمل المبلغ من زوجته خيرة، التي باعت ((حلياً لها)) (٥) ، فأكمل

١ — الا فاني : ٢٢٠/١٦ — ٢٢١ .

٢ — انظر : ضحى الاسلام : ١٠/٣٢ ، التطور والتجديد في الشعر الأموي : ١٢٤ ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات : ٢٣ .

٣ — الطبري : ١٠٣٤/٨ .

٤ — المصدر نفسه : ١٠٣٤/٨ .

٥ — المصدر نفسه : ١٠٣٥/٨ .

خمسمئة ألف. أي أنها باعت متاعا بمئتي ألف درهم، وهي واحدة من عدة زوجات للمهلب، وهذا يظهر البذخ والترف العظيم، الذي وصلت إليه أسرة المهلب. وهذه الأحداث تدل على أن المهالبة، كانوا يبذرون الأموال، حتى كانت تلحقهم الديون، ولا يستطيعون دفع مستحقات الدولة، مما دفعهم إلى ظلم الرعية أحيانا.

أما أبناء المهلب، فلم يكونوا أقلّ كرما من والدهم، وإنما ساروا على نهجهم، مستنيرين بسيرته، مهتدين بأعماله، فتضخمت ديونهم، وسجنهم الحجاج لأسباب منها سيرتهم المالية هذه، وعذبهم تعذيبا شديدا، وبلغت ديونهم ثلاثة آلاف ألف (١). ولما خرجوا من سجن الحجاج وظف سليمان بن عبد الملك، أمعنوا في البذخ والمطايا، حتى أن أموال جرجان على ضواحتها، لم يدفعوا منها إلا نرا يسيرا وبالتالي عادوا إلى السجن بسبب الأموال التي اتهمهم عمر بن عبد العزيز باختياها (٢). ولما خرجوا من سجن عمر بن عبد العزيز - بعد موته، وخلافة يزيد بن عبد الملك - لم يتعظوا، وانمسا راحوا يفدقون الأموال على الناس اغداقا هائلا، فكان يزيد يقطع للناس ((قطع الذهب وقطع الفضة)) (٣). ونتيجة لذلك كسبوا أكبر عدد من الأتباع.

وهكذا ظلّ المهالبة يتسلطون على الناس، ويتجكّمون بمقدرات الإقليم. فجسّأر بعض الشعراء بالشكوى، وأرسلوها للمسؤولين. يقول شاعر تميمي (٤) :

ولو علم ابن يوسف ما نُلَاقِي	من الآفات والكرب الشَّدَادِ
لَفَاضَتْ عَيْنُهُ جُرْعًا عَلَيْنَا	وأصلح ما استطاع من الفساد
ألا قل للأُمير جزيتَ خيرًا	أرْحَنَا من مَغِيرَةِ الرِّقَابِ (٥)
فما رَزَقَا الجنودَ بها قَفِيْزًا	وقد ساسَتْ مَظَاهِرُ الحَصَارِ

والمغيرة والرقاد هما اللذان توليا جباية خراج كورتي اصطخر وفسا. قال الشاعر يوم أن الحجاج مسؤول عن المهالبة، ولعله مصيب في ذلك، فالمهلب وأبناؤه يحاربون الخوارج بامرة الحجاج، وهم تولوا جباية كورتي اصطخر وفسا، لإصلاح من شأن الجيش، وتزويد الجند بما يحتاجون. وقد تحمل هذه الأبيات صورة عن الضغط الاقتصادي، الذي كان يمارسه المهالبة على الناس، إلى حد جعل الشاعر يسمو أن

-
- ١ - الطبري ٨/ ١٢١٢.
 - ٢ - المصدر نفسه ١٠/ ١٣٥٠.
 - ٣ - المصدر نفسه ١٠/ ١٣٨٢.
 - ٤ - الكامل ٣/ ٣٦٠.
 - ٥ - الرقاد بن زياد بن همام، رجل من الأزد، كان كريما على المهلب. الطبري :
- ٨/ ١٠٠٤.

الحجاج على قساوته، لو علم بما يحصل للناس لجزع واستعبر (١)، لأن هذه الأموال تجمع باسم الجند، ولعالم الجيش العام. لكن الجيش لا ينال منها قفيزاً، ولا يعرف أين تذهب. ويستدرك الشاعر حتى لا يظن ظان، أن هذه الأموال قليلة. ويبين أنها كانت كثيرة جداً بحيث أصبحت مرتعاً للسوس. وكان الشاعر يريد أن يقول: إن المهالبة لا يحسنون معاملة جندهم، وهم يفضلون أن يرتع السوس فيها على أن يعطوها لجندهم. وهذا تقصير قيادي. ولعل الشاعر يفصح عن براجم الكرم عندهم، فهم يحتفظون بهذه الأموال حتى يأتي زمن الجود بها على من يجودون بها عليه. وأما كان الأمر فإن هذه المقطوعة تظل مغيرة عن سياسة المهالبة المالية، التي جنت عليهم، وأدت بهم إلى الهاوية.

وقد أفصح شاعر آخر — وهو في هذه المرة من الأزد — عن سياسة المهالبة المالية. يقول (٢):

نقاتل عن قصور دار الجند ونحبي للمفيرة والرقاد

يجأ الشاعر بشكوى شبيهة بشكوى الشاعر التميمي السابق. فهمة الجند القتال لحر المدو (الخوارج)، واجلائهم عن قرى وكور جديدة، ليخلقوا فرصاً جديدة أمام جباة المهلب، فالجند ينهضون بمعب القتال، ويتحطون التضحيات، أما المفيرة والرقاد اللذان يمثلان نفوذ المهالبة، فلهما الأموال، وهذا يؤكد سياسة المهالبة المالية. فكرمهم كان يسعد به أناس ويشقى به آخرون.

١ — هذا كلام ليس مطلقاً، لأن هناك حوادث تقول غير ذلك. مثلاً لما دخل يزيد ابن المهلب سنة ٩٨ هـ البصرة، ينقل لنا الطبري رواية عن علي بن محمد: ((... فقال الجند ليزيد: أعطانا أرزاقنا، فدعا أدريس بن حنظلة العمي، فقال: يا ابن حنظلة، احملنا ما في البصرة، حتى نعطي الجند، فدخلها أدريس، فلم يقدر على احصاء ما فيها. فقال ليزيد: فيها ما لا استطيع احصاءه، وهو في ظروف، فنحصى الجوالين، ونعلم ما فيها، ونقول للجند: ادخلوا، فخذوا، فمن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة، والشعير، والأرز، والمصم والمسل. قال: نعم ما رأيتم، فاحصوا الجوالين عدداً، وعلموا كل جوالٍ ما فيه. وقالوا للجند: خذوا، فكان الرجل يخرج وقد أخذ شيئاً أو طعاماً، أو ما حمل من شيء، فيكتب على كل رجل ما أخذ، فأخذوا شيئاً كثيراً)).

الطبري: ٩٠/١٣٢٥ — ١٣٢٦.

٢ — المصدر نفسه: ٨/١٠٠٤.

انتقلت عدوى سياستهم المالية الى مستخدميهـم . ولا غرابة فأسيادهم ينهبون ويظلمون فلم لا يقلد ونهم ؟ وقد انتهز بعض الشعراء ذلك لفضح تلك المواقف وكشفها ، وعند ما أخذ شهر بن حوشب خريطة من غنائم البحيرة الضخمة . قال القطامي الكلبسي أوسنان بن مَكل النُميري (١) : —

لقد باع شهر دينه بخريطة / فمن يأمن القراء بمدك يا شهر ؟
أندت به شيئاً طفيفاً ربحته / من ابن جوثبوز ان هذا هو القدر .

يستهن الشاعر هذا التصرف ، ملقياً ببيئته أضواء على الحياة الاقتصادية . فالطمع متفتر ، وحب المال مظهر العصر المميز . ولا يأتي استهجان الشاعر لأن شهر أخذ الأموال فهذا شيء معروف ولا غرابة فيه ، وإنما يأتي استغرابه من أن شهر أخذ القراء ، وهم من هم في مصرفة الدين ؟ وهذا التصرف ما شهر يوضح أهمية المال في حياة القوم . والشاعر ينمي على شهر استبداله بالدين عرضاً دنيوا لا ينفع ، وينسبه لذلك الى القدر . وقال مرة النخعي في شهر أيضاً (٢) : —

يا ابن المهلـب ما أردت الى امرى / لولاك كان كصالح القراء

يلقي الشاعر تبعة ما حصل على يزيد بن المهلب ، موضحاً أن خزائن الدولة لا يليق بشخص متفقه القيام عليها ، مستشعراً أنها تليق بانسان لا يتمثل الدين لأن بريق الذئب خدع القاري شهر ، ولولم يكن شهر على خزائن الدولة ، لما حصل له ذلك . ولو اختان المال شخص عادي ، لما استهجن الناس ذلك . ولذا يرى الشاعر أن يزيد بن المهلب ، أسهم في افساد شهر وساعد على انحراجه ، وأسأ الى سمعته ، وحرّم الناس الاستفادة من فقهه .

وقد ضرب المهلب أمثلة مشهورة في الجود ، والحذر عليه (٣) ، والسفر في ركابه . يقول لبنيه : ((يا بني ، أحسن ثيابكم ما كان على غيركم)) (٤) . وقد حفظ أبناء المهلب وصايا

١ — الطبري : ١٣٢٦/٩ .

٢ — المصدر نفسه : ١٣٢٦/٩ .

٣ — ويروى ان امرأة لقيت المهلب ، وقبّلت يده ، وألبت منه طلباً . وقالت : ان هذا نذر عليتها . فلبى لها طلبها . انظر : الاغانى : ١٦٦/٩ — ١٧٠ ، ٢٥٣/١٠ ، سرح العميون : ٢٠٣ — ٢٠٤ . ويروى ان رجلاً قيم المهلب (الأعور) بألفي درهم ، فأرسلها المهلب اليه . انظر : شرح المقامات الحريية : ٣١١/٢ ، سرح العميون : ٢٠٤ . وانظر الكرماء في : المحبر : ١٥٦ ، الطبري : ١١٠٧/٨ ، البدايات : ١١٥/١ ، والنهاية : ٤٣/١ ، خزانة الأدب : ١٠٥/١ ، المختصر في أخبار البشر : ١١٥/١ ، العبر في شهر من غير : ١٢٤/١ .

٤ — زهر الآداب : ٢٢٢/١ ، سرح العميون : ٢٠٤ ، هبة الأيام : ٢٦٧ .

والدهم المتكررة، وتمثلوها، وعملوا بها، حتى قيل عن كرم يزيد بن المهلب: ((كانت السفن لتجري في جوده)) (١). وقيل: ((انه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب)) (٢).

وقد شهر المهالبة بالكرم والجود، رجالهم ونساءهم (٣)، حتى أصبحوا ملاذ الفقراء. ويبدو أن رقعة الكرم المهلبية، لم تكن وقفا على العرب فقط، فها هو المهلب يعطي حكيمًا من حكماء الفرس. ومجيء هذا الفارسي الى المهالبة يدل على أن شهرة المهالبة قد طبقت الآفاق، وأن صيتهم قد ذاع، وأصبح يعرف من قصر كرمهم الفارسي كما يعرف المصري. وقصة هذا الفارسي تدل على أن بعض من كان يجودون عليهم، لم يكونوا ينتجعون بلاد المهالبة فقرأ. وهو يصح أن الحاجة لم تدفعه الى المهلب، وإنما هو مستزید، غير أن هذه القصة تدل على نوع من كان يعطيهم المهالبة، فهو حكيم (٤)، أي صاحب مركز في قومه، وليس من عوام الناس، وهذا يلقي أضواء على كرمهم الرامي الى كرم المشايخين من ذوي التنفد في قومهم، فهو كرم حاد فوجه وليس عشوائيا. أو كما يحاول الشعراء المنتفعون الترويح له، مثلا يقول كعب الأشقر في المهلب (٥): —

مَدَدَتِ النَّدَى وَالْجُودَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ فَمِنْ شَرِّهِ فِيهِ صَدِيقٌ وَكَاشِحٌ

ويدل الشاعر على أن المهلب يحري على استرضاء الناس لتكوين قاعدة شعبية مساندة لهم وحاملة لهمومهم، فهو لا يكرم الكاشح حبا به، وإنما لتضييق دائرة العداء ضد المهالبة. وقد م السعدي أبو وجزة الى المهلب من كثرة، أما أن يعطيه، فأجزل له المأوى، فقال أبو وجزة (٦): —

يَا مَنْ عَلَى الْجُودِ صَاغَ اللَّهُ رَاحَتَهُ فَلَيْسَ يَحْسُنُ غَيْرَ الْبَذْلِ وَالْجُودِ
عَمَّتْ عِطَائِيكَ مِنَ الشَّرْقِ قَاطِبَةً فَأَنْتَ وَالْجُودُ مَنْحُوتَانِ مِنْ عِوَدِ

- ١ — البيان والتبيين ٢/ ٧٨، العقد الفريد ١/ ٣٥٠، ثمرات الأوراق ١/ ١٣١.
- ٢ — وفيات الأعيان ٦/ ٢٨٣، المستطرف ١/ ١٦٢، ثمرات الأوراق ٢/ ٢٤٣، خزانة الأدب ١/ ١٠٥.
- ٣ — قيل: ((واعتقت هند بنت المهلب في يوم واحد أربعين رقبة)) . المحاسن والمساوي ١٨٦.
- ٤ — الأمازي ٢/ ١٧٥.
- ٥ — معجم الشعراء ٢٣٧.
- ٦ — المحاسن والأضداد ١٠ — ١١. صاحب القصة في المستطرف اسلمي ١/ ٧٤ — ٧٥.

وقصة الكرم هذه تدل على أن سمعة المهلب كانت زائفة، وهذه القصة بجيد ذاتها ترويح للمهلب، وتفضيل له على كثير من معاصريه. وتحاول القصة أن تثبت أن المنطقة ما بين يثرب وخراسان خالية من انسان يكافئ المهلب، يلون الناس به. ولذا نرى الشاعر يتجشم الصعاب في سبيل الوصول الى المهلب. والتأطير في هذه الرواية يجد ان الشاعر أبا وجزة سمى يثربي. وهذا معناه ان المهلب أراد ان يروج لسه هذا السمى، وينوقومه في يثرب، وبالتالي يتخطى نفوذه المشرق، ليصل الى قلب الجزيرة. والمكروم عليه قادر على الترويح لانه شاعر. ولعل المهلب يريد أن يثبت للتميمين، من غير أهل العراق، أنه بعيد عن التعصب، وعليه فقد أكرم هذا التميمي. وهو أيضا يروج لنفسه بهذه الطريقة. وهناك قصة كرم شبيهة تقول: ان يزيد بن المهلب حج ((فطلب حلاقاً، فجاء، فحلق رأسه، وأمر له بألف درهم. فتحير ودهر. وقال: هذا الألف أمضي الى امي فزنة اشتريها. فقال: أعطوه ألفاً آخر. فقال: امرأتي طالق، ان حلق رأس أحد بعدك. فقال: أعطوه ألفين آخرين)) (١).

واذا صدقنا هذه الرواية، نجد أن يزيد بن المهلب، كان ذكياً في عطاءيه. أو قل: كان محيطاً بأبعاد كرمه الاعلامي، فقد استفل الظرف، وعلى ذلك فقد تعمده أن يعطي أثناء ذلك لانسان مظموس، ويجزل العطاء، لأن من وراء ذلك مكسب اعلامي لهم. فالموسم موسم حج، والناس كثيرون ومن كل الاقطار الاسلامية. فلعل يزيد أراد أن يحمل كل حاج قصة الكرم هذه الى بلده، وبالتالي يروج لابن المهلب، والمعروف ان الحلق يتردد عليه الناس باستمرار. وهو يحدث كل من يأتيه بهذا الخبر، وقد يضيف اليه من خياله. ومن هنا نرى أن يزيد توخى الناحية الاعلامية من وراء ذلك، وكان موفقاً في ذلك. وهكذا نرى أن المهالبة بكرمهم المخطاط له، أنطقوا الشعراء وقد تفنن الشعراء في هزاريحية المهالبة لدفعهم الى العطاء. يقول الاصمعي: ((قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاة، من بني ضبة. فقال رجل منهم: —

والله ما تدري اذا ما فاتنا	مَلَبَّ اليك من الذي نَتَلَبُّ
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد	أحدًا سواك الى المكارم يُنْسَبُ
فأمسرت لعادتنا التي عودتنا	أولا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار، فلما كان في العام المقبل، وفد عليه، فقال:

مالي أرى أبوابهم مهجورة وكان بابك مَجْمَع الاسواق

٥ - معجم الألفاظ : ١٠ / ٢٨٣ - ٢٨٤ .

ومتى يوءامر نفسه مستغلياً
أو أن يحمود لنا بنفحة نائل
أو غي الزيادة بمدّ جزل عدائه
أو غي الوفور على فقير موبق
أو غي زُرود شريعة محفوفة
ونعم بخية الله حين يقولها
في أن تجود لدى السؤال تقول جُدْ .
بعد الكرامة والحباء تقول عُدْ .
للمستزيد من العفاة تقول زدْ
بعلت أقاربه عليه تقول فسدْ
بالمشرفة والرماع تقول ردْ
طعماً من النسل المدون بمساء وردْ .

أما الطرماع فقد بالغ مبالغة كبيرة في وصف كرمهم حين يقول (١) :

هو الخيث للمحتفين المنيث
إذا القرم بادر بف الكيف
وما نيل من تر قبيل الشقى
وراح تناجج أمواجُـه
بأيود منك ولا مدجـن
ويحق في الأرض غيد اقـه
يقبل مواعيد الرباحـه
وراحت طروقته رازحـه
إذا نفحت ريحه النافحـه
وتفجح أشباجه النافحـه
تدلت غياطه الداحـه
وساحت سوائله السائحـه

وقد ألج الشعراء على أن المهابلة يكرمون في أصعب الظروف وأعرجها . ويقول
بكبر بن الأحنس (٢) :

نزلت على آل المهلب شاتياً
فما زال بي البلاغهم واغترادهم
فما زال بي البلاغهم واغترادهم
فما زال بي البلاغهم واغترادهم
ويقول أيضاً (٣) :

وقد كنت شيخاً ذا تجارب جمّة
فأصبحت فيهم كالصبي المدلل
وليس هذا غريب، بل ان المهابلة يستدعون الضيوف بأية وسيلة . يقول
أحمد بن محمد (٤) :

- ١ - ديوان الطرماع : ٨٣-٨٥ .
- ٢ - البيان والتبيين : ٢٣٣/٣ ، عيون الاخبار : ٣٤١/١ ، ديوان العباسية : ١٦٥/١ .
- ٣ - البيان والتبيين : ٢٣٤/٣ .
- ٤ - الحاضرة البصرية : ٢٤١/٢ .

اللهُ جارِ بني المهلب ما سرى سار وما لرد الدجى بصباح
أببال أبهة غيوث مواهب أقمار أندية ليوث كهب
رغموا الوقود على الجبال ترفعاً أن يستدل عليهم بنهب

وهكذا يرون لهم الشعراء، وقد كان المهالبة يعتمدون الاعلام من وراء عطايهم
فقد أمدى يزيد بن المهلب، وهو مسجون، سعيد بن عمرو خمسين ألفاً، فقَالَ
عدي بن الرقاع (١) :

ولم أرَ محبوباً من الناس واعداً حباً زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذا أتاه أجازته بخمسين ألفاً عجّلت لسعيده

وقد اشتدّ بضمير الشعراء في التنويه بالمهالبة، وبالغوا في تصوير كرمهم. وهم
بذلك يسمون جاهدين لتعصيل ما يمكن تحصيله منهم. فقد جاء رجل الى مخلد بن
يزيد، وأعداه، ثم عاد. فقال له مخلد : ((ألم تكن أتيتنا، فأجزناك؟ قال : بلى .
قال : فما ردك؟ قال : قول الكمية غيبك :-

فأعاني ثم أعطى ثم عدّ لنا فأعاني ثم عدّ له فعدّ لنا
مرا ما أعوذ اليه إلا تبسم ضاحكاً ونسى الوساد (٢)

وأخيراً، قد يكون دخل قصص الكرم هذه بعض المبالغات لأسباب متعدّدة. منها :
رغبة محبّي هذه الاخبار، او منفذى هذه الأعمال في اظهار الكرم بمظهر حسن
يحببه الى النفوس وينفرد بها من البخل . وهذه خدعة من شأنها أن تزيد من عسود
الكرماء وتناقل من عدد البغلاء وبالتالي تحقيق قدر مقبول من العدالة ورفع الضمير
الاقتصادي عن بعض المعوزين (٣).

وقد يكون تضخيم عطالات المهالبة يهدف الى تغطية مصروفات المهالبة، وبالتالي
تبرير موقفهم أمام السلطة، التي طالبتهم أولاً وثانياً بأموال اختانوما . وقد تكسرون
الخصبة تدخلت . فمصرفات المهالبة قهطانيون، فعمل القهطانيين أو اليمنيين
وشعروا ببعض هذه القصص رغبة في تضخيم دور المهالبة . وبالتالي تضخيم الدور
الذي لعبه أهل اليمن على مسرح الحياة . وهكذا نرى أن تضخيم هذه القصص
عمل موجه، يهدف الى فرض معدّد .

١ - عيون الاخبار : ١/ ٣٤٣ .

٢ - وفيات الاعيان : ٦/ ٢٨٥ .

٣ - انار : مقدمة الاستاذ محمد كرد علي لكتاب المستجاد من فعاليات الابدان :

على أن بعض هذه القصص موضوعة صراحة . ولعل قصة كرم يزيد بن المهلب على عقيل بن أبي طالب، خير دليل على ذلك (١) . فقد مات عقيل في حدود سنة ٥٦٠ هـ (٢) . وولد يزيد سنة ٥٥٣ هـ ومات سنة ١٠٢ هـ . ومن مقارنة هذه التواريخ ببعضها ببعض، يتضح لنا أن عمر يزيد عندما توفي عقيل، لم يكن يتجاوز السابعة . فكيف يكون عقيل في صحبة يزيد بن المهلب سنة ٥١٠ هـ، ويبدو أن واضح هذه القصة لم يلتفت إلى سنة وفاة عقيل . وإن بعض هذه القصص ما هي إلا رد لجميل أو اعتراف بيد لأحد الناس عليهم، ومن ذلك مثلاً تحملهم دية موسى بن نصير، نظراً لأنه انقذ المهلب ((وذلك أن بشراً، هم بالمهلب، فكذب إليه موسى يحدثه، فتمسارح المهلب، ولم يأت حين أرسل إليه)) (٣) . وقد تكرر

١ - ((من ذلك ما حكاه عقيل بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال : لما أراد يزيد بن المهلب الخروج إلى واسط، أتته . فقلت : أيها الأمير، إن رأيت أن تأذن لي، فاصحبك . قال : إذا قدمت واسط فانا - إن شاء الله تعالى - مسافر، وأقمت . فقال لي بعض اخواني : اذهب إليه . فقلت : كان جوابه فيسه ضيف . قالوا : أتريد من يزيد جواباً، أكرماً قال، فسرت حتى قدمت عليه ، فلما كان في الليل، دعيت إلى السمر، فتحدث القوم، حتى ذكروا الجوارى، فالتفت إلى يزيد وقال : ايه يا عقيل : فقلت : -
أنا، القوم في ذكر الجوارى فلما الأعزبون غلم يقولوا -
قال : انك لن تبقى عزياً . فلما رجعت إلى منزلي، إذا أنا بخادم قد أتاني، ومعه بارية وفرس بيت، وبدره عشرة آلاف درهم . وفي الليلة الثانية كذلك، غمكت عشر ليال، وأنا على هذه الحالة . فلما رأيت ذلك، دخلت عليه في اليوم الحاشسر . فقلت : أيها الأمير، قد والله أغنيت وأقنيت، فإن رأيت أن تأذن لي في الرجوع . فأكبت، عدوى، وأسر صديقي . فقال : انما أخيرك بين خلتين : إما أن تقم غنوليك، أو ترحل غنفيك . فقلت : أو لم تخفني أيها الأمير؟ قال : انما هذا أشات المنزل، ومصلحة القدوم، فنادني من غنله مالا أقدر على وصفه)) . انظر : المستطرف : ١٦١/١، شرات الأوراق : ٢٤٢/٢ - ٢٤٣ .

٢ - الأمانة : ٤١٢/٢ . يورد ابن حجر فترتين : أما في عهد معاوية أو في أول خلافة يزيد بن معاوية، ويستنتج من ذلك التركي أنه مات سنة ٦٠ هـ . انظر : الاعلام : ٣٩/٥ .

٣ - الحق القريد : ٤٢٨/٤، ٣٥١/١ .

يحمي هماتهم، منطلق عصبي لقومهم . ولعل انقاذهم حياة خالد القسري يدل على ذلك (١).

ومكذا نجد ان كثيرا من قصص الكرم المنسوبة الى المهالبة لم تكن غالبة لوجه الدارم، وكانت متداخلة من منطلقات قبلية او شخصية . وبقي على كل حال ذات همدان اعلامي (٢) . قد يكون حقيق هدفه، حتى دفعت هذه العطايا شاعرا كالطرماع، الذي أن يقسم انه لن يمدح غيرهم ما دام حيا فيقول (٣) :-

أقسمت لا أمدحَ حتَّى أرى في ذاتٍ لهدٍ رهنَ أرجامها
ويقول (٤) :-

بمثل شكاكك يحملو القرى شري وتستبحر الألسن العاد حرة

تطالت المهلب صفات قيادية، جعلته يهد الأقران، ويكسب ثقة كثيرين من الناس وتقديرهم (٥) . وكونت قناعة لدى الكثيرين بأن سيف الخوارج لا يثلمه إلا المهلب، وأن مدحهم لا يثبت أمامه الأمر . وقد اعترف له بتلك المكسبات القيادية الصديق الواقفي،

١ - المحقق الفريد : ٤٢٨/٤ - ٤٢١ .

٢ - انظر كرم المهالبة في : البيان والتبيين : ٢/٦٦-٦٧، الحيوان : ١٥٠/٧، البخلاء : ٧٠-٧١، عيون الاخبار : ١/٨٢، ٣/١٢٤، الكامل : ١/١٣٨-١٣٩، المحقق الفريد : ١/٢١٥-٢١٦، ١/٣٥٣-٣٥٤، تاريخ جرجان : ١٢، ١٣، ١٤، المحاسن والمساوي : ٤٣١-٤٤٠، الصناعات : ٤٣١، رغبات الاعيان : ٦/٢٨٠، لباب الآداب : ٨٤، نهاية الأرب : ٣/٢١١، المستطرفة : ١٠/١٦٦، ثمرات الأوران : ٢/٢٤٣، محاضرات الادباء : ٢/٥٨٨، هبة الالام : ٢٥٧، ٢٦٤ .

٣ - نديوان الطرماع : ٤٤٨ .

٤ - المصدر نفسه : ٨٩ .

٥ - يذكر الباحث أن بكير بن الأحنس، رأى المهلب، وهو غلام، فقال :-

خُذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يَسُدْ سِرَّوَاتِهِمْ وَيَبْرَعْ حَقِّي لَا يَكُونُ لَهُ مَسْـُـلٌ

انبار : البيان والتبيين : ٣/٢٣٤ .

والحد والكاشع (١) . وسارع الشعراء الى التعبير عنها من خلال حوادث مدينة ، وحصل أبرز حادثة دغمت الشعراء الى اطراف صفات المهلب القيادية ، هي اشاعة قتله ، يقول أحد بني شبة (٢) :-

ان ربّا أنجى المهلب ذا الطوّ لى ، لأعلّ أن تعدّوه كئيبـرا
لا يزال المهلب بن أبي صفـ رة ما عان بالعراق أميـرا
فإذا مات فالرجال نسـ ما يساوى من بعده قلميـرا
قد أمنا بك العدو على المصـ ر ووقرت منبرا وسريـرا

فهم القاعد الذى بذّ سائقيه من القادة ، وخبر أسلوب حرب الخوارج ، فعمل بجداد رنقتهم وافشلت خططهم . وذلكذا نلصق الثقة التي أولادنا الناس المهلبـب، بعد ان شهدوا له بالتفوق .

يقول ابن عرّادة (٣) :-
وليس لها إلا المهلب أنسه مليّ بأمر الحرب شيخ له شـان
إذا قيل من يحيى العراق أوماً اليه ممّد بالأفك وقحطـان
غذاً أمروك أن يلقّهم يطف نارهم وليس لها إلا المهلب أنسـان

- ١ - اعترف له الخوارج . فيقول قنبرى : ((وان جاءكم المهلب ، فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه . ويأخذ منكم ، ولا يعطيكم . فهو البلاء اللازم ، والمكروه الدائم)) .
انظر : الكامل : ٣٤١ / ٣ ، شح نهج البلاغة : ١٦٥ / ٤ . ويصفه قنبرى أيّنا :
((فهو الليث المبر ، والشعلب الرواغ ، والبلاء المقيم)) . انظر : الكامل :
٣٢٥ / ٣ ، شح نهج البلاغة : ١٦٠ / ٤ . وانظر : الكامل : ٣٥١ - ٣٥٠ / ٣ .
شح نهج البلاغة : ١٧٢ - ١٧٣ . وقد بين أنصيته مصعب بن الزبير .
انظر : انساب الاشراف : ٢٥١ - ٢٥٣ ، ابن الاثير : ٢٨٦ / ٤ . وقدّر المعجّاج صفاته . انظر : الاخبار الطوال : ٢٨٠ ، الطبري : ١٠٣٣ / ٨ . والاصنف بن قيس .
انظر : الكامل : ٣١٠ - ٣١٢ ، نهاية الأرب : ٥٢٤ / ٢٠ ، وعبد الله بن الزبير ،
انظر : الكامل : ٥ / ٣ ، الاخبار الطوال : ٢٧١ ، مجمع الأمثال : ٦٣٦ / ١ ، وفيات
الاحيان : ٣٥١ / ٥ . وبكير بن الاخمس ، انظر : عيون الاخبار : ٢٣٠ / ١ . وعبد الله
ابن خازم ، انظر : انساب الاشراف : ٣٤٥ / ٥ ، الطبري : ٨٠٧ / ٨ . وحارثة بن بدر ،
انظر : الاشتقاق : ٢٢١ . وقد قدرته جمهرة الناس . انظر : الاخبار الموثقيات :
١٥٧ ، انساب الاشراف : ٢٧٤ / ٥ ، ٢٥٢ / ٥ ، ابن الاثير : ١١٥ / ٤ ، شح نهج
البلاغة : ١٤٥ - ١٤٦ ، شبة الايام : ٢٦٧ .

٢ - الاخبار الطوال : ٢٧٤ .

٣ - الاخبار الطوال : ٢٧١ .

وقد أكل الشعراء صفات المهلب القيادية، يقول أزدى (١) :-

لو رُموا بالمهلب بن أبي صفـ
رة كانوا له كأكلة حيـ

ونوى شاعرا يشكركا يقول صفا لبا الحارث بن أبي ربيعة، أمير البصرة، لما أشيع
قتل المهلب، وهم الحارث بالفرار (٢) :-

وإن كان حياً كنت بالمضر آمناً
وكان بقاء المرء غينا هو التفر

ويقول سعدى في المناسبة السابقة (٣) :-

ألا كل ما يأتي من الأمر عيـ
علينا يسير عند فقد المهلب

وقد أغص الشاعر زياد الأعمى عن أن الناس لم يولوا المهلب اعتباطا، فيقول (٤) :-
فلما رأينا القوم قد كل حدوهم
لدى حبيبهم فيها دعونا المهلبا
ويقول الفرزدق (٥) :-

كان المهلب للمراق سكينـ
وحيا الربيع وصقل القـ

كم من غنى فتح إلا له لهم بهـ
والغيل مقمية على الأقتار

والنبل طجمة بكل معسـ
من رجل خافية من الأوتار

ويقول نهار بن تومعة في رثاء المهلب (٦) :-

ألا ذنب الخزوة المقرب للخنى
ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرور الزمن ردى شريحه
وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

وهذا يعني أن المهلب لم يكن يستأثر بالغنائم، حارما جنده نصيبهم. وهذه
خطوة قيادية نفذ بها المهلب الى نفسيات الجند. وقد تبرز موهبة قيادية أخرى
في المهلب الذي آمن أنه لكي يكسب الحرب عليه أن يخرس في جنده - الى جانب
التمهنة الرومية - حب المال، متبينا أدمية المال في ذلك، ومستظهرا روح العصر،
التي بلغت المادة عليها.

١ - الاخبار الطوال : ٢٧٠.

٢ - المصدر نفسه : ٢٧٣.

٣ - المصدر نفسه : ٢٧٤.

٤ - المصدر نفسه : ٢٧٢.

٥ - ديوان الفرزدق : ١ / ٣٧٥.

٦ - الأبرق : ٨ / ١٠٨٤.

وبين المخيرة بن حبناء دور المهلب في ارساء الامن وفقر خطر الخسوان ،
فيقول (١) : -

أيام سابور ان ضاعت رباعتهم لولاه ، ما اوطنوا دارا ولا انتقموا
وهكذا أشاد الشعراء بالمهلب منزله منزلة عليا ، وشيرين الى المهمة التي
اضطلع بها ، وعجز غيره عن القيام بها .

وقد كان المهلب يعامل جنده معاملة جيدة ، جعلتهم يقتربون منه ، ويخلصون
له ، ويشبتون معه في المعركة . ويقول حبيب بن عوف (٢) : -

أبا سعيد جزاك الله بالحق
داريت بالحلم أهل الجمل فانقموا
فقد كفيت ولم تمنن على أحد
وكت كالوالد الحاني على الولد
ويقول المخيرة بن حبناء أيضا (٣) : -

ان المهلب في الأيام فتلله
مجزم وبون وأياكم له سلفك
ما على الهول ما ينفلج مرتحلا
سهل العلائق يعفو عند قدرته
شهاب حرب اذا علت بساحته
تزيده الحرب والاسوال ان حضرت
ويقول المخيرة كذلك (٤) : -

سهل اليهم حليم عن مجاهلهم
كيف يلودون من ذل الحياة به
امن لثافتهم ، غير لسائلهم
كانما بينهم عثمان أو عمار
اذا تكلفهم من كثر لها ضار
ينتاب نائله البادون والحضر

ونلن أن هذا من مبالغات الشعراء ، التي تهدف الى تحقيق غاية في نفس
الشاعر . لأن المهلب يظل منفذا لأعمال محددة ملقوبة منه ، ليس لمالح الأمة - كما
كان يشغل امر أو عثمان - وانما لمالح السلالة الاموية .

- ١ - الأثاني : ٨١/١٣ .
- ٢ - الكامل : ٤١١/٣ .
- ٣ - الأثاني : ٨٦-٨٧/١٣ .
- ٤ - المصدر نفسه : ٨٧/١٣ .

وعلى كل غانا نرى أن المهلب، قد تحققت فيه صفات القادة الناجحين (١)، الذين يفوزون، بأصحاب كيرين. فهو ميمون النقيبة، شجاع عند اللقاء. وقد أشاد به —
المهلب المسكوبة العدو والسديق، وأنصفه شعراء الخوارج أنفسهم، فيقول شاعرهم (٢): —

سَمِعَ الْمَهْلَبُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً
أَنَّ مَاتَ غَيْرَ مُدَايِنٍ فِي دِينِهِ
وَالْمَوْتُ أَمْرٌ لَا مَعَالَةَ وَاقِعٌ
غَلَبَ مُنِينًا بِالْمَهْلَبِ أَنْتَهُ
وَلَدَاهُ يَمْجِي بِنَا وَلَمَلْنَا
بِالسُّحْرِ نَخْتَلِفُ النُّفُوسَ ذَوَابِلًا
فِيذِيْقُنَا فِي حَرِينَا وَنَذِيْقُهُ
فيقول شاعر خارجي آخر، معين غادر قنطرة مدينة جيرفت إلى كرمان (٣): —

أَيَا تَأْرِي الْخَيْرَ إِنْ كُنْتَ حَارِبًا
سَتَلْبِسُنَا عَارًا وَأَنْتَ مَهَاجِرُ
إِذَا قِيلَ: قَدْ جَاءَ الْمَهْلَبُ أَسْلَمْتَ
لَهُ شَغَاتُ الْغَمِّ وَالْقَلْبُ لَمَاءُ
فَعَتَى مَتَى هَذَا الْفَرَارُ مَخَافَةً
وَأَنْتَ وَلِيٌّ وَالْمَهْلَبُ كَاغُ —

ويبدو أن حرب المهلب المتواصلة غير المهادنة، قد رهقت الخوارج، ومسيبت
محنويات بعضهم، وهذا ما عبر عنه أحد رجائهم بعد مطاردة المهلب لهم في كازرون.
يقول الراجز الخارجي (٤): —

هَتَى مَتَى يَتَبَقُّنَا الْمَهْلَبُ
لَيْسَ لَنَا فِي الْأَرْضِ مِنْهُ مَهْرَبُ
وَلَا السَّمَاءُ أَيْنَ أَيْنَ الْمَهْرَبُ؟

هذا القائد الذي ألقى الرعب في قلب عدوه، لم يكن قائداً يوجه دفة الأمور،
بמידا عن المشاركة الفعلية، بل كان يشارك في المعارك بنفسه. يقول أبو هريرة
المعدي (٥): —

- ١ — انظر صفات القادة الناجحين في: الاحكام السلطانية: ٤٣، سراج الملوك: ١٧٤.
- ٢ — الاخبار الطوال: ٢٧٤.
- ٣ — المصدر نفسه: ٢٧٧.
- ٤ — المصدر نفسه: ٢٧٦.
- ٥ — الكامل: ٣/٣٧٥.

يرى حتماً عليه أبو سعيد
إذا نادى الشراة أبا سعيد
ويقول فَرَسَمَ الحَدَوِي (١) :-
غنى لا يُلَاقِي الموتَ إلا بوجهه
ويقول آخر (٢) :-

أبى المذمَّ واختار الوفاء وأحكمت
قواء وقد ساس الأمور وجربها
وكذا نجد أن الحدو والسديق اعترف للمهلب بقدر راته القيادية . فقد ساس
الأمور بحنكة . وهو صاحب تجربة تدعّمه ، وتجعله أقدر على التعامل مع الأمور .
ويبدو أن هذه الاخلاق التي اجتمعت للمهلب جعلته مرموقاً في مجتمعه
يقول شاعر (٣) :-

إذا كان المهلبُ من ورائي
كذا ليلى وقّر له فـوادي
ولم أخش الدنيا من أناسٍ
ولو سألوا بقوة قومي عـادي
ويقول زياد الأعجم (٤) :-

غنى زاده السلطان في الخير رغبةً إذا غير السلطان كلَّ خليلٍ
والقائد الناجح ، يتعسّس نقاط الضعف في معسكره سواء ما تعلّق منها بأسلحة
الجنود ومعدّاتهم أو تنظيم الجيش ، محاولاً تلافي نقاط الضعف أو استبدالها بأحسن
منها . وقد كانت ركب الجيش - وهي ما يعتمد عليه الفارس بتقديمه عندما يلحق
أو يمتدلي بهوة جواده - من الخشب ، ((فكان الرجل يضرب ركابه ، فينقلع فإذا أراد
الضرب أو الدامن ، لم يكن له معتمد)) (٥) . إزاء ذلك رأى المهلب ضرورة استبدال
ركب الخشب بركب حديدية ، فكان المهلب ، ((أول من أمر بطلبها)) (٦) فقال عمران بن
عصام الصنزي (٧) :-

خربوا الدراحم في أمارتهم
وضربت للعدثان والحداب
كحلقات تروى منها مرافقهم
كمنالك الجمالة الجرب

١ - نيل الأمل والنوادر : ٣٢٠

٢ - الكامل : ٣ / ٣٦٠

٣ - المعاسن والساوي : ١٨ ، شرح المقامات الحميرية : ٣١٢ / ٢

٤ - الأفاني : ١٥ / ٣٦١

٥ - الكامل : ٣ / ٣٧٨

٦ - المصدر نفسه : ٣ / ٣٧٨

٧ - المصدر نفسه : ٣ / ٣٧٨

وأخيراً فإن المهلب المقاتل، لم تظهر مواهبه العسكرية في ساحة الخوارج - على ضراوة القتال في ساحة حتهم - فقط (١)، وإنما حارب في ساحة السعد والتسرك. يقول مختار بن كعب العوفي (٢) :-

دَوَّخَ السُّفْدَ بِالْكَثَائِبِ حَتَّى تَرَكَ السُّفْدَ بِالْعَرَاءِ قَفْـوـدًا

وهكذا تطل علينا شخصية المهلب العسكرية الفذة، الذي استفل كل شيء استطلاع استفلاله، لتثبت أركان الحكم الأموي منذ أن انضوى تحت لوائهم.

أمّا أبناء المهلب، فلم يكونوا دون أبيهم نجدة وكرما، وتثبت سيرتهم انهم كانوا في حياة أبيهم أنجادا، وحافظوا على خط سيرهم هذا، بعد وفاة المهلب حاملين وصيته، عاملين ببندوها (٣).

١ - لم يكن القتال في ساحة الخوارج سهلاً، وكان صعباً قاسياً، عبّر عن قسوته الشعراء. يقول عبد الله بن الزبير الأسدي عندما قتل الحجاج عمير بن صناهي، ودعا الناس إلى اللحاق بالمهلب :-

تَخَيَّرَ فَأَمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ صَنَاهِيٍّ عُمَيْرًا وَأَمَّا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبِيَّ
هَمَّا كُحْطَتَا خَسَفَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ التَّلَجِّ أَشْهَبَا

انظر: الطبري: ٨/٨٧٢.

ويقول مَعْنُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ :-

لَبِيتَ مَنْ يَشْتَرِي الْغَدَاةَ بِمَالٍ هَلَكَةُ الْيَوْمِ عِنْدَنَا فَيَرَانَا
نَحِلُ الْكَرَّ عِنْدَ ذَاكَ بَطْعِنٍ أَنْ لَلْمَوْتِ عِنْدَنَا أَلْوَانَا

انظر: الكامل: ٣/٣٩٩.

ويقول حبيب بن أوس :-

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بِغَيْرِ عِلْمٍ تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِهِ الْمَرَّاسُ
فَمَا لِي أَنْ أَطْعَمَكَ مِنْ حِمَاةٍ وَمَا لِي غَيْرُ ذَا الرَّأْسِ رَأْسُ

انظر: الكامل: ٣/٣٦٨. وراجع: الكامل: ٣/٣٢٧، مروج الذهب: ٣/٣٦-١.

١٣٧، الاغانى: ١٣/٨٨-٨٩.

٢ - معجم الشعراء: ٣٣٧.

٣ - انظر وصية المهلب في: الطبري: ٨/٨٢-١٠٨٣، لباب الادب: ٢٩-٣٠.

وقد أدار الشعراء حولهم هالة مشرقة، ونفخوا فيها، وضخموها، ناعتين المهالبة بأجمل النعوت، واصفين إياهم بحميد الصفات. يقول زياد الأعجم في رثاء المفيسرة ابن المهلب (١) : —

تشفي بحلمك لابن عمك جهله
وانا يصول بك ابن عمك لم يصل
صل يموت سليمة قبل الرقيس
ويقول الطرماح (٢) : —

أيزيد عم المجند مني
ملك تدبى له الطمو
ترأى أندية السفا
ويقول كذلك (٣) : —

ولقد صبرت عن المضي
فخرجت مبتدأ نفو
واحتل بيتك حيث حـ
ونزلت عن عرش الذلي
وأبت صفاتك آن يؤي
وأخذت قمرك باليمية
ويقول الفرزدق (٤) : —

غلبوا بأنهم الفوارس في الوغى
والأحلمون اذا الحلوم تهزمت
بالقوم ليس حلومهم بصفار

ويرسم الشعراء المهالبة في صورة قوم عقلاء، ذوي عقول راجحة. يسهل عليهم مواجهة الأمور التي تشتبه على الرجال، وهذه خصلة جعلت أبوابهم تنتجع لفرس.

١ — ذيل الأمازي والنوادر : ١٠٠ — ١٠١.

٢ — ديوان الطرماح : ٣٨٠.

٣ — المصدر نفسه : ٣٨٥ — ٣٨٦.

٤ — ديوان الفرزدق : ١٠ / ٣٨٠.

النزاعات، واعطاء الرأي الفصل في مشكل الأمور. يقول أبو الجَوَيْريَّة المَبْدِي (١) : —
 اذا شبَّ شغب أو تشاجر منطوق فعندهم فيه الحكومة والفصل
 ويقول زياد الأعجم (٢) : —

واذا الأمور على الرجال تشابهت وتوزعت بمفالق ومفاتح
 فقتل السَّحِيلَ بهم زى منيرة دون الرجال بفضل عقل راجع
 ويقول كعب الأشقرى (٣) : —

رزان في الأمور ترى عليهم من الشيخ الشماثل والنجارا
 وهم يحافظون على وعودهم. فيقول أبو الشرقي، القطامي بن الحصين (٤) : —
 لا ينقض العهد ولا المصهودا من نفر كانوا هجانا صيدا

وهذا يجعل لأقوالهم معنى ولعهدهم دلالة ويضاعف من ثقة الناس بهم.
 وقد فهم الطرمّاح بن حكيم وحمزة بن بيزر. المحافظة على العهد، وانجاز الوعد
 فهما آخر. يقول الطرمّاح (٥) : —

مضى يحدُّ يُنجز ولا يكتبل منه المطايا طول اعتامها
 ويقول حمزة بين بيزر (٦) : —
 وفي لي أبناء المهلبنهم اذا سئلوا المعروف لم يتسعلوا

وقد رأى الشعراء أن المصالبة قد تفردوا بمزايا كثيرة، من بينها ان علامات
 النباهة والنجابة وصفات القادة تبدو بوادرها عليهم في فترة مبكرة. يقول حاجب
 زبيان في مدح يزيد بن المهلب (٧) : —

قُدَّت الجياد وأنت غرّ يا فصح حتى اكتهلت ولم تزل مأموولا

١ — الاشباه والنظائر: ١/ ٨٥.

٢ — نيل الامالي والنوادر: ١٠.

٣ — الأغاني: ١٤/ ٢٨٦.

٤ — الطبرى: ٩/ ١٣٨٦.

٥ — ديوان الطرمّاح: ٤٤٩.

٦ — الأغاني: ١٦/ ٢٢١.

٧ — المصدر نفسه: ١٤/ ٢٦٦.

ويقول الكميت بن زيد في مدح مخلد بن يزيد (١) : —

قادر الجيوش لخمسة عشر حجة	ولداته عن ذاك في أشغال
قدمت بهم هوماتهم وسمت به	همم الطوك وسورة الأبطال
فكانما عاش المهلب بينهم	بأعز قاس مثاله بمشال
في كفه قصبات كل مقلد	يوم الرهان وفوز كل نضال
ومتى أنزك بمعشر وازنهم	بك ألف وزنك أرجح الأثقال

وهكذا يظهر الشعراء المهالبة بمظهر الخارق للمادة، وكأنهم يريدون أن يقولوا : إن الصفات القيادية والذكاء شيثان موزوثان في أبناء المهلب.

وقد وجد الشعراء في المهلب مادة مدحية، يمدحون بها أبناءه. يقول زياد الأعجم في يزيد بن المهلب (٢) : —

تقبل أخلاق المهلب نجدة	ومكرمة والنجم من حيث يطالع
ويقول كعب الأشقرى (٣) : —	

صفت لك أخلاق المهلب كلها	وسرلت من مسعاته ما تسربلا
أبوك الذي لم يسع ساع كسعيه	فأورث مجدا لم يكن متحلا
ويقول حمزة بن بيش (٤) : —	

فذلك ميراث المهلب أنه	كريم نماء للمكرم أول
ويقول الفرزدق (٥) : —	

أيزيد أنك للمهلب أذكركت	كفاك خير خلأق الأخيـار
-------------------------	------------------------

ويصور بمغز الشعراء المهالبة في صورة فصحاء بلفاء خطباء، والخطابة من مستلزمات الوالي، وكانت الحرب تفخر بها. يقول الطرماح (٦) : —

خطيب المقالة، حامي الدمار	إذا خيفت السوءة الفاضحة
---------------------------	-------------------------

١ — الاغاني : ١٦ / ٤٠٧ . وانظر الاغاني كذلك : ١٧ / ٣٥ .

٢ — حماسة البحترى : ٣٥١ .

٣ — الطبرى : ٨ / ١١٤٥ .

٤ — الاغاني : ١٦ / ٢٢١ .

٥ — ديوان الفرزدق : ١ / ٣٧٦ .

٦ — ديوان الطرماح : ٨٣ .

ويقول كذلك (١) :

تَطُقُ المَقَالَةَ قَائِلٌ لِلْمُسْتَكْنَاتِ المَفَاصِلِ
تَحْتَ المِفْمُضَةِ العَمَا مِنْ المَخَارِجِ والمَدَاخِلِ

والمهالبة امرأ متواضعون، بعيدون عن الكبر والشموخ . وقد أمر يزيد بن المهلب برفع الحجاب وهذا يعني حرى الأمير على تلمس مشكلات الرعية وطرح الحلول الممكنة لها مباشرة . وعمله هذا أشاع التفاؤل بين الناس . يقول ثابت قطنة (٢) :

أبا خالدٍ زدتَ الحياةَ مَحَبَّةً إلى الناسِ أن كنتَ الأميرَ المَتَّوجَا
وَحَقَّ لَهُمْ أن يرغبوا في حياتهم وبابك مفتوحٌ لمن خاف أو رجا
تزيد الذي يرجو بذاك تفضُّلاً وتوهمٌ ذا الاجرام ان كان مُخرجاً

وقد أثبتت سيرة المهالبة، انهم كانوا ذوى همم قعساء (٣) . وأثبت المهالبة ذواتهم في ميادين القتال . وقد أشاد بهم الكثيرون (٤) . وهم قادة في معارك مكشوفة، عمادها شجاعة الفرد ومهارته القتالية ومرونته القتالية . والقائد قدوة لجنده، يقول الطرطوشي : ((فلا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة، والشجاعة، والجرأة . ثبت الجنان، صارم القلب، جريء، رابط الجأش، صادق البأس)) (٥) . والشجاعة عماد الفضائل (٦) ، وقد تمثل المهالبة هذه النقطة غالباً تمثلاً حاداً، يشهد بذلك تصديهم المباشر لأعدائهم، وثباتهم حين ينكسر الشجعان، واشتراكهم في مبارزات عنيفة يدل

- ١ — ديوان الطرطاح : ٣٨١ .
- ٢ — رسائل الجاحظ : ٨٣ / ٢ .
- ٣ — ((قال يزيد بن المهلب : ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله، لئلا أتعود المعجز)) . انظر : الكامل : ٢٣٦ / ١ ، وفيات الاعيان : ٢٩٤ / ٦ ، صاغرات الادباء : ٤٤٨ / ٢ .
((وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تبني بالبصرة داراً ؟ فقال : لأنني لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً، فان كنت أميراً فدار الامارة داري)) . انظر : عيون الاخبار :
- ٤ — ٢٧٦ / ١ ، ٣١٢ ، العقد الفريد : ١ / ٣٥٠ ، ٢٢٣ / ٦ ، وفيات الاعيان : ٢٩٤ / ٦ .
شهد لهم حتى الأعداء . يقول قطري في يزيد وحبیب ابني المهلب : ((أما صاحب الكر، والفر، والاقدام، والاحجام، وصحة التدبير، ومبارزة الكيفي المدجج فالحرور يزيد . وأما اذا التقت غياطل الليل، وخفتت الاصوات الا الغمام، وقرع الحديد، فالخير حبيب)) . انظر : شرح المقامات الحريية : ٣١١ / ٢ .
- ٥ — سراج الملوك : ١٧٤ .
- ٦ — المستطرف : ١ / ٢١٦ ، سراج الملوك : ١٧٢ .

على تمكّن الشجاعة من نفوسهم (١) .

وقد رسم لنا زياد الأعجم صورة رائعة — في مريثته للمغيرة بن المهلب — للمهالبة الشجمان . فقال (٢) : —

تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا
مات المغيرة بعد طول تفرّض
وقال (٣) : —

ولقد أراه مُجَفِّفًا أَفْرَاسَهُ
فِي جَحْفَلٍ لِحَبِّ تَرَى أَبْطَالَهُ
يَقْرَعُ الْحَزُونَ وَالسَّهْلَةَ إِذَا غَدَا
وَلَقَدْ أَرَاهُ مَقْدُمًا أَفْرَاسَهُ
فَتَيَّانَ عَادِيَةً لَدَى مُرْسَى الْوُغَى
لَيْسُوا السَّوَابِغُ فِي الْحُرُوبِ كَأَنَّهَا
وَإِذَا الضَّرَابُ مِنَ الطَّعَانِ بِدَالِهِمُ
وقال (٤) : —

وَمَدَّ جَنَاحَهُ كَرِهَ الْكُمَاةَ نِزَالَهُ
قَدْ زَارَ كَبَشٌ كَتِييَةً بِكَتِييَةٍ
غَيْرَ أَنَّ دُونَ نِسَائِهِ وَبَنَاتِهِ
سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَمَعِهِ
وَالْخَيْلُ تَصْنَعُ بِالْكُمَاةِ وَقَدْ جَرَتْ
شَاكِي السَّلَاحِ مَسَافٍ أَوْ رَامِحِ
يُودِي لِكُوكِبِهَا بِرَأْسِ طَامِسِحِ
حَامِي الْحَقِيقَةِ لِلْحُرُوبِ مُكَاوِحِ
شَهَقَتْ لِمَنْفَذِهَا أَعْوَالُ جَوَانِحِ
فَوْقَ النُّحُورِ دُمُومًا بِسَرَائِحِ

١ — ((قال رجل ليزيد بن المهلب في حرب : ما لسيفك يقطع، وسيوفنا لا تقطع، على أنا نغالي بها ؟ فأخذ يزيد يده، فوضعهما على قلبه، وقال : كيف ترى سكونه ؟ قال : آراه ساكنا . قال : بهذا يقطع سيفي)) . انظر : المستجاد من فضائل الأجواد : ٢٤٤ .

٢ — نيل المال والنفوذ : ٩ .

٣ — المصدر نفسه : ٩ — ١٠ .

٤ — المصدر نفسه : ١٠ .

وقال (١) :-

ان المهالب لن يزال لها فتى
بالمقربات لواحقاً آطالها
مُتَلَبِّباً تهفو الكُتائب حولها
ملك أغر متوج يسمو له
رَفَاعُ أُلوية الحروب الى العدا
يمرّ قوادم كل حرب لا قسح
تجتأ سَهْلٌ سباسب وصحاصح
مُلح المَتون من النضيج الراشح
طُرفُ الصديق بفغر طرف الكاشح
بِسْمُود طير سانح وبسواح

هو لا* هم المهالبة، وهذه هي الصورة التي يرسمها زياد الأعجم لهم، ممثلين في شخص المغيرة بن المهلب. فقد دلل المهالبة بتصرفاتهم على أن الاقدام لا يسرع بصاحبه نحو الموت (٢)، فحاضوا الحروب معلمين، وهذه ثقة منهم بأنفسهم. غير أن هذا لا يعني انهم كانوا يباشرون القتال، دون اعداد مسبق، لأن هذا تفريط من شأنه أن يجلب شر النتائج على الجيش (٣). وقد أحسن المهالبة تمبئة جندهم، وهياً وهم لخوض غمار الحرب.

وقد أكد حاجب زبيان شجاعة يزيد بن المهلب حين قال (٤) :-

كم من كمي في الهياج تركته
جللت مفرد رأسه ذا رونق
يهوى لفيه مجدلاً مقتضولاً
عُضْب المِهْزة صارماً مصقولاً

ويقول الخريش بن هلال القرقي في المهالبة : ((والله ما أعلم أحداً، أصون لنفسه في الرخاء، ولا أبذل لها في الشدة منهم)) (٥). وهذا ما حمل لواءه الشعراء، وحاولوا الترويج له. يقول حمزة بن بيدر (٦) :-

فلله أبناء المهلب فتية
هم يصطلون الحرب والموت كانع
إذا لَقَحَتْ حرباً عواناً تاكُل
بِسْمِ القنا والمشرقية من عسل
إذا وردوا علواً الرماح وانهلوا
تري الموت تحت الخافقات أمانهم

١ - ذيل الامالي والنفوس : ١١١ .

٢ - ((قيل ليزيد بن المهلب : انك لتلقي نفسك في المهالك ! قال : اني ان لم آت الموت مستريلاً ، أتاتي مستعجلاً . اني لست آتي الموت من حبه ، إنما آتية من

بفضله ، ثم تمثل :-
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجدر
لنفسي حياة مثل أن أتقدم ما))
انظر : البصائر والذخائر : ٢١٨ / ١ .

٣ - يقول حبيب بن المهلب : ((ما رأيت رجلاً في الحرب مستلثماً الا كان عندى رجلين ، ولا رأيت حاسرين الا كانا عندى واحداً)) . عيون الاخبار : ١٢٩ / ١ .

٤ - الاغانى : ٢٦٦ / ١٤ .

٥ - وفيات الاعيان : ٢٨٤ / ٦٠ .

٦ - الاغانى : ٢٢١ / ١٦ .

وقد طوّر الطرمّاح معنى جديدا . فقال (١) : —

أُزْرِي بِخُفْضِكَ يَا يَزِيدُ —	كُ أَوْ أَنْ تَجْرِيدَ الْمُنَاصِلَ
فِي مُسْتَحْيِرٍ رَدَى الْمُنُورِ	نَ وَمُلْتَقَى الْأَسَلِ النَّوَاهِلِ
خَلَطَ الْمَسَاكِرَ بِالْعَسَا	كَرَ وَالْقَنَابِلَ بِالْقَنَابِلِ
فِي كُلِّ أَرْعَنَ ذِي بَسَا	رَقَى بِالْمَشِيِّ وَذِي هَوَاطِلِ
مُتَجَدِّدِ الْأَثَارِ ذِي	لَجَبٍ كَثِيرٍ وَحَى الصَّوَاهِلِ
كَوْفَى الْقَطَا مَا يَسْتَبِيحُ	نَ بِهِ الْمَحْدَثُ قِيلَ قَائِلِ
وَمَا زِلْتُ تَخْفُقُ فَوْقَ رَأَى	سِكَ رَايَةٍ فِي رَأْسِ عَامِلِ
تَفْشَى بِحَزَقِهَا الْمَثَا	لِفَ ذَاتِ دُقَاعٍ وَوَابِلِ
تَذُرُ الْأَكَامَ فُضَاً وَتَجَسُّ	كَهْرًا مَا وَرَدَتْ مِنَ الْمَنَاهِلِ
بِعَقَابٍ فِيهَا الْمُنَا	يَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْقَسَاطِلِ
فِيهَا سَفَا سَيْفُ الدِّمَا	* يَلْحَنُ مَنْ جَسَدٍ وَسَائِلِ

يُضْخَمُ الشَّاعِرُ حِجْمَ الْجَيْشِ الَّذِي يَقُودُهُ ابْنُ الْمُهَلَّبِ . فَهُوَ يَقُودُ جَيْشًا ضَخْمًا ، وَقَدْ أَحْسَنَ تَرْتِيبَ جُنْدِهِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَقْلِيَّةِ يَزِيدَ ، الَّتِي اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَبْسُطَ نَفُوزَهَا عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الضَّخْمِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ يَزِيدَ أَحْسَنَ التَّصَرُّفِ مَعَ قَادَةِ الْمُقَانِسِ ، الَّذِينَ تَمَآوَنُوا مَعَهُ .

هَكَذَا صَوَّرَ الشُّعْرَاءُ الْمُهَالِبَةَ ، وَقَدْ دَفَعَهُمْ حُبُّهُمْ الْمُهَالِبَةَ ، أَوْ حُبُّهُمْ لَهَا فَفَنِي أَيْدِيَ الْمُهَالِبَةِ ، إِلَى الْمِبَالِغَةِ وَالْخُرُوجِ عَنْ حَدِّ الْمَقُولِ . يَقُولُ الطَّرْمَّاحُ (٢) : —

يَدَاكَ يَدُ عِصْمَةٍ فِي الْوَعْسَى وَأُخْرَى لِمَنْ نَابَهَا مَانَحَكَةُ

ويقول الفرزدق (٣) : —

أَبُوكَ الَّذِي تُسْتَهْزَمُ الْخَيْلُ بِاسْمِهِ وَأَنْ كَانَ مِنْهَا سَيْرٌ شَهْرٌ مَعَارِدُ

ويقول الفرزدق كذلك (٤) : —

وَرِثُوا الطُّغْمَانَ عَنِ الْمُهَلَّبِ وَالْقُرَى وَخِلَافًا كَتَدْفِقُ الْأَنْهَارُ

- ١ — ديوان الطرمّاح : ٣٨٢ — ٣٨٥ .
- ٢ — المصدر نفسه : ٨٨ .
- ٣ — ديوان الفرزدق : ١٠ / ١٩٣ .
- ٤ — المصدر نفسه : ١٠ / ٣٧٥ .

وقد وافق كثيرون الشعراء على ذلك، فمثلا يعدّ ابن أبي الحديد يزيد بن المهلب من أباة الضّيم (١)، وقد اعترف غير ابن أبي الحديد لهم بذلك (٢).

كما سبق تتكشف لنا صورة مشرقة للمهالبة، تقتنّ الشعراء في رسمها، وانشوا عليها، يفصلون بها، ويوضحون قسماها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا، لسبب أو لآخر، فهم كرماء، أمجاد، يقول شاعر (٣) : —

آل المهلب قومٌ حُؤِّلُوا شَرَفًا م ناله رِيٌّ ولا كسادا
لو قيل للمجد : حدِّ عنهم وخالهم بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكارم أرواحٌ يكون لها آل المهلب دواب الناس أجسادا

هذه مهالبة، لعل مردّها : أن المعاني التقليدية في مدحهم، أصبحت مكرورة، فتنافس الشعراء في سبيل السبق الى المعاني، فلم يجدوا غير المهالبة. ويقول آخر (٤) : —

رأيتم أعزّ الناس جـارا وأمنعهم اذا عدّوا زـارا
حماثلكم وان كانت طـوالا نراها عن شماثلكم قصـارا
ويقول الفرزدق (٥) : —

انّ المهالبة الكرام تحمّلوا دقّ المكاره عن ذوى المكروه
زانوا قد يمّمهم بحسن فمالهم وكريم أخلاق بحسن وجوه

- ٢ — شرح نهج البلاغة : ٢٥٢/٣. انظر : البيان والتبيين : ٢/٣١٥—٣١٦، عيون الأخبار : ١/١٣٠، الكامل : ١/٢٤١، الأخبار الموفقيات : ٥٦٠—٥٦١، الطبري : ٩/١٤٠٤—١٤٠٥، العقد الفريد : ١/٧٣، ١٤٥، ٢/٢٠٧، ابن الأثير : ٤/٤٨٥، ٥/٨١—٨٤، شرح نهج البلاغة : ٣/٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦١، ٤/١٣٧، البداية والنهاية : ٦/٤٣، زهر الآداب : ١/٤٩، شرح المقامات الحبرية : ٢/٣١١، خزنة الأرب : ١/١٠٥، العبر في خبر من غير : ١/١٢٤، نهاية الأرب : ٣/٢٢٤، الموشى : ٤١، المستطرف : ١/٧٩، ٢٢٥، سراج الملوك : ١٧٥، بهجة المجالس : ١/٤٥١، دول الاسلام : ١/٣٩، شرح العيون : ١٦٤، المختصر في أخبار البشر : ١/١١٥.
- ٣ — ديوان الحماسة : ٢/٥١٢—٥١٣، ذيل الأملاني والنوانر : ٤١.
- ٤ — أملاني السيد المرتضى : ٣/٣٠—٣١.
- ٥ — ديوان الفرزدق : ٢/٨٨٥.

والناظر في هذه الأبيات الأربعة، يجد أنها دارت حول محور واحد . وهو —
أن المهالبة عزيزو الجار، محميؤ الذمار، يتحملون المكاره عن أصحابها . وهذا يعرض
القاعدة الشعبية التي تؤيد المهالبة . وواضح أن الذي يتحمل هذه الخصال، مستعد
لأن يخسر ما ديا أضعاف ما يربح . ويقول كعب الأشقرى (١) : —

براك الله حين براك بحرا	وفجّر منك أنهارا غـزارا
بنوك السا بقون الى المعالي	إذا ما أعظم الناس الخطارا
كأنهم نجومٌ حول بـيـدر	درارى تكمل فاستـدارا
طوك ينزلون بكل ثـفر	إذا ما الهام يوم الروع طارا
رزان في الأمور ترى عليهم	من الشيخ الشمالك والنجارا
نجوم يهتدى بهم إذا ما	أخو الظلما في السمات حارا
ويقول الفرزدق (٢) : —	

اني رأيتُ يزيدَ عندَ شهابه	لبسَ التقى ومهابة الجبار
ملكٌ عليه مهابة الملك التقى	قمر التمام به وشمس نهـسار
وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتهم	خضع الرقاب نواكس الأبصار
لاغر ينجاب الظلم لوجهه	وبه النفوس يقعن كل قرار

وأخيرا ان ما حصله المهالبة من سوء د ومجد ، أدى الى تكون جبهة معارضة
عريضة في وجوههم . كما أدى الى كثرة حسادهم والكارهين لهم (٣) . يقول
الطرماح (٤) : —

فبيت ابن قحطان خير البيوت	على حسد الأنفس الكاشحة
---------------------------	------------------------

- ١ — الأغاني : ١٤ / ٢٨٦ .
- ٢ — ديوان الفرزدق : ١ / ٣٧٦ .
- ٣ — بيد أن المهلب لم يكن حسودا . يقول المهلب : ((الحسد شهاب ، لا يبالي
من أصاب ، وعلى من وقع)) . رسائل الجاحظ : ١ / ٣٤٥ .
- ٤ — ديوان الطرماح : ٨٢ .

ويقول المفيرة بن حبناء (١) :-

ان المهالب قومٌ ان مدحتهم
كانوا الأكارم آباءً وأجساداً
ان العرانيين تلقاها محسدةً
ولن ترى للناس حساداً

ويرجع المفيرة بن حبناء صراحةً، حسد الناس لهم الى علو همتهم، وارتفاع قدرهم. ويرى أن حسد الناس لهم، ظاهرة صحية، تفيد المهالبة، وتضرب حاسديهم. وهكذا وجه المفيرة هذه الظاهرة توجيهاً اعلامياً لصالح المهالبة.

ذهبت جمهرة من المسا در العربية الى أن المهلب عتكي من الأزد (٢)، وهذا ما أكدته بعض الشعراء. يقول ثابت قطنية (٣) :-

ما كان في أبويك قاذحٌ هُجَنَة
فيكون زندق في الزناد صلوداً
ويقول ثابت كذلك (٤) :-

أرقتُ ولم تأرقْ ممي أم خالد
على هالكٍ عدَّ العشيرة فقدّه
دعته المنايا فاستجابَ وسَلَمّا
ويقول حمزة بن بيزر (٥) :-

برزت سبَقَ الجواد في مهَل
وقصرت دون سميك العرب
ويقول عرهم المدوي (٦) :-

فلا تُرسلن عبد العزيز وسرحن
اليهم فتى الأزد الألد المَساميا

١ - معجم الشعراء: ٢٧٣.

٢ - انظر هامش صفحة ١ من هذا البحث. وانظر: نسب عدنان وقحطان :
٢٢، المعارف: ١٠٨، ٣٦٩، الشعر والشعراء: ١١١، طبقات ابن المعتز :
١٩٨، الصناعتين: ١٥٨، أنساب السمعاني: ١٨٠/١-١٨١، العقد
الغريد: ٣٠٠/٢، الأنساب المتفقة: ٦-٧، شذرات الذهب: ١١/١، لسان
العرب: ١/٤٦٤، مادة عتك.

٣ - الأغاني: ١٤/٢٧٨.

٤ - الطبري: ١٠/١٤١٥.

٥ - الأغاني: ١٦/٢٠٩.

٦ - ذيل الأمالي والنوادر: ص ٣٢.

كريم إلى الأمِّ الكريمة والأب

مفاوز أخماسها نازحة

على جسد الأنفس الكاشحة

صن والعائل للعائل

ج والعلا حل للحلا

مسة الخلاجمة المقسول

ن غنن وذكرها غير خامس

ن الأطولين لدى التطاول

ن لكل مختبئ وسائل

ن الأفضلين لدى التفاضل

م زوى المآثر والأوائل

م زوى المآثر والمآكل

م لكل بطريق مخايل

ما ناله عربي لا ولا كاد

ويقول الفرزدق (١) : —

أغر كأنَّ البدر تحت ثيابيه

ويقول الطارم (٢) : —

اليك ابن قحطان نظوى بها

ويقول الطارم أيضا (٣) : —

فبيت ابن قحطان خير البيوت

ويقول الطارم (٤) : —

أيزيد يا ابن ذوا الحوا

وابن المتوج للمتو

وابن القماقمة القما

والأقدمين الأولي

والخضرمين المخضمي

والدافمين النافعي

والأطبيين الأكرمي

وابن الأغرين الكرا

وابن الهمام ابن الخيا

أنَّ الأغرابن الكرا

وقال آخر (٥) : —

آل المهلب قوم خولوا شرفا

١ — ديوان الفرزدق : ١ / ٤٦ .

٢ — ديوان الطارم : ص ٨١ .

٣ — المصدر نفسه : ص ٨١ .

٤ — المصدر نفسه : ٣٧٤ — ٣٧٧ .

٥ — ديوان الحماسة : ٢ / ٥١٢ .

هوؤلاء الشعراء جميعا ، وأولئك المؤلفون ، نسبوا المهالبة الى العرب . غير
أن نسب المهالبة لم يسلم من الطعن . ولم يغفل الطاعنون عنهم ، فنسبوههم الى غير
العرب . يقول الفرزدق (١) : —

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْأَزْدَ تَهْفُو لِحَاهُمْ	حوالي مَزُونِيٍّ لثِيمِ الْمُرْكَسِبِ
مَقْلَدَةً بِمَدِّ الْقُلُوسِ أَعْنَسَةً	عَجِبْتُ وَمَنْ يَسْمَعُ بِذَلِكَ يَعْجَبُ
تَضُمُّ أُنُوفًا لَمْ تَكُنْ عَرَبِيَّةً	لَحَى نَبْطٍ أَفْوَاهُهَا لَمْ تُعَارَبْ
فَكَيْفَ وَلَمْ يَأْتُوا بِمَكَّةَ مَسْكِيًا	وَلَمْ يَمْتَدُوا الْأَوْثَانَ عِنْدَ الْمُحَصَّبِ
وَلَمْ يَدْعُ دَاعٍ يَصْبَاحًا فِيرَكِبُوا	إِلَى الرُّوعِ الْآفِي السَّفِينِ الْمُضَيَّبِ
وَمَا وَجِعَتْ أَرْذِيَّةٌ مِنْ خِتَانَةٍ	وَلَا شَرِبَتْ فِي جِلْدِ حَوْبٍ مَعْلَسِبِ
وَمَا انْتَابَهَا الْقَنَاصُ بِالْبَيْضِ وَالْجَنَا	وَلَا أَكَلَتْ فَوْزَ الْمَنْحِ الْمَعْقَبِ
وَلَا سَمَكَتْ عَنْهَا سَمَاةٌ وَلِيدَةٌ	مَظْلَّةٌ أَعْرَابِيَّةٌ فَوْقَ اسْقَبِ
وَلَا أَوْقَدَتْ نَارًا لِيَمْشُوَ مَدْلِجٌ	إِيَّهَا وَلَمْ يَسْمَعْ صَوْتُ أَكْطَبِ
وَلَا نَشَرَ الْجَانِي ثِيَابًا أَمَامَهَا	وَلَا انْتَقَلَتْ مِنْ رَهْبَةٍ سَيْلٌ مَذْنَبِ
وَلَا أَرْقَرَ الرَّاعِي إِيَّهَا مَعْجَلًا	بَوَاطِبِ لِقَاحٍ أَوْسَطِيحَةٍ مَعْرَبِ

ينفي الفرزدق أن يكون المهالبة عربا ، ويجردهم من خلائق العرب . فهم
يألفون القلوس ، وهم نبط ، بعيدون عن صفة الفصاحة التي طالما اعتز بها العربي . وهم
لم يشاركوا العرب في عبادتهم في الجاهلية ، ولا يستجيبون للصراخ اذا سمعوه ،
ويفتقرون الى خصيصة الكرم . وهكذا نرى أن الفرزدق حاول اثبات اعجميتهم بالنظر
الى اشكالهم ، وبالنظر الى فقدهم لأهم الخصائص والصفات التي يمتاز بها العربي .
وتبدو قيمة هذه الأبيات في أن الشاعر نظمها في حياة المهلب ، في ولاية بشر بن مروان
على العراق ، كما يثبت ذلك سياق الأبيات ، مستفلا علاقة بشر السيئة بالمهالبة . ويقول
الفرزدق (٢) : —

مِنَ الْمُنْتَطِقِينَ عَلَى لِحَاهُمْ	دَلِيلَ اللَّيْلِ فِي اللَّجَجِ الْغَمَارِ
يُنْبِيُّ بِالرِّيَّاحِ وَمَا أَتَتْهُ	عَلَى دَقْلِ السَّفِينَةِ كَالْمَصْرَارِ

١ — ديوان الفرزدق : ١١٠ — ١١٣ .

٢ — ديوان الفرزدق : ١٠٢ / ١ .

ولو رَدَّ المهلب حيث صَمَّتْ
الى أم المهلب حيث أُعْطَتْ
تَبَيَّنَ أَنَّهُ نَبِطِيٌّ بِحَرِّ
بِلَادٍ لَا يُعَدُّ بِهَا غُلَامٌ
وكيف ولم يَقْدِرْ فَرَسًا أَبوكُم
وما لله تَسْجُدُ أَرْدُ بَصْرَى
عليه الغاف أرض أبي صفار
بثدي اللوم فاه مع الصفار
وَأَنَّ لَهُ اللَّثِيمَ مِنَ الدِّيَارِ
له أبوين مَفْزَلَةُ الجِوَارِ
ولم يَحْمِلْ بنيه السى الدَّوَارِ
ولكن يسجدون بكل نَسَارِ

يصرح الفرزدق في نهاية أبياته بأن المهالبة مجوس. وقد أفلح حين استخدم كلمة ((تسجد)) . وهذه الكلمة لها مدلول اسلامي ثابت، وهم ان شاركوا الناس في السجود، يخالفونهم في غاية السجود . ان يسجد أولئك لله، ويسجد هؤلاء للنار. ويقول (١) :-

يا عَجَبًا لَعَمَانَ الْأَسَدِ إِذَا هَلَكُوا
لو أَنَّهُمْ عَرَبٌ أَوْ كَانَ قَائِدُهُمْ
وَقَدْ رَأَوْا عِبْرًا فِي سَالِفِ الْأُمَمِ
مَدْبَرًا مَا غَزَا الْمُقْبَانَ بِالرَّخَمِ

والفرزدق في قصائده يراوح بين التقرير والتلميح . يلمح ان وجد أن هناك مجالا لمناقشة الخصم، وإبطال حججه . وهكذا نراه يناقش المهالبة، ويحرمهم بمنطقة قوى من نسبتهم الى العرب، بتجريد هم من أخلاق العرب. يقول (٢) :-

أرى الْأَسَدَ أَنْهَاطَ الْعِرَاقِ وَمَذْجًا
وَمَا طَيَّ مِنْ مَذْجٍ بِحِمِيمِ

والسؤال الآن : علام اعتمد الشعراء في نسبة المهالبة الى غير العرب ؟ هل انطلقوا من حسدهم للمهالبة فحسب ؟ أو هل انطلقوا من علاقاتهم القبلية السيئة بالمهالبة ؟ أو هل اعتمدوا على حوادث معينة، صحيحة أو كاذبة، كانت تدور حول المهالبة ؟

لقد تناقل الرواة عدة روايات، مصدرها إما أبو عبيدة، مصدر بن المثنى وأما الهيثم ابن عدي . وهما ولوعان بجمع المثالب والتأليف فيهما . يقول الهيثم بن عدي عن عبد الله ابن عياش الهمدان : ((وقد ابن الجلندي في الأزد - ازد عمان - ومواليهم وأخلافهم .

١ - ديوان الفرزدق : ٢ / ٨٠٧ .

٢ - المصدر نفسه : ٢ / ٨٢٠ .

فكان فيمن وقد منهم أبو صفرة، وكان يلقب بذلك، لأنه كان يصفر لحيته. فدخل على عمر (١) مع ابن الجندى، ولحيته مخضوبة مصفرة. وقال عمر لابن الجندى: أكل من معك عربي؟ قال: لا، فينا العربي وفينا غير ذلك، فالتفت عمر — رحمه الله — إلى أبي صفرة. فقال له: أعربي أنت؟ قال: لا، أنا ممن من الله عليه بالاسلام ((٢)).

ولنا على هذه الرواية عدة ملاحظات، إذ يكاد من ينعم النظر فيها يلحظ أثر الافتعال. ويضخم ناسج خيوط هذه الرواية من شأن أبي صفرة من حيث لا يحتسب، حين يجعل عمر يوجه حديثه لابن الجندى وأبي صفرة وحسب، وهذا يعني أنهم زعماء المجموع. ولولم يكن كذلك لما استطاع أن يدخل إلى عمر من بين هذا الحشد من الناس. والذي يفيد الفعل ((التفت)) يدل على أن سؤال عمر قائم على النظرة العجلى. وهكذا نجد أن التصنع يكتنف الرواية.

أما أحداث الرواية فيبدو فيها الوضع، فقله: ((وفد ابن الجندى في الأزدي — أزد عمان — ومواليهم وأحلافهم)) يحمل معنى الهجرة الطوعية الجماعية، التي لسم تسمى أحدا منهم في عمان. وكتب التاريخ والبلدان لا تحدثنا عن مثل هذه الهجرة في هذا الوقت، بل تحدثنا عن هجرة في خلافة يزيد بن معاوية (٣). أما قوله: ((وكان يلقب بذلك، لأنه كان يصفر لحيته)) فهذا القول فيه نظر في ضوء إيراد المؤرخين عدة تفسيرات لهذه التسمية (٤). أما قوله: ((ان الوفاة كانت على عمر فهذا أمر مشكوك فيه، والمعروف أن الأزدي وفدت بجموع لم تكن تساوى هذه الحشود، التي يحشد لها حائك الرواية في خلافة أبي بكر، أثناء ردتها، وبقوا محتجزين حتى خلف عمر على الناس (٥).

وأخيرا، نسأل، من هو ابن الجندى؟ هل هو ابن لقيط بن مالك ذي التاج،

١ — علاقات عمر بالمهالبة يكتنفها الغموض. انظر: الشعر والشعراء: ص ١١، الصناعتين:

ص ١٥٨، العقد الفريد: ٢/٣٠٠، شرح المقامات الحربية: ٢/٣٠٩.

٢ — الاغانى: ٢٠/٢٠.

٣ — نقاض جريير والفرزدق: ٢/٧٣٠.

٤ — ذكر أن بنتا له اسمها صفرة. انظر: الاصابة: ٣/٥٠٠، شرح المقامات الحربية: ٢/٣١٠.

٥ — الطبقات الكبير: ٧/٧٢، معجم البلدان: ٢/٤٣٥، الروض الممطار: ٢٣٢ —

٢٣٣، زد عليه أن عمان كلها أحيانا، كانت تنسب لذلك، يقول صاحب المعارف:

ص ٦٨ هـ ((لأن أهل عمان صفر الوجوه)) .

الذي كان يسامى في الجاهلية الجلندي (١) ؟ ونقول : كيف تولّى الأزد قيادتها لابن زعيم المرتدين ؟ وكيف تقبل الدولة أن يتزعّم جموع الأزد ابن زعيم المرتدين ؟ وحركة الردة ما زالت خضراء . لم يمض طویل وقت على حدوثها . وهكذا نستطيع القول : ان هذه الرواية غير صحيحة . شكلا ومضمونا ، وان أحداث التاريخ بما أوردته من أحداث وقرائن ترفضها .

استغل الشعراء هذه الأخبار ، لثلب المهالبة ، فيقول كعب الاشقرى (٢) : —
 رَمَتْكَ قَبِيلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا ظَلَمَتْ وَرَامَهَا قَبِيلُكَ الْفَجْفَاجَةَ الصَّلَفُ
 لَا يُجْزَى الثُّغْرَ خَوَّارَ الْقَنَاةِ وَلَا هَشَّ الْمَكَاسِرِ وَالْقَلْبُ الَّذِي يَجْفُ
 هَلْ تَذْكُرُونَ لِيَالِي التَّرِكِ تَقْتُلُهُمْ مَا دُونَ كَاذَةٍ وَالْفَجْفَاجِ مَلْجَأُ
 لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ الْآبَعْدَ مَا كَبَرُوا فَهَمْ ثَقَالٌ عَلَى أَكْتَافِهَا عُنُوفُ
 أَنْتُمْ شَبَاسٌ وَمَرْدَانُ مَحْتَقِرٌ وَبِسَخْرَاءَ قُبُورٍ حَشَوَهَا الْقُلُوفُ
 أَنِي رَأَيْتُ أَبَا حَفَرٍ تَفْضِّلُهُ أَيَّامُهُ وَمَسَاعِي النَّاسِ تَخْتَلِفُ
 قَيْسٌ صَرِيحٌ وَيَعْزُ النَّاسُ يَجْمَعُهُمْ قَرَى وَرَيْفٌ فَمَنْسُوبٌ وَمُقْتَسِرَفُ
 لَوْ كُنْتَ طَاوَعْتَهُ لَكِ الْعَجْزُ مَا اقْتَسَمُوا سَبْعِينَ أَلْفًا وَعِزَّ السَّفْدِ مَوْتَنِفُ

يجرّد كعب في قصيدته هذه المهالبة من نسبتهم الى العرب ، فهم عجم ، ويبرهن على ذلك بكشف أسماء المهالبة الحقيقية : فهم شناس ومردانان وبسخراء . وقد اعتبرت هذه التسميات التي كشف عنها كعب مرجعا تيكلي عليه الطاعنون في نسب المهالبة (٣) . ومن هنا تأتي خطورة ما قام به كعب ، الذي جنى على نفسه نتيجة ذلك ،

١ — الطبري : ١٩٧٧/٤ — ١٩٧٨ . واليك هذه الرواية بلا تمليق : ((. . . والمهلبية تزعم أن أبا صفرة قدم على النبي ، وعليه حلة صفراء يسحبها خلفه ذراعين . وله طول ومنظر وفصاحة . فأعجب النبي ما رأى من جماله وخلقه . فقال له : من أنت ؟ قال : أنا قاطع بن سارق ابن ظالم بن عمرو بن شهاب بن مرة بن الهلقام بن الجلندي بن المستكبر بن الجلندي ، الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا . فقال له النبي : أنت أبو صفرة ، ودع عنك ظالما وسارقا)) .

انظر : شرح المقامات الحريية : ٢/٣٠٩ — ٣١٠ .

٢ — الطبري : ١٢٣٩/٨ .

٣ — انظر : الاصابة : ٢/١١٦ ، ٢/٢٤١ .

واضطفتها المبالغة عليه، ولم يزالوا به، غير مصفين لاعتذاراته والتماساته حتى قتلوه والشاعر يبرهن على أنهم لا ينتمون إلى العرب، إذ أنهم لم يمتاروا اعتلاء ظهور الخيل، ولم يتمتعوا بلهاقة الفارس ومرونته. ويرى أنهم أدعيا بدليل أنهم مزارعون، ألفوا الزراعة وحرث الأرض. وقد يكون كعب متأثراً بنظرة قتيبة بن مسلم إليهم ويراى فيه، ((قال أبو الحسن المدائني : اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً في داره بخراسان، فلما ولي قتيبة بن مسلم خراسان، جعل ذلك لابله. فقال له مرزيان مروان : هذا كان بستاناً ليزيد، اتخذته لابلك. فقال قتيبة : ان أبي كان اشترى من يريد جملاً، وأبو يزيد كان بستاناً)) (١)، يعرض قتيبة بن مسلم بالمبالغة، مبيناً أنهم أكثرة حرثاً من غيره. وليس ذلك فقط، وإنما أبو يزيد رئيس هؤلاء الحرثين، وهذا يثبت عنده أن أبا يزيد كان أعجباً، أمّا أبوه فقد كان جملاً، والجمل له علاقة وطيدة بالانسان العربي وكأن قتيبة يقول : انه عربي صريح أمّا يزيد فهو أعجمي (٢).

ويزيد بن المهلب — ككل العرب — كان يكره أن يوصف بهذا الوصف، وأن يلصق به هذا النعت وللتدليل على ذلك نسوق هذه الرواية : ((وقال أبو الحسن المدائني : باع وكيل ليزيد بن المهلب بطيخاً جاءه من مغل بعض أملاكه، بأربعين ألف درهم، فبلغ ذلك يزيد. فقال له : تركتنا بقالين ! أما كان في عجائز الأزد من تقسمه فيهن)) (٣).

١ — البيان والتبيين : ٢ / ٨٢، المحاسن والاضداد : ١٢٥، المعارف : ٥٧٦، المحاسن والمساوي : ١٠٣، الأعلام النفيسة : ٢١٥ — ٢١٦.

٢ — ((الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش عن أبيه، قال : خرج الحجاج إلى القباوسان، فإذا هو بأعرابي في زرع. فقال له : ممن أنت؟ فقال : من أهل عمّان. قال : فمن أي القبائل؟ قال : من الأزد. قال : كيف علمك بالزرع؟ قال : انني لأعلم من ذلك، علماً، قال : فأى الزرع خير؟ قال : ما غلظ قصبه، واعتم نبتته، وعظمت حبيته، وطالت سنبلته. قال : فأى المنب خير؟ قال : ما غلظ عموده، واخضر عوده، وعظم عنقوده. قال : فما خير التمر؟ قال : ما غلظ لحاؤه، وودق نواه، ورق سحاه)) (٤). انظر : البيان والتبيين : ٢ / ١٤٦.

٣ — وفيات الاعيان : ٦ / ٢٨٢ — ٢٨٣.

والصاقي مهنة الزراعة بالمهالبة، إهانة لهم — بمقياس المصير — فالعربي البدوي، يحتقر الأعمال، سواء ما تعلق منها بالصناعة أو الزراعة أو الملاحة (١). وقد شغل العرب في المصير الأموي الموالي في أعمال ((الزراعة والصناعة والحرف والمهنة الأخرى)) (٢). غير أن هذا لا يعني أن المهالبة كانوا يرضون بأن يوصفوا بأنهم رعاة بالمعنى الحرفي للكلمة، لأن في هذا الوصف إساءة لهم، فهم زعماء قومهم، وزعيم القوم لا يرضى بالفنم وهم قادة يمارسون قيادة الجند في سوح الوغى، وقد نستطيع إثبات هذا، بأن عمرو بن قريش التغلبي، هجأ يزيد بن المهلب، بقوله (٣) : —

جَدُّكَ يَرْضَى نَعْمًا حَزَنَهُمَا فَاْنَعَمُ وَلَا تَشَقَّ أَبَا خَالِدٍ
وَنَمَّ عَلَى فَرَشِكَ مَسْتَضَعْفًا لِأَشْهَدَن يَوْمًا مَعَ التَّاهِدِ

ورمي أزد عمان بما فيهم المهالبة، بأنهم ملاحون (٤). وقد أعلن هذا صراحة قتيبة بن مسلم عندما شتم القبائل، يقول : ((يا معشر الأزد، والله لأنتم بأعنة السفن ولبس الثبايين، وجذب أعنة السفن، أخذت منكم بأعنة الخيل رفضتم المرادى، وأخذتم الرماح، والله إنها لبدعة في الإسلام، والأعراب وما الأعراب، ولمنة الله على الأعراب)) (٥).

- ١ — فجر الإسلام : ص ٩٠ .
- ٢ — التطور والتجديد في الشعر الأموي : ص ١١٣ .
- ٣ — معجم الشعراء : ص ٥١ .
- ٤ — ((. . . وقد كان عندنا أناس من الأزد، ومعهم ابن حزن، وابن خزن هذا عدوى من آل عمرو . وكان يتمصب لأصحابه من بني تميم، وكانوا على نبذ، فسقط ذباب في قدح بمضهم . فقال له الآخر : غطّ التميمي . ثم سقط آخر في قدح بمضهم . فقال الباكون : غطّ التميمي . فلما كان في الثالثة . قال ابن حزن : شطّيه فان كان تميميا رسب، وإن كان أزديا طفا . فقال صاحب المنزل : ما يسرنى أنه كان نقضكم حرفا، وإنما عني أن أزد عمان ملاحون)) . انظر : الحيوان : ٣ / ٣١٣ .
- ٥ — نقاش جرير والفرزدق : ١ / ٣٥٤، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٩٥، البيان والتبيين : ٢ / ١٣٣ — ١٣٤، فتوح البلدان : ٤٢٢ — ٤٢٣، الطبري : ٩ / ١٢٨٧ — ١٢٨٨، العقد الفريد : ٤ / ١٢٦ .

وقد لجأ الشعراء الى تضخيم مصائب المهالبة، انطلاقاً من الظروف الاجتماعية التي كان يراها الشعراء في مجتمعهم، فقيم مجتمعهم كان تحتقر من يعمل في البحر، وهذا ما أدار الفرزدق حديثه في هذه المقطوعة حوله.

يقول الفرزدق (١) :-

مع التبان ينسب والزمار	كم لك يا ابن دحمة من قريب
بطلزم السفينة والحتار	يظل يدافع الأقالع منها
مذاهب للسفين واللصاري	إذا نسبت عuman وجدت فيها
على لؤم المناقب والنجار	أولئك معشر أقعوا جميعاً
كالأم ما تكون من الديار	أرى دارا يشرفها جديع
تقيل في رفاق أبي صفار	على أساس عبد من عمان

وهذه المقطوعة وغيرها من المقطوعات والقصائد التي تسم المهن، لها دلالة اجتماعية توضح نظرة الناس لهذه المهنة، كما انها تدلنا على لباس البحارة. والفرزدق يزرى على المهالبة كونهم بحارة، يرتدون التبان، ويلتزمون حبل السفينة، ويجيدون العمل في البحر، فضلاً عن لؤمهم وحقارة نسبهم، فجدهم عبد آبق، ويمزج الفرزدق هجاءه بسخرية مرة فيقول (٢) :-

وأدنى الناس من دنس وعمار	وجدنا الأزدي من بصل وثوم
نفي الماء من خشب وقار	صراريون ينضج في لحاهم
بخوب النخل من أدر كبرار	كان خضاهم از صرروهسا
من الحبلي ذى الشعر القصار	إذا جدفوا السفين خصى تيوس
ترى بلبائه أثر الزمار	وكائن للمهلب من نسيب
يقود الساج بالمرس المفسار	بخارك لم يقدر فرساً خولكن
دليل الليل في اللجج الغمار	من المتنطقين على لحاهم
على دقل السفينة كالصرار	ينبىء بالرياح وما أتنه

١ — ديوان الفرزدق ٢/ ٤١٢-٤١٣.

٢ — المصدر نفسه ١/ ٢٥٢.

فالمهالبة - كما يحدثنا بذلك الفرزدق - بحارة ، محترفون ، وجدوا في البحر مدد رزق لهم ، فأجادوا التماسل مع البحر بشكل جيد ، وأجادوا قيادة السفن ، وتمرسوا بهذا العمل ، وأتقنوه ، ومارسوه باستمرار بحيث ترك آثاره على أجسامهم فخلص السفينة أثرت في صدورهم ، ووسمتها ، وتفننوا في انتقاء الحبال القوية المفتولة ، حتى لا تخذلهم ، وتمكّنوا من قيادة السفن بمهارة لا تتأتى لغيرهم ، واستطاعوا أن يتمرغوا على البحر ، ويعتادوا وعشاشا السفر البحري ، حتى أصبحوا أدلاء مجربين يستفيد من خبراتهم المسافرون بطريق البحر مقابل أجر معين . وتمكّنوا من رصد كل ما يتعلق بحفظ سفنهم ، فعرفوا تحديد سرعة الرياح واتجاهاته ، وهذه الأمور جميعا من مستلزمات البحارة . ويقول (١) : -

ولمّا رأيتُ الأزدَ تهفولِحاهُمُ حوَالِيْ مَزُونِيٍّ لثِيْمِ المَرْكَبِ
مَعْلَدَةً بَعْدَ القُلُوسِ اَعْنَنَةً عَكَبْتُ وَمَنْ يَسْمَعُ بِذَلِكَ يَعْجَبُ
ويقول كذلك (٢) : -

ولم يدع داعٍ يا صاحبا فيركبوا الى الرّوع الا في السفين المُتَّكِبِ

يوامل الفرزدق هجومه على المهالبة ، وسخريته بهم . وهو في ذلك يعمل على أساسين : أولهما : إبراز ماخي المهالبة غير المشرف - بالقياس لمقام عديم عصره - فهم ملاحون والملاحه يرفع امتنانها العربي . وثانيهما : تجريد المهالبة من الصفات التي يعترض العربي بالانصاف بها ، والصاق زائل متعدّد بهم ، فهم لوماء ، ولا يجيبون دعوة المستفيث ان استغاث بهم .

وقد التفت جرير قرن الفرزدق ، وابن قبيلته ، الى ناحية أخرى تتصل بالملاحيين . التفت جرير الى غذاء الأزد والمهالبة ، وغيرهم بأنهم جعلوا صيد البحر غذاء لهم . يقول (٣) : -

هل تذكرون ان الحساس اعامكم وان الصّافاة أرغكم وصحار
ويقول (٤) : -

يا ابن المهلب ان الناس قد علموا ان الخلافة للشّم المفاويـر
لا تحسبنّ مراس الحرب اذا خطرت أكلُ القُباصِ وأدُمُ الرّفغِ بالصيّـر

١ - ديوان الفرزدق : ١١ / ١٠ .

٢ - المصدر نفسه : ١٢ / ١ .

٣ - ديوان جرير : ٢ / ٦٤٨ .

٤ - المصدر نفسه : ٢ / ١٤٨ .

فهم يفتنون الحساس والقباب والكعد، ويتأدون بالصير، وهذه التسميات تدل على تنوع ما كانوا يصيدون، وعلى انتشاره في المجتمع، وإن جريلا يحاول وعص المهالبة بها دون غيرهم (١). يقول جرير (٢) :-

كانوا إذا جعلوا في صيرهم بصلاً واستوسقوا من كعد جدفوا

وهو هنا يبين كيفية أكلهم السمك. فالصير يشطر، ويحشى بصلاً والكعد يملح. وهذه قيمة اجتماعية لهذا البيت، الذي يكشف لنا عن طعم القوم، وكيفية اعداده.

وقد يكون الشعراء - الذين رموا المهالبة بأنهم ملاحون - اعتمدوا على رواية مصدرها أبو عبيدة، يقول: ((... وكان أزدشير بن بابكان، جعل الأزد ملاحين بشحر عمان، قبل الاسلام بستمئة سنة)) (٣).

ورمي المهالبة بأنهم مزون، وقد أعطيت المصادر عدة معان لهذه الكلمة، من بينها: أن مزون، اسم قرية من قرى عمان أو البحرين (٤). وهذا لا يعقل أن يكون مطعنا يطعم

١ - يقول شارح الديوان: القباب = الكعد. الديوان: ١/ ١٤٨. ويقول صاحب معجم الديوان: الكعد أو الكنعت: ((سمك في البحر الأحمر، وبحر فارس، والبحر الهندي، كبير من فصيلة التنا اسمه غي بحر فارس، شيرماهي، وهو السمك الذي سماه فورسكال: كعدا بالعربية، وباللاتينية

معجم الحيوان: ص ٢٢٢، ص ٨٠.

أما الحساس: فيقول عنه شارح الديوان: سمك صفار. الديوان: ٢/ ٦٤٨. أما الصير فيسميه شارح الديوان الصحناء. الديوان: ١/ ١٤٨. ويشرح المحقق في الهامش بأن الصحناء والصحناء: ((أدام يتخذ من السمك الصفار، مشة، مصلح للمعدة)) الديوان: ١/ ١٤٨. ويذكر الجواليقي في المغرب: أن الصحناء سرياني معرب، نظراً لأن الشاميين يتكلمون به، في ضوء دخول بعض الكلمات السريانية إلى الشام والنارسية إلى العراق)) انظر: المغرب: ص ٢١٦. ويجعل ابن منظور في مادة صحن ١٣/ ٢٤٥ معنى الصحناء والصير واحداً.

٢ - ديوان جرير: ١/ ١٧٧.

٣ - الصحاح: ٦/ ٢٢٠٤، لسان العرب: ١٣/ ٤٠٧. مادة وزن، معجم البلدان: ٥/ ٢٢٠.

٤ - نقائش جرير والفرزدق: ١/ ٣٦٨، الكامل: ٣/ ٣٣٢، معجم ما استعجم: ٤/ ١٢٢٢، معجم البلدان: ٥/ ١٢٢، الروض المعطار: ٥٤٢، الصحاح: ٦/ ٢٢٠٤، لسان العرب: ١٣/ ٤٠٧. مادة وزن.

به على الآخرين (١) ، ويكون مطعنا ان ارتبط بمدلولات أخرى ، أما مجرداً فلا يمكن أن يكون مطعنا عليهم . ومن بينها ما قاله أبو عبيدة : ((أراد بالمزون الملاحين)) (٢) . وينقل ابن منظور عن ابن بَرِي : ((والمزون قرية من قرى عمان ، يسكنها اليهود (٣) والملاحون ، وليس بها غيرهم)) (٤) وقد تكون الملاحاة ما عنته المصادر . يقول رجل عند مسلمة بن عبد الملك : ((ما استرحنا من حائك كنده ، حتى جاءنا هذا المزوني)) (٥) ، فهو يتحدث عن اتخاذ ابن الأشعث وكندة مهنة الحياكة . وما أنه يتحدث عن المهن ، فربما يكون قصده بالمزوني البحار .

تداول الشعراء هذا المعنى (المزوني) في شعرهم . يقول محمد بن القاسم الثقفي (٦) : —

ولا كنتُ للعبد المزوني تابِعاً فيالك دهرٌ بالكرام عِشور
ويقول البعيث بن عمرو اليشكري (٧) : —
تبدلتُ المناهر من قريش مزونياً بفَقَحَتِهِ الصليبِ
ويقول جرير (٨) : —
ودعا المزونُ علي ابن دحمَاز وأوا قتلى كأن خُصامهم الفخار
ويقول (٩) : —
وفرقتُ حيتانَ المزون وقد لَقُوا تميمًا وعزًّا ذا مناكبٍ مدسِّرا
ويقول الفرزدق (١٠) : —
به دمر الله المزونَ ومن سَمى اليهم كما كان الفراعين دَمِّرا

- ١ — رأى الحجاج فيها مطعنا في رسالته الى المهلب . يقول : ((وأنت من اهل عمان)) . انظر : الكامل : ٣ / ٣٧٠ .
- ٢ — لسان العرب : ١٣ / ٤٠٧ مادة وزن .
- ٣ — معجم ما استعجم : ٤ / ٢٢٣ — ٢٢٤ ، الروض المصنوع : ٥٤٢ .
- ٤ — لسان العرب : ١٣ / ٤٠٧ مادة وزن .
- ٥ — البيان والتبيين : ٢ / ٩٩ .
- ٦ — فتوح البلدان : ص ٤٤١ .
- ٧ — لسان العرب : ١٣ / ٤٠٧ مادة وزن .
- ٨ — ديوان جرير : ٢ / ٦٤٨ .
- ٩ — احصدر نفسه : ١ / ٤٧٠ .
- ١٠ — ديوان الفرزدق : ١ / ٣٤٧ .

ويقول (١) : -

ولما رأيت الأزد تهفوا لحاهم حوالى مزوني لثيم المركب

ولمنا نستطيع اثبات أنهم يقصدون بمزون البحارة، من قرائن في معنى الأبيات، فجير يقول : وغرقت حيطان المزون ، والفرزدق يقرن بين نهايتهم ونهاية فرعون ، ويديهي أن الحيطان تعيش في البحار وتجيد السباحة . وفرعون مات غرباً في البحر - كما أنبأ بذلك القرآن - ، ويفهم مما قاله فلها وزن أن العرب كانوا يعمنون بمزون صائد السمك (٢) . وصهما يكن فانه يظل لهذه الكلمة أبعاد مهنية تتعلق بما كان أزدي عمان - بما فيهم المهالبة - يعملون به . يقول الكميت (٣) : -

فأما الأزدي أزدي أبي سعيد فأكره أن اسمها المزون

وبيت الكميت هذا ، لا ينفي اللقب عن الأزدي والمهالبة ، بل يثبت . وان كان الكميت يتجافى عنه اكراما للمهلب ، وتقديراً لصفاته الحسنة ، والكميت نفسه يقول (٤) : -

كما ضرب الأعماس للسدس قبلها أخو الزون يرجو دولة أن يدالها

ويكمل أبو عبيدة ما بدأه الهيثم ، فيقول : ((كان أبو صفرة فارسيًا مجوسيًا حائكًا من أهل خارك ، يقال له : بسخرة بن بهبوزان ، قتل إلى عمان ، فأتى إلى الأزدي ، ثم كان بعد سائسا لعثمان بن أبي العاصي الشقي ، ومعه هاجر إلى البصرة)) (٥) . وينقل ياقوت الرواية ذاتها عن أبي عبيدة : ((وكان أبو صفرة ، والد المهلب ، فارسيًا من أهل خارك ، فقتل إلى عمان ، وكان يقال له بسخرة ، فعرب ، فقل : أبو صفرة . وكان بهي حائكًا ، ثم قدم إلى البصرة ، فكان بها سائسا لعثمان بن أبي العاصي الشقي ، فلبس هاجر الأزدي إلى البصرة ، كان معهم في الحروب ، فوجدوه نجداً في الحروب ، فاستأطوه . وكان

١ - ديوان الفرزدق : ١٥ / ١ .

٢ - تاريخ الدولة العباسية : ٣٨٢ .

٣ - انظر : الكامل : ٢٢٥ / ٣ ، ٣٣٢ ، معجم ما استمع : ٤ / ٢٢٢ ، الصحاح : ٦ /

٢٢٠٣ ، لسان العرب : ١٣ / ٤٠٧ ، مادة وزن ، معجم البلدان : ٥ / ١٢٢ ، الروض الممطر : ٥٤٣ .

وانظر بعض الأبيات التي ذكر أصحابها كلمة مزون في : البيان والتبيين : ١ / ٢٩٢ ،

نقائض جرير والفرزدق : ١ / ٣٦٨ ، الكامل : ٣ / ٣٣٢ ، الأغاني : ١٣ / ٢٧٠ - ٢٧١ ،

لسان العرب : ١٣ / ٤٠٧ ، مادة وزن .

٤ - معجم ما استمع : ٤ / ١٢٢٣ .

٥ - الاغلاق النفيسة : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

من استلاطيت العرب كذلك كثير (١) .

ويستلحق القارىء المدقق أن يلاحظ فروقا جوهرية وتخلخلا يكتنفان قول أبي عبيدة بالرغم من أن جوهر الرواية واحد . يفهم مما نقله ابن رُسْتَه أن أبا صخرة عمل سائسا لعثمان في عمان ، أمّا ما نقله ياقوت عن أبي عبيدة ، فيقول : أنه عمل سائسا لعثمان في البصرة . ويذكر ابن رسته نقلا عن أبي عبيدة أنه ادّعى إلى الأزدي ، فور انتقاله إلى عمان ، بينما نرى ياقوتا يذكر أن الأزدي استلذذته لأنها وجدتته ذا مواهب قتالية وغير قتالية . ويذكر ابن رسته نقلا عن أبي عبيدة أنه عمل حائكا في خارك على حين يذكر ياقوت عن أبي عبيدة أنه عمل حائكا في عمان . ويذكر ابن رسته أنه هاجر بمعية عثمان بن أبي العاصي الثقفي بينما يذكر ياقوت أنه هاجر مع الأزدي ، ولعل هذا ما تؤكدُه انطلاقة الأزدي عقب ردها . هذا فضلا عن أن الرواية تختلف في المصدرين بالإضافة والنقص ، كما تغفل الرواية كيف قطع أبو صخرة اتصاله بعثمان . أمّا التعقيب الذي ذكره ياقوت على لسان أبي عبيدة فيدل على أن أبا عبيدة كان في ممرّز التحامل على العرب وثلبهم ، وهكذا يتبدى لنا الوضع في هذه الرواية .

ويواصل الشاعرون محاولتهم الجادة ، الرامية إلى اقناع من يسميها بأن المهالبة ليسوا عربا ولا مسلمين ، وهم نبط مجوس . فيذكر الهيثم أن الحكم بن أبي العاصي الثقفي أخا عثمان قدّم بأعلاج (٢) من شهرك في خلافة عمر ، قد أسلموا ، فأمر عمر عثمان بن أبي العاصي أن يختنهم . وقد كان أبو صخرة حاضرا . فقال : ما لهؤلاء يظهرون ، ليصلوا ؟ قالوا : أنهم يختنون . قال : أنا والله هكذا مثلهم ! قال : فسمع ذلك عثمان بن أبي العاصي ، فأمر بأبي صخرة ، فأجلس على جفنه ، فختن ، وأنه لشيخ أشمط ، فكان بها من قال : لسنا نشك في زوجته كذلك ، فتحضرت — وهي عجوز أدما — فأمر بها القابلة ، فنظرت إليها ، وكشفها ، وإذا هي غير مختونة (٣) .

يلاحظ أن واضعي قصة الطاعن في نسب المهالبة ، يلجأون إلى الاعتماد على المصادر ، وسير الأحداث سيرا غير مخاطبة له ، فالأعلاج يختنون مصادفة أمام أبي صخرة . وما دام ختان من يسلمون لتوهم تقليدا معروفا ، وما دام عثمان خبيرا في ذلك ، فما الذي رجاه حتى نسي أن يختن أبا صخرة طوال هذه المدة ؟ ويبدو أن واضع القصة لم يلتفت إلى أبناء أبي صخرة الكثيرين ، فهل كانوا مختونين ؟ هل ختنوا قبل والدهم أم أنهم ما زالوا ينتظرون ؟ والأوصاف التي وصفوا بها أبا صخرة بأنه أشمط وزوجته أدما ، تدل على أن واضع القصة مفيظ من أبي صخرة والمهالبة وقد استفاد الشمر من هذه القصة ، ووجدوا فيها مثلبة يثلب

١ — معجم البلدان ٢٠ : ٣٣٧ .

٢ — الأغاني ٢٠ : ٢٠٠ — ٢١ .

بها المهالبة. فقال زياد الأعجم (١) :-

نحن قد بعنا من أبي صفرة
لما رأى عثمان غُرمولَه
قُلْفَتَه كي يدخل البصرة
أحنى على قلفته الشفرة
وقال (٢) :-

هل تسمع الأزد ما يقال لها
اختتن القوم بعد ما حرموا
في ساحة الدار أم بها صمم
واستعربوا خلّة وهم عجم

ويبدو أن الشاعر عندما نظم هذه الأبيات كان متمثلاً رواية اختتانهم بدليل أنه يقول : ((بعد ما حرموا)) ، وكأنه أراد أن يوائم بين ما يقول . وبين الرواية التي تقول : بأن أبا صفرة اختتن ، وهو أشمط . والشاعر في البيتين الأولين أعاد صياغة الرواية بكلمات شعرية موزنة . أما قوله : استعربوا فيدل على أنهم لم يكونوا أصلاً عرباً .

وقد شعر كعب الأشقرى بوخز الدم ، ففزع إلى المهلب ، كاشفاً له عن بيتي زياد ، معلماً له : أنه لم يقصد بها غير المهالبة ، وقد تصرف المهلب بحكمة وفقر النزاع بالتسبي هي أحسن (٣) .

وقد داخ أبو الفرج الأصفهاني عن المهالبة ، رافضاً ما افتراه عليهم بعض النسّابين ممن يهتمون بجمع المثالب ، معتزلاً عن ذكره ما قاله النسّابون بقوله : ((واني ذكرته ، فلم أجد بداً من ذكر ما روي فيه)) (٤) . ويقول : ((وليس هذا من الأقوال المبحول عليها)) (٥) . ثم يكشف عن نوعية البلاغين في نسب المهالبة ، ناعياً على أولئك الرواة نسبهم المثلثون فيه ، أو دينهم الضعيف أو نقائصهم التي دعتهم إلى تسقط عشرات الآخرين (٦) . يقول : ((ومن

- ١ - الأغاني : ٢٠ / ٢١ .
- ٢ - المصدر نفسه : ١٤ / ٢٨٨ . والجدير بالذكر أن زياداً يوجه كلامه إلى كعب الأشقرى .
- ٣ - الأغاني : ١٤ / ٢٨٨ .
- ٤ - المصدر نفسه : ٢٠ / ٢٠ .
- ٥ - المصدر نفسه : ٢٠ / ٢٠ .
- ٦ - يذكر أبو الفرج أن الهيثم بن عدي دعي . وأن أبا عبيدة ، معمر بن المثنى يهودي ، وأن غيلان الشعموي زنديق ثنوي . انظر : الأغاني : ٢٠ / ٢٠ . ويقول ابن أبي الحديد نقلاً عن أبي عثمان في كتاب مفاخرات قریش : ((ولا نجد كتاب مثالب قط إلا لدعي أو شعموي ، ولست واجده لمصحح النسب . ولا لقليل الحسد . وربما كانت حكاية الفحش أفسح . ونقل الكذب ، أقبح من الكذب)) . انظر : شرح نهج البلاغة : ١١ / ٦٨ . ويلاحظ أن يوهانفك إلى أبيات كعب وأقوال أبي عبيدة في نسب المهالبة . انظر : الصربية : ص ٢٤ .

ذكر ذلك الهيثم بن عدي، وأبو عبيدة، وابن مزروع، وابن الكلبي، وسائر من جمع كتاباً في المثالب)) (١).

ومما يستغرب أن كاتب مقال الأزدي في دائرة المعارف الإسلامية، يذكر أن قريشاً تنكر ((انتساب أزدي عمان إلى العرب)) (٢). دون أن يبرهن على ذلك، أو يذكر مصدره، أو القرائن التي اعتمد عليها، حتى خلص إلى إطلاق هذا الحكم.

ولنا على شعر الهجاء، الذي من المهالبة في انتمائهم لملاحظات: منها أن الشعراء، الذين طعنوا في انتمائهم، هم، كعقب الأشقرى وزيد الأعجم والفرزدق. أما بالنسبة لكعب فقد هجا المهالبة بعد أن انحسر نفوذهم السياسي، ولم يعودوا يملكون المال الذي يسدون به أفواه الشعراء، ولعلهم ظن أن نفوذهم انحسر إلى الأبد. فقد سجنهم الحجاج وشد عليهم النكير (٣)، فرأى أن يتلمق الحجاج وواليه قتيبة بن مسلم، بطعن أشد أعدائه إلى نفسه، وقد أصاب كعب منهم مقتلاً، دفع المهالبة إلى قتله، حين عادوا إلى سدة الحكم. أما زياد الأعجم فقد هجاهم، وأقذع انتصاراً لقبيلته، وطلباً للنصف من الأزدي، عقب حرب دارت بين القبيلتين. وهكذا وقع في ظروف دفعته إلى ذلك. ولعله أعلن اعتذاره لهم بمرثيته الرائعة، التي رثى بها المغيرة بن المهلب. أما الفرزدق فقد تبرغر لهم في فترتين متباعدتين: أولاً، في بداية اتصال المهالبة بالمروانيين، ويظهر أن سلطتهم لم تكن قوية، فضلاً عن تضيق بشر بن مروان عليهم، وتشديد النكير على المهلب. ولعل محاولته تجنيد عبد الرحمن بن مخنف ضد المهلب تعكس ذلك. وهكذا استفاد الفرزدق من حماية بشر له (٤). أما الثانية: فيبعد أن قضى على المهالبة، حيث انتهى نفوذهم السياسي وضيق على قبيلتهم وعلى أتباعهم أيّاً كانوا، فضلاً عن أن القائدين اللذين طارداهم، هما تميميان، وهما: هلال بن أحوز المازني وهريم المجاشعي وهو من رهل الفرزدق الأذنين.

ويبدو أن الفرزدق كان يرى الجانب اليماني في المهالبة متضاداً مع جانب المضربة لديه، وقد عمل لاغظة أتباع المهالبة واليمن، وأغرق في الصافي المخازي بهم، وقلل غسي ذلك من شأن الأزدي واليمن، متبنياً أهمية النسب في مجتمع عربي. ولعله - أي الفرزدق -

١ - الآغاني ٢٠٠/٢٠.

٢ - دائرة المعارف الإسلامية: مادة أزدي.

٣ - يذكر أن الحجاج خاطب يزيد بن المهلب في السجن قائلاً: ((يا مروزي)). انظر: وفيات الأعيان: ٢٨٠/٦، شرح المقامات الحبرية: ٣١/٢.

٤ - تصرف الفرزدق إذا جمل المهالبة يحقدون عليه. وجعله يتوجس خيفة ابن المهلب، ويرفرق الاقتراب منهم، وقد رفض الشخوع إلى يزيد بن المهلب، حين استدعاه إلى جرجان.

شدّ من نكيره على اليمينيّين ردّاً على الطرمّاح، الذي حاول أن يجرّد تميما قبيلة الفرزدق من كل فضيلة عبر سلسلة من النقائص التي دارت بينهما .

وهكذا نرى أن المهالبة وقعوا في شبكة الصّراع القبلي والسياسي فضلا عن وقوعهم في شرك سياستهم القبليّة، وضحية انتها نفوذهم السياسي .

وقد رمي المهالبة بالكفر (١)، يقول جرير في مفرغ مدحه دلال بن أحو المازني (٢) : —

وأطفأت نيران النّفاق وأهله	وقد حاولوا في فتنة أن تُسعرا
فلم تبقَ منهم راية يرفعونها	ولم تبقَ من آل المهلب عسكرا
فان لأنصار الخلافة ناصرا	عزيزا اذا طاغ طغى وتجبّرا

يستشعر جرير أهمية ما قام به دلال، فقد أطفأ نيران النّفاق، ونلاحظ من قوله ((نيران)) تضخيمه لثورة النّفاق، وثورة المهالبة، وبالتالي تضخيمه للعمل الذي قام به دلال . وهو هنا لا يسمي المهالبة كفّة بل منافقين . والنّفاق أخطر في نظر الشاعر من الكفر، لأن الكافر معروف، ومواقفه معلنة، أمّا المنافق فمواقفه متذبذبة . وكان الشاعر يستحضر موقف المنافقين من الرسول . ويقرن بين المنافقين و المهالبة، فالمهالبة متذبذبون في ولائهم . فهم حيناً مع الأمويين ومع خصومهم حيناً آخر . وعلى ذلك فالقضاء عليهم أهم من القضاء على أي عدو آخر .

ويمرّف الشاعر على الوتر، الذي سيعزف عليه في مقطوعات قادمة، وهو ما يفهمه بالكفر والنّفاق . وهو الخروج على الخلافة . ويرى أن سبب انتصار دلال هو أنه ناصر للخلافة، أي أنه ليس كافرا . ونلاحظ أن جريرا يكرر لفظ ((ناصر)) مرتين، كما يكرر لفظ ((طاغ)) مرتين كذلك . وكأنّه أراد أن يوازن بين مواقف أعداء الخلافة، أعداء الدين، وأعدائهم، أعداء الدين . ويقول (٣) : —

آل المهلب فرطوا في دينهم	وطاغوا كما فعلت ثمود فباروا
ان الخلافة يا ابن دحمة دونها	لجج تضيق بها الصدور غمار

١ — هل التفت الشعراء الى حكاية ردة الأزدي أنظر: فتوح البلدان : ٧٦-٧٧ ، الطبقات الكبير : ٧٢/٧ ، الطبري : ٤/١٧٢٩-١٧٣٠ ، وفيات الأعيان : ٥/٣٥٠-٣٥١ ، الإصابة : ١/٣١٨ ، ٣/٥٣٥ ، كتاب الجرح والتعديل : قسم ١ مجلد ٢/٥٠٣ .

٢ — ديوان جرير : ١/٤٧١ .

٣ — المصدر نفسه : ٢/٦٤٧ .

ويقول (١) :-

رقصت نساءُ بني المهلب عنوة رقع الرئال وما لهن خمصار
لما أتوك مصقدين أذلّة شغبي النفوس وأدرك الأوتار

ونرى أن الشاعر جرّد الأمويين من بعدز المفاهيم الدينية، التي أجهد نفسه في سبيل الصاقها بهم. فقد أحضر بني المهلب بمناظر محزنة، لا تتفق مع مفاهيم الديين الاسلامي. فالسبيات المسلمات يركشن بسرعة غير متنبات، أما بقية الاسرى فقد أوقروا الحديد. ويقول (٢) :-

آل المهلب جَذَّ اللهُ دابرهم أمسوا رماداً فلا أصل ولا طارف
قد لهفوا حين أخزى الله شيعتهم آل المهلب من ذل وقد لهفوا
ما نالت الأزْد من دعوى مُثْلهم الآ المعاصم والأعناق تُكتطف
والأزْد قد جعلوا المنتوف قائدهم فقتلتهم جنود الله وانتفوا
تهوى بندى المقر أقعافاً جماجمها كأنها الحنظل الخُطبان يُنتف
ان الخلافة لم تُقدّر ليطلكنها عبد لأزدية في بظردا عقف

والشاعر يريد أن يوضح أن الخلافة يناصر الحق، ويذود عنه. أما ابن المهلب فهو ضال مناصر للباطل، ومنطق الأحداث، ونواميس الحياة، تقول : ان الحق يصرع الباطل، وبهذا يحقق النغور العام في الوسط الشعبي ضد المهالبة، ويلفت نظر العامة إلى أهمية الأمويين، وورهم الحامي للدين، المدافع عن محارمه. يقول (٣) :-

لقد تركت فلا نعدمك ان كفروا لابن المهلب عظماء غير مجبور
يا ابن المهلب ان الناس قد علموا ان الخلافة للشم المفاويسر

غير ان ما يلاحظ أيضا ان جريرا لم يمدح المهالبة، ولم يتصل بهم، ولذا فلا يطعن عليه في مهاجمة المهالبة. وهو بهذا يغاير الفرزدق الذي اتصل بالمهالبة، ونال عطاياهم، وعند ما أقل نجمهم لاكهم وتمنّع بهم. يقول الفرزدق (٤) :-

١ - ديوان جرير : ٢ / ٢٤٨.

٢ - المصدر نفسه : ١ / ١٧٦-١٧٧.

٣ - المصدر نفسه : ١ / ١٤٨.

٤ - ديوان الفرزدق : ٢ / ٨٠٦.

كيف ترى بطشة الله التي بياشت
 قاد الجياد من الملقاء منقبضاً
 حتى أتت أرنج هاروت لماشرة
 لما رأوا أن أمر الله حاق بهم
 فأصبحوا لا ترى إلا ما كنهم
 كم فرج الله عنا كرب مظلمة

يا ابن المهلب ان الله ذو نقيم
 شهراً تقلل في الأرسان واللجم
 فيها ابن دحمة في الحمراء كالأجم
 وأنهم مثل ضلال من النقم
 كأنهم من ثمود الحجر أو أرم
 بسيف مسلمة الضراب للبهيم

وهكذا نرى أن الفرزدق يمزج الفخر بالهجاء، ولا تناقض بينهما. وقد يرسم صورة متقابلة، وهو أن يثلب مهبوه بهذه المثالب، ينزهه مدوحه عن ذلك، ويبالغ في رفعة عنها، يقول (١) :

جنيد لدين الله تضرب من طغى
 أبوه ابن أوتاد الخلفة والذي
 ترى مدأ الماذي ثوق جلودهم
 أبي لبني مروان الأعلوهم
 أباركم عن دينه كل ناكث
 أرى الدين والدنيا جُمعا لكم
 أرى كل أرغر كان صعباً طريقها

ومسلمة السيف الحسام يقودها
 به لقريش كان تجرى سمودها
 وفي السلم أملاك رقائق برودها
 إذا ما التقت حمم المنايا وسودها
 كما الأم الأولى أبيرت ثمودها
 إذا اجتمعت للمعالمين جدودها
 أذل لكم بالمشرقي كوءودها

يستغل الشاعر الدين لصالح مدوحيه من بني أمية، فهم يمثلون السلطة المضافحة عن الدين ضد الخارجيين عليه، وهكذا نرى أن الدين أصبح سلاحاً حاداً تتسلح به القوى المتصارعة في الساحة.

ويرسم الشاعر صورتين متقابلتين : صورة مشرقة يرسمها للأمويين، وصورة مظلمة قاتمة للمهاجرة المهالبة، الذين نفت عن نفستهم عليهم. وقد اشتط الشعراء في تكفير المهالبة، وتجريد هم من أي شعور ديني، فهم فساق. يقول الفرزدق (٢) : -

يزيد وحواك البرود اليماني
 لقد علم الفساق يوم لقيتهم

١ - ديوان الفرزدق : ١ / ٢٠١.

٢ - المصدر نفسه : ٢ / ٨٩٠.

وهم بلا عهد ولا دين . يقول (١) : -

ليس ابنُ دحمةَ ممن في موثقِيهِ
الْوَلا في عُمَانِ يَطْلُبُ الدِّينَ

وهم مبتدعون صداد . يقول جرير (٢) : -

انا حمدنا الذي يشفي خليفته
من كل مبتدع في الدين صداد

فجرير هنا يؤكّد معنى مؤداه أن الخليفة، هو خليفة الله في قوله ((خليفته)) وهكذا ينشق الشاعر في وصف الخليفة .

وبعد ، فالمهالبة ظلموا فانتقم الله منهم . والملاحظ أن الشعراء وظفوا القصص القرآني لصالح مدحهم وحميتهم ، وضد مهجوئهم . هل يريد الشعراء أن يقولوا : ان مصير من يرفع رأسه معارضا للخليفة ، سيكون المصير ذاته الذي لقيه قوم ثمود وقرعون ؟

وصم الشعراء المهالبة بالكفر ، فهم طغاة ، بغاة ، كفرة ، مفترّون في دينهم فسقة ، مبتدعون ، وهكذا جردوهم بحق أو بباطل من نعوت الانسان المسلم ، معبرين بذلك عن شعور سياسي يهدف الى تثبيت أركان الحكم الأموي . فقد جعلوا الأمويين أو الخلفاء الأمويين المصادم المقابل للدين . ونجد أنهم غمّوا الدين فهما دينيا ، متطقيين بذلك الأمويين ، متهاغتين على عطاياهم .

والملاحظ أن الشعراء اللذين طرحوا هذه القضية على نطاق واسع : جرير والفرزدق . كما أنهم نظموا هذه الأشعار بعد نكبة المهالبة ، انتقاما منهم وتشفيا بهم ، وتطفا للأمويين ، وحرصا على مصلحة قبيلتهما .

والآن . هل كان المهالبة حقّا كفرة ؟ لا تثبت سيرتهم ذلك . ونجد أن وصية المهلب لأبنائه تضمنت معاني دينية واسعة . يقول : ((. . . وأنهاكم عن معصية الله تعالى ، فإن معصية الله تعقب النار . . . يا بني ، وليكن أول ما تبدؤون به أنفسكم اذا أصبحتم تعلم القرآن والسنن ، وأداء الفرائض . وتأدّبوا بأدب الدّالّحين من قبلكم من سلفكم . ولا تقاعدوا أهل الدّعة والريبة ، ولا تخالطوهم ، ولا يتامعن في ذلك منكم . وإياكم والخفة في مجالسكم ، وكثرة الكلام ، فإنه لا يسلم منه صاحبه ، وأدوا حق الله تعالى عليكم . فأنسي قد أبلغت اليكم في وصيتي ، واتخذت الله حجة عليكم)) (٣)

١ - ديوان الفرزدق : ٨٢٩ / ٢ .

٢ - ديوان جرير : ٧٤٤ / ٢ .

٣ - لباب الآداب : ٢٩ - ٣٠ .

وقد تمرّن الشعراء لثلب المهالبة لأسباب قبلية واقتصادية وشخصية . فعند ما أمن المهلب عمرو بن قرش التغلبي ، وأجاره بعد أن كان قد هجا أمية . ظهر التغلبي ((فقتله مولى لأمية ، فلم يدّلب المهلب بدمه)) وقد أثار هذا الموقف ابن التغلبي (عمرو بن عمرو بن قرش) فهجا المهلب بقوله (١) : —

فهلّا مَنَعْتَ اليَوْمَ مَنْ قَدْ أَجَرْتَهُ	ولم يَمْسَ لَحْمًا بَيْنَهُمْ يَتَمَزَعُ
أَعْدَايَتِهِ الْمِيثَاقَ ثُمَّ خَذَلْتَهُ	وَكُنْتَ لَيْثِيًّا مِنْ خِيَالِكَ تَفْكَزَعُ
فَلَا تَذْكُرُنْ فَخْرًا فَلَسْتَ بِأَهْلِهِ	وَجَارُكَ ثَاوِ عَرْشِهِ مَتَضَعُضِعُ
فَلَوْ كُنْتَ حُرًّا يَا مَهْلَبُ لَمْ تَكُنْ	ذَلِيلًا وَفِي كَفِّكَ عَضْبٌ مُوقَّعُ
وَلَكِنْ أَبِي قَلْبٌ أَطَارَتْ بَنَاتُهُ	عَلَيْكَ فَمَا تَخْزَى وَلَا تَتَّقِنُ
تَجَلَّلْتَ عَارًا يَا مَهْلَبُ فَالْتَمَسْ	لِنَفْسِكَ عَذْرَاءً وَالْعَذْرَاءُ مُجَدَّعُ
عَذَرْتَ أَبَا السَّفَاحِ عَمْرُو بْنَ قَرْشَعٍ	وَأَسْلَمْتَهُ لَمَّا بَدَا الْمَوْتُ يَلْمِصُ
وَلَوْ مَتَّ دُونَ التَّغْلِبِيِّ حَفِظَ طَعْمُهُ	لَقَلْنَا كَرِيمَ جَارِهِ مَا يَسْرُوعُ

والشاعر لا يتورّع عن شتم المهلب شتما صريحا ، ولعل هذا يعكس واقعيته السيئة وأخلاقه . ومن هنا يصح ما أورده المرزباني عنه . أنه ((خبيث اللسان ، هجاسا للأمر)) (٢) . وشتائم الشاعر للمهلب تدل على انفعاله بموضوعه ، لذا فهو يعمد الهجاء النفسي ، الذي يقوم على الصور الشعرية .

ويقول عمرو بن يزيد بن المهلب (٣) : —

أَنْتَ كَرُّ الْيَدَيْنِ مَتَخَبِّ الْقَلْبِ	بِ لَيْثِ الْفَعَالِ غَيْرِ نَضَارِ
وَأَبُوكَ الَّذِي تَضَاهِيهِ	عَاجِزُ الرَّأْيِ زَنْدُهُ غَيْرُ وَارِي
لَسْتُ مَا فَاعِلًا إِذَا الْقَوْمُ نَادَوْا	لِنِزَالِ وَبَارِزُوا فِي الشَّرِّ كَارِ
بَصُورَيْنِ حِينَ تَحْتَدِمُ الْحَسَرُ	بِ وَلَا سَابِقَيْنِ فِي الْمُتَمَارِ

١ — معجم الشعراء : ص ٥٥ .

٢ — المصدر نفسه : ص ٥٥ .

٣ — المصدر نفسه : ص ٥٠-٥١ .

وأبيات الشاعر هذه، تدل على أن الشاعر، ما زال واقفا تحت وطأة الصدمة التي هزته هزاً، ولم يستطع التحرر مما حل به من غيظ. نتيجة لموقف المهلب المتخاذل من أبيه. فهو يوغل في هجائه، بروح مشبعة بالحياة العربية وقيمها، ولذا مسخسه، ونفاه عن هذه القيم المشرقة.

وقد هجا الحارث بن صذب حبيب بن المهلب بقصيدة ساخرة. يقول فيها (١) :-

أوصت صفيّة نسلها بوصيفة	مرعية خُتمت بأير الكاتب
أن لا تدوم لهم كرامة مكرم	فيهم وأن ينبوا بحق صاحب
ويذكر مرّ الفقر عند غناهم	والشح عند حضور حق واجب
والبخل بالمعروف والصلة التي	أوصى الاله بها لحق الراغب
فأرى ابنها حفظ الوصية كلها	وازداد لوؤم طبائع وضرائب
يدعى الحرون عن المكارم كلها	والى الملائم فهو أول واشب
ولقد أتانى وازع بمقالصة	عنه تقولها وليس بكاذب
أن لست خاتمها ولست بليّن	ما عشت للجار المخاشن جانبي
لا تختمن صحيفة من بعد ها	الأيّظّر غزالة المتشاغب
فلقد رأيت أباك ما ضي عمره	في الصهر ليس عن اللثام براغب

يوحي الشاعر للسامع بأنه لا علاقة له بما يقول، وأنه فقط ينقل وصية أوصيت بها أم حبيب بن المهلب أهوة حبيب، ولعلنا نستطيع أن نقول: إن كلمة نسلها تطافح بكل معاني السخرية اللاذعة، كما أنها تدل على أن الأم قد عممت الوصية على أبنائها، كبارهم وصغارهم، ذكورهم وإناثهم، والإنسان عادة يوصي بما يحب أو يكره يراه مفيداً. فهل رأت الأم أن هذا مفيداً؟ وهل كانت تطبق هذا السلوك في حياتها وتسترشد به في تعاملها مع الناس؟ فقد ضلّ الشاعر بخل حبيب، إذ حفظ حبيب الوصية وتمكنت من نفسه، وزادها رسوخاً طبائع حبيب وخلّقه. وقد تطوّر هذا الوضع في بخلاء الجاحظ فيما بعد.

وهكذا نجد أن الشعراء دمغوا المهالبة بالتقصير، واصفين إياهم لسبب أو لآخر بما ليس فيهم، فقد عرف المهالبة بالكرم، ومع ذلك هجّاهم بعض الشعراء، بالشح والبخل.

يقول أبو حرملة العبدى (١) : —

عدُّتُك يا مهلبُ من أُمير — أما تندى يمينك للفقير !
بد ولا بٍ أضعُت دما قومي — ودارت على مواشك دُرور

ومع ان وقائع التاريخ ومذائح الشعراء أثبتت أن المهلب كان يشارك جنده في حياتهم (٢)، إلا أن المضرحي بن كلاب السعدي ينكر ذلك، فيقول (٣) : —

ألا يا من لقلب مستحسن — بخوز سنان قد ملّ المزونا
لهان على المهلب ما ألاقسي — إذا ما راح مسروراً بطينا
ألا ليت الرياح مسخرات — لحاجتنا يرحن ويفتدينا

وقد أفصح جندى آخر من جنود المهلب عن شكواه من المهلب، فقال بسدر ابن هذيل (٤) : —

وإذا طلبت إلى المهلب حاجة — عرضت توابع دونه وعبيد
العبد كُردوس، وعبد مثله — وعلاجُ باب الأحرمين شديد

- ١ — الكامل : ٣٧٤ / ٣، وانظر أيضا : ٣١٧ / ٣.
- ٢ — يذكر المبرد أنه بعد أن حباه، قال له المهلب : ((ويحك، والله اني لأتيكم بنفسى وولدى . قال : جعلني الله فداك الأمير ! فذاك الذى نكره منك . ما كلنا يحب الموت . قال : ويحك ! وهل عنه محيص ؟ قال : لا . ولكننا نكره التعجيل . وأنت تقدم عليه اقدا ما . قال المهلب : أما سمعت قول هبيرة بن الكلبة اليربوعي : —

فقلت لكاسر الجميها فانما — نزلنا الكتيب من زرود لنفزعنا
قال : بلى . والله قد سمعته . ولكن قولى أحب اليّ منه، وهو : —

فلما وقفتم غدوة وعدكم — الى مهجتي وليت أعداءكم يظهري
وطرث ولم أحفل مقالة عاجز — يساقى المنايا بالردنية السمر

فقال له المهلب : بئس حشو الكتيبة، والله أنت ! فان شئت، أذنت لك، فانصرف الى أهلك . فقال : بل أقيم معك، أيها الأمير، فوهب له، وأعاده، فقال يمدحه : —
يرى حتماً عليه أبو سمي — جلال القوم في أولى النفير
إذا نادى الشراة أبا سمي — مشى في رقل محكمة القتير

انظر : الكامل : ٣٧٤ / ٣ — ٣٧٥ .

٣ — معجم البلدان : ٤٠٥ / ٢ .

٤ — الكامل : ٣٨٨ / ٣ .

نظم الشاعر هذين البيتين في المعركة، وهو من فرسان الحرب وشجما نهما .
والشاعر يجأر بالشكوى في أن المهلب لا يخلق فرصا متكافئة بين جنده . فبابه يلجسه
بعض الناس بسهولة وبلا مشقة . أما بعضهم الآخر، فيصعب عليه ذلك نظرا للقائمين على
بابه . والشاعر يزرى بالمهلب من خلال ايضاحه لطبيعة الناس المحيطين به . فهم
عبيد ، وهذا تجن ، فكردوس لم يكن عبدا ، ولكن سويدا . الشاعر رأى فيه عبدا . وكأن الشاعر
يقرن بين نفسه وبين أصحاب المهلب ، فلا يرى فيهم صفة — توهلهم لولوج باب المهلب —
تميزهم عنه ، بل لعله يرى نفسه فوقهم ، ومع ذلك يتقدمون الناس عند المهلب وينالون خطوته ،
أما هو فلا .

وقد اشتكى البختري بن المفيرة بن أبي صفرة من مثل ما اشتكى منه بدر بن —
هذيل فقال (١) : —

ان المقام على الهوان بسلا	اقر السلام على الأمير وقُلْ له
اذني وازن الأعمدين سسوا	أصلُ الغدِّ والى الرواح واتصا
ما بالكرامة والهوان خفسا	أجفَى ويُدعى مَنْ ورائي جالسا

ويبدو أن البختري انطلق من المنطلق نفسه ، الذي انطلق منه بدر في بيتيه .
فهو يرى أن له صفات لم تتأت لغيره ، ومع ذلك يجفَى ، ويقدم عليه من هو دونه . وهذه
قضية أخرى أثارها البختري ، فهو يجرد عمه من صفة قيادية هامة ، وهي انه لا يحسن
التصرف على الخصائص التي يتفرد بها بعض جنده ، واستغلالها وتوجيهها في وجه
العدو . وقد كرر الشاعر هذا المعنى في مقطوعة أخرى ان يقول (٢) : —

وأمسى يزيد لي قد ازور جانبه	جفاني الأمير والمفيرة قد جفا
وشبَّ الفتى لوهم اذا جاع صاحبه	وكُلِّهم قد نال شبحاً لبطنه
تنوب فان الدهر جم عجائبه	فيا عم مهلاً واتخذني لنوبة
ومثلي لا تنبو عليك مضاربته	أنا السيف الآن للسيف نبوة

وقد تناول شاعر آخر المهلب من ناحية أخرى ، فقال (٣) : —

- ١ — الامالي ، القالي : ٣١٥/٢ .
- ٢ — ديوان الحماسة : ١٤٠/١ — ١٤١ .
- ٣ — الكامل : ٣١٧/٣ .

تبمنا الأعور الكذاب طوعاً
فيا ندمي علي تركي عداً
از الرحمن يسرلي قفولاً
فحرق في قرى سولاً فـ ناراً
يزجي كل أريمة حماراً
معاينة وأطلبه صمـاراً

يرى الشاعر أن المهلب لا تتوافر فيه خصيصة قيادية، مؤداها : حشد القوى في الزمان والمكان الملائمين، غير أن الجند خدعوا به، وساروا تحت لوائه، يحدوهم أمل بالنصر، ورغبة حقيقية في الاثراء. غير أنه لم يمض طویل وقت، حتى تبينوا عكس ذلك، فقد اتخذ الحمير مدايا لهم، ولم يكتف بذلك، بل جعل كل أريمة يتعاقبون حمساراً وهنا نقول : ان الشاعر جرد المهلب من عنصر قيادي، وهو عنصر الحشد، فكيف يصل هؤلاء الجند ساحة المعركة؟ ثم كيف تكون حال هذا الحمار الذي يتعاقبه أريمة بأمتعتهم؟ وهنا، يقرع الشاعر سن الندم، فلن يفلح في الاثراء، وقد لا يعود سالماً، ولذا فهو مفيظ غاضب، فيقول : -

اذا الرحمن يسرلي قفولاً
فحرق في قرى سولاً فـ ناراً

وقد التفت الشعراء الى ناحية أخرى لثلب المهالبة من جهتها، وهي المطالبة، يقول أحد الشعراء (١) : -

اذا أنت حملت المهلب حاجة
فان قال : اني فاعل ذاك عاجلاً
ويقول زياد الأعجم (٢) : -

هل لك في حاجتي حاجة
أمتها لك الخير أو احيها
اذا قلتُ قد أقبلت أدبرت
أم أنت لها تارك طـراح
كما يفعل الرجل الصالح
كمن ليس غادر ولا رائـح (٣)

١ - الحماسة البصرية : ٢ / ٢٧٠.

٢ - الشعر والشعراء : ٥ / ٢٥٩.

٣ - يمثل به علي لحن زياد ((وكان ينبغي أن يقول : غادياً ولا راحاً)) . الشعراء والشعراء : ٢٥٩ . تثبت سيرة المهالبة انهم لم يكونوا كذلك . قال المهلب في وصيته : ((يا بني ، اني أحب للرجل منك أن يكون لفعله الفضل على لسانه وأكره للرجل منك أن يكون للسانه الفضل على فعله)) . انظر : لباب الآداب :

يوضح زياد معنى رده الشاعر السابق، فيزيد ينسى أو يتناسى بمعنى الوعود، ونتيجة ذلك وبمعنى الشعراء بالمطالبة. ويدالب منه الشاعر، أما أن ينفذ ما تمهد به، ويستنكف عن ذلك (المطالبة) لأنها لا تتوافر بمالح الرجال.

وقد شن الشعراء حملة عنيفة على المهلب، فوصفه بالكذاب الأعور. يقول تميمي (١) :-

تبمنا الأعور الكذاب كأوعنا يزجي كل أربعة حمــــاراً
ويقول البميث بن عمرو... اليشكري (٢) :-

تبدلت المنابر من قريش مزونياً بفقحته الصليب
فأصبح قافلاً كرم ومجسداً وأصبح قادماً كذب وحسب
فلا تمجب الكل زمان سكوء رجال والنوائب قد تنسب
ويقول زياد الأعجم (٣) :-

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تفعل ما تقول
لا خير في كذب الجوا د وحبذا صدق البخيل
يا ابن المهلب حاجتني فجل فقد حضر الرحيل

وهكذا أجمع هؤلاء الشعراء ثلاثتهم، على نعت المهلب بالكذب، فالتميمي ينص على نفسه وجماعته الانخراط في جيش المهلب الكذاب، والبيهقي يتشائم بهذا الوالي الذي خلف أمية بن عبد الله على خراسان. فالوالي كذاب والكذب قدم منه. أما زياد الأعجم فيرى أن المهلب فتى بكل أبعاد هذه الكلمة، وبكل ما يحوط عليها من صفات وأخلاق - حتى أصبحت فيها بعد نظاماً متكاملًا، بهراسيم معينة، اسمها نظام الفتوة - ولكن هناك استثناءات، فالمهلب حاز صفات الفتيان جميعاً، اللهم إلا الصدق، فهو لا يفعل ما يقول وتظل وعوده جوفاً، لا معنى لها. حتى أن الشاعر

- ١ - الكامل : ٣/٣١٧.
- ٢ - عيون الأخبار : ٢٧/٢، لسان العرب : ٣/٤٠٣ مادة مزن.
- ٣ - الشعر والشعراء : ٢٥٩، وانظر : الكامل : ٣/٣١٩، ابن الأثير : ٤/١٦٨، شرح نهج البلاغة : ٤/١٥٠.

يرى الأقيمة لجود الكذاب، لأن الكذب يد مع هذا الجود، ويقلل من قيمته.

والآن . هل كان المهلب كذابا . يدافع المؤلفون المرب عن المهلب، وينزهمونه عن الكذب (١) . فمثلا ينقل ابن خلكان عن ابن قتيبة قوله : ((وأنا أقول كان المهلب أتقى الناس لله — عز وجل — وأشرف وأنبأ من أن يكذب (٢) . هذا فضلا عن أن المهلب كان يروى الحديث (٣) ، وقد عده ابن حبان ، من ثقات التابعين (٤) . ويقول الميداني : ((وكان زامًا لمن يكذب)) (٥) . ويقول ابن حجر : ((وهو ثقة)) (٦) .

ويظهر أن ما يسمى كذبا لدى بعض الشعراء وأعداء المهلب هو أقرب الى الخدع الحربية، التي يقوم صاحبها بالتمويه على العدو وتعمية الأخبار، وخلق البلبلة في صفوف الأعداء بغية ارباكهم . وقد أشار الى ذلك القدماء بقولهم : ((ولكنه كان محربا)) (٧) . ويدعمون ذلك بأحاديث عن الرسول ((وقد قال النبي : الحرب خدعة)) (٨) . وقد وضحو ذلك بقولهم : ((وكان يمارس الخوارج بالكلمة، فيورى بها عن غيرها، ويرهب بها الخوارج، وكانوا يسمونه الكذاب يقولون : راح يكذب، وقد كان النبي اذا أراد حربا

- ١ — انظر : المعارف : ٣٩٩ — ٤٠٠ ، عيون الأخبار : ٢٦ / ٢ ، شذرات الذهب : ١ / ١٠٩١ .
- ٢ — وفيات الأعيان : ٣٥٢ / ٥ .
- ((قال يزيد بن المهلب : الكذاب يخيف نفسه، وهو آمن . معناه : أنه قد عرّس نفسه للمطالبة بحقيقة ما قاله، فهو خائف من الفضيحة . وملاحظ لمار التذييل، مستوحش لها، فيه أنسر الصادقين)) . انظر : البصائر والذخائر : ١ / ٣٥٠ .
- ٣ — التاريخ الكبير : ج ٤ ق ٢ / ٢٥ ، الطبقات الكبير : ٦٤ / ٧ ، وفيات الأعيان : ٢٧٩ / ٦ ، تهذيب التهذيب : ٣٢٩ / ١٠ — ٣٣٠ ، كتاب الجرح والتمديد : ق ١ من مجلد ٤ / ٣٦٩ ، تاريخ جرجان : ١٣ ، ١٤ ، ٤٦٢ ، الاصابة : ٥٣٥ / ٣ — ٥٣٦ .
- ٤ — تهذيب التهذيب : ٣٣٠ / ١٠ .
- ٥ — مجمع الأمثال : ١٥٠ / ٢ .
- ٦ — الاصابة : ٥٣٦ / ٣ ، تهذيب التهذيب : ٣٣٠ / ١٠ .
- ٧ — وفيات الأعيان : ٣٥٢ / ٥ .
- ٨ — شرح نهج البلاغة : ١٥٠ / ٤ ، ويروى صاحب شرح نهج البلاغة حديثا آخر : ((انما أنت رجل فخذل عنا ما استطعت)) . ١٥٠ / ٤ .

ورى بغيرها (((١) . ويرى المبرد : أنهم - ربما - سموه بالكذاب ، لأنه كان يضح
أحاديث يشد بها ((من أمر المسلمين ، ويضعف من أمر الخوارج)) (٢) . ويرى صاحب
الاصابة : أن التسمية آتية من الخوارج ، ((غيظاً منهم عليه)) (٣) . وأخيراً يرى بعضهم
أنه سمى بذلك ، لأنه كان يروى قول الرسول : ((كل كذب يكتب كذبا الاثلاثة ، الكذب في
الصلح بين الرجلين ، وكذب الرجل لا مرأته يعدها ، وكذب الرجل في الحرب ، يتهدد
ويتوعد)) (٤) .

وهكذا نجد أن ما نسب الى المهلب من كذب قد يكون مبرراً دينياً وأخلاقياً
فهو يعمل للرفع من معنويات جماعته ، عند ما تنحط ، ويسمى للحط من معنويات الأعداء .
ووضع المهلب للأحاديث قد يدل على شيوع الوضع لغايات حربية وسياسية . وقد تكون احزاب
المعارضة في الساحة كالخوارج والشيعة وغيرهم أسهموا في حركة الوضع . ووضع المهلب
للحديث يدل على أنه ذو بيات وصاحب ثقافة بالأحاديث وطبيعة صياغتها . يقول الأستاذ
أحمد أمين : ((ولعل هذا وأمثاله هو السر فيما ترى من أحاديث كثيرة ، ملئت بها
كتب التاريخ والأدب في زلم الخوارج)) (٥) .

وقد اتهم هزيمة بن كعب يزيد بن المهلب بأنه سكير ، يعاقر الخمر ، ولا ينفك
عن ذلك . ويظهر أن الشاعر حين وصفه بذلك انطلق من وتر ذاتي ، وحقد شخصي ،
فقد ((ضربه يزيد بن المهلب حداً في الخمر)) (٦) . يقول هزيمة (٧) : —

نُساقيه حدَّ الكأس حتى اذا انتشى يزيد رعى جاراته بالعطائـم
ويشرب بها حتى يخرَّ مجسداً ويقطب في وجع الصدق المنادـم

وقد هجا نهار بن توسعة يزيد بن المهلب ، بقلّة الحقل وخفة الحلم ، فقال (٨) : —

-
- ١ — وفيات الأعيان : ٣٥٢/٥ .
 - ٢ — الكامل : ٣١٩/٣ ، شرح نهج البلاغة : ١٥٠/٤ ، تهذيب التهذيب : ٣٣٠/١٠ .
 - ٣ — الاصابة : ٥٣٦/٣ .
 - ٤ — الكامل : ٣١٨/٣ ، شرح نهج البلاغة : ١٥٠/٤ .
 - ٥ — فجر الاسلام : ص ٢٦١ .
 - ٦ — معجم الشعراء : ص ٤٧٥ .
 - ٧ — المصدر نفسه : ص ٤٧٥ .
 - ٨ — نقاشن جريز والفرزدق : ٣٦٨/١ .

لقد صبرت للذل أعواد منبر
رأيتك لما شئت أدركك الذي
بخفة أحلام وقلة نائيل
تقوم عليها في يدك قضيب
يُصيبُ شيوخ الأزر حين تشيب
وفيك لمن عاب المزون معيب

فالشاعر في هجائه يزيد يلجأ الى مفهوم كان شاعرا بين الناس عصره يقول :
ان الأزد حمقى (١).

وقد رمي يزيد بالتسرع. فقال هردان المليمي (٢) : —

وسوا ظني بالأخلاء أنسي
فذا ن رويدا بالمديق ولا تكسن
وقد رموا بالدأمة والجبارين والمتكبرين (٣). وقد اتهم يزيد اتهاماً صريحاً
وجدت يزيداً دون ما كان يزعم
بما عنده مستيقنا سوف تعلم

١ — ينقل ياقوت للتدليل على ذلك : أن معبد بن علقمة بن عبّاد المازني ، خرج عليه قوم ، فأستعان بالأزد فأعانوه ، فقال : —

ولما رأيت أنني لست مانصاً
نهضت بقوم من كدّاد وواشيح
بزبّ اللحى ميل الممائم عزّل
فجّضنا القنا حتى جزعنا صوادراً
كران ولا كبران من رهط سالم
وأشباحهم من يحمّد والجهاضم
ترى الوشم في أعضادهم كالمحاجم
عن الموت غمر المأزق المتلاحم

فأتى الأزد يون المهلب ، وقالوا له : ان معبدا مدحنا ، وذكرنا الأبيات . فضحك
المهلب معلماً اياهم ان معبدا قد شتمهم ، فندموا على نصرته ((. انظر : معجم
البلدان : ٤٤٤/٤ .

وينقل ابن المعتز أن المهلب قال لأزدى : ((متى أنت ؟ قال : أكلت من حياة الرسول
سنتين . فقال : اطعمك الله لحماً)) . البديع : ص ٢٣ . وانظر : البيان
والتبيين : ٢/٢٢٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣٤٨ ، ٤/٧-٨ ، المحبر : ٣٨١ ، عيون الأخبار :
٢/٤٤-٤٥ ، أخبار المفضلين والعمقى : ٩٢ ، ١٦٣ .

٢ — معجم الشعراء : ص ٤٧٠ .

٣ — مخطوط انساب الاشراف : ص ١٩٥ ، الأخبار الطوال : ٢٨٠ ، وفيات الأعيان :
٦/٣٠٨-٣٠٩ ، ٦/٢٨٤ ، دول الاسلام : ١/٤٩ ، سراج الملوك : ص ٣٤ ،
نهاية الأرب : ٣/٣٧١ .

بالفحش (١).

بين بعض الشعراء ما حلَّ بالمهالبة اثر نكبتهم، وما لحق أشياعهم من عسف ورهق، وهم بذلك يحاولون كشف صنعة المهالبة، وقلة قدرهم، وضعف قبيلتهم. محاولين من ذلك كله بلوغ أربهم في الطعن على المهالبة، والنيل منهم نيلا يطا من مما حصله المهالبة من عزٍّ وسوءٍ أيام سيطرتهم السياسية، حين كانوا من أقوى القوى المتنافسة في الدولة، أو قل : أقواها في خلافة سليمان بن عبد الملك.

وقد أزرى الشعراء بهم، متفننين في رسم صور قتلاهم، مسلطين الأضواء على ذلة سبيهم، مبينين سقوط مرتبة بقايا المهالبة، بحيث أنهم أصبحوا يقرنون بالضعفاء والأذلاء، ويصرف عنهم الكرماء (٢). يقول الفرزدق (٣) : —

لقد عجبْتُ من الأزدِ يُّجاءُ به يقودُهُ للمنايا حينَ مضَرُّور
حتَّى رآه عبادُ الله في دَقَلٍ مُكْسَاً وهو مَقْرُونٌ بِخَنْزِيرٍ
لَسَفَنَ أُمُونٌ بأَسَا أنْ تقودُها في الماءِ مطْلِبَةً الأُلواحَ بالْقِيرِ

فهذه صورة يزيد بن المهلب، قائد التمرد، بعد أن أحبطت ثورته، وخاب مسعاه. فهو صليب، منكسر الرأس، قد قرن بخنزير (٤). ويشمت الشاعر به قائلاً : دع الحرب لأهلها، والزم سفنك، وهكذا هوى نجم المهالبة، وسقواوا من عليائهم. فقد اتخذ ذلك الشعراء الكارهون مادة، ينقصون منها عليهم. أمّا رؤوس قتلاهم التي نقلت لتحلق، فقد هزى بها الفرزدق، وأدان بذلك المهالبة، أو انصارهم، وأتباعهم، وبخاصة أبناء قبيلتهم، فقال (٥) : —

- ١ — انظرا شعرا في مخطوط انساب الاشراف : ص ١٩٦، وانظر طامن قتيبة على يزيد للدلالة على هذه القضية في : نقائص جرير والفرزدق : ٣٥٦/١، البيان والتبيين : ١٣٤/٢ — ١٣٥، الطبري : ١٢٨٧/٩، المقد الفريد : ١٢٦/٤ — ١٢٧.
- ٢ — ((قيل : ان أبا الربيع الفنوي، قيل له : أيسرك أن تحقك ابنة يزيد بن المهلب؟ قال : لا والله، قيل : ولك ألف دينار. قال : لا والله. قيل : ولك الجنة. فأطرق مليا ثم رفع رأسه. وقال : على الأتلد مني)) انظر : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون : ٢٧٨.
- ٣ — ديوان الفرزدق : ٢٦٦/١ — ٢٦٧.
- ٤ — ((وصلب مسلمة بن عبد الملك في خلافة يزيد بن عبد الملك يزيد بن المهلب بن أبي صفرة بجسر بابل، وعلق معه خنزيرا وسمكة وزق خمر)) انظر : المحبر : ٤٨٢، نزعة الجليس : ٣١٩/١.
- ٥ — ديوان الفرزدق : ٥٠٧/٢.

وَحَمَلَتْ أَعْجَازَ الْبُهَالِ فَأَصْبَحَتْ
مَحْدَفَةً فِي كُلِّ بَيْدٍ تَلْمَعُ
جَمَاعِمَ أَشْيَاحٍ كَأَنَّ لِحَافَهُمْ
ثَمَالِبَ مَوْتَى أَوْ نَعَامَ مَكْنَزِ

واستمر الفرزدق يبين ما نجم عن نزول المهالبة عن مسرح الأحداث، فقد سقطوا اجتماعيا، فالفرزدق يستهجن أن يتزوج محمد بن جرير بن عبد الله اليجلي نفيسة بنت المهلب، ويرى أن ما مكّنه من ذلك، وهو ضعف المهالبة، وقلة حيلتهم، ولو كانوا أقوياء، أو كانت لهم سيطرة، لما ظفروا بها. يقول (١) :-

لعمري لقد رَكَ الزَّمانُ وَرَيْبُهُ
نَفِيسَةٌ مِنْ مَلِكٍ إِلَى شَرِّ مَقَمٍّ
سَبَّيَّةٌ قَوْمٌ لَوْ دَعَتْ لِأَجَابِهَا
بَنُو الْحَرْبِ ضَرَّابُو يَدَيَّ كُلِّ أَصِيدٍ
ولو لم يمت آلُ المهلب لم تَكُنْ
تناولُهَا بِالرَّجُلِ مِنْكَ وَلَا الْيَدِ

وهكذا صور الفرزدق ذلّة المهالبة، وأوضح تشتتهم. وقد التفت جرير إلى حادثة توضّح انحطاط مركز أتباع المهالبة ومعارتهم، وتخاذل قبائلهم عن الدفاع عنهم أو محاولة التشفع بهم. وهذا امدان في اظهار ما لحق بالمهالبة من عسف وإن كان جريرا استفاد من هذه الحادثة لصالح الصراع الشعري، الذي كان متقدما بينه وبين الفرزدق. يقول جرير (٢) :-

أَتَنُمُونَ وَهَبًا يَا بَنِي زَيْدٍ اسْتَهَبَا
إِلَى أَنْ يَقُولَ :-
أَلَمْ تَحْبِسُوا وَهَبًا تَمَنُّونَهُ الْمُنَى
وَكَانَ أَخَاهُمْ طَارِداً مُسَيِّراً
فَلَوْ أَنَّ وَهَبًا كَانَ حَلَّ رَحَالِهِ
بَحْرٍ لِلْأَقْي نَاصِرِينَ وَعَنْصَرًا
وَلَوْ حَلَّ فَيُنَا عَيْنَ الْقَوْمِ دُونَهُ
عَوَابِسُ يَمْلِكُنَ الشَّكَاكِمَ ضَمَرًا

يقول جرير: ((وكان أخاهم طاردا مسيرا)) . وهذا تصوير للمطارة النفسية والهم المقيم الذي لم يفارق وهبا، وهيمن عليه، لمصيره الشقي، وما ينتظره من مستقبل قاتم، وإن عرف مكانه، وهذا ما حصل فعلا. فقد تابع الأمويون العناصر التي ناوأتهم، وانيصوت تحت لواء المهالبة، وموقف بني طهية أخوال وهب بن أبجر المجلي، قد يكون معبرا عن تصرفهم على عنف غشبية الخديفة، ولذا قتل وهب بن أبجر بينهم، دون أن يحركوا ساكنا.

١ - ديوان الفرزدق ١: ١٥٤.

٢ - ديوان جرير ١: ٤٧٥-٤٧٦.

استفلّ هؤلاء الشعراء ما حلّ بالمهالبة، لرميهم والطعن عليهم، والازراء بهم،
ووصفهم بمرکزهم، حتى عند ما فروا من سجن الحجاج، حاول بعض الشعراء الفـض
من قيمتهم، ممتنين عليهم بما أسداه لهم سليمان بن عبد الملك.

وهكذا نجد أن الشعراء، وجدوا في نكبة المهالبة، مادة ثرة للطعن عليهم
وقد فشت لدى الكثيرين ممن قالوا فيها روح لحمتها الحقد عليهم وسداها التشفـي
بهم.

وقف الشعراء على معارك المهالبة، ورصدوا الأحداث التي شاركوا فيها رصداً يختلف في دقته واحاطاته بجزئيات الصورة باختلاف الشاعر، والموقف المقول فيه إذ اشعر ولاء الشاعر القبلي في ذلك، كما تأثرت الصورة بدافعية الشاعر الى القول، وعلى ذلك فقد وجدنا الصورة أو الحدث يتضح عند شاعر، ولا يستثير في شاعر آخر شيئاً أو قل لعله استثار، ولكن الولاء المحدد صد هذا الشاعر عن القول. بيد ان هذا الولاء لم يكن دائماً محدداً للمواقف بدقة، كما حصل مع كعب الأشقر، الذي كان على صلة متينة بالمهالبة، وعندما عزل يزيد، وولي قتيبه بن مسلم، وقف مبهوراً امام نصره، شامخاً بيزيد ابن المهلب، سألوا المهالبة حميد الصفات، بل ومجرداً اياهم نسبهم الى العرب.

وعلى كل فقد اهتم الشعراء بمعارك المهالبة، واثنوا يصفونها، ويفصلون فيها احياناً، كما انهم رگزوا في كل ذلك على الخصائص ومدحهم، فنسبوا اليهم كمال فضيلة، وضافوا اليهم المحامد، ورگزوا بشكل خاص على صفتي الكرم والشجاعة وللتاهما من صفات القادة.

وقد ادار القضاء على الازارقة هالة مشرقة حول المهلب لم تتحقق لغيره من قادة مصر الاموي، الذين تولوا ذلك لانهم لم يستطيعوا زعزعة الخوارج. قام المهلب بسب بدور البطل في حرب الازارقة. ان فترة قيادته كانت فترة انجازات وانتصارات متلاحقة.

سلط الشعراء الاضواء على حرب المهلب ضد الخوارج ، ووضعوها في دائرة الضوء ، واشادوا بشخص المهلب ، ولكن هذه الاشعار جاءت غالبا ضمن مدائح قسود لا يشير الشاعر فيها الى المعركة الاشارة العجلان ، وقد لا يشير ، وهذا ما ضمناه فصل الاتجاه الاعلامي في شعرهم .

ويبدو ان ذلك عائد الى سببين رئيسيين ، اولهما : الشعور بخطر الخوارج العقائدي المحسر ، الذي اکتوا به قبل تأمير المهلب ، وتعيينه قائدا يقود عساكر المسلمين ضدهم ، فلسان حالهم قول ابن المنجب السدوسي (١) : —

اخلا (٢) انك لن تعانق طفلة
شرقاً بها الجادى كالتمثال
حتى تلاقى في الكتية معلماً
عمرو القنا (٣) وعبيدة بن هلال (٤)
وترى المقطر (٥) في الكتية مقدماً
في عصبة قسطوا مع الضلال
او يعلّمك المهلب غزوة
وترى جبلاً قد دنت لجبال

وقال السدوسي ايضا (٦) : —

١ — الكامل : ٣٨٦/٣ — ٣٨٧ .

٢ — هو غلام ابن المنجب السدوسي ، الذي شارك في معارك جيبرت وابلج يومئذ ابن المنجب السدوسي ، فقال له غلام له ، يقال له خلاج : والله لو دنا اننا فضضنا عسكرهم حتى اصير الى مستقرهم فاستلب ما هناك جاريتين ، فقال مولاه : وكيف تمنيت اثنتين ؟ قال : لأعطيك احدهما ، وأخذ الاخرى .
الكامل : ٣٨٦/٣ .

٣ — هو عمرو القنا من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان يكنى ابا المصددى وقد حرض الخوارج ، حين اختلفت كلمتهم ضد عسكر المهلب ، وقد حارب عام ٧٧ هـ ، بعد معركة جيبرت . ويرى الزركلي انه مات سنة ٧٧ هـ . انظر : رغبة الأمل : ٦٠/٨ ، ٦٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، العقد الفريد : ٢٥٦/١ ، الاعلام : ٢٥٤/٥ .

٤ — هو عبيدة بن هلال ، من بني يشكر بن بكر بن وائل من زعماء الخوارج وشعرائهم . رفض تولي قيادة الخوارج ، واقترح تولية قطر ، وفي جيبرت صرع المضيرة بسن المهلب ، وهو ينشد . انظر : رغبة الأمل : ٥٠/٨ ، ٩٢ ، ٩٨ ، البيان والتبيين : ٣٤٧/١ .

٥ — هو المقطر الضبي ، احد فرسان الخوارج وشجعانهم .

٦ — ديوان الحماسة : ٣٥٦/٢ .

يقول لي الأمير بغير جُرم
فما لي ان اطعمتك من حياة
تقدم حين جد بنا المكراس
وما لي غير هذا الراس راس*

وثانيهما : رؤية الشعراء للفرق البائن بين المهلب ومن سبقه من الامراء الذين امروا على حربهم، وادراكهم للمنجزات الامنية، التي حققها المهلب لهم. يقول احد بني سعد حين اشيع قتل المهلب، وهم امير البصرة الحارث بن ابي ربيعة بالهرب (١) : -

الا كل ما يأتي من الامر هـــــ
فان يك قد اودى فما نحن بمده
علينا يسيرك عند فقتل المهلب
بأمنع من شاء عجلنا في الأذوب
نعود بمن ارسى شبيرا (٢) مكانه
ومرسي جرار (٣) والقديد (٤) وكبكب (٥)
من الخبر الملقى على الحور خدرها
ويشجى بدما بين بصرى (٦) ويسشرب

فالشاعر يبين اهمية المهلب في ظروف الحرب، وان مجرّد كونه حيا يعني استتباب الامن، وتحقيق الاطمئنان النفسي لدى عامة الناس.

* انظر امثلة في معجم البلدان : ٤٢٥/٢، الروض المعطار : ٢٣٤.

١ - الاخبار الطوال : ٢٧٣.

٢ - شبيّر : هو جبل مشرف يرى من منى والمزلفه، وهي اربعة اشيرة : الاول شبيّر الاشيرة. والثاني شبيّر غينا، والثالث شبيّر الاعرج، والرابع الاحدب. انظر : صورة الارض : ٣٧، معجم ما استمع : ٣٣٥-٣٣٦، معجم البلدان : ٧٢/٢.

٣ - جرّاء : جبل بمكة على ثلاثة ايام، وكان النبي قبل ان ينزل عليه الوحي، يتمبّد فيه، ولا نبات فيه، ولا ماء.

انظر : معجم ما استمع : ٤٣٢/٢، معجم البلدان : ٣٣/٢.

٤ - القديد : اسم موضع قرب مكة، وهي كما يقول البكري : قرية جامعة مذكورة، وهي كثيرة المياه والبساتين. وبها كما يقول ابن خرداذبه : آبار لماء السيل. انظر : ابن خرداذبه : ١٨٧، معجم ما استمع : ١٠٥٤/٣، معجم البلدان : ٣١٣/٤.

٥ - كبكب : هو الجبل الاحمر، الذي تجمله خلف ظهري، اذا وقفت مع الامام بعرفات وهناك كبكان، كبكب يطالمك على بدر، وآخر على الصرج. انظر : معجم ما استمع : ١١١٢/٤، معجم البلدان : ٤٣٤/٤.

٦ - بصرى : من اعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران. انظر : معجم ما استمع

٢٥٣/١، معجم البلدان : ٤٤١/١.

انطلاقاً من هذين السبيين رسم الشعراء صورة واضحة لخطر الخوارج ،
واشادوا بدور المهلب في ذلك . ففي سنة ٦٥ هـ تسلّم المهلب قيادة الجيش الذي
يحارب الخوارج ، وجهّزه بكل ما يحتاج اليه من ادوات قتال ، ونهض لقتال الخوارج
فابعدهم عن الجسر ، وما زال يهزمهم حتى اجلاهم عن سوق الاهواز (١) . وفي
ذلك يقول الشاعر (٢) :-

قد نَفَيْنَا العدوَّ اَمْسَ عن الجسر وقد زحزحوا عن الاهواز
وطمان يهولك القربُ منـــــــــــــــــه

واشك الخُطْفُ للنفوس العزاز

فالشاعر هنا يؤكد ما ذكره المؤرخون من اجلاء العدو عن الجسر ،
وزحزحته عن كور الاهواز او بعضها ، بيد ان الروايات التاريخية ترمّصعة دون ان تصف
القتال ، غير ان الشاعر يؤكد ان قتالهم كان عنيفا .

وقال شاعر ازدي (٣) :-

ان المراقى واهله لم يَخْـبَـرُوا مثل المهلب في الحروب فسَلَّمُوا
امضى وايمن في اللقاء نقيـــــــــه واقلّ تهليلاً اذا ما احجموا

وقال زياد الاعجم حين هزم الخوارج حتى بلفوا الاهواز (٤) :-

١ - انظر : الكامل : ٣ / ٣١٤ ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥ ، الطبري : ٧ / ٥٨٤ ،

ابن الاثير : ٤ / ١٩٦ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٤٧ ، سرح الصيون : ١٦٨ .

والاهواز : مكوّنة من سبع كور ما بين البصرة وفارس ، وقد فتحت على يد حرقوم

ابن زهير ، وكانت الحمى منتشرة بها ، وتكثر فيها العقارب والجرارات ، وخراج

الاهواز ثلاثون الف الف درهم . انظر : ابن جرر اذ به : ٤٠ ، ١٧٠ ، صورة

الارض : ٢٢٧ ، المغرب : ٣٧ ، معجم ما استمعج : ١ / ٢٠٦ ، معجم البلدان :

١ / ٢٨٤ .

٢ - البدء والتاريخ : ٦ / ٣٢٠ .

٣ - الكامل : ٣ / ٣١٣ .

٤ - الاخبار الطوال : ٢٧٢ .

جزى الله خيراً والجزاء بكفه
ولما رأينا الامر قد جدَّ جدُّه
دعونا ابا غسان فاستكَّ سمعه
وكان ابنُ منجوفٍ^(١) لكل عظيمه
فلما رأينا القوم قد كلَّ حدُّهم
لدى حربهم فيها دعونا المهلبا
اخا الازد عتاً ما اذَّب واحربا
والآ ثواري دوننا الشمس كوكبا
واحنف طاطا رأسه وتهيبنا
فقصر عنبا حبله وتذبذبنا
لدى حربهم فيها دعونا المهلبا

تبين هذه المقطوعة افتقار الناس الى قائد ينسّق الطاقات، ويوجّه القدرات الوجهة الصحيحة، ومن هنا تأتي قيمة المهلب. فالطاقات موجودة، والناس الذين حارب المهلب الازارقة بهم هم الذين قاتل بهم مسلم بن عبيس^(٢) وحارثثة ابن بدر^(٣) وغيرهما. ولكن هؤلاء الناس بحاجة الى قائد يوجه طاقاتهم الوجهة التي تؤدي بهم الى الخلاص وهذا ما تحقق للناس في شخص المهلب.

وفي سنة ٦٥ هـ استمر المهلب في مهاجمة الخوارج حتى واقعهم بسولاف^(٤) تلك المعركة التي هزم فيها عسكر المهلب، وقد اثارَت معركة سولاف رنة من الفسوح والسرور بين صفوف الخوارج عبّر عنه شعراؤهم، الذين فخرُوا بهذا اليوم، يقول شاعرهم (٥) :-

وكائن تركنا يوم سولاف منهم
اسارى وقتلى في الجحيم مصيرهما .

١ - هو سويد بن منجوف السدوسي، وهو زعيم بكر بن وائل بالبصرة، وقد هجّـ الاخدال سويدا بقوله :
ما جذع سوء خرب السور اصله لما حملته وائل بمطريق

وقد علّق عليه بأن الاخطال اراد الهجاء فمدح . انظر : ديوان الاخطال : ١٦٥ ، الحيوان : ١٦٢/٥ ، البيان والتبيين : ٢١١/٢ ، طبقات فحول الشعراء : ٤٠١ .
٢ - هو مسلم بن عبيس بن كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وجهه عبد الله بن الحارث ضد نافع بن الأزرق، فقتل سنة ٦٥ هـ بدولاب . انظر : الفرق بين الفرق : ٦٤ ، الطبري : ٥٢٠/٧ ، ٥٨٠ .

٣ - حارثة بن بدر بن حاكين بن قطن بن مالك الغدكاني شارك في يوم الجمل، وصاحب زياد بن ابيه حتى قدم من فارس على مفلوية سنة ٤٢ هـ، وقاتل الخوارج، ومات غريقا سنة ٦٤ هـ . انظر : الاصابة ١٩٣٧ ، الطبري : ٣٢٢٠/٦ ، ٢٥/٧ ، ٥٨٢/٧ .
الاجاني : ١٤٥/٦ ، معجم ما استعجم : ٥٧٠/٢ .

٤ - سولاف : هي قرية غربي دجيل من ارض خوزستان من قرى منازل الكبري، فيها حدثت وقعة عنيفة بين اهل البصرة والازارقة . انظر : معجم ما استعجم : ٧٦٧/٢ ، معجم البلدان : ٢٨٤/٣ .

٥ - الكامل : ٣٢١/٣ .

وبيين ابن قيس الرقيات (١) سيطرة الخوارج المارقين على رُستَساق
سُولا ف، ويكشف عن صغوبة قتالهم، فالمسلمون نأروا الى الخوارج بالمنظار نفسه، الذي
نظر به الخوارج اليهم، فهم يرون ان الخوارج نُقَّار مارقون عن محجة الدين، وهذا
ما بثه الشعراء في شعرهم، يقول ابن قيس الرقيات (٢) : —

الا طَرَقْتُ من آلِ نَذرة طارِقة	على أَنَّها معشوقة الدَّلِّ عاشقة
تَسَدَّتْ وعَيْنُ السُّوسِ بَيْنِي وبينها (٣)	ورزائي سولا فِ حَمَتَه الازارِقة
اذا نحن شَتْنَا ضاربتنا كَتِيبة	حرورية امست من الدين مارقه
اجازت الَّتِي العسكرين كليهما	فاضحت وهي دون اللحاف معانقه

وهكذا نرى ان الدين اصبح سلاحا في ايدي المتخاصمين، يشهـره
كل طرف في وجه عدوه (٤).

وقد اثارت هذه الهزيمة ضجة كبيرة ضد المهلِب، تولَّى حمل رايتهـا كما
هو واضح — شعراء تميم، فقد حمل هؤلاء مسؤولية الهزيمة للمهلِب. فشاعـرهم يقول (٥) : —

تبعنا الاعور الكذاب طَوْعاً	يُرَجَّى كلُّ اربعة حمارا
فيا نَدَمِي على تركي عثائلي	معانية واطلبه صممارا
اذا الرحمن يسر لي قفولاً	فحرق في قري سولا ف نارا

- ١ — ابن قيس الرقيات هو عبيد الله بن قيس بن شريح . . . بن عبد مناة بن كنانسة .
وقد لُقِّب بالرقيات لانه شبَّ بثلاث نسوة سمين رقية ، وقد ذكر غير ذلك ، وقد
شاع ابن الزبير، ثم شفع له عبد الله بن جعفر عند ام المؤمنين زوجة الوليد .
انظر : الاغانى : ٧٣/٥ — ١٠٠ ، خزنة الادب : ٢٦٣/٣ — ٢٧٠ .
- ٢ — ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : ص ١٦٢ .
- ٣ — السُّوس : بلدة بالاهواز، وبها تعمل الخرز الثقيلة، وتحمل منها الى الافـساق،
وبها نهر مخرجه من الدِّيَّور، ومصبه في دجيل الاهواز. انظر : ابن خرداذبه :
٤٢ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ٢٤٢ ، صورة الارغ : ٢٣١ ، معجم ما استمعج : ٧٣٧/٣ ،
معجم البلدان : ٢٨٠/٣ .
- ٤ — انظر : التطور والتجديد في الشعر الاموى : ١٠٠ — ١٠١ ، ادب السياسة فسـي
العصر الاموى : ١٢٨ — ١٢٩ .
- ٥ — الكامل : ٣١٧/٣ — ٣١٨ .

يتهم الشاعر المهلب بأنه أسهم في الهزيمة لعدم اعداده المعسدة
الثافية* وهذا تميمي آخر يقول (١) :-

بسولاف اضمت دماء قومي وطارت على بواشكة درور

يزرى هذا التميمي على المهلب ان جرده من خصيصه الصبر والثبات
التي يجب ان يتصف بها القائد ، مستندا على قول من قال : ان المهلب جاز حيصه
بيضي الفرار وغير مستمع لما التمسته الازد من عذر للمهلب لعده مقبول او منطقي
اكثر مما ادعاه هو ، وهذا ما اثبتته حين حقق انتشارا عظيما في سلى ، فقد رجع لرد
المنهزمة واعادة تنظيم صفوفه (٢) ، ولم يفكر - فيما يظهر - في الهرب ، وكيف يفكر
به ، وهذا القائد الذي لا يتورع عن القاء نفسه في المهالك ، ويباشر القتال بنفسه ؟ وان
شئت فاقرا ، مورته في معركة سلى (٣) .

والشاعر هنا يزري ان المهلب لا يتعاطف مع جنده من بني تميم ، مع ان المهلب
اشاد في احدي معاركه بالتميميين خاصة (٤) .

لم يستسلم المهلب للهزيمة ، بل اعاد تنظيم جيشه ، وراح بهم من التعصب
والنصب والجراح ، دون ان يأمن بيات الازارقة ، فقد ظل حذرا مترقبا ، ثم قتل
الخوارج في سلى وسلبرى (٥) . فهزمهم هزيمة ساحقة ، اثارت شجن وحزنا عميقين فسي
نفوس مقاتلي الخوارج ، ظهرت اصداءه في اشعار شعرائهم ، ان نعى الشعراء ابطالهم
القتلى وتألموا لالم جرحاهم . الذين لم يمتن بهم العناية ، التي يجب ان تحاط
بالحرص ، يقول شاعرهم (٦) :-

* يذكر الطبري عن ابي مخنف انه قبل ان يتجه الى سولاف ، جى كور دجلة " ورزق
اصحابه ، واتاه المدد من اهل البصرة " . انظر : الطبري : ١١٧ / ٥ ، ويذكر
ابن ابي الحديد انه " قوى اصحابه ، وكثرت الفرسان في عسكره ، وتقام اصحابه
عشرين الفا " . انظر : شرح نهج البلاغة : ١٤٧ / ٤ .

- ١ - الكامل : ٣١٧ / ٣ .
- ٢ - الكامل : ٣١٧ / ٣ .
- ٣ - المصدر نفسه : ٣٢٣ / ٣ .
- ٤ - بعد معركة سلى مباشرة ، حين حاول الزبير بن علي مباغتتهم يقول المهلب :
(ما وقعت في امر فبيق من الحرب الا رأيت امامي رجلا من بني تميم بن عمرو
ابن تميم يجالدون وكأن لداهم اذ ناب الحقائق . وكانوا صبروا معه في غير
موطن) . انظر : الكامل : ٣٣١ / ٣ .
- ٥ - سلى وسلبرى : موضعان مشهوران بالاهواز ، وهناك قتل ابن الماحوز . انظر :
معجم ما استمع : ٧٤٨ / ٣ ، معجم البلدان : ٣٣٢ / ٣ .
- ٥ - الكامل : ٣٢٦ / ٣ .

بسلى وسلبرى من ارفع فتية
گرام وعرقى لم تؤسد خدودها

ويبدو ان سائر الخوارج كانت خدمة. وقد نستطيع اخذ صورة عنها
من خلال ما يثبه المهلب الى رئيسه. يقول: ((...)) ثم ان الله عز وجل - انزل
نصره على المؤمنين وضرب وجوه الكافرين، ونزل طاعيتهم في رجال كثير من حمايتهم
وذوى نياتهم، فقتلهم الله في المعركة، ثم اتبع الخيل شرادهم، فقتلوا في الطريق
والاخذ والقرى. والحمد لله رب العالمين)) (١).

ويقول شاعرهم (٢):

بسلى وسلبرى منار فتية
گرام وعرقى من كمي ومن ورك

وقد حاول بعض الخوارج الحد من الشجى العظيم الذى احشته هذه
المعركة فقال شاعرهم (٣):

فان تك قتلى يوم سلى تنابعت
فكم غادرت اسافنا من قماقم
غداة نكر المشرفية فيهم
بسولاف يوم المازق المتلاحم

وقد اخذ شاعر خارجي آخر على المهلب استخدامه اداة قتالية جديدة،
فقال (٤):

اتانا باحجار ليقتلنا بها
وهل تقتل الابدال ويحب بالحجر

ويبدو ان حجارة المهلب هذه قد أثرت فيهم، وهذا ما نلمحه من وراء بيت
هذا الخارجي، وما اكدته الروايات التاريخية (٥). اما اشياع المهلب فقد سيطر عليهم
فرح غامر بهذا النصر، عبّر عنه شاعرهم. يقول (٦):

ويوم سلى وسلبرى احاط بهم
منا عواقر ما تبقى ولا تذر

١ - الطبري: ٧٠/٥٨٦.

٢ - الكامل: ٣/٣٢٦.

٣ - المصدر نفسه: ٣/٣٢٨.

٤ - المصدر نفسه: ٣/٣٢٦.

٥ - المصدر نفسه: ٣/٣٢٦، شرح نهج البلاغة: ٤/١٥٤.

٦ - المصدر نفسه: ٣/٣٢٧.

حتى تركنا عبيد الله (١) مُجَدِّلاً
كما تَجَدَّلَ جَذَعُ مَالٍ مُنْعَقِرٌ

بعد هزيمتهم هذه، ومصرع قائدهم، أمروا عليهم الزمير بن علي الذي ضرب في الأرض، لينظم صفوفه، ويعتبر النقيض الحاصل في عدد رجاله نتيجة لمعركة سلس .
وفعلنا نفذ ذلك، ووجدنا لمباغثة المهلب، فألفاه ((مستعداً آخذاً بأفواه الطرق، فحاربوه، فظهر عليهم ظهوراً بيناً)) (٢) . وفي ذلك يقول أحد بني رباح بن كرتوم، وهو تميمي (٣) :
تميمي (٣) :
سقى الله المهلب كلَّ غِيثٍ
من الوسمي ينتحر انتحاراً
فما وهن المهلب يوم جنساءت
عوابس خيلهم تبغي الفوارا

وقد ضمد مع المهلب في هذه المعركة بنو تميم بن عمرو بن تميم، وأشداد المهلب بموقفهم قائلاً : " ما وقعت في أمر ضيق من الحرب، ألا رأيت أمالي رجالاً من بني تميم بن عمرو بن تميم، يجالدون، وكأن لحاهم أذناب العقاق" (٤) . لكن شعراء تميم لم يقدروا هذا الموقف للمهلب، ولم يحملوه حمل الجند، بل سخروا منه عصبية لقبيلتهم نفسوا عنها بالتقاط هفوات المهلب، وتوتخيم خسائره تضخيماً كبيراً، فقد نعتوا علي بن المهلب فقدانه صفات القائد، التي ينبغي أن تتحقق فيه من مشاركة واسمه لجنده فلي السراء والضراء . يقول تميمي من بني عبشمير بن سعد (٥) :

الا يا من لم يتب مستحسناً
قريح القلب قد صلب المزوناً
لهان على المهلب ما لقيت
إذا ما راح مسروراً بظايناً
يجر السابري ونحن شعث
كأن جلودنا كسيت طحيناً

١ - عبيد الله بن بشير بن الماجور، من زعماء الازارقة، تولى زعامتهم بعد أخيه عبد الله، وقد قتل في معركة سلى سنة ٦٥، وقتل أخوته حامل رأسه السلي الحارث بن عبد الله . انظر : الطبري : ٥١٧/٧، ٥٨٨، معجم ما استعجم : ٤٨٨/٣، شرح نهج البلاغة : ١٥٨/٤ .

٢ - الكامل : ٣٣١/٣ .

٣ - المصدر نفسه : ٣٣١/٣ .

٤ - المصدر نفسه : ٣٣٢/٣ .

٥ - المصدر نفسه : ٣٣٢/٣ .

بعد هذه المعركة تشج اخبار المهلب مع الخوارج، كما ان الشعراء لسم يتحدثوا عن معارك هذه الفترة. ويبدو ان الحرب الاموية الزيميرية، وما تلاها من تحول سياسي هيّنا على احداث هذه الفترة، غير ان ذلك لا يعني توقف المجابهة العسكرية بين المهلب والخوارج، بل وقعت معارك متفرقة في سواف وغيرها، استمرت حتى سنة ٧٢ هـ (١).

وفي سنة ٧٢ هـ ولي امر العراق خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد الذي استبدل بالمهلب اخاه عبد العزيز اميرا على قتال الخوارج، فهزفوه بفارس هزيمة نكراء، حتى ان الشاعر يظهر ما آل اليه جينر عبد العزيز، فادنى ما ناله الفضيحة، وتشيت جيشه ويظهر كذلك ما آل اليه جنوده من القتل الذريع وينعى عليه تخاذله، وعدم صبره مع صناديد جيشه كالشهيد مقاتل بن مسمع، وينعى عليه كذلك هربه وتركه زوجته تقع في اسر العدو (٢) :-

عبد العزيز فضحت جيشه، كلهم
هلاً صبرت مع الشهيد مقاتل (٣)
وتركت عرسك والرفاح شوارع
وتركتهم مرمى بكل سبيل
اذ رحت تمنع هارباً باصيل
عار عليك الى الممات طويسل

وقد حمزم في جرّوز (٤)، ويظهر ان الثّرات التي وتر الخوارج بها المسلمين في جرّوز سكبت الحقد في قلوبهم، ووددت مشاعر العداء ضدّهم، فقد تركت جثث قتلى المسلمين فيها عارية، دون ان توسد لها يد او تواربها التراب. يقول كعب الاشقر (٥) :

- ١ — الكامل : ٣٤١/٣، الطبري : ٧٦٤/٨ - ٧٦٥ - ٨٢١/٨، ٨٢٢، البداية والنهاية : ٣٢٤/٨، ابن الاثير : ٣٣٤/٤، شرح العيون : ١٩٨-١٩٦، شذرات الذهب : ٧٧/١.
- ٢ — انساب الاشراف : ١٦٨/١.
- ٣ — الشهيد مقاتل هو : مقاتل بن مسمع، وكان على بكر بن وائل، وكان قاتل حتى قتل حين فرّ عبد العزيز. انظر : الكامل : ٣٥٤/٣، الطبري : ٨٢٢/٨ - ٨٢٥، ابن الاثير : ٣٤٢/٤، شرح نهج البلاغة : ١٧٣/٤ - ١٧٤.
- ٤ — جرّوز : موضع بفارس كانت به وقعة بين الازارقة واهل البصرة واميرهم عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص. انظر : معجم البلدان : ١٣٠/٢.
- ٥ — الطبري : ١٠١٤/٨ - ١٠١٥.

وزادنا حنقاً قتلى نذكرها
لا تستفيق عيون كلما ذكرها
إذا ذكرنا جروراً والذين بها
قتلى مضى لهم حولان ما قبروا
تأتي علينا حزازات النفوس فما
نبقى عليهم وما ييقون أن قد روا

وقال كعب الأشقر لما قتل عبد ربه الصغير، يذكر ذلك (١) : -

رأيت يزيد جامع الحزم والنسب
ولا خير فيمن لا يضرب وينفـسـع
أصاب بقتلى في جرور قـمـاصـها
وادرث ما كان المهلب يـنـسـع
فدري لكم آل المهلب أـسـرـتـسـي
وما كنت أحوى من سوام واجـمـع
فليس أمروء بيني العلى بسنانـه
كآخر بيني بالسواد ويـزـع

وفي سنة ٧٥ هـ تمكن جيش البصرة والكوفة من اجلاء الخوارج الى كازرون (٢)
فكاد الخوارج عسكر المسلمين، وباغتوا عسكر عبد الرحمن بن مخنف (٣)، فهزمتهم
وقتلوا قائده (٤)، وقد اثار هذا النصر فرحاً شديداً في صف الخوارج، نطق به شاعرهم
يقول (٥) : -

لمن العسكر المدلل بالصر
عنى فهم بين ميت وقتيل
فتراهم تسقى الرياح عليهم
حاصب الرمل بمد جرّالذيول

- ١ - معجم البلدان : ١٣٠ / ٢ .
- ٢ - كازرون مدينة بين البحر وشيراز من بلاد فارس، وهي حبال منيفة، وهي اخصب مدن كورة سابور، نقية الهواء، عذبة المياه. انظر: ابن خردادبة : ٤٥، صورة الارض : ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦٣، معجم ما استمعج : ١١٠٩ / ٤، معجم البلدان : ٤٢٦ / ٤ .
- ٣ - عبد الرحمن بن مخنف، وقد في صف علي بن ابي طالب، ثم شايح ابن الزبير ضد المختار، ثم لحق بمصعب بن الزبير، وتوجه من قبله الى الثقة لتخذيـل الناس عنه، وشارك في محاصرة المختار، انزل سوق الكناسة، وقد قتل سنة ٧٥. انظر الطبري : ٦ / ٣٤٤٤، ٧ / ٦١٤، ٦٣١، ٦٥١، ٦٦٥، ٧١٩، ٧٣٣ .
- ٤ - انظر: الكامل : ٣ / ٣٧٢ - ٣٧٣، الطبري : ٨ / ٨٧٥، ابن الاثير : ٤ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .
- ٥ - ابن الاثير : ٤ / ٣٨٩ .

وهناك رواية أخرى تشبّت بها الكوفيون، وهي أن ابن مخنف أمّد المهلب بالحديد تباعاً حتى قُتل عسكره، فوجه الخوارج حدهم على عسكره فهزموه، وقتلوه عزيماً (١) وهذا ما أجمله سُرّاق بن مَرْدَاس البارقى (٢) :

ثوى سيد الازدين ازبر سنسنة
وازد عمان رهن رهن بكنوز
وقاتل حتى مات اكرم ميتة
بابين صاف كالعقيقة باتر
ومرّ عند التلّ تحت لوائه
كرام المساعي من كرام المعاشر
قضى نحبّه يوم اللقاء ابن مخنف
واذر عنه كلّ الوكّ دائر
امد ولم يمدد ومات مشمراً
الى الله لم يذهب باثواب غادر

وهذه المقموعة ترتفع الى مرتبة الوثائق التاريخية (٣). وهنا نرى أن الشاعر تعصب للمصر، حين حمل رواية الكوفيين، ودافع عنها، وهذا ما سيظهر جلياً بين البصرة والكوفة مستقبلاً، ويحظّ الشاعر من قيمة المهلب، فهو يقرّ به - فيما يظهر - حسيين قال: ((لم يذهب باثواب غادر)). فكأنه يشير الى أن المهلب لم يسارع الى امداد ابن مخنف حسداً له، وغدراً به. ثم انه يزرى عليه ذلك حين يرى أن ابن مخنف سيّد الازدين ازد سنوءة ازد عمان على حين أن مركز المهلب كان اقوى من مراكز ابن مخنف، وهذا ما اظهرته بولورته الاحداث*، وهذا يثبت أن حساد المهالبة كانوا كثيرين.

اما موقف البصريين بقيادة المهلب، فقد عبّر عنه احد شعراء المعتكف، رهسط المهلب بن ابي صفرة، يقول النعمان بن عُقبة العتكي (٤) :

- ١ - الطبري: ٨٧٦/٨ - ٨٧٧، ابن الاثير: ٣٨٨/٤ - ٣٨٩.
- ٢ - ديوان سُرّاق: ٤٣ - ٤٤.
- ٣ - هذا نص رواية الكوفيين: ((... فلما رأهم قد صمدوا، نزل ونزل معه القراء، عليهم ابو الاحوص صاحب عبد الله بن مسعود، وخزيمة بن نصر، وابو نصر بن خزيمة العبسي، الذي قتل مع زيد بن علي وصلب معه بالكوفة. ونزل معه من خاصة قومه احد وسبه ورجلا، وحملت عليهم الخوارج، فقاتلهم قتالاً شديداً ثم ان الناس انكشفوا عنه، فبقي في عصابة من اهل البصرة، شتوا معه. وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب، فنادى في الناس ليتبعوه الى ابيه، فلم يتبعه الا ناس قليل، فجاء حتى ارتثته الخوارج، وقاتل عبد الرحمن ابن مخنف ومن معه على تل شرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل، ثم قتل فسي تلك العصابة)). الطبري: ٨٧٦/٨ - ٨٧٧. وانظر: ابن الاثير: ٣٨٩/٤.
- * - راجع رسائل الجاحظ: ١١٧/٢ - ١١٨، في مفاخرة الجوارى والغلمان.
- وانظر: الاخبار الموفقيات: ١٥٧.
- معجم البلدان: ٤٣٠/٤.

ليت الحوامن في الخدور شهدنا فيرين من وغل الكتيبة أولا
وَقَرُوا وكنا في الوقار كمثلهم ان ليس تسمع غير قدام او مـ
وعدوا فأبرقنا لهم بسيفوننا ضرباً ترى منه السواعد تُختـ
تركوا الجماجم والرماح تُجـلـها في كازرون كما تُجـلـ الحنظـلا

فالشاعر يوضح ان قتالهم في كازرون ضد الخوارج لم يكن حينا ولا سهلا
المخرج ، وهو بهذا لم يغمط الخوارج شعاعتهم ، بل وعفهم بما فيهم . والشاعر يبين
ان كلا الفريقين صمد للآخر ، وكل فريق يثقل متحسب من عدوه ، ولذا كانت كل خطوة
من جانب احدهما تقابل بخطوة مماثلة وسريعة من الطرف المقابل ، وهذا يكشف عن نوعية
الجهد وطبيعة القتال .

اقام المهلب بسابور سنة ثمانية عقب تفرده في قيادة الجيشر المواجه
للخوارج ، يقاتل الخوارج ، دون ان يعطي اي من الفريقين الفريق الاخر فرصة للركـون
الى الراحة ، وترك الحرب (١) ، حتى الاعياد الدينية لم يراعوا حرمتها ، فقد اقدم الخوارج
على مهاجمة المهلب في عيد النحر ، يتقدمهم عمرو القنا وهو يرتجز (٢) : -

نحن صبحناكم غداة النحر بالخيـل امثال الوشـيـ تـسـرى
يقدمها عمرو القنا في الفجر الى اناس لـهـجوا بالكـفـر
اليوم اقضى في العدو نذرى

وفد تعرض لمعارك سابور الشاعر المضيرة بن حنـاء التميمي في معـرـفـة
تهنئته المهلب بن ابي صفرة بانتصاره عليهم يوم سابور من قصيدة ذكر منها ابو الفـرج
عشرين بيتا . بدأها الشاعر بالثناء على خلاص المهلب ووفاته الجيدة مبيـنا انـه
ضروري لحياة الناس ، ضرورة المطار للشجر ، وموضحا ما ترددت اليه حال الناس من الـذل
والاستسلام وشعورهم بالخـفـار المـحـدق ، لا فرق في ذلك بين مضرى وريمي ، حتى جاء
المهلب فاقالهم من عـشـرتهم ، وانهضهم بعد موتهم ، على حين ان غيره عجز عن ذلك .
يقول الشاعر (٣) : -

- ١ - الطبري : ١٠٠٣ / ٨
- ٢ - الاخبار الطوال : ٢٧٦ .
- ٣ - الاغاني : ٨٦ / ١٣ .

واستسلم الناس ان حُلَّ العدو بهم
وانت رأس لا همل الدين منتخب
ان المهلب في الايام فذلَّه
حزَمَ وجوده واياهم له سلفست
فلان يسعتهم ترجى ولا مضر
والرأس فيه يكون السمع والبصر
على منازل اقوام اذا ذكروا
فيها يُعَدُّ جسيم الامر والخطر

حتى يقول (١) :-

تزيد الحرب والادوال ان حضرت
ما ان يزال على ارجاء مظالم
حزماً وعزماً يجلو وجهه السفر
لولا يكفها عن مـرشم دمروا

وقد بين كعب الاشقر عن القتال الذي دار في سابو . يقول (٢) :-
تساقوا بكأس الموت يوماً وليلة
بمستترك رضاضة من رجالهم
بسابور حتى كادت الشمر تـالع
وعفر يري، فيه القنا المتجسز

١ - المصدر نفسه : ١٣ / ٨٧ .

٢ - معجم البلدان : ٣ / ١٦٨ .

هناك ثلاثة معارك خاضتها المهلب ضد الخوارج ، لم تحدث لها كتب التاريخ ، بل لعلها اشارت الى الاقليم الذي وقعت فيه ، دون ان تحدد مكان حدوثها بدقة . رصد ما الشعراء ، وتحدثوا عنها ، وقد اشارت الى ذلك كتب البلدان وهي معارك دست بارين (١) ، والخنجان (٢) ، وجببرين . يقول النعمان بن عقبة المعتكي (٣) :

وبدشت بارين شدتنا شدة
مذكورة كانت تسمى الفيصل
ان لا ترى الأسرى كتيبة
لايتقي قصد القنا والجنود لا

فالتتال عنيف ، وحيد المهلب نادى الهجمة ، متصفون بالشجاعة . والشاعر يسمي هجمتهم بالفيصل دلالة على ان الهجوم اثمر . ويقول المظفيرة بن حبناء (٤) :
وما كذبت في دستبارين كذبت
على الكرذ ان سدت فروج المخارم
وقال كعب الاشقر (٥) :

بدشت بارين يوم الشعب ان لحقت
اسد بسفك دماء الناس قد زفروا
لاقوا كئائب لا يخلون ثقتهم
فيهم على من يقاسي حرسهم صفرك
المقدمين اذا ما خيلهم وردت
والعائفين اذا ما ضيع الدهر

وفي معركة الخنجان يقول المظفيرة بن حبناء (٦) :
وبالقصر يوم الخنجان مطته
على مظلم من غرة الموت داءم

وفي معركة جببرين يقول كعب الاشقر (٧) :
وفي جببرين ان صفوا بزحفهم
ولو اخزايا وقد فلو وتدهروا .

- ١- دست بارين : مدينة من اعمال سابو بفارس ، لها رستاق ولكن ليس بها بساتين ولا نهر ، ومشر بهم من مياه ريثة . انظر : ابن خرداذبة : ٤٥ ، صورة الارض : ٢٣٨ ، معجم ما استعجم : ٥٥١ / ٢ ، معجم البلدان : ٤٥١ / ٢ .
- ٢- الخنجان : من نواحي كورة سابو ، ولا حصن بها ، وبها بحيرة مالحة ، وبها من البساتين . والستور ما ليس بغيره . انظر : صورة الارض : ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ، معجم ما استعجم : ٥١٤ / ٢ .
- ٣- معجم البلدان : ٤٥٦ / ٢ .
- ٤- معجم ما استعجم : ٥٥١ / ٢ .
- ٥- الطبري : ١٠١٢ / ٨ - ١٠١٣ .
- ٦- معجم ما استعجم : ٥١٤ / ٢ .
- ٧- الطبري : ١٠١٣ / ٨ .

وفي سنة ٧٧ هـ، وبعد ان عاد عتاب بن ورقاء الى الحجاج، وجّه الحجاج مستحثين يستحثان المهلب على مقارعة القوم، والتعجل في قتالهم لانهم امرهم. والمستحثان هما: زياد بن عبد الرحمن بن بني عامر بن سَعَصَعة، والاخر من آل ابن عَقِيل جـد الحجاج. وقد ضمّ المهلب زيادا "الى ابنه حبيب، وضمّ الشقي الى يزيد ابنه، وقال لهما: خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة فماد والخوارج، فاقتتلوا اسد قتال. فقتل زياد بن عبد الرحمن، وفقد الشقي. ثم باكروهم في اليوم الثاني، وقد وجد الشقي فدعا به المهلب ودعا بالفداء، فجعل النبل يقح قريبا منهم، والشقي يعجب من امر المهلب فقال الصلتان العبدان (١) :-

الا يا اصبحاني قَبْلَ عَوْنِ الموائقِ	وقبل اختراط القوم مثل المقاعيقِ
غداة حبيب في الحديد يتوَدُّنا	يخوَرُ المنايا في ظلال الخوافيقِ
حرون اذا ما الحرب اار شرارها	وهاج عجاج الحرب فوق البوارقِ
فمن مبلغ الحجاج ان امينكـه	زيادا الماحته رمـاح الازارقِ

فالمسلتان - فيما يبدو - كان يقاتل في الجناح الذي يقوده حبيب بن المهلب، ويبين تحرز القوم، وشدة حيلاتهم، حين يقول: ((في الحديد)). وهذا دليل تحوط القوم، وعلى ان المهالبة لم يتكلموا الى شجاعتهم فقط، ويشن السلطان كذلك على حبيب ناعتا اياه بالحرون، وهذه صفة عرف بها حبيب.

والا يرا يختتم الشاعر بيانه برسالة يوجهها الى الحجاج بن يوسف الشقي، يذكر فيها: ان زيادا امينه لاقي حتفه على ايدي الازارقة، ويظهر من لهجة الشاعر انه ساخر باستمجال الحجاج المهلب في حرب الازارقة.

وفي السنة ذاتها، وحين ترك عبد ربه جبيرت (٢)، ونزل على اريمة فراسخ منها ارسل الحجاج ثقيفا وامينا آخر وتبذد الله بن ابي ربيعة فضمهم المهلب الى ابنائه فقرّ الشقي من الممركة، ثم عاد في المساء، فقال شاعر من بني عامر بن صعصعة (٣) :-

- ١ - الكامل : ٣٧٦/٣ - ٣٨٠.
- ٢ - جبيرت: من كرمان، في بلاد فارس. وطولها نحو ميلين، وبها نهر يسمى رُون وفيه ماء يدبر خمسين رحى، وبها خيرات وفيرة، ونخل كثير، وبها اختلفت كلمة الخوارج. انظر: ابن خردادبة: ٤٩، صورة الارض: ٢٦٨، ٢٧١، معجم البلدان: ١٨٦/٢.
- ٣ - الكامل: ٣٦٩/٣.

ما زلت يا ثقيُّ تخابُ بيننا	وتغمنا بوصية الحجاج
حتى اذا ما الموت اقبل زاحراً	وسمنا لنا بصرفاً بغير مزاج
وليت يا ثقي غير مناظر	تنساب بين احزة وفجاج
ليست مقارعة الكما لدى الوغى	شرب المدامة في اناء زجاج

ويظهر من ذلك ان علاقات المهلب بالحجاج لم تكن على ما يزعم بل انها كانت تسوء كثيراً، فقد اثار الحجاج من ارسال المستحثين، الذين يستعجلون المهلب قتال الازارقة ففي آخر معركة معهم ارسل عدة مستحثين لاستعجال المهلب قتال الازارقة، واراد المهلب ان يريهم ان حرب الخوارج ليست هينة، فوزعهم على فرق الجيش، وانفتح على القتال، عند ذلك قتل احدهم وهرب الاخران. ولذا نرى الشاعر يـزري على رسل الحجاج، وبخامة الثقي ابن قبيلة الحجاج، فالشاعر، ان الثقي اقلقهم بكثرة توجيهات الحجاج، لكنه عند ما حمس الوغى، وففر الموت فاه، الذي لا يرحم، اعلم تفكيره لايجاد وسيلة للنجاة، فلم يجد غير الفرار، وفعل فر. ويستمر الشاعر في ازرائه على رسل الحجاج، قائلاً: ان مقارعة الكما تختلف عن شرب المدام، وهذا مغمز للحجاج.

وفي السنة ذاتها، انفصل قطار، بن الفجاءة اثر افتراق كلمة الخوارج ببيعة الجند قاءدا كرم، فقال احد الخوارج (١) :-

ايا قطار الخير ان كنت هارساً	ستلبسنا عارا وانت مهاجر
اذا قيل قد جاء المهلب اسلمت	له شفتان الغم والقلب طائر
فحتى متى هذا الفرار مخافة	وانت ولي والمهلب كافر

فالشاعر يسجل هذا الحدث باسى عميق، لان الفرار مقرون به العار، ولعل ما يضاعف من ذلك، ان الفارس قائد ولي والمهلب كافر. وقال كعب الاشقرى (٢) :-

نجا قطار، والرمح تنوشه	على سابح نهّد التليل مقعر
كيف به الساقين ركناً وقد بدا	لا سناعه يوم من الشر اشنع
واسلم في جيفرت اشراف جنده	اذا ما بدا قرع من الباب يقرع

وفي هذه السنة تمكن المهلب من استئصال خطر الخوارج، فقال بشر

١ - الاخبار الطوال : ٢٧٧.

٢ - معجم البلدان : ١٨٨/٢.

ابن مالك (١) : —

قد حسمنا الازارقة الدم —
بطعان الكُمة في ثُغر القو
كلما شئتُ راعني قطـر —
معلماً يضربُ الكتية بالسيف.

ر فاضحوا طراً كال ثمود
م وعرب يشيبُ رأسُ الوليد
فوق عبل الشوى اقب عنود
ف وعمرو كالنار ذات الوقود (٢)

يبين الشاعر انه تم القضاء على الازارقة، وهو لا ينسى تبليان عنف القتال وضرواته، فالنصر لم يكن سهلاً، بل صعباً. والطريق اليه شاقّة، والشاعر لا ينسى التنويه بقائد من قادة الخوار، وهما قطرى الذى يباشر القتال معلماً، وعمرو القنا الفتاك كالنار ذات الوقود، والشاعر بهذه الحال لا يخسر عدوه حقّه وشجاعته، بل يصفه بما فيه وقال الطفيل بن عامر بن وائلة (٣) : —

لقد مرّ بنا عبد رب وجنـد —
سما لهم بالجيش حتى ازاحهم
وما قطرى النفر الا نعام —
اذا فرّ منا هارباً كان وجهه
فليس بمنجية الفرار وان جرّت
عقاب فامسى سبيهم في المقاسم
بكرمان (٤) عن مشوّ من الارش ناعم
طريد يدوى ليله غير نائم
طريقاً سوى فقد الهدى والمعالم
به الفلك في لُج من البحر دائم

- ١ — الاخبار الطوال : ٢٧٦. وبشر بن مالك هو الذى ارسله المهلب — فيما يذكر بعض المؤرخين — يحمل بشارة النصر على الخوارج. فقال له الحجاج : ما اسمه؟ قال : بشر بن مالك الحُرشي. فقال الحجاج : بشارة وملك. انظر : مروج الذهب : ١٥١/٣ — ١٥٢، زهر الاداب : ٨٠٧/٣.
- ٢ — الاية ٥ من البروج.
- ٣ — الطبرى : ١٠١٧/٨. الطفيل بن عامر بن وائلة، شايخ المختار في البداية، ثم ابن الاشعث. وقتل سنة ٨٢ هـ، وقد رثاه عامر والده بقوله : —
خلّى طفيلٌ على الهم فاتشعباً
وهبّ ذلك ركني هدّة عجباً
انظر : الطبرى : ١٠٦٨، ٦٨٤/٨.
- ٤ — كرمان : ولاية مشهورة، وجهة معمورة، فيها مدن وقرى بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، تشبه بالبصرة في كثرة التمور، وفيها مدن كثيرة، ولسان اهلها فارسي فيها جبال مشهورة ولا نهر كبير او بحيرة كبيرة بها. انظر : ابن خرداذبة : ١٧، ٤٦، صورة الارض : ٢٢٦، ٢٧٢، ٢٦٩، معجم ما استمع : ١١٢٥/٤، معجم البلدان : ٤٥٤/٤.

وعندما انتهى المهلب امر الخوارج سنة ٢٧ هـ، ارسل كعبا الاشقري يحمل رسالة الذر، فتكلم بحماسة الحجاج، واعجب به الحجاج، واثنى على بلاغته وحنن بديهته وروعة تأتية لالامور، وهذا عرف المهلب من يرسل، وهذا يدل على زناقة المهلب، ومعرفة الرجال، وانزالهم على اقدارهم. وبعد ان اجاب عن اسئلة الحجاج، وقف لالقاء قصيدة طويلة هي ((شبر قصيدة قالها شاعر فارسي عن بني امية)) (١). والتي تشبه ان تكون ملحمة (٢)، ان بلغت ثلاثة وثمانين بيتا، بدأها الشاعر بما درج عليه شعراء ذلك العصر من غزل تقليدي، وذكر للديار الدارسة، وخلوها من اهلها، ثم انشئ يمدح المهلب، الذي احيا الناس كما يمدح المطار الازرق، والشاعر يريد ان يحمل على ما يحصل عليه الناس من عند المهلب عصبية، ولذا يقول: ((فاجبر اخاك او هي الفقر قوتهم)). يقول (٣): —

فما من الناس حي علمتهُمُ	الا يرى فيهم من سيكم اثـرُ
احييتهم بسجال من نداء كـما	تحيا البلاد اذا ما مسها المـارُ
اني لارجو اذا ما فاقه نزلت	فضلا من الله في كفيك يُتـدَرُ
فاجبر اخاك او هي الفقر قوتـه	لعله بعد وحمي العظم ينـجـسـرُ

وبعد ذلك يجمل الشاعر الاحداث كما يفعل الناطقون العسكريون اليوم، حين يملكون في نهاية اليوم من الحرب، او في نهاية الحرب، مجملا لسير العمليات العسكرية بما في ذلك الخسائر والفنائم والقتلى والجرحى ان يوضح الشاعر تفاقم امر الخوارج وتضييقهم على الناس، ان نجحوا في بيوتهم منتظرين منيرهم السي على ايدي الخوارج ولم يستطع احد ان يتجاوز جسر البصرة، الذي رابط الخوارج عنده، منتظرين فرصتهم لاقتحام المدينة، وتساوت النساء والرجال، ويرجع الشاعر سبب ذلك الى سوء التدبير، فلم يزن القادة الخوارج وزنهم الحقيقي، فتكاثروا، وتفاقم خطرهم بحيث وهن الناس، ولم يعد هندجم استعداد لحرب الخوارج، وهذا ايضا يدل على ضعف الامراء الذين كانوا يستنفرون الناس في هذه الاثناء الحرجية. يقول (٤):

واستسلم الناس ان حل العدو بهم	فما لامرهم ورد ولا صـدَر
وما تجاوز باب الجسر من احد	وعضت الحرب اهل المعبر فانـجـحـروا
وادخل الخوف اجواف البيوت على	مثل النساء رجال ما بهم غير

- ١ — شعر الحرب في ادب العرب: ١٣.
- ٢ — المعبر الاسلامي: ٢٢٦.
- ٣ — الطبري: ١٠٠٩/٨.
- ٤ — المصدر نفسه: ١٠١٠/٨.

واشدت الحرب والبلوى وحل بنا
نظل من دون خوف معه ميين بهم
كنا نهون قبل اليوم شأنهم
امر تسم في اماله الارز
فشم الشيخ لما اعطاهم الخطر
حتى تفاتم امر كان يحتقر

فعندما اتى المهلب استنفر الناس، فلبوا النداء، وعبروا جسر البصرة، تخفق رايتهم فوق رؤوسهم، وتعمر الثقة قلوبهم، ولما بلغ الجيشر راىهم من اتى نعي بشير فباد كثير من الجند الى بيوتهم الا عددا بسيطا، ثم يلتقي بهم بسابور، وهنالك دارت معارك عنيفة بين الفريقين، وهكذا انتصر عليهم يوم التل وهو يوم سلى، الذي انتصر فيه المهلب بعد ان كادت تلحق به هزيمة نكراء في سولاف. فالمهلب لم يتمم على عدوه فرحته بل احالها الى هزيمة شتاء، وتتواصل هزائم الخوارج في دشت بارين وجبيرين، وهكذا استمرت انتصارات المهلب تباعا. يقول كعب (١) :-

لما وهبنا وقد حلوا بساحتنا
نادى امرؤا خلافا في عشيرته
افشى هنالك ما كان مذمورا
تلبسوا القراع الحرب بزتها
ساروا بالوية للمجد قد رفعت
حتى اذا خلفوا الاهواز واجتمعوا
نعي بشر فجال التوم وانددوا
ثم استمر بنا راى بييمته
حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
نلتى مساعير ابا الا كأنهم
نسقي ونسقيهم سما على حنق
قتلى هنالك لا عقل ولا قسود
حتى تنحولنا عنها تسوقهم
لم يخن عنهم غداة التل ثيدهم
واستنفر الناس تارات فما نفروا
عنه وليس به في مثله قصور
فيهم سناخ مما كان يدخن
فاصبحوا من وراء الجسر قد عبروا
وتحتن ليوش في الوغى وقور
برام هرمز وافاهم بها الخسبر
الابقايا اذا ما ذكروا ذلورا
ينوى الوفاء ولم تغدر كما عدروا
شيت لنا ولهم نار لها شمر
جن نقارعهم ما مثلهم بشمر
مستأنفي الليل حتى اسفر السحر
منا ومنهم دماء سفكها هدر
منا ليوش اذا ما اتدوا جسرورا
عند الطاعان ولا المكر الذي مكروا

باتت كئائبنا تردى، مســـــــــــــــــــــومة
هنا، ولو احزاننا بعد ما فرحــــــــــــــــوا
عبوا جنودهم بالسفح ان نزلــــــــــــــــوا
وقد لقوا سدداً منا بمنزلــــــــــــــــة
بدشت بارهن يوم الشعبان لحقت
لا قوا كئائب لا يخلون شمرهــــــــــــــــم
المتقدمين اذا ما خيلهم وردت
وفي جبيرين انــــــــــــــــفقا بزحفهمــــــــــــــــم
حول المهلب حتى نور القمــــــــــــــــر
وحال دونهم الانهار والجدر
بكارون فما عزوا ولا ظفــــــــــــــــروا
ظنوا بأن ينصروا فيها فما نصروا
اسد بسفك دماء الناس قد زثروا
فيهم على من يقاسي حربهم صفر
والماء فين اذا ما ضيع الدابر
ولوا خرايا وقد فلوا وقد قهرروا

يظهر الشاعر ان المهلب اخذ نفسه بالتريث، وانه ظل يحافظ على هذا حتى تهب ريحه فيفتنهما، فعندما اندفع الخوارج، وتفرقوا، ولم يجد المهلب غير القتال، قد جند، وكلا الخصمين لا يرحم خصمه، ولا يقبل عثرته، ولا يقبل له عذرا، ويوضح ان القرآن ثان يقرأ في صفى جماعة المهلب والخوارج اللذين كانا ضخمين كالطودين والمهلب في كل ذلك صاعد في حماته من الازد، حتى تقرر مصير المصرة لصالحه، ان ترك العدو ما بين قتيل وعقير تدوسه الخيل، بل ان خيل الخوارج شاركت فرسانها مصيرهم الاسود، ان تركت جيش القتلى والخيل ينتابها جوارح الطير. يقول (١) :-

يقول ان غدا مبد لنا طــــــــــــــــره
دعوا التتابع والاسراع وارقبــــــــــــــــوا
حتى انته امور عندنا فــــــــــــــــر
لما زواهم الى كرمان وانددعــــــــــــــــوا
سرنا اليهم بمثل الموي وازد لذيــــــــــــــــوا
تأبى علينا حزازات النفوس فمــــــــــــــــا
ولا يقلوننا في الحرب عثرتنا
ولا عذر يقبل منا دون انفسنا
صقان بالقام كالتأودين بينهما
وفي الليالي وفي الايام معتســــــــــــــــبر
ان المحارب يستأني وينتظــــــــــــــــر
وقد تبين ما يأتي وما يــــــــــــــــذر
وقد تقاربت الاجال والقــــــــــــــــدر
وقبل ذلك كانت بيننا مــــــــــــــــكر
نبقى عليهم وما ييقون ان قــــــــــــــــدر
ولا نكيلهم يوما اذا عثــــــــــــــــروا
ولا لهم عهدنا عذر لو اعتــــــــــــــــذروا
كالبرق يلمع حتى يشخب البصر

على بصائر كل غير تاركهم —
وشيوخنا حولنا ملطمة —
كلا الفريقين تتلى فيهم السور
حي من الازد فيما نابهم —
حتى نقول : —

ندوسهم بعناجيب محففة —
وبيننا تم من صم القنا كسر

وهكذا نرى ان الشاعر استعر: حرب المهلب ضد الازارقة بأسلوب قصصي،
وتعتبر هذه القصيدة وثيقة هامة لها قيمة جغرافية، وقد استفاد منها مؤلفو كتب
البلدان، حين عرّفوا بعض المدن او المناطق، التي ذكرها الشاعر في قصيدته. ولها
قيمة اجتماعية، ان بيّنت احوال الناس، حين كان خراب الازارقة محققا، ووضّحت تصرفهم
ازاء ذلك. كما ان لها قيمة تاريخية هامة ان امارات بحرب الخوارج، وغيرها كما رأينا
في تأريخه لموت بشر بن مروان، وتصرف عسكر ابن مخنف والمهلب بعد موته بامرهم.

وقد كان الشاعر منطوقا في حديثه، فهو يروى ان مطاردة الخوارج وقتلهم
من باب القصص. يقول (١) : —

قتلى بقتلى قصار يستقاد بها تشفي صدور رجال دالما وتسروا

ويلاحظ ايضا ان المعاني الجاهلية غالبة على القصيدة، اما الممانعة
الاسلامية فتقليلة، نيل الشاعر بها قصيدته.

وفي المناسبة ذاتها نظم كذب الاشقر: قصيدة اخرى، بدأها بمقدمة غزلية
ثم افتخر بقبيلته، فهم اصحاب العز القديم، وهم حماة الشجر، محاربون يجيدون فنس
القتال، عزيز جاركهم، وهم يتحملون الشدائد، ويصبرون عليها، وهم يقودون جيادهم
المتعبة في مجاهد الاراء. يقول (٢) : —

لقومي الازد في الفترات امضى
هم قادوا الجياد على وجادها
واوفى في ذمة واعز جبارا
من الاممار يقذفن المهيارا
بسابر لا يرون لها منارا

١ — المصدر نفسه : ١٠١٦/٨

٢ — الاغاني : ٢٩٦/١٤

الى كرمان يحملن المنايا	بكل ثنية يوقدن نارا
شواذب لم يخبثن النار حتى	رددناها مكلمة مسرارا
غداة تركن مصرع عبودك ربك	يُشرن عليه من رُحى عسارا
ويوم الزحف بالاهواز ظلنا	نروون منهم الاسل الحرارا
فقرت اعينك ثانت حد يشا	ولم يك نومها الاغمرارا
مناعتنا السوابغ والمذاكى	ومن بالمصر يحتلب العشارا

تشهد لهم ساحات كرمان، وحروبهم مع الازارقة، يوم جيفرت والاهواز. وهو
يفضل الازد على غيرهم، وهم يشغلون عامل بامانه هاجم للناس من العدو، وهم يشغلون
انفسهم بالحروب والاعداد لهما، وغيرهم منصرف الى شروته، مشغول بجلب العشار.

اما المهلب فهو قائد مظفر، وركن عظام من اركان الامن في المراء، فقتل
نفي العدو، واشاع الاطمئنان في البلاد في الوقت المناسب، حين كان النار يشدون
الاحزمة للفرار وترت السر. يقول (١) :

فلولا الشيخ بالمصريين ينفسى	عدوهم لقد تركوا الديارا
ولكن قارع الابل حتى	اعابوا الامن واجتنبوا الفرارا

وبهذه القصيدة التي نطمت في نهاية الازارقة اسدل الستار على حرب المهلب

للازارقة.

لم يقصر المهالبة نشاطهم العسكري على أحداث الفتى، واستئصال الخارجيين على سلطة الدولة، بل مدّوه إلى خارج الحدود، وإن كان المهلب نجم الأسرة كـرس حياته في سبيل القضاء على الخوارج.

وبما أن أخبار المهالبة في فترة ظهورهم المبكرة ضئيلة، ومشاركتهم في الأحداث لم تكن كبيرة، فإن المصادر لم تحفل بهم كثيراً، كما لم يحفل بهم الشعراء كذلك. ولعل أول حدث رصده شاعر شارك المهالبة فيه هو غزوة بكنة (١)، سنة ٤٤ هـ. إذ غزا المهلب أيام معاوية السند "فأتى بكنة والاهواز، وهما بين الملتان وابل فلقية العدو، فقاتله ومن معه" (٢). وفي ذلك يقول شاعر ازدي (٣) :-

الم تر أن ازدي ليلة بُيِّتُوا ————— بيئته كانوا خير جيش المهلب؟

احتفظ الشاعر في هذا البيت بمصطلح حربي من المصطلحات التي كانت معروفة في عصره، وهو البيات، الذي سيصبح ميسم حربهم مع الخوارج، ويبين أن البيات الذي يعتمد المفاجأة ليلاً، قد جاء من جانب العدو، وأن قيادة الجيش كانت منوطاً بالمهلب، وهذا ما تؤكد الرواية. ولذا انضاف الجيش إلى المهلب. ويوضح — لعلنا — انطلاقاً من المصيبة — أن أفضل من واجه البيات، هم الازدي قوم المهلب.

فالشاعر في بيته هذا يضيف جديداً إلى الرواية التاريخية، وهو أسلوب القتال في تلك المعركة، الذي اعتمد البيات، وهذا ما لم تذكره الرواية في المصادر القسرية ذكرتها (٤).

وفي سنة ٨٢ هـ عقب وفاة المفسيرة بن المهلب، انطلق يزيد في ستين أو سبعين فارساً إلى مرو، فاعترضته خمسمئة من القز، في مفازة نسف (٥) فقاتلهم غير آباله

- ١ — بنة : من بلاد السند، وهي مدينة بابل، اتاها المهلب سنة ٤٤ هـ. انظر :
معجم البلدان : ٥٠٠/١ - ٥٠١.
- ٢ — فتوح البلدان : ٤٣٢ - ٤٣٣.
- ٣ — المصدر نفسه : ٤٣٣.
- ٤ — المصدر نفسه : ٤٣٢، تاريخ خليفة بن خياط : ١/١١١، معجم البلدان : ١/١ - ٥٠٠ - ٥٠١/٤، ٤٢٣، العبر في خبر من غير : ١/٥٢.
- ٥ — نسف : تقع ما بين جيحون وسمرقند، وليس بها الأنهر واحد، وهو مجمع ميساه كسر، وتنقطع في بعض أيام السنة، وبها معدن الملح. انظر : ابن خردادبنة :
٣٨، ٢٦، صورة الارض : ٤١٣، معجم البلدان : ٥/٢٨٤.

بالتفاوت العددي بينه وبينهم، ولا مصفيا لما قاله جماعة بن عبد الرحمن المتكسبي، حين طالب منه الاتراك ان يعطيهم شيئا حتى ينصرفوا ((اذكر الله قد هلك المفسيرة وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه. فأشددت الله ان تهاب اليوم، قال: ان المفسيرة لم يعد اجله، ولست اعد واجلي)) (١) فقال كعب الاشقرى (٢) :-

والترك تعلم اذا لاقى جموعهم
بفتية كاسود الغاب لم يجدوا
نرى شرايخ تفشى القوم من علكي
وتجتهم قرح يركبن ما ركبوها
في حازة الموت حتى جن ليلهم
ان قد لقوه شهبا يفرج الظلما
غير التأسي وغير الصبر معتصما
وما ارى نبوة منهم ولا كزما
من الكريهة حتى يتلمن دما
كلا الفريقين ما ولّى ولا انهزما

وقال الراجز (٣) :-

يزيد يا سيف ابي سمي
والجمع يوم المجمع المشهور
قد علم الاقوام والجنود
انك يوم الترك صلب العود

وفي سنة ٨٤ هـ تمكن يزيد بن المهلب من مخالفة نيزك على قلعمة بانغيسر (٤) وفتحها، ((وثانت من احصن القلاع وامنعها)) (٥) وكان ((نيزك يعظم القلعة، اذ رآها سجد لها)) (٦) فقال كعب الاشقرى في فتحها (٧) :-

وبانغيسر التي من حل ذروتها
منيفة لم يكد لها قبله ملوك
تخال نيرانها من بؤمد منظرها
عز الملوك فان شا جارا وظلما
الا اذا واجهت جيشا له وجما
بعثر النجوم اذا ما ليلها عتما

١ - الطبري: ١٠٧٦/٨، ابن الاثير: ٤٧٣/٤.

٢ - الطبري: ١٠٧٦/٨ - ١٠٨٠.

٣ - المصدر نفسه: ١٠٧٩/٨.

٤ - بانغيسر: من كور خراسان، واسم ملكها برازان، وبها عدة مدن من بينها جبل الفضة وكوة وبست، وبانغيسر اهل جماعة. انظر: ابن خرداذبة: ١٨، صورة

الارض: ٣٦١، ٣٦٨.

٥ - ابن الاثير: ٤٦٨/٤.

٦ - الطبري: ١١٣١/٨، وانظر: ابن الاثير: ٤٦٨/٤.

٧ - الطبري: ١١٢٩/٨ - ١١٣٠.

لما اُطافَ بها خافتُ صُورَ شَمِّ
فَدَلَّ ساكُنُها من بعد عزَّتِه
وبعد ذلك اياماً نعدُّ دَهْـمَـا
اعاءك ذاك ولي الرزق يَفْـسُـمُه
يداك احداهما تسقى النعدَّ وبها
فهل كسبٌ يزيد او كناؤٌ يُلْـبِـه
ليس باجود منه حين مَدَّـمَـا
حتى اَقْرَوا له بالحكم فاحْتَكَمَـا
يعطي الجزى عارفاً بالدل مهتَضَمَـا
وقبْلِها ما تُشَفَّتْ الدربُ والظَلَمَـا
بين الخلائق والمحروم من حرَمَـا
يَمَّـا واخرى نَدَّاهَا لم يزل دِيَمَـا
الا الفراتُ والآنيلُ حين دُمَـا
ان يعلوان حداب الارض والاكَمَـا

وفي المناسبة ذاتها قال كعب قصيدة اخرى (١) :-

ثنائي على حيِّ المتيت، بانها
اذ اعقد واللجار حلَّ بنجـوـةٍ
نفي نيزكا عن بازغيس ونسـيـزك
ملذلة دون السماء كأنهمـا
ولا يبلغ الاروى شماريخها العلى
وما خوِّفَت بالذئب ولدان اهلها
تمنيت ان القى المتيت ذوى النهى
كما يمتنى صاحب الحرِّ عداشَتَـا
فأسقى بعد اليأس حتى تحـيـرت
لقد جمع الله النون وتشعبت
كرامٌ مقاريبها كرامٌ نصابها
عزيز مراقبها منيع هضابها
بمنزلة اعياء الطول اغتصابها
غمامة صيف زل عنها سحابها
ولا الطير الا نسرنا وعقابها
ولا نبحت الا النجوم كلابها
مسلحة تحمي بطنك ركابها
مزارعه غيثاً غزيراً ربابها
جد اولها رياء وعب عبابها
شعوب من الافاق ستنى ما بها

يشيد الشاعر بالميتك، ربه المهلَّب بن ابي صغرة، الذين ينتمي المهابلة اليهم، ان اذل نيزكا بعد ان فشل القادة السابقون جميعا في ذلك.

وفي سنة ٨٥ هـ ولي خراسان المفضل بن المهلب، فانتقضت بازغيس وشومان واخرون، فأعاد المفضل فتحها، ووزع الفنائم التي غنمها على الناس (٢). فقال كعب

١ - فتوح البلدان : ٤١٧، الطبري : ١١٤٤/٨، ابن الاثير : ٥٠٥/٤.

٢ - المصدر نفسه : ١١٤٤/٨، ابن الاثير : ٥٠٥/٤.

في ذلك (١) :

تري ذا الفنى والفقر من كل معشر
فمن زائر يرجو فواجرل سيـــــه
إذا ما انتوينا غير ارضك لم تجد
إذا ما عدنا الا كرمين ذوى النهى
لعمري لقد حال المفضل صولة
ويوم ابن عباس تناولت مثلها
صفت لك اخلاق المهلب كلها
ابوك الذي لم يشع ساع كسفيهم
عنائب شتى ينتوون المفضل
وأخر يقضى حاجة قد ترحـــــلا
بها منتو، خيرا ولا تملا
وقد قدما من حال كنت أولا
اباحت بشومان المناهل والكل
فكانت لنا بين الفريقين فيصلا
وسريلته من مسامته ما تسرـــــلا
فأورث مجدا لم يكن متحـــــلا

فقد هاجم المفضل القلعة، وحال صولة ادالت شومان، وجعلت بلاده سلبا
لجند المسلمين، وتذكر هذه المعركة الشاعر بتتدى المفضل لفل ابن عباس، الذى
ترأس قيادة فل ابن الاشعث، ويخلج الشاعر على المفضل الصفات المحببة، مرگزا على
خلة الكرم.

وفي سنة ١٦ هـ ولى سليمان بن عبد الملك العراق، لميزيد بن المهلب (٢)،
لكنه تركها لاعتبارات ذكرناها قاسدا خراسان سنة ٩٧ هـ (٣)، وكان يزيد قد قــــم
مخلدا ابنة، ففروا البتم (٤)، وفتخوها (ثم تقضوا بعده، فتركهم، ومال عنهم، فطمعوا
في انصرافه، ثم كر عليهم حتى دخلها، ودخلها جهم بن زحر، واعاب بها مـــــالا
واصناما من ذهب) (٥) فقال النبيت (٦) :

- ١ - المصدر نفسه : ١١٤٤/٨ - ١١٤٥ .
- ٢ - تاريخ خليفة : ٣١٧/١ .
- ٣ - الطبرى : ١٣١٤/١ .
- ٤ - البتم : حصن في فرغانة، وهو جبال منيعة، وفيه معادن الذهب والفضة والنشادر،
وللبتم جبال تعرف بالبتم الاول والاوسط والخارج، واسم ملك البتم ذوالنمنمنه .
وفي البتم الاوسط منابع مياه . انظر : ابن خرداذبة : ٤٠ ، صورة الارض : ٤١٥ ، معجم
ما استمعج : ٢٢٤/١ ، معجم البلدان : ٣٣٥/١ .
- ٥ - فتوح البلدان : ٤٢٥ .
- ٦ - معجم ما استمعج : ٢٢٤/١ .

يا لثَمَّ الا سب الذي لم يرجسه
أحد ولم يك مخَّ للمنتقى
كم من منعة الحجاب ردتهم
أمة ومن منهم هناك محرق

وفي سنة ٦٨ هـ خرج يزيد في وجوه الناس، وفرسانهم حين اعيتهم دهستان
باحثاً عن منفذ يؤد إلى المدينة، ففاجأه الترت بأربعة الاف فباشر القتال بنفسه
ورفع الاصفا إلى قمّ طالب منه تركه، وحسين اراد الانصراف ((جندل الحجاج بن جارية (١)
على الساقة، فكان يقاتل من ورائه، حتى انتهى إلى الماء، وقد كانوا عطشوا، فشرّبوا
وانصرف عنهم العدو، ولم يظفروا منهم بشيء، فقال سفيان بن سفيان الخثعمي (٢) : -

لنولا ابن جارية الا غر جبينه
لسقيت كأساً ممرّة المتجرّع
وحماي في فرسانه وغبوله
حتى وردت الماء غير متفتح

ولذا يظهر خطورة وضع يزيد، ودقة ظرفة، ودور الحجاج بن جارية في هذه
المعركة، الذي ساعد ببسالته وقوته على انقاذ يزيد من هذا المأزق.

والذي يقرن بين قولي النُكَيْت وسفيان والرواية التاريخية، يجد توافقاً تاماً
بين الرواية وقول الشاعر، اللهم الأبعد التفاصيل التي تضل من شأن المؤرخ، ودون الشاعر
فالمؤرخ ينقل الحادثة كما هي، والشاعر يسجل اصداً الحادثة في نفوس الجماهير، وعلى
كل فان هذه الابيات ترتفع إلى مرتبة الرواية التاريخية في توضيح كثير من الامور، كما
نراه بالمقارنة مع الرواية التاريخية.

وفي سنة ٦٨ هـ نقد يزيد مخطاطاً حربياً ضد الترت، إذ هاجم دهستان
وطبرستان (٣).

١ - الحجاج بن جارية، ارسله مصعب بن الزبير عام ٦٨ هـ لقتال عبيد الله بن الحر،
وشايع سنة ٧٧ هـ مطارف بن المفيرة، وقد ألبه الحجاج بن يوسف، حتى اخذ له
خالد بن عتاب بن كرقاء الامان، وقد شارك في ثورة ابن الأئمة ١٤ هـ. انظر:
الطبري: ٧٣/٨، ٦٨٦، ١٠٠١، ١٠٧٦.

٢ - الطبري: ١٣١٩/٩.

٣ - طبرستان: يشمل هذا الاسم عدة بلاد، وهي منطقة جبلية، وقصبتها آمل، وشبه
كثيرة المياه، مشهدة الاشجار، يسمى زعيمها الاصمعيذ، وسميت لان جند كسرى
قتلوا الشجر (استان) بالفوس (البحر) حين اعجزهم فتحها. انظر: صورة
الارض: ٣٢٣، معجم ما استمع: ٨٨٧/٣، معجم البلدان: ١٣/٤ - ١٤.

وجرجان (١) ، وافتتحها جميعا ، ودوفي كل ذلك ، يختم ، ويسبي ، ويأسر ، ويفرض الجزية غير ان ذلك لا يعني انه فتحها بسهولة ، فقد حدثت لها الهلاكات ، فجرجان مسورة بحائط آجر (٢) ، واعيت سابورا اذا الاكتاف (٣) ، كما ان هذه النواحي كانت وعرة المسالك (٤) ، اسهمت الطبيعة في تحديتها ، وهذا ما ركز الطارماح عليه بقوله (٥) : -

ودار قوم اشب شصهم	دائمة هبوة افنامهم
شم الاعالي شائل حولهم	شعراء مبير ذرر دامهم
خادعة المسالك ارضادهم	تمسى وكونا فوق آرامهم
ياضمت بالجيش بها دايك	خوف ملاقيهم واعضامهم
قد التهامي بازميلهم	عن قدرهم مقروظ آدامهم
حتى اذا ما ليلة اظلمت	تمت طارت بعد اظلامهم
كعبة الساج فحافاتهم	صبح جلا خضرة اهدامهم
بش عليها غارة اكثر	عيل ايامها وايتامهم
بالخيل قد جفت مباديهم	وال من حيلة اجرامهم
مردى حروب مثله ساسهم	متلف اموال وغنامهم
شاحبة الافواه تهمي دمام	اشداقها من ذول الجامهم
ترتق الطير اذا ما عادت	انقامها في قبل اراخامهم

ويقول الفرزدق (٦) : -

- ١ - جرجان : مدينة مقسومة قسمين بفعل نهرها ، وفيها مياه كثيرة ، وتقع بين طبرستان وخراسان ، وهي خصبة ، ولقب ملكها صول ، واول من احدث بناءها يزيد بن المهلب ، نقودهم نقود طبرستان ، واوزانهم الكمن ، وبها قلاع وجبال منيعة . انظر : ابن خردادبة : ٤٠ ، صورة الارض : ٣٢٤ ، معجم ما استعجم ٣٧٥/٣ ، معجم البلدان : ١١١/٢ .
- ٢ - فتوح البلدان : ٣٣٦ ، الروا المعطار : ١٦٠ .
- ٣ - الروا المعطار : ١٦٠ .
- ٤ - فتوح البلدان : ٣٣٧ .
- ٥ - ديوان الطارماح : ٤٥٢ - ٤٥٣ .
- ٦ - ديوان الفرزدق : ٣٨٠/١ .

ان القصور بجيل جيلان التسي
فُتحت بسيف بني المهلب انهما
اعيت معاقلها بني الاحرار
لله عادتهم على الثوار

وقد انتهز الفرزدق هذا النصر ليوجه اندارا الى جيل جيلان ، بأنه لم
يبق بعد هذا النصر الا بث الفارات المبيرة ضد دم من يزيد ، وهي التي تحط بهمهم
وتحطم الترة ورتبيل معهم . يقول (١) :-

ولينزلن بجيل جيلان الذي
جيش يسير اليه ملتمس القصر
لجب يضيق به الفضاء اذا غدوا
فيه قبائل من ذوي يمن لسه
ولئن سلمت لتعطفن صدورها
حتى يرى رتبيل منها غارة
وداعت جياذ يزيد كل مدينة
شعنا مسومة على اكتافهم
ترك البعيرة محمد الامرار
غصبا بكل مسوم جزار
وأرى السماء بغابة وغبار
وقضاعة بن معد لها ونسزار
للتري عطفة حازم مغوار
شمواء غير ترجم الا بزار
بين الردوم وبين نخل وبار
اسد مواصر للكماة ضوار

وعلى الرغم من عظمة النصر الذي احرزته يزيد ، فاننا نجد ان ما قاله فيه
الشعراء لا يكاد يذكر بجانب هذا النصر ، لماذا ؟ لعل سبب ذلك عائد الى ان يزيد
لم يكد يفرغ من تحقيق نصرته ، حتى عزله عمر بن عبد العزيز ، وضيّق عليه ، فلم يشرب نخب
انتصاره ، ولم يفد الشعراء مهنئين ومادحين ، نظرا لموقف عمر المشدد منه

١ - المصدر نفسه : ٣٧٨ .

٢ - وبار : تقع بالدماء ، بها ابل وحشية ، ونخل كثير ويذكر ان عاداء ملكت بها ، وذكرت
حولها بعض الاساطير . انظر : معجم ما استعجم : ١٣٦٦/٤ ، معجم
البلدان : ٣٠٦/٥ .

وقف المهالبة في عهد الامويين ، واخذوا لهم النسخ ، والقوا انفسهم في المهالك من اجل تثبيت سلطان بني امية ، ولكنهم لم يقدروا ثمره جهداً ، ففسترة باوية ، بل قطافه غيرهم ، فقد سجنوا ، وعذبوا ، وبعين اصدق بهم الخنجر ، ثاروا ، وتمردوا على السلاطة . وقد رعد الشجراء ذلك من البداية حتى النهاية ، ولعل ثورتهم تلقى اضاءاً على عدة نقاط .

اتت جنود الشام تهزمو فوقها لها خرق كالعاير حين استقلت

والمشاهير : ان الشعراء الذين شتموا بالمهالبة نذروا للامم نذرة تقليدية خالصة فهم يرون ان تصفيتهم هي اخذ بالثأر لمن قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب بواسطة وبالتالي فقد استحوذ هذا العمل ، الذي قام به معاوية ، على اهتمام الشعراء ، ولم يوجهوا شعراهم وجهة اخرى تكشف اسباب هذا التمرد من قبل المهالبة .

١ - ديوان الفرزدق : ١٣٣/١ .

نضر بن مالك بن حسبل بن عامر بن لؤي القرشي . انظار: الطائري : ١٣٨٠ .

وسار ابن المهلب لم يعبرج وعمر بن زو القطيفة من كنانة (١)
وياسر والياسر كان حزمياً ولم يقرب قصور القطيفة.

حين دخل يزيد البصرة ثائراً، رفته عدي أن يحاطي الناس من بيت المال، بل جعل يعطيهم دراهمين دراهمين، ويقول: ((خذوا هذا حتى يأتيني امرأ مبير المؤمنين يزيد، فقد ثبت اليه في أن يأتني لي عطاءكم من بيت المال، وإن أقدمت على عطاءكم من بيت المال، لم آمن لائمته، وإن لا يحسب ما تأخذونه)) (٢). انتهى عدي هذه السياسة في الوقت الذي كان فيه يزيد بن المهلب يوزع الأموال، وقطاع الذهب على اتباعه بلا حساب، فقال الفرزدق: (٣) :-

أظن رجال الدرامين تسوقهم
ألى قدر آجالهم ومصارع
وأحزمهم من قر في قمر بيتهم
وليقن أن المزم لا بد واقع

والفرزدق هنا يرى أن المال للجند يجعلهم يديون حياة سنة من ناحية ومن ناحية أخرى يرفع معنوياتهم، ويدفعهم للقتال، وهذا ما افتقر اليه جند عدي، ونلاحظ ذلك من أن أحد جند عدي أصيب ((وأنه ليقال له: قل لا اله الا الله، فيقول: ماتوا الدرامين. حتى خرجت نفسه)) (٤). وقد وجه الفرزدق رسالة أخرى الى عدي يقول فيها (٥) :-

قل لعدي جاء من كنت تبغني
التي فلا تحفل بدور الدراهم
أناك امرؤ لم تخدم القوم امه
طويل السرى الغيث غير ناعم

فالفرزدق يحذر عدياً من مغبة الاستهانة بأمر هذا الشاعر اليقظ، الذي لا يهمل بالمشاق، كما أنه يواصل انتقاد سياسة عدي المالية، نحو جند، والبا من أنه لا يحفل بدور الدراهم، وإن ينشدها أمام جند، أن أراد كسب الموقف لصالحه، ولكن هذه الدعوة وغيرها من الدعوات لم يصغ عدي لها، والجدير بالذكر أن كوثيخ بن أبي شؤد قال له: "افتح بيت المال، واعط الناس، ليقاتلوا عنك". قال: لم يؤذن لسي

١ - هو محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة: وهو ذو الشامة، وإنما سمي ذا القطيفة، لأنه كان كثير شمر اللحية والوجه والصدر، ولي الكوفة بعد عزل عبد الحميد سنة

١٠٢. انظر: التاريخ: ١٣٨٠/٦: ١٣٦١.

٢ - مخطوط: انساب الاشراف: ٢٠٥.

٣ - ديوان الفرزدق: ٥١٦/٢.

٤ - مخطوط: انساب الاشراف: ٢٠٥.

٥ - ديوان الفرزدق: ٨١٣/٢ - ٨١٤.

في ذلك)) (١). فحسر البصرة ، وبدور الدراهم فيها ، وقدم نفسه أخيراً ضحية لسياسة الخاطئة .

وحين دخل يزيد البصرة أرسل عدداً لتأمين وصول أبي السكين عبد الله بن هارون من الأندلس المسور بن عمر بن عباد بن الحسين والورد بن عبد الله السعدي فرد يزيد عليه بارسال محمد بن المهلب ، والمهلب بن الحلاء بن أبي صفرة ، فلاقوه عند جسر البصرة ، فحضر محمد المسور فأصاب السيف انفه ، وحاول اخذ سيف المسور ، فأصاب أصابعه . وقتل الحلاء أبا السكين ، وفر الورد (٢) . فقال الشاعر (٣) :-

وافلت في يوم الخميس بنفسه ——— وكاد يلاقي الموت ورد بني سعد
وقال آخر (٤) :-

حزنا بحدّ السيف كفّ محمد ——— ولم يمتئس أن فرّ ورد بني سعد

يتفق الشاعران مع الرواية التاريخية على أن الورد السعدي لاذ بالفرار ، وأن كان البيت الأول - فيما يبدو - من نظم شاعر وامي للمهالبة ، والثاني من نظم شاعر قال لهم ، كما أن البيت الثاني يؤكد ما ذكرته الرواية من خروج لأصابع محمد ، مع اختلاف سبب ذلك في نظر الشاعر ، عما ذكرته الرواية التاريخية .

بعد أن دخل يزيد البصرة ، فقد عديا في قصر الامارة ، فطلب منه هريقم ابن أبي دحمة المجاشعي والمسور بن عمر بن عباد بن الحسين الحبالي سواجمة ذلك ، فوجهما إلى البريد ، وبث خيله ، واستعد للامر ((فوجه يزيد اليهم محمد بن المهلب واسماعيل الشيباني ، ودارس مولى حبيب بن المهلب . فقاتل دارس ، وأصابه بني تميم من اصابع عدو ، وثانوا في احدى المجنبتين)) (٥) . وهزمهم ، فقال دارس (٦) :-

انا غلام الازد واسمي دارس ——— ان تميماً ساء ما تمّ دارس

اذا دعونا فارساً لفارس

فدارس يفخر بولائه للازد ، وينمي على تميم سياستها الفاشلة . فقال الفرزدق (٧) :-

١ - مختاراً انساب الاشراف : ٢٠٣ .

٢ - المصدر نفسه : ٢٠٦ .

٣ - المصدر نفسه : ٢٠٦ .

٤ - المصدر نفسه : ٢٠٦ .

٥ - المصدر نفسه : ٢٠٦ .

٦ - المصدر نفسه : ٢٠٦ .

٧ - ديوان الفرزدق : ٧٧٨ / ٢ .

تصدعت الجعراء إذ سمح دارس ولم يصبروا عند السيوف الموارم
جزى الله قيساً عن عدى ملامسة وخبر بها الدينين أهل الملاوم
هم قتلوا مولا م وأميرهم — ولم يصبروا للموت عند الملاوم

والفرزدق يشارك دارساً في النعي على التميميين مع اختلاف سبب ذلك،
فالفرزدق ينعي عليهم سوء تصرفهم في المعركة، ويزدريهم لفرارهم أمام دارس، وعندهم
ثباتهم في ساحة المعركة، وينعتهم بالجعراء، وينمي على القيسيين عدم منافحتهم عن
عدوهم وابتعاد قبيلتهم، حتى يشتد القتال، وتحدث ملاحم، وكان القيسيون قد
هزموا في المعركة ذاتها، أمام محمد بن المهلب (١).

ويبدو أن دارساً وهو مولى للدارس، وسالما المفتوف، وهو مولى لبكر بن وائل
قد ابلى يومئذ بلاءً حسناً، وأنهما كانا يضطلمان بدور قيادته، في تلك المعركة، فقال
أحمد بن (٢) :-

ان تميماً ساء ما تم دارس
ويل لها من سالم ودارس.

وحين أعلن يزيد بن المهلب تمرداً، وخلعه يزيد بن المهلب، أرسل ثابت
قناة هذه الرسالة الشعرية، يحث فيها يزيد على الاستمرار بخلوته التي بدأها.
يقول (٣) :-

ان امرأ احدثت ربيعة حوكله
والحي من يمن وهاب ككودا
لضعيف ما صمت جوانح صدره
ان لم يلف الى الجنود جنودا
ايزيد كن في الحرب ان يجهتها
كأبيت لا رعى ولا رعى دا
شاورت الكرم من تناول ماجدا
فرايت كمن في الهوم بعيدا
ما كان في ابوك قاذج دجاجة
فيكون زنديك في الزناد كودا
انا لفرابون في حصر الوغى
رأس الصقور ان اراد كودا
وقر اذا فكر المجاج تر، لنا
في كل معركة فوارس كودا

١ - مخطوط انساب الاشراف: ٢٠٧.

٢ - المصدر نفسه: ٢٠٧.

٣ - الاغانى: ٢٧٧/١٤ - ٢٧٨.

يا لَيْتَ أُسْرَتَ الذِّينِ تَفَيَّسُوا
وَتَرَى مَوَاتِنَهُمْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَا
كَانُوا لِيَوْمٍ فِي الْعِرَاقِ شُهُودًا
وَالْمَشْرِفِيَّةُ يَلْتَذِينَ وَقُـــــــودًا

فثبت ثلاثة يرسل هذه الرسالة عنصبة لرعيم قبيلته ، واعتزازا بها ، فهو يفهم الموضوع فهما قبلها دون ان يحاول استغلال موقف يزيد من سلطة الامويين ومبارى ثورته ليعلنها على الملاء ، على يكسب الحبر عدد من الموالين لثورة السهالبة ، ولو مؤقتا ، وانطلاقا من هذا الفهم ، يعتز الشاعر بحلف الازد وربيعة ، ويطلب من ابن المهلب الاستناد عليه ، وعلى ما وجهه الله من قدرات عسكرية ، ويظهر ان الشاعر حين قال : -

يا لَيْتَ أُسْرَتَ الذِّينِ تَفَيَّسُوا
كَانُوا لِيَوْمٍ بِالْعِرَاقِ شُهُودًا

قد اشار الى قول يزيد بن المهلب ، حين تمنى ان يكون قومه من قاطني خراسان معه ، دون سائر جيشه (١) . ويبدو ان تغديرات يزيد كانت تختلف عن تغديرات ثابت ، اذ بدا رد يزيد شادبا ، ولثته يكتب : ((وله مرى لأدبعتنه ، وسيرى ما يكون)) (٢) .

ويكتب القطامي هذه الابيات (٣) : -

لعل عيني ان ترى ، يزيـــــدا	يقودُ جيشا جَحْفَلًا سُدَيـــــدا
تسمعُ للاربع به وئبـــــدا	لا برما هَذَا ولا حَســـــدا
ولا جباناً في الوغى رَعْدَيـــــدا	ترى ذوى التاج له سَجـــــدا
مقفرين خاشعين قُـــــدا	وآخرين رحبوا وفـــــدا
لا ينقمُ المهدي ولا المصـــــدا	من نفر كانوا هجباناً سِيـــــدا
ترى لهم في كل يوم عيـــــدا	من الاعادي جنزرا مقـــــدا

فالقطامي متفائل بالخلافة التي خاضها يزيد ، ولذا يشيد به ، ويخلع عليه حسن الصفات .

١ - الطبري : ١٣١٧/٦ - ١٣١٨ .

٢ - الاغانى : ٢٧٨/١٤ .

٣ - الطبري : ١٣٨٦/٦ .

ويبدو ان يزيد كان متحمساً لثورته ، كما توضح ذلك الروايات التاريخية ،
فها هو يخاطب جنده قائلا : ((وجاء اهل الشام ، وما اهل الشام ؟ هل هم الا تسمة
اسياف سبعة منها لي ، سيفان علي ؟ وما مسلمة ؟ جرادة عفران . وما العباس ؟ نسكوس
ابن نساوس)) (١) .

وعلى الرغم من ذلك فقد ذكرت لنا ثلاث روايات ادبية ، قبل معركة البقر بقليل
كشفت لنا غير ذلك ، ان تظهر شعوب هذه الثورة في نفس يزيد . قال يزيد بن الحكم
الشقي ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك (٢) : —

((ابا خالد قد رجعت حرباً مريسةً وقد شمرت حربك عوان فشمـر
فقال يزيد بن المهلب : بالله استمعين . ثم انشده ، فلما بلغ
فان بني مروان قد زال ملكهم فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر
فقال يزيد بن المهلب : ما شعرت بذلك . ثم انشده فلما بلغ
فمت ماجداً او عش كريماً فان تمت وسيفك مشهور بكفك تقذر
فقال هذا ما لا بد منه)) .

فهذه الرواية قد توضح ان اليأس كان مهيمنا عليه ، وتظهر لك انه مقدم على
عملية انتحارية ، يقصد من ورائها ان يقتل عزيزا . وانظر هذه الرواية ، قال الخطيب بن الشائب
الشنبي (٣) : —

ابا خالد ان المنايا مـالكة فمت صابراً قد ما مات مصعب
ولا تقبلن غسفاً فما من سـمادة لمن عاشر مذموماً بـسـلام

فلما سمع يزيد قوله : كما مات مصعب . قال : ((صدق فوك))

وما دام ذلك كذلك ، فلماذا يقدم هؤلاء الناس على مذبح ثورته ؟ ولماذا يفامر
بمستقبل أسرته ، واخوته ، واقاريه ؟ فهو ثائر غير متفائل ، ان قدمت اليه احدى خطاياهم .
وقالت : ((السلام عليك يا امير المؤمنين . فأنشدها : —

رويدك حتى تنظري عن تنجلي عماية هذا العارض المتألق (٤)

١ — مخطوط انساب الاشراف : ٢١٣ .

٢ — الاغانى : ١٢ / ٢٩٠ .

٣ — مخطوط انساب الاشراف : ٢١٣ .

٤ — وفيات الاعيان : ٣٠٣ / ٦ .

فهو متحفظ ازاء النتائج التي ستجلب عنها ثورته . وبالرغم من نظارته تـلـك فقد أعدّ المدّة، وخذق حول نفسه، حين نزل المقر (١) . وسير يزيد بن عبد الملك اليه جيشا ضخما يقوده عميدان من عمدا بني أمية، وهما : المباس بن الوليد بن عبد الملك، ومسلمة بن عبد الملك . يقول في ذلك الفرزدق (٢) : —

أتاك ابن مروان يقود جنوده ثمانين ألفاً خيلها قد أذلّت
فلم يُفْنِ ما خندقت حولك نقرةً من البيض من أغمارها حين سُلّت

فيزيد خندق على جيشه، استمداد للقاء جحافل الشام . التي قدمت يقودها مسلمة بن عبد الملك، والتي بلغت ثمانين ألفا .

وهزم يزيد بن المهلب، وقتل في عدّة من أهل بيته، وحين بلغت هزيمته ومقتله ابنه معاوية، الذي كان قد استخلفه بواسط، تاركا عنده المال والأسرى، أخرج الأسرى وعدد هم اثنان وثلاثون أسيرا، بينهم عدي ابن أرطاة، ومحمد بن عدي بن أرطاة، ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وغيرهم وقتلهم . فقال ثابت قحانة (٣) : —

وما سرّني قتل الفزاري وابنيه عدي ولا أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت معاوى زلّةً وضعت بها أمرى على غير موضع

ويبدو أن ثابتا في هذين البيتين غير راض عن سلوك معاوية بن يزيد بن المهلب . حين يسجل بشعره قتل اربعتهم، وكأن ثابتا عرف أبعادها السيئة، والمصير المفسزع الذي ينتظر المهالبة، ومعاوية بالذات، إذ يذكر البلاذري أن هلال بن أحوز المازني آمن الناس الأموية بن يزيد ((لقتله عديا وأبا حاضرا الأسدي او حاضرا بن أبي حاضرا)) (٤) . وعلى ذلك نرى ما ولدته هذه الخطأوة من حقد في نفوس أعدائهم . ولكن الملاحظ أن الشاعر غير راض عن هذا وبالرغم من أنه غير راض عن عمله ذاك لـم يطمعن في معاوية للعلاقة القبلية التي تربط بينهم .

١ — المقر : يقع ببابل، قرب كربلاء من الكوفة، بين واسط وبغداد، تشاءم بها الحسين ابن علي قبل ابن المهلب، ورفض النزول بها، وفيها قتل يزيد بن المهلب عام ١٠٢ هـ . انظر : معجم ما استمع : ٣/ ٢٥ ، معجم البلدان : ٤/ ١٣٦ ، وابن الأثير : ٤/ ٥٢ ، لسان العرب مادة عقر .

٢ — ديوان الفرزدق : ١٣٣/ ١ .

٣ — مخطوط انساب الاشراف : ٢١٦ .

٤ — المصدر نفسه : ٢٢٠ .

انتهت معركة المقر، وبعد ما قنّدا بيل (١) نهاية مفاجئة إذ أطيح بالثائرين وشرّد أتباعهم، وعلقت رؤوسهم في الأماكن السامة، وطورد أتباعهم، وأودعوا السجن. وقد أثارت هذه النهاية حزناً وشجى عميقين في نفوس شعراء المهالبة، لهنج به ثابت قحانة، فقد بكى ثابت المهالبة بكاءً مراً فهو تارة يلوم جند يزيد، ويفضح موقفهم المتخاذل في المعركة، فلم يشبتوا ثبات الرجال، وهم فروا لدى أول تماس في المعركة. يقول (٢) : —

كلُّ القبائل بايعوك على الذي تدعو اليه وتابعوك وساروا
حتى إذا خسر الوغى وجعلتهم نصّب الأُسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن عاراً عليك ومضت قتل عاراً

وهو طورا تراوده فكرة الأخذ بالثأر لقتلى المهالبة وبخاصة سريهم يزيد، وهو يتوعد الأمويين، ولا يرى من يكافئ يزيد الأيزيد بن عبد الطك، أو هشام، ويتوعد القبائل التي وقفت مع الأمويين بالفارات المبيرة وبخاصة قبائل اليمن، التي لولا مساندتها الأمويين، لأصبح يزيد اليمني زعيماً للبلاد، ويبدو أن يزيد حين سرح بأن أهل الشام تسعة أسياف، سبعة منها معه، واثنان عنده (٣)، كان يأمل من اليمن غير ما وقع منها. يقول (٤) : —

ألا يا هند طال عليّ ليلي وعاد قصيرة ليلاً تاماً
كأنني حين خلقت الشريفاً سقيت لُقَابَ أسود أو سماً
أمر عليّ سَلَوا المِيش يومَ من الأيام شيبني غلاماً
مما بُني أبيك وغبت عنهم فلم أشهد هم ومضوا كراماً
فلا والله لا أنسى يزيداً ولا القتل التي قتلت حراماً
فعلّي أن أبوء بأخيك يوماً يزيداً أو أبوء به هشاماً
وعليّ أن أقود الخيل شمشاً شوارب ضمراً تقص الإكاماً

- ١ — قنّدا بيل : من كور السند، وهي حاضرة منطقة البنّدة، ان ينقل الناس لها منتجاتهم، وبها أوقع هلال بن أحوز بالمهالبة. انظر : ابن خرداذبه : ٥٦، صورة الأرض : ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١، معجم ما استمع : ١٠٩٧/٣، معجم البلدان : ٣٠٢/٤.
- ٢ — الاغانى : ٢٧٦/١٤.
- ٣ — مخدوط انساب الاشراف : ٢١٣.
- ٤ — الطبرى : ١٤١٤/٦.

فامبحمهنَّ حَمِيرٌ من قَرِيبٍ وَنَسْقِي مَذْحَجًا وَالْحَيَّ كَلْبًا
وَعَكَ أَوْ أَرَعُ بِهَا جُذَامًا عِشَائِرُنَا الَّتِي تَبْنِي عَلَيْنَا
من الذِّيفَانِ أَنْفَاسًا قَوَامًا وَلَوْلَا هُمَا جَلَبُوا عَلَيْنَا
تَحَرَّبْنَا زَكَاةً عَامًا بِمَا مَامَا لِأَمْبِيجٍ وَسَطَانَا مُلْكًا هُمَا مَامَا

وهذه القصيدة تدل على ما يتقد في نفس الشاعر من حزن عميق واخلاص شديد للمهالبة .

في مقابل هذا الموقف الحزين أثارت هذه الهزيمة شعورا جامحا من الفرح والاعتباط عند شعراء الأمويين . فيقول جرير (١) : —

ويوم المَقَرِّ أَلَحَمَتِ السَّرَايَا لَمِيمُونَ النَقِيبَةِ وَهُوَ شَارِ
ثَأَرَتِ الْمَسْمُومِينَ وَقَلَّتْ بَسُوءُوا بِقَتْلِ أَخِي فِزَارَةَ وَالْخِيَارِ

ويتضح من هذين البيتين شعور العداء ضد المهالبة ، إذ يبدو الشاعر مسرورا متشغيا بما حصل للمهالبة ، وبما أسفرت عنه ممارك يزيد بن عبد الملك مع ابن المهلب ، لأنه ثأر لعبد الملك ومالك ابنا مسمع بن مالك بن مسمع ، وعدى بن أوطاة الفزاري والخيار ابن سيرة المجاشعي (٢) . ويقول حاجب زبيان (٣) : —

فان أرحلًا فم معروف خليلي وان أقعد فما بي من خمبول
لقد قرت بقندابيل عيني وساغ لي الشراب على غليل
غداة بنو المهلب من أسير يقاد به ومستلب قتييل
فحاجب يتشقى بما آل إليه المهالبة ، حين توزعهم القتل والأسر ، ويقول المسيب ابن الرقيل الكلبي مفتخرًا (٤) : —

قتلنا يزيد بن المهلب بعد ما تمنيتم أن يغلب الحق باطله
فما كان من أهل العراق منافق عن الدين الأمن قضاة قاتله

وهكذا أصبح الدين سلاحا حادا في أيدي القوى المتصارعة ، تتسلح به ، تنفع به عامة الشعب . والشاعر هنا يغلف عداؤه للمهالبة ، وحبته لقبيلته بمغلف يحمل اسم الدين .

- ١ — ديوان جرير ٢/٦٢٦ .
- ٢ — هناك نماذج كثيرة ، نتمرن عليها في غير هذا الموضع .
- ٣ — معجم البلدان ٤٠/٤٠٢ .
- ٤ — القنبيه والاشراف : ٣٢١ .

وأخيرا فأننا نرى أن شعر الحرب الذي سجل ممارك المهابلة، كان في مجمله مقطوعات، اللهم الأرائية كعب الأشقرى وقمائد الطرامح والفرزدق. وهذان الشاعران كانا بعيدين عن ساحة المعركة، وورد شعرهما في فتح جرجان ضمن مدونات مدحيمة. وهنا نتساءل: ما السبب في كون شعرهم كذلك؟ لعل لظروف الحرب التي قيسل الشعر فيها أثرا كبيرا في ذلك، فالشاعر الفارس أو المحارب، سواء أكان ماليا أم خارجيا معارضا ليس له دأويل وقت لينظم قصائد دأويلة يراعي فيها أصول القصيدة المربيسة التقليدية. ثم هو بحاجة الى نظام مقفاوعة من عدة أبيات، سهلة الحفظ، لتتناقلها السنة الجند. والذي يستمر أسماء الشعراء يجد أنهم ليسوا من اللامعين، ومن هنا فقد أفترقوا الى المقدرة الفنية، فهم ليسوا مختصين بالشعر بقدر ما هم مختصون في مجال الحرب ومن هنا غلبت النزعة التقريرية على الشعر الحربي، الذي رصد ممارك المهابلة. وقد يكون لاستئصالهم — ان جاز التعبير — أثر كبير في ضياع جزء كبير من شعرهم، ان ان اتباعهم طوردوا وعدبوا. ولعل هذا يفسر لنا كثرة المجاهيل الذين نصاد فهم من بين الشعراء الذين اتصلوا بالمهابلة، ان انهم تحت وطأة الارهاب السياسي لم يجروا على نسبة هذه الأشعار اليهم.

ويطالعنا شعرهم الحربي على بعض الأساليب القتالية، التي كانت متبعة فسي عصرهم، كما يطالعنا على العلاقات التي كانت تربط بين الجند، وعلى شعورهم نحو أعدائهم، ويطلعنا على النذارة المعقائدية التي كان يؤمن بها الجند.

أما الصراع القبلي في شعر المهابلة الحربي فواضح جدا، ان ان معظم الذين سن تحدثوا عن حروبهم كانوا من حلف الأزد وربيعة، وقلة قليلة من تميم، وكان همها تسقط السقطات، وتضخيمها، والنفخ فيها، كما حصل يوم سولاف، ان وجدنا أن شعراء تميم، يسلمون ألسنتهم لأزد را المهابلة، وان كان المهلب بالذات قد استداع أن يفرغ احترامه على غالبية شعراء العصر، نظارا لطبيعة المهمة التي قام بها، وطبيعة الظرف الذي ظهر فيه.

ويظهر لنا شعرهم الحربي أمدا النصر أو الهزيمة في نفوس الجند من الطرفين، ويكشف لنا كثرة حساد المهابلة ومبغضيه، لا لشيء إلا لما اتصفوا به من صفات قيادية أهلتهم لتسلم مناصب حسنة، ومنحتهم ثقة الخلفاء.

ونلاحظ أن كثيرا من شعرهم يوازي في دقته الروايات التاريخية، بل انه يضيف جديدا لها، كما أشرنا الى ذلك غير مرة.

ونلاحظ في حروب المهابلة خارج الحدود، أن الغالبية العظمى من الشعراء الذين رصدوا ذلك ينتمون الى اليمن على حين أن هذا التفاوت الهائل لم يتحقق في حروبهم

للخوارج ، ويظهر ان السبب في ذلك هو احساسهم بخطر الخوارج الداهم ، وهذا الاحساس لم يكن نحو الأعداء الخارجيين ، كما كان نحو الخوارج ، ثم ان غزواتهم الخارجية بدأت تقريبا مع بداية متاعبهم والتعصب عليهم .

أما عند ما نتناول ما قيل في يوم الحقر ، فاننا نلاحظ شرخا بين بعض شعراء الأزد السامدين ككتابته ، وبين المدر الضخم من الشعراء ، الذين سلوا أسنتهم للآزراء على المهالبة ، هادفين من وراء ذلك نيل حظوة شخصية أو قبلية عند حكام بني أمية .

٣ - الاتجاه السياسي في شعر المهالبة
في العلاقة بين المهالبة وكبار الولاة والقادة

اتصل المهالبة بمعتام ساسة العصر، وزعماء الكتل القبلية، التي كانت تمثل الشغل السياسي والسكوي في العصر الذي توجد فيه هذه الكتل، وقد اختلفت طبيعة العلاقات التي تربطهم بهؤلاء الساسة، باختلاف النظرة المتبادلة بين هؤلاء السياسيين والمهالبة، تلك النظرة القائمة ايانا على المواهب الشخصية، كأن يرى احد الارائه انه يفوق الدارن، اشره، ولعل موقف القلامي من المهلب يوضح ذلك، يقول:-

وما جعل الله المهلب فارساً ولكن أمثال المذيل الفوارس^(٢)

فالقلامي يرى ان المهلب يفتقر الى مقومات الفروسية، وان المذيل ابن زفر الكلابي^(١) يمتلك تلك المقومات، ايانا تقوم النظرة على تضارب المصالح والمكاسب الشخصية، و ايانا تقوم على تضارب المصالح القبلية، وقد امتزجت في علاقاتهم مع غيرهم النظرة الشخصية بالقبلية، لتعبر علاقات ود ووثام وراو علاقات عدا وكراهة، وقد يزن موقفه لطف اليمن وبربيعة من المهلب اثناء علاقته مع عتاب بن ورقاء الثوري، الذي ر عنه احد شعراء بني ايار بن سودة، يبين ذلك يقول^(٤):-

الا ابلغ ابا ورقاء عننا فلولاً اننا كنا غضاباً

على الشين المهلب ان بكفانا للاقى غيلكم منا ضراباً

يمدد الشاعر عتاب الرياحي، لماثر خلاف حاده نشب بين المهلب وعتاب اثناء توليهما قيادة الجيش ضد النصارى، فالشاعر غاضب على عتاب، كما انه عاتب على المهلب، اثر تداخل العلاقات القبلية النامية عن جفوة المهلب لهم، والشاعر في ابياته

١ - ديوان القلامي: ص ٢٨.

٢ - يعني الدكتور زكي العباسي على هذا البيت نتيجة، تقول: انه كان ((لا يقر لاحد بالفروسية سوى قومه)) انار: شعر العرب في ادب العرب: ص ٩١.

٣ - انار علاقات المهلب بمذيل في: مشاهير انساب الاشراف: ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٨، البيان والتبيين: ٦٦/١ - ٦٧، عيون الاخبار: ١٢٤/٢، الطبري: ١٣٦٠/١ - ١٣٦١، المقد الفريد: ٢٩٥/١ - ٢٩٦، الصناعتين: ٤٦١، تاريخ جردان: ص ١٣، وفيات الخيان: ٦٨٠/٦ - ٦٨١، زهر الاداب: ٨٤٥/٣، ثمرات الاوراق: ١٢٥:١.

٤ - الكامل: ٣، ٢٨١.

هذه يصدر عن نزعة قبلية قوية ضد عتّاب التميمي. ولكن من يستالح الشعر السدى
رصدناه، يهدد ان علاقات المهالبة بكبار السياسيين كانت غالباً سيئة.

ويبدو ان اعتراف سادة النصر بمواهب المهالبة، وقدراتهم المختلفة
وبخاصة العسكرية، كانت مثبتة عند شديد عليهم من جانب كثير من سياسي النصر الذين
اتصلوا بهم. فمُتَّبِعُ بن الزُّبَيْر يستشعر اهمية المهالبة ويرفض ان يتجه لحرب المختار
الابالمهلب^(١). وعبدالله بن تارم حين علم بتوجهه مضى لقتال عبد الملك بن مروان
بشكر، دون ان يستصحب معه عمر بن عبد الله بن عمر والمهلب يقول^(٢):-

فلو بهما حُكِّت رجا الحرب بركها لقاما ولو كان القيام على رجل

والخنف، يسمى البصرة، بصرة المهلب^(٣)، وقطاري بن الفجاءة - حسين
اريد توحيد المهلب لقتال البوار مرة اخرى - يقول^(٤) ((... وان جاءكم المهلب فرجل
لا ينابكم حتى تناجزوه، وياخذ منكم، ولا يعطيكم، فهو الهلاك الاثم، والدك - سرره
الدائم))^(٥). وعبد الملك بن مروان يقول: رأى خالد بن عبد الله في ابيه، «يصصف
المهلب بأنه كان ((... سيداً شجاعاً، مدبراً، عازماً، قد مارس الشروب))^(٦) ويزيد
ابن عبد الملك يرفض النيل من يزيد بن المهلب بقوله: ((ان يزيد بن المهلب السهلب
جسمياً، وركب عظيم، ومات كريماً))^(٧) وهذا شاعر يضرب المثل بالمهلب، فيقول^(٨):-
لست كوا ان الذي ساد بالتقى ولست كعمران ولا كالمهلب

وبسبب هذه الآراء يبدو ان كثيراً من السياسيين قد اعتسوا ان «فرقتهم»
محمولة وانهم يعاملون دون المهالبة ولا يحترمون بالدرجة نفسها التي يستترم المهالبة
بها، يقول عبيد الله بن الرُّث^(٩):-

بأى بلاء ام بأية نسيقة تقدم تبلي مسلم والمهلب

- ١ - انساب الأشراف : ٧٥١/٥ ابن الأثير : ٦٦٧/٤ - ٢٦٨.
- ٢ - انساب الأشراف : ٣٤٥/٥.
- ٣ - المحارقة : ٢٩٩ - ٤٠٠ الكامل : ٣٣٢/٣ - ٣٣٣.
- ٤ - الكامل : ٣٤١/٣ ومناقب رأى شبيهه في المصدر نفسه : ٣٣٥/٢.
- ٥ - الكامل : ٢٦١/٢ - ٢٦٢، الأثير : ٨٢٥/٨ ابن الأثير : ٥٣٤٢/٤ شرح نهج -
البلاغة : ١٧٧/٤.
- ٦ - المقد النريد : ٢٥٠/١ وفيات الأعيان : ٣٠٧/٦.
- ٧ - الأثير : ١١٩١/٨.
- ٨ - المصدر نفسه : ٧٧٩/٨.

وقد يكون لولا المهادنة القبلي دور كبير في جعل علاقاتهم السياسية سيئة من كثير من ساسة العصر، فالمهادنة من الأزد ومروء، أن الأزد وربيعة كانتا متعنتين^(١) في حين شكلت القبائل الحارثية اتحاداً آخر، والمهلب يقول^(٢) في وصيته: ((يا بني، قومكم، قومكم))^(٣) وإذا علمنا أن الرازي كانت تفتش قبيلته في فترة ولايته أدركنا المقصد الذي ينطقه هذا الموقف على زعيم العصر، بسبب ميوله القبلية. وعندما بدأ نكبة المهادنة عرفنا أن المصيبة لم يبت دوراً كبيراً فسي حدوثها. والاشباه القبلي جعل علاقاتهم تبدو سنة مع شخص يستمر معهم في السولا القبلي كمالك القسري.

ويظهر أن المهلب أن يتمثل ما نسب اليه من قوله^(٤): -

ولم صلح التمار لم تنال غناي
ولكن لم يسع اسدين غيل

فعندما طلب منه الساج ما ردة الصاغة وتاركي قتال الخوارج اجابه: ((ليس قبلي الأمليح، وإن الناس إذا غافوا التوبة كبروا الذنب وإذا امنوا العقوبة صبروا الذنب، وإذا يسوا من العدو اكثروا ذلك، فهبالي بولام الذين سميتهم عصاة فانما هم فريقان، أبطال اربوا أن يقتل الله بهم العدو، ونادم على ذنبه))^(٥). فبدلاً من أن ينفذ امر الساج راج يلقي عليه الموعظة والاس في معاملة البشر، مما جعل الساج يظيق به، ويبدأ في نواياه، ثم يسر على الاشراف، المستمر على ما يفعل المهلب عن اريق المستعثن والرسائل.

وقد اثر اعتقال الساج للمهادنة في سلوك المهادنة ومواقفهم من بعض السياسيين والقادة، كمحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم والخيار بن ابي سبرة المباشعي وغيرهم. من انوا يثابرون الساج، وينشدون على يده، مشجعين له فسي سياسته نحو صومه السياسيين.

ويبدو ان علاقاتهم بسياسي العصر كانت تتأثر بنظرة الخليفة التي السياسيين في دولته. فان كره ارف تطلق به الطرف الآخر. فالوليد بن عبد الملك كان لا يحب المهادنة، وعين ولي الخلافة، قال يزيد بن المهلب: ((الآن هلكنا))^(٦).

- ١ - نقاش، رير والشرذم: ٧٢٩/٢ - ٧٣
- ٢ - لباء الآداب: ص ١٩٠
- ٣ - المصيبة القبلي: ص ٦٦٢
- ٤ - معاصر الادباء: ١٨٤
- ٥ - الكامل: ٢٦٨/٣
- ٦ - مشاهير انساب الاشراف: ١٩٥

رسائلهم وتحدث بهم خصوصهم . وعندما تولّى الخلافة سليمان بن عبد الملك انقلب الأمر ، وتنازل لمعظم من استمرهم الوليد ، فسلخ نجم الخلافة ، رسائل اتوال خصوصهم السياسيين ، وانقلب الموقف عندما تولّى يزيد بن عبد الملك .

ولهذا نجد ان مؤثرات شخصية ، وقبلية ، وسياسية ، اثرت في علاقات المبالغة بقيادة النضر . وكانت هذه العلاقات تضارب او تستقيم تبعاً لاطراب المؤثرات تلك اثار استقامتها .

ان المهلب رأى في عدد من القادة الذين عاصروه كعباد بن حصين الحنظلي ومصعب بن الذبير وعمر بن عبيد الله بن مضر واصفا اياهم بأنهم اشجع الناس (١) . وارتى النصارى به من سبقوه من القادة كذلك ، فمسلم بن عبيد الله الذي وصفه بـ ((الصابر المستبصر)) (٢) ، الذي قتل في معركة دواب (٣) ، التي احدث فيها القتال وعظم الشهاب (٤) حتى تكسرت الرماح وتقاتلت السيوف وصاروا الى المكادمة (٥) ، يقسول شاعر ازدي (٥) :

قد رمينا الصدر اذا علم الخيل

ببذي الجود مسلم بن عبيس

فانظروا غير مسلم بن عبيس

فالبوه من يثاين وليس

رأه كانوا له كأكلة حيس

فانظروا غير مسلم بن عبيس

لو رموا بالمهلب بن ابن صف

رأه كانوا له كأكلة حيس

والشاعر هنا يؤكد على رأى المهلب في مسلم . فمسلم جواد ، وقد جاد بروحه في تلك المعركة . كما يؤكد على ثقة الناس المبكرة بالمهلب القائد او القائد المنقذ لهم من خطر الخوارج . فعقب موت مسلم بن عبيس ، يرمع هذا الشاعر الازدي المهلب ابن ابي صفرة ، دون غيره من القادة ، للاضطلاع بهذا الأمر .

والمهلب لم يبد رأيه بمسلم فقط بل ابدى رأيه في معظم من سبقوه الى

قتال الخوارج . ينعت المهلب عثمان بن عبيد الله بن مضر ، بـ ((الصبل المطرط)) (٦)

- ١ - اثار : المجلد : ٢٢٢ ، الاخبار الموفقيات : ٥٦٠ - ٥٦١ ، الانتقار : ٧٠٣ ، المستطارات : ٢٢٥/١
- ٢ - الكامل : ٣١٥/٣ - ٣١٦ ، شرح نهج البلاغة : ١٤٨/٤
- ٣ - الطبري : ٥٨١/٧ ، نهاية العرب : ٥٧٤/٢٠
- ٤ - الاخبار الطوال : ٢٧٠
- ٥ - المصدر نفسه : ٢٢٠
- ٦ - شرح نهج البلاغة : ١٤٨/٤

وينعت بنارهم بن بدر الفدائي بـ ((المصي المثلث)) (١) وهذا ما عبر عنه الشاعر
ابن عرادة (٢) :-

مضى ابن عبيس مسلماً لسبيله فقام لها الشمين المبرازي عثمان
فأرعد من قبل اللقاء ابن مصر وابرق والبرق المبرازي شوان
ولم يند عثمان بنان بموضعة واغشى عدو الدين مثل الذي كانوا
وليس لها إلا المهلب انسه ملني بامر العرب هين له ثمان
إذا قيل من يدعي العراقينا ومأت إليه معد بالآف وقحالان

فذاك امرؤ أن يلقيهم نافي نارهم

وليس لها إلا المهلب انسان

يرى ان عرادة ، ان الامراء الذين تولوا قتال الخوارج قبل المهلب ،
اخذوا بالمصر اكثر مما نفحوه . فعثمان بن مخرم الذي تولي قتالهم قبل المهلب
ساعد بتصرفاته المنكودة على جعل شركتهم اقرب . ويرى ان الخوارج ليس لهم إلا المهلب
الذي اصابا بفدحون القتال وتمثلها . ويؤكد هذا القول اجماع كثرة من الناس على
المهلب ، وهذا اجماع يؤكد ما يحلقه هؤلاء من آمال على المهلب

وقد ابدى الشعراء آراءهم بنبر هؤلاء ، قارنين اياهم بالمهلب وموازنين
بينه وبينهم ، فحين هزم الزارقة على نهر ستر قال زياد الجهمي (٣) :

هزى الله خيراً والجزأ بكفبه انا الورد عنا ما اذب واحربا
ولما رأينا الامر قد جد جدده والآن توارى دوننا المصن كوكبا
دعونا ابا غسان فاستأسممه وانصف طاطا رأسه وترييبا
وكان ابن منبجوني لكل عظيمه فقصر عنها قبله وتذبذبا
فلما رأينا القوم قد كللهم لدى حربهم فيها دعونا المهلبا

١ - شرح نهج البلاغة : ١٤٨/٤

٢ - الأخبار الأوائل : ٢٧١

٣ - المصدر نفسه : ٢٧٢

يقرن زياد الأضخم بين المهلب من جانب ابنه والأخنف من قيس وسويد
ابن مذحج من جانب آخر. فالمهلب نهض لمواجهة الخطار، أما الأخنف فقد استناب. وكان
المعاصر يشير إلى ما ذكره أبو مخنف: من أن أهل البصرة اقترحوا على الأخنف
توليته. قال المؤرخ، عرفه ذلك مقترحاً تولية المهلب، قال: ((هو أقوى عليّ
«ربهم مني» (١). وهذا يدل على أن علاقته بالمهلب كانت جيدة، فيجب نصر المهلب
في سلى وسلي. يبدت المهلب بعناية عن رسالة الأخنف من بين رسائل التينة بالنصر.
" فلما لم يره : قال لجهابه : ما كتب أبو بكر فقال الرسول : انه مسلمني اليك
رسالة ، فأبلىه فقال : هذا أصيب الي من هذه الكتب " . اما رسالته فهي ((انا لك
على ما فارقتك عليه)) (٢). وتصرف المهلب هذا يدل على طبيعة العلاقات التي كانت
تربا بين ما ، كما يدل على ثقل الأخنف السياسي في المصرا واما سويد بن ميثم
فمباح ، ولكنه قصر هذه الدرة ، ولعل هذا النوع من المقارنات أدى إلى تكون جهة
معارضة قوية ضد المهالبة .

١ - الأبرص : ٥٩٠/٧ ، ابن الأثير : ١٩٥/٤ .

٢ - شرح نه البلاغة : ١٥٦/٤ .

لم يالحن الشراء على علاقات المهلب بـمـيـح السياسيين في العصر
الأموي ولذلك سأتناول من اتضحت لي علاقته بالمهالبة من السياسيين.

كان الحارث بن أبي ربيعة أمير البصرة من أرائل من اتصل
بهم المهلب، وعلاقات الحارث بالمهلب عبر عنها المورخون تعبيراً بيناً . أما تفسير
الشراء فقد وصلتنا هذه المقابلة للشاعر يشكري، يقول فيها (١) :-

يا مـنـار يا ابن السادة الصّيد دبلنا

مقامك لا تـرـى ولم يأتك الخبر
فان كان اودى بالمهلب يومه
ومالك من بعد المهلب عرجة
فقدونك فالعق بالعجاز ولا تُقـم
وبلدتنا ان المقام بها مـنـاسـر
وان كان سياً كنت بالبحر آمنا
وكان بقاء المرء فينا هو الظفر

وهكذا نرى في هذا العصر أهمية المهلب، القائد، بالنسبة للحارث
ابن أبي ربيعة والي البصرة . فالحارث رجع أصلاً المهلب لقيادة حرب الخوارج، حين
كتب الي مصعب، ((وانه ليس لهم الا المهلب)) (٢) وهذا يدل على ان علاقة الحارث
بالمهلب كانت سنة . والحارث كان ذا ثقة بالمهلب، بدليل انه هم بالهرب يوم اُشيع
قبل المهلب، غير ان الشاعر يالـب من الوالي التروى، حتى يتأكد من الخـسـر
فان كان صحيحاً، رجع له بذلك ليعق بالعجاز مسقار رأسه . وان لم يكن كذلك بقي
في منصبه آمناً مطمئناً في حياة المهلب الذي تشكل حياته حياة للمصر عامة . فالمهلب
بأعماله العسكرية الناجحة يثبت سلطان بني أمية هناك . ويدعم ولائهم، ويكون سبباً
في طاعتهم له وسمعتهم . وقول الشاعر، ذا فيه ازراء على الحارث، وتنوية بالمهلب،
ومحاولة الفرار منه هي علامة جبن وتخاذل من قائد لا يتحمل مسؤولياته في أحرج
الآوقات . وسلوك الحارث هذا وثيقة الناس بالمهلب ربما ولذا اشتهر في نفسه
المهلب بالحارث، فحين نصر بسلى ارسيل ببشارة النصر الى الحارث فرد عليه: ((فـهـنـيـثـا
لـنـه يا ابن الرد، بشرف الدنيا وعزها وثواب الامرة وفضلها . والسلام عليك ورحمة
الله . فلما قرأ كتابه، خطه ثم قال: اما تظنونه يسرفني الا باشي الرد ما اوصل
مكة الا اعراب)) (٣) وجاء في ابن الأثير: ((ما هو الا اعرابي بناني)) (٤) وفي المعركة

- | | |
|-----|----------------------|
| ١ - | الخبار الطوال : ٧٧٣ |
| ٢ - | الطبري : ٧٦٥/٨ |
| ٣ - | المصدر نفسه : ٥٩٠/٧٠ |
| ٤ - | ابن الأثير : ٢٠٠/٤ |

ذاتها ردّ السّارث على رسالة اخرى ، بقوله : ورأيتك اوثق حصون المسلمين ، وهاد
اركان المشركين واغنا السياسة ، وذا الرياسة))^(١). وهذا يدل على ان مركز المهلب
قوى جدا وربما استشعر في نفسه انه اعظم من السّارث ، وانّه هو الجدر بتولى ما
تولاه السّارث

١ - الكامل : ٣/٣٢٩ ، شرح نهج البلاغة : ٤/١٥٥-١٥٦ .

في سنة ٧٥ هـ ولي عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي المراق، وقد أبا الحجاج على استعمال المهلب في حرب الأزارقة . و حل ديدنه في ذلك الأزارق على المهلب طانا انه يطيل امد الحرب لما فيه صالمة . وقد كان يرسل رسله الى المهلب باستمرار ، للاطلاع على سير العمليات ، وموافاته بتقارير كاملة عن ذلك . وكان الحجاج في كل ذلك لا يتورع عن شتم المهلب ، وإرسال رسائل التهديد اليه ، وهذا يدل على انه يفقد الثقة بنوايا المهلب . وما ولد ردة فعل لدى المهلب اتخذت امكالا عدة (١) . منها ان يرد المهلب التهديد بمثلته ، والشتم بمثلته ايضا . ومنها اللجوء الى مناهضة العدو بمشور رسله ، ليشهدوا عنف القتال ، ونراوته . ومنها التوجه الى الخليفة مباشرة لاطلاعه على مضايقات الحجاج . ويبدو ان عبد الملك بن مروان كان يحسن الظن بالمهلب ، فهو يقول : ((..... لا تعارض المهلب فيما يرى ، ولا تعجله ، ودعه يدبر امره .)) والذي يستمر موقف المهلب من الأزارقة ، يرى ان تخوفات الحجاج وتكهناته كانت بعيدة عن الصواب . فالمهلب لا يدع فرصة تلوح لمحاربة الأزارقة الا اغتنمها . ولكن الظاهر ان الحجاج كان ينافذ من المهلب ، لأنه كان يدير العمليات العسكرية بمشورده ، بعيدا عن استشارة الحجاج . يقول المهلب : " فان كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم ، على ان ادبرنا كما ارى ، فان امذنتني الفرصة انتمزتها ، وان لم تمكنني توقفت ، فانا ادبر ذلك بنا بصلحه . وان اردت مني ان اعمل ، وانا حاضر ، برأيتك وانت غائب ، فان كان صوابا فلك . وان كان خطأ فخطي ، فابحث من رأيت مكاني)) (٢) . وهذا الموقف اغاظ الحجاج الذي كان يعد نفسه القائد الاستراتيجي في حرب الأزارقة .

والملاحظ ان المهلب على الرغم من الثانات سالفة الذكر ، التي يدعيها القارئ في كتب الفترة ، لم يفكر في تلح طاعة الحجاج ، فهو يرد على الحجاج قائلا : ((..... وانا اعوذ بالله من سخط الأمراء ومقت الأئمة)) (٣) ، على حين ان ابن الأعمش مثلا تمرد لان الحجاج كتب اليه : ((يستعجزه ، وينفذ له)) (٤) في غزوة رتبيل . وهذا يدلنا على ان المهلب قد اتخذ جانب الأمويين له طريقا ، معتمدا على حسن رأيهم فيه (٥) . فما

- ١ - انظر : الكامل : ٣٧٠/٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٩٥ - ٣٩٦ ، أخبار الأول : ٢٧٥ ، ٢٧٧ - ٢٧٨ ، الجبري : ١٠٠٤/٨ - ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، شرح نهج البلاغة : ١٨٦/٤ - ١٨٧ ، ١٨٩ - ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ابن الأثير : ٤٤٧/٤ ، نهاية الأرب : ٢٤٦/٧ - ٢٤٧ ، شرح الميوس : ٢٠٠ .
- ٢ - الأغاني : ٣٩٠/١٤ - ٣٩١ ، شرح الميوس : ٢٠٠ .
- ٣ - أخبار الأول : ٢٧٨ ، انظر : الكامل : ٣٩٦/٣ ، شرح نهج البلاغة : ٢٠٧/٤ .
- ٤ - التنبية والأعراف : ص ٣١٤ .
- ٥ - الشعر العربي بخراسان : ص ٧٥ .

دامت توبيخات الحجاج تهتق، مطلة الأمويين ، وما دام هو يقاتل لرفع راية الأمويين، فلا خلاف بينهما .

أظهر الشعراء سياسة الحجاج نحو المهلب في شعرهم ، فكعب الأشقرى يقول بحضرة رسول الحجاج (١) :-

ان ابن يوسف غره من غزوكم	شفي النقام ببانب الاله صرار
لو شاهد الصّفين من تلاقيا	خاقت عليه ربيعة الاطلسار
من ارض سابور الدنود رغيلنسا	مثل القداح بريتها بمفسار
من كل يخذلذ يرى بلبانسه	وقّع الطلبة من القنا المنار
ورأى معاودة الرباع غنيمته	ازمان كان ماله الاقتسار
ندع الحروب لهيبها ومباها	وعليك كل شريدة مهملار

فيتبين لنا في هذا الشعر مدى السرية بالحجاج ، ومدى تقدير الشاعر للمهلب ، واحترامه لقدراته القيادية القائمة على اغتنام الفرص ، فالحرب كما يقول المهلب ((لا يدركها الا المكث ، ولا بد لها من فربة يستريح فيها النالبه ويتال الملوب)) (٢) .

وعندما بلغت هذه المقاومة الحجاج ، حاول المهلب بكل ما اوتي من سلطة ان يعمي كعبا ، ((واوفده الى عبد الملك من تحت ليلته ، وكتب اليه يستوهبه منه)) (٣) وهذا يعالنا على علاقات المهلب بالحجاج ، او الى اى حد كانت متوترة وسيئة . وربما عدنا كعبا الاشقرى نا طقا بلسان المهلب . فهو يسر من الحجاج في مجلس المهلب ويحرص المهلب على حمايته من الحجاج .

وقد تكرر هذا الموقف من الشعراء فنرى أحد بني عامر يقول لرسول الحجاج (٤) :-

ما زلت يا ثقيفي تنهأ بيننا
وتنمنا بوصية الحجاج

- ١- الأغاني : ٢٩١/١٤
- ٢- الأخبار الطوال : ٢٧٨
- ٣- الأغاني : ٢٩١/١٤
- ٤- الكامل : ٣٩٩/٢

ويقول الملتان العبدى لرسول الحجاج كذا (١) :-

فمن مبلغ الحجاج أن أمينه زيادا اناحه رماح الأزارق

وعذا يدل على أن المهلب كان يلقى العنان للشعراء في مثل هذه المناسبات ، للتعبير عما يقول بشأانه هو بشكل غير مباشر .

وعندما قتل أهل عمان القاسم بن سمر السعدي ، وطلبوه عند بشر سمينة بالمدينة أرسل الحجاج إليهم مائة بن سمر السعدي شقيق القاسم ، فحاش فيهم (١) يقتل ويسبي ، وكان لما نذر إلى أبيه : حاج و مي (٢) . فالججاج بدلا من أن يهدئ الخوارج أو يؤول الاقتصاص على الطريقة الإسلامية السائدة يلجأ إلى إيقاد مائة الموتور إليهم وهذا يدل على تمكن شعور النداء ضد المهالبة والأزد بمائة في نفس الحجاج ومباغضة يثقل عمله هذا برسالة معزية إلى المهلب ، تدل على أنه صدر عن عوض الحجاج ، يقول (٣) :-

فما بيني وبينكم عتباب	إلا ابلغ لديك أبا سعيد
ولا تربي ولا ترعوا علينا	ولا نسب يقد فلا تهابوا
تركت الأزد غاوية قراما	تعاوى في ساكنها الكلاب

ولكن انجازات المهلب في ساحة الأزارقة ، فرضت على الساسة الأمويين احترامه . حتى لقد ظفروا المهلب باحترام الخليفة وتقديره . وكما جعلت أعمال المهلب الكثيرين يعتزومونه ولدت حقدًا في نفوس عدد من القادة ولكنهم لم يظهروا بها نظرا لمهنية المهلب الفذة ، وربما نستطيع القول : أن الحجاج من بين هؤلاء ، نستنتج ذلك من مجموع المضائق التي كان يتعرض لها المهلب في غربه ضد الأزارقة . بيد أن الحجاج لا يستأين أن يظهر بذلك ، لأن هذا سيولد صدمة لدى الكثيرين ، وبخاصة أهل البصرة الذين حقق لهم المهلب الأمن ، ووفر لهم الحماية باستئصال البزار الغاربي . ومن هنا نجد أن الحجاج يستقبل المهلب استقبالا رائعا عندما وفد عليه ، ويقول له : أنت كما قال لقيط بن يثغر الأيادي في صفة امرأة الهبيون (٤) :-

١- الكامل : ٣٨٠/٣

٢- ديوان جرير : ٤٠٥/١

٣- المصدر نفسه : ٤٠٥/١ - ٤٠٦

٤- ابن الأثير : ٤٤١/٤

رعب الذراع بأمر الحرب مضاعفا

وقلّدتُ أمرهم لله دركم
لا مترفا أن رياء العيش ساعده

ولا إذا عجز مكروه به شغفها

منهذ النوم تحنيه شوركهم

يروم منها إلى الأعداء مائلها

ما انفك يهلب هذا الدهر شاره

يكون متبها لورا ومتسبها

وليس يشفله مال يثثه

عندكم ولا ولد يبني له الرفعا

سقى استمرت على شؤر مويرته

مستعكم السن لا قمتا ولا ضرعا

أذن علاقات المهلب بالمهاج ، لم تكن ودية ، وتختلف أيدي المنون
المهلب أقوى سمعيات السهانية ، الذي لم يستطع المهاج بالرخ من مفايقاته له للنيل
منه ، وتبدل علاقات المهاج بالمهالبة مرطلة جديدة .

سار أبناء المهلب في تعاملهم مع المهاج على مهاج والتهم . ولكنهم
فيما يظهر .. لم يهلكوا ذكاء المهلب ، ومن تصرفه ، واسلوب تعامله بدقة . زد عليه
أن علاقته بالثغاة لم تكن متينة متانة علاقة المهلب بهم ، لذا وقعوا في شراكه
المهاج .

لم ينفذ أبناء المهلب وأمر المهاج : مينا ، مع أنهم إداريا يخضعون
له ، ويفترض أن ينفذوا أوامره ، فعندما أمر المهاج يزيد بن المهلب بقتل الأتاسم ،
رد عليه : ((أن بني الأتاسم ، أصاب مقال ، وليسوا بأصااب فعال ، فلا تقدر أن تحدث
فيهم ضررا وفي قتلهم عار وسبه ، واستوسبهم منه ، فتغافل عنه)) (١) وقد صنع المفضل
ابن المهلب المنيع ذاته ، ثم ولي قتيبة بن مسلم ، فقتل الأتاسم بأمر المهاج . فقال
كعب الأشجري (٢) :

بعد المفضل والأغر يزير
رعتاها ثم طيركم سمودر
فيزيم احسانه بجسمودر
أن القياس لجاهل ورشيد

قل للأتاسم من يعود بفعله
ردا صائفت تفكم بمعاذر
ردا على المهاج فيكم أمره
فاليرم فاعتبروا فعال انيكم

١ - الأغاني : ٢٩٣/١٤

٢ - المصدر نفسه : ٢٩٣/١٤

وكان يدمج علاقات المهالبة مع المعراج أحيانا طابع المناظرة والتعدي فالعديّل بن القرن يقرّ باب المعراج : حين رفض المعاجب ادّاله ، مقبها الى باب يزيد بن المهلب وينشد (١) :-

لئن ارتج المعراج بالبعث بآبته	فبأب الفتى الأزدي بالعرف يفتّح
فعي لا يبالي الدهر ما قلّ ماله	إذا جعلت أيدى المكارم تسنّع
يداه يدك بالعرف تذهب ما سكوت	وأغرى على الغداء تساو وتبرح
إذا ما اتاه الحرملون تيقنوا	بأن الغنى منهم وميكاً سيسر
أقام على النافين عراس بآبته	ينادونهم والعر بالعر يفرج
سلموا الى سيب الأثير وعرفه	فأن عالياه على الناس تنفّج
وليس كعلي بن ثمود بكثيبه	من الجود والصروف عزم معلج

و من امر يزيد ان حياة العديّل ، أصبحت مهددة ، لم يبالي بنضاب المعراج ، الذي احتضن هذا العمل عليه ، بل أعطى يزيد العديّل ما يحتاج اليه من مال وأفراس ، ((وقال له : الحق بقلبي نجد ، وأعذر ان تعلقك ببائل المعراج او تعتبلك مصاربه ، وابحث الي في كل عام ، فلك علي مثل هذا)) (٢) وهذا التصرف من يزيد فيه استمثار بالمعراج واستغناء بسلالته ، وهذا يؤكد ما ذهب اليه فلهاوزن من ان يزيد كان ((يشعر بشيء من المضاضة ، ان يكون تابعا للمعراج ، وخصوصا انه رئيس الأزدي)) (٣)

والسند كان يسم علاقات المعراج بالمهالبة أحيانا . فعندما رأى المعراج يزيد يخطر في مشيته ، يقول : ((لئن الله المنيرة بن كئبنا ، حيث يقول :-

جميل السعيا ، بختري اذا سعي وفي الدرع ضم المنكبين كمنان

فالتفت اليه يزيد ، فقال : انه يقول فيها :-

مديك القوى من اهل بيت اذا وحي

من الدين فتقّ نملوا فألقوا

١ - المصدر نفسه : ٢٢/٣٥٩

٢ - المصدر نفسه : ٢٢/٣٦٠ - ٣٦١

٣ - تاريخ الدولة العباسية : ص ٤٠٨

مراجيع من الأراعر ان نزلت بهم
(١) ميامين قد قادوا البيوت وسائقوا

يتخذ لنا ان علاقات أبناء المهلب لم تكن افضل من علاقات والداهم
به ، بل كانت اسوأ ، وهكذا ضرب الحجاج ضربته . فاستدعى يزيد بن المهلب واليسه
على خراسان ، فتوهم يزيد منه خيعة ان يكون اخبر له خيرا ، وتوجه يزيد الى حسين
ابن المنذر (٢) ، ملتصقا عنده الاستشارة . فيشير عليه بالألا يتوجه اليه ، غير ان يزيد
يرفض ذلك ، ويسلم نفسه الى الحجاج . فيقول حسين (٣) : -

امرئك امراً . ازمأ فقصيتنسي
فاصبغت ملوب الامارة نادماً
وما انا بالباكي عليك صاباً
وما انا بالداعي لخرين سالماً

فلما قدم قتيبة خراسان ، قال لحسين : كيف قلت ليزيد ؟ قال : قلت -
امرئك امراً . ازمأ فقصيتنسي
فان يبلغ الحجاج ان قد عميته
فانك تلقي امره متفاقماً

اودع الحجاج المهالبة السجن ، وافتن في تعذيبهم ، ويخندق عليهم ،
ويمل عليهم الخراسان ، وهذا العمل ازن نساء المهالبة ، يقول الفرزدق (٤) : -
وقد علم اللهي بكين عليكم
وانتم وراء الخندق المتصوب
لقد رقات منها العيون وتومت
وكانت بليل النائر المتصوب
ولولا مليمان الخليفة طقت
بهم من يد الحجاج انظار منرب
ويقول الفرزدق (٥) : -

- ١ - البخاري : ١٢ / ١٠٠
- ٢ - في معجم المبراء منسوبة الى فيروز . حسين ، ولكن المعروف ان فيروز . حسين
قد قتله الحجاج سنة ٨٣ ، بعد معركة دير الجماجم . انظر الاستشارة فحسي
الطبري : ١١٤١ / ٨ ، ابن الاثير : ٥٠٢ / ٤ - ٥٠٤
- ٣ - الطبري : ١١٤١ / ٨
- ٤ - ديران النرزدق : ١٩ / ١
- ٥ - الحمدن نفسه : ٣٣٦ / ١ - ٣٣٣

قد يَقْلَمُ النِّفَرُ الَّذِينَ مَشَوْا
بِذَلِكَ نَفْسَهُمْ مَخَاطِرَةً
إِنْ أَلَامَنَ لَهُمْ إِذَا شَرَبُوا
ويقول (١) :-

شَرَبُوا وَدُونَهُمْ مُدْبِرَةٌ
بل ما رأيت ثلاثة شَرَبُوا
ويقول (٢) :-

أَنْيَ أَرَى الْحَاجَّ إِدْرَكَه
وَأَسَاهُ وَأَبْنِيهِ الَّذِينَ مِمَّا
نَحَبُوا وَمَالَهُمُ الَّذِي يَمْسُوا
دَعَلُوا قَبُورَهُمْ إِذَا اضْطَحُوا

مَتَعَلِّقِينَ وَهُمْ عَلَى الدَّسَرِ
وَهُمْ وَرَاءَ غَنَادِقِ الْقَسْرِ
بَعْتَرَاتٍ مِنْ فَرْقٍ مِنَ الدَّهْرِ

وَمَتَعَلِّقُ مَتَصَوِّبِ الْقَسْرِ
مِنْ مِثْلِ مَشْرِجِهِمْ عَلَى الشَّارِ

مَا أَدْرَا الْأَرَى عَلَى الْوَعْرِ
كَأَنَّا يَدِيهِ وَغَالِصِ الْمَدْرِ
تَرْكُوهُ مِثْلَ مُنْطَدِّ الصُّفْرِ
فِيهَا بِأَوْعِيَةٍ لَهُمْ حِفْظُ

ويظهر الفرزدق أن رحلة المهالبة إلى سليمان كانت شاقة ، فيقول (٣) :-

لَهُمْ رَمَدٌ يَشْغِي عَلَى كُلِّ مَرْقَبٍ
غَيْبٍ نَعَا مَا تَرَوْنَ وَابْحُ غَضَبٍ
إِلَى رَتَمَاتٍ بِالطَّرِيقِ وَأَذْوَبٍ
بَعَائِرٍ مِنْ مَشْرُوقِهَا الْمُتَقَوِّبِ
بَرِيٍّ مِنْ مَلَمَّاتِ الْعَوَادِثِ مُتَطَلِّبِ
تَبَاثِيرٍ مَعْرُوفٍ مِنَ الصُّبْحِ مُنْزَبِ
كَمَا الْأَرْضُ بَاقِي لَيْلِهَا الْمُتَجَوِّبِ
مَعَ الصُّبْحِ إِذَا نَادَى إِذَا نِ الْمَثُوبِ
إِذَا أَصْلَاكَ نَابَا مَا تَرْنُمُ أَخْطَبِ

وَيُظْهِرُ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ رَجْلَةَ الْمَهَالِبَةِ إِلَى سُلَيْمَانَ كَانَتْ شَاقَّةً ، فَيَقُولُ (٣) :-
كَبَبِينَ بِهِمْ شَمْرًا إِلَيْهِ وَدُونَهُ
مَعْرِقَةُ اللَّحَى كَأَنَّ غَيْبَهُ
إِذَا تَرَكُوا مِنْهُمْ كُلَّ شَمْلَةٍ
شَدْرًا جُلْدًا اخْفَافَهُنَّ الَّتِي لَهَا
وَكَمْ مِنْ مُنَاجِحٍ شَاقِفٍ قَدْ وَرَدَنَّهُ
وَقَفَنَ وَقَدْ حَاجَ الْعَصَافِيرُ إِذَا بَدَا
بِمِثْلِ سَيَرِنِ الْمَهْدِ إِذَا وَقَعَتْ وَقَدْ
كَلَرُوا عَنْ عَيُونٍ قَدْ كَرِينَ كَسَلًا وَلَا
عَلَى كُلِّ شَرِّ وَجْهٍ كَأَنَّ صَرِيفَهُ

١ - المصدر نفسه : ١/٣٣٣

٢ - المصدر نفسه : ١/٣٣٣

٣ - المصدر نفسه : ١/١٨ - ١٩

وعندما فجر المهالبة ثورتهم في وجه الأمويين ، قال يحيى بن ابي
رقصة يبين علاقات المهالبة السيئة بالحجاج (١) :-

لا يطع الناصر إلا السيئ اذ فتنوا - لهفي عليك ولا حجاج للمدين
لو كان حياً غداة الرد اذ نكثوا - لم يجر قتالهم شأب ديارين

وممل القول : ان علاقات المهالبة بالحجاج كانت سيئة ، ولعل ذلك
عائد الى شحور المنافسة والحسد والحسبة .

وفي عام ٧٢ هـ ولي العراق خالد بن عبد الله بن أسيد، وأراد أن يعزل المهلب عن حرب الخوارج، وحين عارضه الناس، بأن المهلب لا بدعائم الأمن في السراي^(١)، رفض ذلك قائلاً: ((ذهب المهلب بهذا هذا المص))^(٢)، وهذه السبابة تبين حسده له، غير أنه بأهمية المهلب الاستراتيجية في حرب الأزارقة، وباحتقار الخوارج له (أي لخالد) «حين دعوه - يا مغنث^(٣)».

حارب خالد الخوارج فترة قصيرة، ثم ولي أخاه عبد العزيز ذلك غير سماع لنصائح الناصحين، فصرهم الصدى يقول له: ((... اصلح الله الأمير... إن الأزارقة ذو شأن الحرب وسباعها، وليس صاحبهم إلا المباكر الضاكر، المحرب المجرب الذي ارغمت^(٤) عليه الحرب بلبائهم... وحرصته، وحرصته، وذلك ما عثر الأزد المهلب بن أبي صفرة... وليس المجرب كمن لا يعلم... ولا الناصح الممشق كالناظر الدتهم... قال له خالد: اسكت ما انت وذا))^(٥)، وهذا الرأي في المهلب طرزه الخوارج كذلك: ((... وكانت الخوارج تميمي المهلب، السامر، انهم كانوا يدبرون الأمر - غير دونه قد سبق الى نقش تدبيرهم))^(٥). وحين عزم عبد العزيز هزيمته السامقة، قال عمر بن عبدود^(٦) في

لعمري لقد ناجيتك بالنصح	وناديتك حتى أبى وعصينا
ولجج وأنت عفو عن من يهزأ	عصاني فلاقى ما يسر الأعداء
نصحت فلم يقبل ورد نصيحتي	وإن النصح كان بما ليس آتيا
وقلت المروريون من قد عرفتهم	حماة كما أن يضربون الهواديا
فلا ترسلن عبد العزيز رسرك	اليهم فتى الأزد اللد الثماليا
فتى لا يلقى الموت إلا بوجهه	جريثا على الأعداء لهرب واليا
فلما أبى القيتك قبل نصيحتي	على غارب قد كان زثمان ناويا
وشمرت عن ساقبي كزبي اذ بسدت	كفائهم تزيى الينا الثعاعيا
يهزؤون أرمادا لا الأتباع	شدا إذا ما التوم هزوا السواليا

والملاحظ أن الشاعر متعاطف مع خالد، مشفق عليه من منية ما هو مقدم عليه، وهو يعتبر مناصرة خالد بالمسلمين، وتسيبه يهزيمتهم ((عفو)) وقد كشف لنا عن سبب ذلك حين قال: ((اصلح الله الأمير، أن هذا الذي من تميم تثبط بقرين منهم

- ١ - الكامل: ٣٤٩/٢
- ٢ - المصدر نفسه: ٢٥٢/٣
- ٣ - انساب الأشراف: ١٠٥٩
- ٤ - ذيل الأملالي والنوادر: ص ٣٢
- ٥ - الكامل: ٣٥١/٣، شرح نهج البلاغة: ١٧٣/٤
- ٦ - ذيل الأملالي والنوادر: ص ٣٢

ويبدو ان مقارنة عزم بين المهلب وعبد العزيز ، كانت حديث الساعة
اذ نجد ان عبد الملك بن مسعود الذي بعثها الي خالد الحادة بالمهلب وازراء به عبد
العزيز يقول : ((اما بعد ، فانني كنت سمعت لك هذا ، في امر المهلب ، فلما ملكت
امرك ، نبذت اعني واستبدت برايتك ، فوليت المهلب الجباية ، ووليت اناسا من
الزارقة ، فقبض الله هذا رايا ، اتبعته فلما غزا في يارب الحروب للدار ، وتسرعه
سيدها معا ، مديرا هازما ، قد مارس الحروب ، تشمله بالجباية)) (٣) . فالمهلب
يخلى باحترام الجميع بدءا من الخليفة و انتهاء بعامة الشعب . اما عبد العزيز
فقد وصفه الناس بالمار . يقول ابن مسعود (٣) :-

عبد العزيز فضعت جيثك كلهم
 ولا صبرت مع الشهيد مقاتل
 وتركت عرسك وانفراحه هوان
 وقال آخر (١) :-
 وتركتهم صرعى بكل سبيل
 اذ رقت تمنع فارباً بأصيل
 عار عليك الى السمات لويسل

بعثت غلاماً من قريش فترقوا عنه
أبى الذم واختار البهاقوا. وكنت
وتعرك ذا الرأي الأمل الملبى
قواه وقد ساس الأمور وكربا

مما سبق نرى اذعلاقة شالذ وائيه عبد العزيز بالمهلب لم تكن طيبة ،
وكانت قائمة على انهما ينفسان على المهلب السمعة الحسنة ، التي حصلها بجهده .
ويبدو انه على ما وسبب الله من سمات قيادية ، وقد اولا اثبات ان حرب التواريخ ، التي
برز المهلب فيها ، ليست قصيرا عليه . وان بائنا كانهما تعميل مثل ما حصل المهلب ففشلا
ووجدوا من منصبهما ، ورنال غضب الناس واستقارهم .

- ١ - ذيل الانكاسي والنوادير : ص ٣٣.
٢ - الكامل : ٣٦١/٧ - ٣٦٢ ، الطبري : ٨٦٥/٨ ، ابن الاثير : ٣٤٣/٤ ، شرح نهج
البلاغة : ١٢٧/٤.
٣ - انصاب الاشراف : ج ١ ص ١٦٨.
٤ - الكامل : ٣٥٩/٣ - ٣٦٠.

أما غاد القسري فقد كانت علاقتها بالمهالبة ودية ، وربما يكون
لتقاربهم القبلي اثر في ذلك (١) ، فسنجد ما ضرب غاد رأس الحبيبة مئة سودا ، غضب
سليمان بن عبيد الملك للجيجي القرشي ، وأمر على تاج يده ، فتدخل يزيد بن المهلب
ولم يزل يستل غضب سليمان بتروية ، وحسن تأت حتى استبدل قرار القطع ، بمعاقة خالد
بمثال ما عاقبه الجيجي (٢) . وقد تحدث الفرزدق عن ذلك بقوله (٣) : -

لعمري لقد ما بت على ظهر خالد	ما يبب ما استملكن من سبل القاهر
أضرب في الصيان ترع من عصا	وتصي امير المؤمنين اذا قيسر
وانت ابن نصرانية الظرها	غدتك بأولاد النازير والعمر
فلولا يزيد بن المهلب لقتست	بكفلة فتشاء الى الفتح في الوكر
لعمري لقد سار ابن حبيبة سيرة	ارتاء نجوم الليل طاهرة تررى
غدت بيديك الهف انما	خزيت قصاصا بالدرجة السمر
اطنك مقجوعا بربع منافق	تلبس اثواب الخيانة والنسدر

فهو يقصص بائنة الخليفة لخالد القسري بسبب ما قام به ضد الحبيبة
ويستدل الفرزدق بالعلاقات القبلية المتوترة بين قبيلته وأهلها من جهة ، وبين قبائل
اليمن وربيعة من جهة اخرى في سبيل اظهار عصيان خالد او تصخيم مخالفة خالد امام
الخليفة .

وعندما افل نجم المهالبة ، لم ينس غاد جميلهم الذي اسدوه اليه ،
وعندما اتى بأسرى المهالبة ، اثر تزييتهم في قنابيل - كما يروي ابو عبيدة - ((قام
بالد بن عبد الله القسري ، فذكر الدقو والصفح ، وكان مفرجا ، وقال : انهم امداث
لاجرائم لهم . ورققه عليهم بيده ، حتى يم بالشفو عنهم)) (٤) . كما انه لم ينس عصبيته
لليمن . اما اخوه اسد بن عبد الله فقد تعصب ((حتى افسد الناس)) (٥) . ويذكر الاستاذ
احمد الشايبان خالدا ((انتقم من مضر لقتل يزيد بن المهلب)) (٦) . ولعله انما في

- ١ - ينتمي الى قسر بن عبقر بن انمار بن ارازم بن عمرو بن الكوث ، اسد بن اسون
بديلة . انظر : اللباب في تهذيب الانساب : ٣٦٧/٣ .
- ٢ - الحبيبة ينسبون الى حبابة بيت الله المحرم ، وهم جماعة من عبد الدار ، ا
والهم حبابة الذبابة ومختارها . انظر : اللباب : ٣٤٢/١ .
- ٣ - ديوان الفرزدق : ١٧٦/١ - ٣٧٧ .
- ٤ - متعول انساب الكرام : ١٧٧ .
- ٥ - البري : ١٤٩٧/٩ .
- ٦ - الشعر السياسي : ١٦٧ .

رأيه هذا ما ذكره الفرزدق ، حين قتل عمر بن يزيد السيد ويقول (١) :-

وفينا بقيات الهدي واما ما
ولكن قيساً لا يذل بآمه
احاديث ما يشفي بئر سقامها
ومالمة يهمني الوؤوه الامها
فكنت منها كلهم وغلماها
فيعلم اهل الجبر كيف انتقامها
تزايل فيها اشع القوم امها
كواكب يجلونا لساار الامها
التي لنفس ليس يهني دياها
يمانة متاء انتدها مهها
دما تميم واستبين سرامها

ونار بقتل ابن المهلب خالد
ارى مضر المحترين قد كل نمرها
فمن مبلن بالشام كيساً وشدها
احاديث ما اشتكيها اليهم
بان من بها لم ينكر الفيم منهم
يقعد مثلها من ملهم فينة لسوا
بنلباء من جمهورها مضريسة
وبين علائق الدجال فانهها
كم ابن يزيد كان لاله السد
فخير امير المؤمنين فانهها
ابا بن يزيد وابرز تر تالست

فهو يرى ان خالد قتل عمر بن يزيد السيد التميمي ، انتقاما لقتلي قومه من المهالبة ، كما انه لا ينسى ان يستفز الحليفة بتذيره من خالد ، ومناولته قتلوا ابوه المهلب في المشرة على الامويين .

والفرزدق يرى ان مضر المراق ذلت بسبب الهالك ، في حين ان مضر الشام ما زالت قوية متماسكة ، وبالب من مضر الشام ان تبرز الكتاب المسلمة القوية لرد العالم وكيد الجداء ، كما انه يستند بالخليفة انصاف قومه من خالد .

والملامح ان الفرزدق المتعصب الذي تمثل عصبية شديدة نحو المهالبة (٢) ، وبخاصة في شررتهم ، هو الذي تحدث عن علاقات المهالبة بخالد القسري ، ولعله تبين العصبية التي تربطهم ببعض من خلال احداث استلك المهالبة فيها بخالد القسري فصور علاقاتهم متينة ، فعائد لا يتورع عن الانتقام في سبيل الثأر لهم ، ويزيد بن المهلب يستغل علاقاته الحسنة بسليمان في سبيل تعفيف العقوبة ، ما امكن ، ان لم يكن باستلاعته الخاوما .

١- ديزان الفرزدق : ٧٩١/٢ - ٧٩٢ .
٢- الفرزدق ، شاكر الفحام : ٣٥٢ .

امّا علاقات المهالبة بقتيبة بن مسلم فيظهر انها لم تكن احسن من علاقاتهم مع السراج. ولعل ذلك يعود الى عدة اسباب منها : ان قتيبة بن مسلم ينتمي الى قيس التي كانت تقع في منتميم ضد الازد وريسة بني خراسان . ومنها : ان قتيبة باهلي وباهله من قيس^(١) ، وهو بهذا ذو صلة قبلية وثيقة ، تربطه بالسراج . ثم انه والي السراج على خراسان ، وقد بينا سالفا ان علاقة المهالبة بالسراج كانت سيئة وقد انكس هذا - انالقا من حلات قتيبة الوثيقة بالسراج - على تعامله مع المهالبة ولسل قتيبة رأى ذلك المناغسة المتديدة بين قتيبة ويزيد ، وذا ما يتبين من كتبه التي وجهها الى سليمان^(٢) . حينئذ لم يزل يزيّد بن المهلب خراسان بدلا منه . ولعل لنابيعة اتصال المهالبة وعتيبة باللفاء اثر في ذلك . فالمهالبة اتلوا بسليمان وسليمان فان يفتن قتيبة^(٣) نظرا لانه وافق الوليد على عزل سليمان عن ولاية العهد ، وتولية ابنه عبد العزيز^(٤) . وقد انكس هذا على تعامل المهالبة مع قتيبة ، اذ صب سليمان بام غضبه على اتباع العبدان وعتيبة . فساءت العلاقة بين المهالبة وعتيبة لان المهالبة كانوا يشرفون على تعذيبهم .

وقد اوضح الشعراء هذه العلاقات المتوترة ، او السيئة ، في اشعارهم التي تعدّوها فيها عن المهالبة وعتيبة ، متأثرين في ذلك بمنازعتهم القبلية ، فنجد ان شعراء الازد وريسة ممثلين بثابت قانة ونهار بن توسعة ، يثارون فروقا واسعة بسين قتيبة والمهالبة ، لصالح المهالبة ، متأثرين بارتباطاتهم القبلية به . واما الفرزدق التميمي فيظهر ان فقد الكثير يفقدان المهالبة ولاية خراسان . ولعله تأثر بما مارسه قتيبة ضد الخاتم من بني تميم وابناء قبيلته^(٥) . فيطلبه هذا على الفروق البهرية بين المهالبة وعتيبة لصالح المهالبة . وانت تجد ان الشرات السني قد عدل في موقفه ، ولم يعرفه التيار ، بل اصار "الا من يزيد وعتيبة حقه .

ويبدو ان علاقة يزيد بن المهلب كانت عادية بأسرة قتيبة بن مسلم ، اذ ان مسلم بن عمرو الباهلي - والد قتيبة - كان يذني^(٦) يزيد بن المهلب ، ولكن المصالح

- ١ - منهم الشعراء : ص ٢١٢ .
- ٢ - عيون الأخبار : ١٩٦/١ .
- ٣ - نقائني جريز والفرزدق : ٢٥٢/١ ، الدبري : ٢٢٨٤/٩ .
- ٤ - الاغانى : ٢٩٣/١٤ .
- ٥ - انساب الاشراف : ج ١ ص ١١١ .

عينا تزاربت ، ساءت الملاقة ، وهذا ما نطابق به هذا الشاعر ، يقول (١) :-

شَتَّانَ مَنْ بِالصَّبِيِّ ادْرَأَ وَالَّذِي بِالسَّيْفِ ادْرَأَ وَالْمَرْوِبُ تَسْمَرُ

فالشاعر يرى ان قتيبة يزيد ، بلنا درجة عظيمة من درجات المجد والسؤدد ، لكن الرسالة التي اوصلت كلا منهما للمجد مختلفة ، فقتيبة بلنا بطريق مسيء بينما بلغ يزيد ذلك بطريق هيريف ، ويظهر ان الشاعر متعامل على قتيبة بمن مسلم . فمعروف ان شهرة قتيبة طبقت الافاق ، وفضله بعضهم على المهالبة ، تسمى الأبهيميد عندما سئل ايما : ((كان اعظم عندكم واغيب ؟ قال : لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى بحر به في الارض مثبلا بالسديد ويزيد معنا في بلادنا ، والعلينا ، لكان قتيبة اسيف في صدورنا ، واعظم من يزيد)) (٢) وربما يكون الأبهيميد (٣) ، ويصيح من فعلوا قتيبة على يزيد ، غير متصفين ، بالنظر الى الفترة الزمنية التي حكمها كلاهما . فقتيبة حكم حوالي احدى عشرة سنة (٨٥ - ٩٦ م) ، بينما حكم يزيد حوالي ست سنوات (٨٧ - ٨٤ م) و (٩٧ - ١٠١ هـ) . والانسان لا يستأين ان يمارس في ست سنوات ما يمارسه غيره في احدى عشرة سنة ، زد عليه ان قتيبة تبع ااكما وامقا له ، اما يزيد فقد تبع فيما بين (٨٢ - ٨٤ هـ) ااكما مبنضا له ، ويسعى للايقاع به .

اولع الشعراء باجرا المقارنات بين المهالبة واقرانهم من الولاة والزعماء ، وبخاصة قتيبة بن مسلم . يقول الفرزدق (٤) :-

بَكَتْ زَعَامُوزَا عُرَاسَانِ اِذَا رَأَتْ بِهَا بِاطْلِيَا بَعْدَ آلِ الْمَهْلَبِ
تَبَدَّلَتْ الْعَرَبِي الْقَمَارِ انْوَفَهَا بِكَلِّ فَنِيْقٍ يَرْتَدِي السَّيْفَ مُضْمَبِرِ
اَغْرَّ كَأَنَّ الْبَدْرَ تَحْتَ ثِيَابِهِ كَرِيمَ اِلَى الْاَمِّ الْكَرِيمَةِ وَالْاَبِ
فَأَصْبَحَ رَدُّ اللَّكْ زَيْنَ قَصْرِهِمَا اِلَيْهَا وَرَوَّحَ السَّتْفِيْثَ الْمَثُوبِ
فَوَارِسَ ضَرَابُونَ وَالزَّيْلَ يَلْتَقِي عَلَيْهِ عَيْبُ الْثَايِرِ الْمُتْلَهَّبِ
اِذَا بَلَسُوا زَانَ النَّدَى جُلُوسَهُم وَلِيسُوا بِفُحَايٍ عَلَى النَّاسِ الْكَلْبِ

١ - انساب الاشراف : ج ١ / ١١٧ .

٢ - البري : ١٧٠٠ / ٩ ، ابن الأثير : ١٨ / ٥ ، من نهج البلاغة : ٢٧٣ / ٣ .

٣ - قد تاون الرواية على لسان الأبهيميد موضوعة ، نظرا للتنازع القبلي .

٤ - ديوان الفرزدق : ١٦ / ١ - ١٦٧ .

ولعلّ لقتل قتيبة بنى الاتم ، اكبر الأثر في سلوك الشاعر هذا المسلماء
فقد ردّ يزيد بن المهلب ، وأخوه الفضل أمر ال باج لهما بقتل بنى الاتم : فسي
تبين نفذه قتيبة ، فالفرزدق يصور حال خراسان ، بأنها بائسة نظراً لظلمها ممن
ابن المهلب

ونجد ان الشاعر نهار بن تومعة البصري يقرن بين والي خراسان في عهد
يزيد وقتيبة ، فيقول (١) : -

كانت خراسان أرضاً إذ يزيدُ بهنّا فكلّ باب من الخيرات مفتوح
ناستبدلت قتيبةً جُداً أنا ملسه كأنما وُثِّيه بالكلّ منضُوح

ولعلّ أبيات الفرزدق ونهار السبي تسرعت لثقله قتيبة ، تبين ان قتيبة
كان سيئ المآلة غير مقيم ، ويبدو ان أبيات نهار اثارة حفيظة قتيبة ، الذي سلب
نهاراً فاعتدى نهار بام قتيبة ، التي أدت له أماناً (١).

كانت قيمة المهالبة لدى الشعراء ، تبين بينما كانوا يتفنون عن
مصرح الأحداث ، إذ تاهر لديهم نعمة النديم الزائل ، والكرم المفقود ، مقرونين
بالنقمة المآلة ، والشيخ المقيم ، عبر عن ذلك ثابت قطانه عندما لم يستقبله قتيبة .
يتول (٣) : -

أبا شاند لم يبق بـدك سوتة ولا فاعل يرجو المملوب ففلسفة
ولا فاعل يندك العدو على قد لأكرمه أو عجن عنه على عمد
وقال الفرزدق (٤) : -

أبا خالد بادش خراسان بعدكم فلا تملر السروان بعداء قطرة
ولا لحواد بعد جودك جودود وقال ذوي الصاجات ابن يزيد
ولا ابتل بالمروين بعدك عمود ولا لحواد بعد جودك جودود

- ١- فتون البلدان : ص ٤١٢ .
- ٢- الشعر والشعراء : ص ٣٤٢ .
- ٣- الأغاني : ٢٨١/١٤ .
- ٤- ديوان الفرزدق : ١٦٠/١ .

وبين تولي قتيبة خراسان . قال نهار بن تروسة (١) :-

اقتيب قد قلنا غداة لقيتنا بدل كعمرك من يزيد أعسرور (٢)

يستهم نهار الموقوف المستبد ، كما يستذكر استبدال قتيبة بيزيد ،
موظفا المثل في سبيل ذلك

وبين فتح قتيبة بن مسلم مدينة فيل ، اعني كعب الكهري يوازن بسين
قتيبة الفاتح العالم وبين يزيد بن المهلب يقول كعب (٣) :-

رمثك فيل كما فيها وما المـ لا يهزى الشمر عوار القنـ عل تذكر ليالي الترك تقتلهم لم يركبوا النيل الا بعد ما كبروا انتم شياكم سردا فان مقتـ اني رأيت ابا سفيان تغـ قيس صريح وبشر الناس بـ لو انت ما وعت اهل الصـ ما اقتـ ولي سمرقند اشرى انت قاسـ ما قدم الناس من خير سبقت بـ	ورامها قبلك الغداة الصـ عش الكاسر والقلب الذي يـ ما دون كازة والغداة ملتـ نهم ثقال على اكتافها عـ ربسراء قبور شهوات القـ ايامه ومساغي الناس تنـ قري ورية خمسون وسقـ سبعين الفا وعز السند مؤـ لئن تأخر عن موباة كـ ولا يفوتك مما غلفوا مسـ
---	--

وهكذا نرى ان كعبا شعرايين ولي قتيبة خراسان ، وتكب المبالج المبالبة
ان نجم المبالبة اقل الى الابد . فاعتنم فرصة افتتاح قتيبة مدينة فيل ، واشفاق
يزيد قبل ذلك في فتحها . فراج يبالغ على قتيبة بيد الصفات ، ويصم المبالبة بالسوء ،

١ - الشعر والأشعار : ص ٢٤٢

٢ - مثل قيل حين جاء قتيبة بدلا من يزيد " فصار مثل لكل من لا يرتضي بسدلا
عن الذائب " : بدمع الأمثال : ١/١٢٤

٣ - الجابري : ١٣٣٩/٨ - ١٣٤٠

ويلصق بهم الصغار . ثم امعن الشاعر في اثبات اعبيتهم . وقد نس يزييد
لكعب من قتله ني ، لآيته ا ثانيه ، دون أن تبدى نلما التماساته التي قدمها
ليزيد بد زوال سيارة قتيبة .

مما سبق نرى ان الشعراء الذين رافقوا بين الرالين ، لم يكونوا
ما يدين . بل انطلق كل منهم من انتماء دين . اما الفرات السني فلم يكن كذلك
فحين سأل رجل عن رأيه فيهما . قال (١) :-

سألتك حقا فيهما اذا سألتني وليس اشر من كحيران جاهل
بما البحر للمعافين والمبتلي القوي وليثا عرين عند واتج المناهل
عما يردان الموت لا يرعبا نسيه اذا صحج منه كل اشر باسسل
ويا وبذلك للنفس وشيبكسة بكل سريتي وأسر عاسسل

وهو في موازنته بينهما ينبذ التميز لأي منهما ، ويرى انهما
متكافئان .

وقد كتبت مقارعة نسبت الي قتيبة بن مسلم عن علاقته بهم بشكل مباشر ،
حين عزله سليمان ، وولى يزيد . يقول (١) :-

رمانا سليمان بأمر أئسده سيدمله مني على شر مركب
رمانا بببار العراق ومن لسه على كل شيء بد ناب ومثل سب
فأصبحت للمبدر المنزوني عالعا وكان اتى قدما على دين مصبر

يكلم قتيبة عن نواياه التي انتواها صوب سليمان ويزيد ، بسبب تولية
سليمان يزيد بن المهلب على راسان بدلا من قتيبة ، فهو يتوعد سليمان بأن هذا
العمل منه لن يأتيه بمردود من ، بل سيدمله على شر مركب . وينعت يزيد بن المهلب
بببار العراق ، وكأنه متأثر ، بما كان ينادى به الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن
المهالبة ببابرة متطرسون .

- ١ - مصعب الشعراء : ص ١٩٠
- ٢ - مصعب الشعراء : ص ٢١٢

وقد ردّ حُكَيْن بن النذر على قتيبة ، بقوله (١) :-

اقتيبك قد كُتبت يدًا عطيئسةً فاهرب قتيبة أين منه المهربُ
فأنت اعترُّ والذي أنا عبده في عينه من بقة تتذبذبُ

ويظهر أن حُكَيْنًا يستهزئ بقتيبة ، ويذريه ، ويتشفي به ، والمقصود أن حُكَيْنًا موالٍ للأردن ، التي ينتمي لها السهالبة ، التي تهاجمها قتيبة بنفسه ، في خطاب له الأخير ، وحُكَيْن هذا عرض عليه تولي قيادة الثورة ضد قتيبة ، فرفض ، ويظهر أن سبب ذلك ، هيبة قتيبة في نفسه ((وكان قتيبة أحد سلطاننا من الساجاج وديبة في صدور البند)) (٢) ، وإذا يدل على أن هذه الأبيات ربما - نظامها حُكَيْن بسدد - نجاح الثورة ضد قتيبة .

والظاهر في أبيات قتيبة بعد أنه يندم يزيد بن المهلب ، بأنه عبس مزوني ويدلي عن رفضه لهذا الأبرار - توليه خراسان - ، ورأى قتيبة هذا فسي السهالبة عبر عنه في خطبته التي خطبها القبائل حين غلب سليمان ، فعين استعرض ولاية خراسان ، قال في السهالبة : ((ثم اتاكم بسدة المهلب ، قدوي بكم أبو سعيد ثلاث سنين ، لا تدرون ، أغني مدنية أنتم أم في طاعة ؟ لم يجبرم إلا ، ولم يستفوا ، فيما ، ولم ينك عدوا ، ثم بنوه من بعده كأطباء الكلية ، منهم ابن ثعثة ، - صان يذرب في عانة ، تبارى له النساء صبا ، مسا)) (٣) .

١ - مناقب أنساب الأشراف : ص ٢٠٠ .

٢ - نقائض جرير والفرزدق : ٢٥٨/١ .

٣ - نقائض جرير والفرزدق : ٢٥٦/١ . وأنظر : الأبرار : ١٢٨٧/٩ ، البيهقي والتبيين : ١٣٤/١ - ١٣٥ ، المقدم الفرزدق : ١٢٦/٤ - ١٢٧ ، كما يرجع موقفه من السهالبة في كتبه التي أرسلها إلى سليمان . أنظر : عيون الأخبار : ١٩٦/١ ، نقائض جرير والفرزدق : ٢٥٣/١ ، الطبري : ١٢٨٤/٩ - ١٢٨٥ ، المقدم الفرزدق : ٢٦٦/٤ - ٢٦٧ ، وفيات النعمان : ٢٩٥/٦ - ٣٦ ، البداية والنهاية : ١١٧/٩ ، ابن الأثير : ١٢/٥ ، شرح نهج البلاغة : ٢٦٩/٢ ، خزائن الأدب : ١٥٧/٣ ، حبة الأيام : ص ٢٦٠ .

كانت علاقات قتيبة بالمهالبة جيدة - كما اتضح - فتقيبة يعرف نهار
ابن تروسة من عائلته ، لأنه رثى المهلب - ببيتين جيدتين - ولا يشفع للشاعر -
مدح قتيبة ببيتين مماثلتين - فحين مات المهلب ، رثاه نهار ، بقوله : -

« ألا ذنب الذرور المقرب للنفس ومات النذرى والذرم بعد المهلب
أقاماً بمرو الرزق كأن ضريحه وقد عُثِباً من كل شرق وشرب »

ثم ولي بعده قتيبة بن مسلم ، فدخل عليه نهار فيمن دخل ، وهو يصلي
الناس المعاء ، فقال : من انت ؟ قال : نهار بن تروسة . قال : انت القائل في
المهلب ما قلت ؟ قال : نعم ، وأنا القائل : -

وما كان مذكراً ولا كان قبلنا ولا كائن من بعد مثل ابن مسلم
أعم أهل الشرك قتلاً بسيفه وأكثر فينا منماً بعد منفسم

قال : ان شئت فقل ، وان شئت فاكثر ، وان شئت فامده ، وان شئت
فدم ، لا تصيب مني غيراً ابداً ، يا غلام - ارض اسمك من الدختره فلزم منزله ، حتى
قتل قتيبة ، وولي يزيد ، فأتاه ، فدخل عليه ، وهو يقول :

ان كان ذنبي يا قتيبة انسي مدمت امراً قد كان في الدحد اوتدا
أبا كل مظلوم ومن لا أباً له وضيئ مغيبات اطلن انكلسهدا
فما نك ان الله ان سوتك مسن الي اذا ابقى يزيد ومثلدا (١)

ولعل قتيبة شعر ان هذين البيتين قد مساه ، اذ ان لهيته مسخ
نهار تدل على انه لا يبالي بما يقول الشعراء به ، على عكس المهالبة الذين احسوا
بقيمة الشعر ، ولما نرسموا له بقاء علاقات من نوع خاص مع الشعراء ، كما تدل على
انه مريض على الايهاد او ينفرد ، وهذا يدل على شعور العداء ضد المهالبة
وتد بين نهار انه لم يزيده ، ولم يرتكب جرماً حين امتنع المهالبة بما غيهم -
اما ان كان ذلك لا يصيب قتيبة فمأناه ، والرزق على الله .

ويرى استاذي الدكتور حسين عطوان : ان نهاراً بالغ في رثاء المهلب
عصية للعلن القائم بين قبيلته والزيد (٢) ، ولعل هذا يفسر موقف قتيبة منه .

١ - الأبي : ١٤٤/٦ - ١٩٥

٢ - الشعر العربي بخراسان : ص ٢٣٤

أما الخيار بن سبرة المصاهبي فقد كانت له علاقة بالمهالبة جيدة ، ففي البداية ، اذ ((كان من رجال المهلب وشقيقه))^(٢) . ولكنه عندما أرسله يزيد ابن المهلب إلى الحاج ، علمن بهم بعد تردد^(٣) . وقال للمهاج : ((لقد رأيت رجلاً أن أقررت ، ولم تهجم ، فبالبري أن يعني لك : وإن رمت عزله ، فلا أسبه ، والله يهديك طاعة أبدأ))^(٤) . وهكذا أصبح الخيار واليا على عمان ، وهناك أمان الأزد وأوصاه الحاج بـ ((أذل من بيا من أهل بيت المهلب))^(٥) وفي عهد سليمان ابن عبد الملك طلب زياد بن المهلب الخيار^(٦) . وفي ذلك يقول جرير :-

قتل الخيار بنو المهلب عنوة	فقتلوا الثلاثة بنده وتقتلوا
وأولئك الخيار ولا تناف مهاج	حتى تعام في سناه الظلم
ودعا الخيار بني عقيل دعسرة	كزعا وليس إلى عقيل مبرزع
لو كان فاعترفوا وكيف منكم	فزعت عمان فما لكم لم تفرعوا
عطف الخيار غداة ادرك روضه	بمهاج واخوه حفات يمسح
لا يفرعن بنو المهلب انفسه	لا يدرك القرة الذليل الخفس

علاقات الخيار بالمهالبة كانت سيئة ، بدليل انهم قتلوه عنوة ، لئلا يندره بهم وتصبه على الأزد ، وواضح ان جريرا وثقف المنازع القبلية ضد المهالبة ، ويتضح ذلك من هذه السخرية اللاذعة التي يوجهها جرير إلى جماعة الفرزدق ، التي ينتهي الخيار بن سبرة لها ، انهم لم ينصروه ، حين استنصرهم ، وقد يكون هذا دافعا لهم على الانتقام من المهالبة . وهذا ما حصل اذ ذهب ابن الفرزدق فسي قصاده يذكر ان ما قام به هلال بن اعوز المازني ، ما هو الأثر للخيار بسيرة .

- ١ - معادبا انساب الأشراف : ص ١٩٥ .
- ٢ - الأبري : ١١٤٠/٨ ، وفيات الأغنيان : ٢٨٩/٦ .
- ٣ - معادبا انساب الأشراف : ص ١٩٥ .
- ٤ - المصدر نفسه : ص ١٩٥ .
- ٥ - معادبا انساب الأشراف : ص ١٩٩ ، المحبر : ص ٤٨٢ ، الاشتقاق : ص ٢٤١ .
- ٦ - ديوان جرير : ٥٢١/١ .
- ٧ - ديوان جرير : ٩١٥/٧ - ٩١٦ .

تعاود السهالية بشجرة ، مع عمال الحج راتباه مبيعة بالقسوة
التي عاملهم بها الحج فحين عادوا إلى تسلم ولاية الشرق بعد غياب طويل
ماولوا اقتلاع كل ما يتصل بالحج ، وتعاملوا مع عماله بشدة ، وكان من بينهم
محمّد بن القاسم الثقفي ، والي السند وابن قبيلة الحج ، فقد البني المسموم
وقيد ، وسب في (١) ، وبسب عليه المذابح بأرف مالح بن عبد الرحمن (١) ، فقال
محمّد بن القاسم :-

اتنسى بنو سران سعدي ولاعتني	واني على ما فاتني لصبور
فتكلمهم ما بين ما بوز بالقفا	إلى الهند منهم زامن رمير
فتمتلكهم ما بين برجان بالقفا	إلى الصين التي مرة واغدير
وما وطئت جميل السكالك عسكري ولا كان من عك علي امير	
وما كنت للعبد الموزني تابعا	فيالامير بالارام عشور
ولبر كنت ازمست الفراق لقربست	إلى اناث اللوغى وذكر سور

يبدو محمّد بن القاسم ندمته على يزيد بن المهلب ، ويصده بأنسه
عبد مزوني ، وكأنه يستكبر ما تكنه قلوب السهالية من ندم على الثقفيين ، الذين
نكب زعيمهم الحج السهالية ، كما أنه ناقص على ولاية يزيد بن المهلب الذين
والهم ويحرم منهم والييين امويين يئنين بالذكر ، وهذا : السككي اليكي ، اذان
مبيح بن المهلب ، ((قدم على مقدمته عاملا من السكالك ورايا من عك)) (٣).

-
- ١ - تاريخ اليعقوبي : ٢٩٦/٢ ، وانار : فتوح البلدان : ص ٤٤٠ .
 - ٢ - مصنف السدرا : ٣٤٤ .
 - ٣ - مصنف السدرا : ٣٤٤ .

أما علاقات عدى بن ارطاة الفزازي بالمهالبة ، فلم تكن سنة ، فقد كلفه عمر بن عبد العزيز باعتقال يزيد بن المهلب ، وارساله اليه ، ففعل^(١) . وقد قام عدى ببطولة عدائية نحو المهالبة ، حين كتب الى عمر بن عبد العزيز : ((يستأذنه في ان يتزوج امرأة يزيد بن المهلب فكتب اليه عمر : اما بعد ، ان الفزازي لا ينفك وكتب : ان كان فيك فضل فقد به علي عيالك))^(٢) . حين اعلن يزيد تمرده ، اعلن ان ((الناس آمنون الا عديا ، وموسى بن وجيه الحميري))^(٣) ثم اعتقله لاعتقاله اخوته^(٤) . وعندما طالبه انداء تمرده ، رد يزيد عليه : ((ولا انت عندى بواء ولا نصيح))^(٥) . وقال عدى مستقلا بعد معركة القفر : حيث قتله معاوية بن يزيد بن المهلب^(٦) .

وقد تعدت المشراة عن هذه العلاقات ، فالفرزدق ينتقد السياسة المالية التي ياتبعها عدى ، وكان الفرزدق يهيم الى سداد سياسة يزيد في اشدق الاموال على الناس^(٧) ، كما انه يقرن بينهما بصورة اوضح في قوله^(٨) : -

قل لعدى براء من كنت تبغني
اليك فلا تفل بدور الدراهم
اتاك امرؤ لم تعدم القوم امه
طويل السرى الفيتة غير نائم
ويظهر من لهجة الفرزدق في بيتيه ، انه مستهتر بعدى ، ويراء اقل من ان يظهر بابن المهلب .

وعندما قتل يزيد بن المهلب ، قتل معاوية بن يزيد ، عديا ، فقال الفرزدق عندما قفى على المهالبة^(٩) : -

نحن أرينا الباهلية ما شفت
به نفسا من رأس ثار مفلق
ملنا اليها من معاوية التسي
هي الأم تنشى كل فرخ مَنَقَنَق

- ١ - تاريخ خليفة : ٣٢٦/١ ، المعارف : ص ٤٠٠ ، الطبري : ١٣٥٧/٩
- ٢ - حماسة التبريزي : ٣٧١/١
- ٣ - مشاوي انساب الاشراف : ص ٢٠٨
- ٤ - مشاوي انساب الاشراف : ص ٢٠٣ ، الطبري : ١٣٧٩/٩ ، ابن الاثير : ٧٦/٥ - ٧٣
- ٥ - الطبري : ١٣٨٦/٩
- ٦ - مشاوي انساب الاشراف : ص ٢١٦
- ٧ - ديران الفرزدق : ٥١٦/٢
- ٨ - المصدر نفسه : ٨١٢/٢ - ٨١٤
- ٩ - المصدر نفسه : ٥٧٥/٢

ولد مقتل عدي - قدا وزنا عميقين في نفوس اقاربه ، وبخاصة زوجته شولة الباهلية ، كما ولد قدا قبليا لم يمح ألا باهداء رأس معاوية بن يزيد الى اسرة عدي ، فقد نظر الفرزدق الى اخذ بخار عدي على انه مهمة قبلية مضافة ، وهكذا انتقلت عدوى العلاقات السياسية السيئة بين عدي والمهالبة التي القبيلة بشكل عام ، عبر عنه من الطرف الآخر الارماح ، يقول موجهها الى الفرزدق (١) :-

فقل تميم هل لقت لما بينهما يوم ابن ارملة اذ ازرى به الخور
ويقول (٢) :- تميم اعماها وتاه بصيرها
اليست تميم يوم قتل عديهما بأسيا فيكم والخييل تدمي نحورها
ويقول (٣) :- فهلا منعتكم جارككم واميركم

وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من ان العلاقات السيئة ، انتقلت بصورة مباشرة الى القبيلة ، كما ان قتل عدي والاذ بثلثه اصبحت مادة شريرة للفخر القبلي .

والملامح ان من حمل من الشعراء قضية الاسرى الذين قتلهم معاوية بن يزيد ، بما : جرير والفرزدق ، ولعل ذلك يعود الى اننا لم نجدنا عن قبائل القتلى لوجدنا ان عددا كبيرا منهم من تميم ، ولو حاولنا معرفة ولاء الاسرى السياسي لوجدناهم يدينون للامويين ، ولحقوا حتفهم في سبيل هذا الولاء . فهال يقود جيش الدولة ضد المهالبة ، والخيار والي عمان ، وعدي والي البصرة ، وكذلك . امنا ابنا مسمع فكتبا كتابا الى يزيد بن عبد الملك ، وقع في يد ابن المهلب . فقال : ((اراهما يعينان علي)) (٤) . واذا نظرنا الى ولاء الشعراء اللطائف ، ملا قضية القتلى القبلي والسياسي ، نجد انه لا يختلف في شيء عن ولاء القتلى ، فهما تميميان ، وما سيران في ركب بني امية بفتح النار عن الاعمى منهم . ومن هنا نجد انهما بالنسبة في تبيان مركز القتلى ، كما بالنسبة في وصف ما قام بهه هلال ابن قبيلتها . وربما هدفا من وراء هذه المبالغة ، التماس المذرة لقبيلتهما او للتكتل الذي تنضم اليه قبيلتهما . والذي يعتبر التكتل القوي ندرا لدعم عسكر الدولة لهم في هذه الفتنة بالنظر الى تحاذلهم عن نصره ولاء بني امية . وتوفهم من ابن المهلب . كما انهما يريدان ان يوكدوا على ولاء قبيلتهما للامويين .

١ - ديوان الارماح : ٢٥٨ .

٢ - المصدر نفسه : ٢٥٤ .

٣ - المصدر نفسه : ٤٥٦ .

٤ - معاجل انساب الاشراف : ٢١٠ .

توالت لآل بن أحوز الدازني* ، مطاردة فلول السهالبة بعد معركة
النقر ، و امر ((أن لا يلقي منهم من بلغ العلم الأضرب عنقه)) (١) وقد نفذ ما أنطا
به ، إذ أبانهم بقندا بيل ، ((وأثنى القتل في آل المهلب ، حتى كاد أن يفنيهم)) (٢).

وراضح من طبيعة المهمة التي أنيدت بهلال ، أن علاقاته بالسهالبة لم
تكن حسنة ، وقد وقف شاعرا تميم ، جرير والفرزدق ، أيام حربهم ضد السهالبة
يفصلان فيها ، ويشيدان بعضا من هلال وسماته ، وكانهما أسا الرابطة القبلية التي
تربطهما به ، وكانهما تبينا موقف السهالبة من قبيلتهم أثناء ولايتهم . يقول
جرير (٣) : -

إذا شمرت عن ساقها العرب شمرا إذا الموت بالموت ارتدى وتيازرا واغضب في يوم الخيار فنكرا وتجر عدى في المقابر واقبرا دعت لهم فيها واستعجلت أن تخمرا تميماً وعزاً ذا مناكب متسرا ولم تبقى من آل المهلب عسكرا وقد سارعوا في فتنة أن تسعرا عزيزاً إذا طاع حلفى وتجبّرا	الأرب سامي الدار من آل مازن اتنمرون هذات ابن أسوز متلما فأدراة ثار المسممين بسيفه جملت بقبر للخيار ومالك شفيت من الآثار مولة بعد ما وغرقت بيتان المزون وقد رأوا فلم تبق منهم راية يرفعونها وأطأت نيران النفاى وأملها فان لأمار الخلافة نامراً
--	--

* هو هلال بن أحوز ، بن آزيد ، بن مزي ، بن لاي ، بن سيرة ، بن مبارز ، بن عجة ،
ابن كابية ، بن خرثوم ، بن مازن ، بن مالك ، بن عمرو ، بن غنم ، من بني
تميم . انظر : مشاوا انساب الشراف : ص ٢٢٠ .

١ - مرو : النصب : ٢٠٠/٣ .
٢ - المصدر نفسه : ٢٠٠/٣ - ٢٠١ . ولمزيد من السلومات انظر : التنبيه والاشراف :
ص ٣٢٢ ، فتحرج البلدان : ص ٤٤٢ ، تاريخ اليعقوبي : ٣١١/٢ ، الطبري : ٩/
١٤١٢ - ١٤١٣ ، النقد الفريد : ٤٤٦/٤ - ٤٤٨ ، البداية والنهاية :
٢٢٢/٩ .

٣ - نقائش جرير والفرزدق : ٩٩٣/٢ - ٩٩٤ .

يبدأ الشاعر بمناقشة السبب في «روب سلال بن اسوز» فهو لا يغوضها
لهدف ذاتي شخصي، بل يريد ان يثار لابني مسمع اللذين قتلها معاوية بسنن
يزيد، ويريد ان يثار لاعتبار بن سبرة المحاصي، الذي قتله زياد بن المهلب
ويثار ايضا لعدى بن ارساة الفزازي، ونظما ان ما قام به معاوية بن يزيد
اصبح مبررا ليهود سدراء المضرية، وغيرهم على المهالبة، ووصفهم بهتسى
النقائض، اما الهدف الثاني لروب سلال فهو مرتبط بالاول. يريد ان يغضب
من وفاة الالم النسي، الذي السم بأقارب القتل، ويذكر من بينهم خولة زوجة
عدى بن ارساة. اما الهدف الثالث فهو القضاء على الخارجين على الدين.
وكأن هلالاً، السمثل للدين، اما الهدف الرابع فهو القضاء على النصارى
على السلطة الشرعية مشثلة في الخلافة الاسوية. والشاعر يبدو مذاقيا فلسفي
تبرير القضاء على المهالبة، فهم ظالم، ومغال ضد الظلم، وهم كثرة ودلال مومن.
وهم غاربون عن جادة الداريق، الذي سار عليه الناس، بخروجهم عن الخلافة
ومغال يسير في صف الخلافة، وكذا نرى ان هلالاً والمهالبة يقفون على طرفي نقيض
لا سبيل الى التواءهم، وعلى ذلك فقد ضرب ضربته الموقفة لهم، وليكونوا عبرة
لغيرهم من اللئاة والمستعبرين.

ويقول الفرزدق (١):

ان ابن اسوز قد داوثة كتائبه	داء العراق، وجلت ظلمة الفتن.
في كل شرق وغرب من كتائبه	شهباء كالركن من شهبان او كضن
يشقى بأرماحه من كل مبتدع	ديناً يهيد عن الشرقان والسكن
ان ابن اسوز ممدود شملته	والمستقال به من عشرة الزمن
لا تتقي غيله وطء القليل ولا	غوض الدماء اذا كانت الى الثمن
من كان مراباه كان ذا شرف	عال وعود نزار غير ذي ابن

يوصل الفرزدق الحديث عما بدأه جرير بصدد الشبابة التي مدت بهلال
للايقاع بالمهالبة، فهو يريد ان يسم (داء العراق) الذي تمثل في ثورة
المهالبة، وما نجم عنها من انشقاق في صفوف الناس، اذ شايع السراق ابن السلبه
ووقف الشام كما دته في صف الخلافة.

ويقول الفرزدق (٢):

- ١- ديوان الفرزدق : ٨٧٨/٢
- ٢- المصدر نفسه : ٥٤٨/٦ - ٥٤٩

الم يأت بالثام الجليفة أننا
صناديد اعدينا اليه رؤوسهم
وعند أبي بشر بن اموز منهم
فان تنسى ما تبلي قريش فاننا
عداؤنا ايام بنا يتقونهم
وما انكشفت خيل بابل تنقسي
عوارب تد كانت دماء نخورها
بمسترك لا تبخلي غمرات
نواقل من مجرد عوابس في الوغى

ضربنا له من كان عنه يخالف
وقد باشرت منها السيوف الكذارف
على جيف القتلى نسور عواكف
نبالد عن اسبابها ونقاص
كان شعاع الشمس فيمن كاسف
ردى الموت الا مسور الخيل واقف
نمالة لا يدبها ونحن كواكف
عن القوم الا والرماح رواعف
وكل صريع خرقة الجوائف

فالفرزدق يرى ان ما قام به التميميون ، انما يهدف الى نصرة
الخلافة وقريش ويبدو ان الشاعر يلى على هذا الموضوع . نظرا لان الامويين
بيدهم السلطان السياسي ، وتمت طاعتهم الشيرة ، فهو يملقهم ، ويطلع في ان
تكافأ قبيلته على ما فعلت بالمهالبة مكافاة تتناسب مع طبيعة اخلاصها للامويين .

ويشفي الفرزدق على بلال بن اموز المازني ، عميق هلال ، فيقول (١) :
بَنَيْتُ بِنَاءً يَجْرُسُ النَّيْظُ دُونَكَ
وَأَنَا فِي الْآخِرِ إِذَا الْعَرْبُ قَسَمَتْ
جَدَعْتُ عَرَانِينَ الْمَرْوَنَ فَلَا أَرَى
وَسَلَّمْتُ أَعْجَازَ الْبَنَالِ فَأَصْبَحْتُ
جَمَاعِمِ أَشْيَاحٍ كَأَنَّ لَهَا هُوسُ
وَنَبِيَّ أَبَا الْمُنْهَالِ ثَانٍ كَأَنَّكَ
عَدُوٌّ وَالْأَبْصَارُ فِيهِ تَقْلَعُ
لَكَ السِّيفُ مَا يُنْخَى لَهُ السِّبْطُ يَطْعُ
أَذَلُّ وَأُخْزَى مِنْهُمْ يَوْمَ جَدَعُوا
مُعَذِّفَةٌ فِي كُلِّ بَيْدَاءٍ تَلْمِزُ
ثَعَالِبَ مَوْتَى أَوْ نَحَامٍ مُنْسَرِجُ
يَدَا سَابِغٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَذَرَعُ

يظهر الفرزدق دور بلال بن اموز المازني في تلك المعركة فقد اشترك
فيها بنفسه ، هو واخوه سلم الذي قتل مدرك بن المهلبه ويزري الفرزدق
على المهالبة .

ويقول (١): -

اقام على حبي المزون ثيامسةً من الموت الا انها هي اشر
وقد ضاق ذرعاً مصطلحها بعرضها وعادت جنيماً فارحاً تتسحر

فالشاعر يضخم العمل الذي قام به هلال ضد السهالية، اذ ان عمله
في نظر الشاعر ابلغ من الثيامة.

١ - المصدر نفسه : ٣٦١/١

أما علاقات المهالبة بأقاربهم الأذنين ، فقد كشف عن جانب منها
الشاعر البختري بن المنيرة بن أبي صبرة ، ويبدو ان علاقات البختري بأبناء
عمه لم تكن على ما يرام ، فقد كان البختري يرى في نفسه كفواً لعمه أبناء المهالبة
فحين ولي المهلب ابنه ، يزيد علي خراسان ، والمنيرة على شراستها ، ولم يزل
البختري شيئاً حز في نفسه هذا التصرف ، ورأى فيه جفاءً له . فقال (١) :-

أقر السلام على الأمير وقتل كنه ان المقام على الهوان بلائ
اصل الغدو الى الرواح وانما اذني واذن الابددين سواء
أجفري ويدعي من رائي بالسلا ما بالكرامة والهوان شفاء

وحين سمع المهلب هذه الابيات ، وجد عليه ((والزمه بيته)) (٢) . ولما
اعرض المهلب عنه كتب اليه (٣) :-

بفاني الأمير والمنيرة قد جفا وامسى يزيد لي قد ازور جانب
وكلهم قد نال شيئاً لبطنه وشبح الفتى لوم اذا جاع صاحبه
فيا عم مهلاً واتخذني لنوبي تنوب فان الدهر حرم عيائبه
انا السيف الا ان للسيف نبوة ومثلي لا تنبو عليك مغارب

وهذا ما ذكره نثرا ، بقوله ((يا بني عمي ، اني والله قد قصّرت
عن شكاة العاتب وسأوزت شكاة المستعجب ، حتى كاني لست موصولاً ولا مبروما . فمدوني
امراً شفتكم لسانم ، او رجوتهم شكره . واني وان قلت : هذا فلما ابلائي الله بكم ، اعظام
ما ابلاككم بي)) (٤) . ويتحدث البختري عن علاقاته المتوترة بأبناء عمه في قصيدة
أوليلة يقول فيها (٥) :-

جفبت امراً لم ينب عما تريده وكان الى ما تشتهي يسار
تموت حفاظاً دون ضيمك نفسه وانت الى ما ساء متاليسار

فأبناء عمه يسارعون الى ما يكره . حتى أصبح كما قال : ((لا موصول ولا
متروم ، فاجعلوا لي فرجة اعش بها ، وهبوني امراً رجوتهم نصره ، او شفتكم لسانم)) (٦)

١ - امالي القاضي : ٣١٥/٢

٢ - المصدر نفسه : ٣١٥/٢

٣ - ديوان الحماسة : ١٤٠/١ - ١٤١

٤ - البيان والتبيين : ٣٥٨/١

٥ - امالي القاضي : ١٣٣/٢

٦ - الكامل : ٣٨٩/٢

وبعد أول الشاعر البعث عن سبب تصرف المهلب معهم في قوله (١) :-

كأني أخو ذنب وما كنت مذنباً ولكن كحقتني الساريات الشدادع
دبين وقد نام النفل بعيننا اليك أماً مومسات جوالع
فأوقدت نيران المداوق بيننا جهارا ولم تُمدد علي المطالسع
نفين أموراً لست ممن أهاودسا ولو جُبلت في ساعدي الجوامع
أأصبر بمرس الجار إن كان غائباً وتلك التي تستك فيها السامع
فلست ورب البيت أمبو بمثلها وربى راء ما صنعت وسامع
فإن تلك عرس اليتمدى واخته سرين فلاقهن أليس غالسع
يبيت يراعي المومسات إذا دنا الظلام رجار البيت وسنان غالسع
فما أنا ممن تطليه خريدة ولو أنها بدر من الأثى طالسع
واني لتفنياني ثلاث أرباع عن الفجر فيها للذكريم روادع
نياء وإسلام وشيب وعفصة وما المرء إلا ما تحبته الأبايع
وقد كنت في عصر العباب مبانبا صباي فأني الآن والشيب مائسع

ويغتم الشاعر قصيدته بقوله (٢) :-

فلا تقصص مني وشائج شمسنة فلا يصل الأبناء ما أنت قاصع
وكافح بأبرامي الهياج إذا التلى شهاب من الموت المشرق لأسع

وأخيراً هل لنا المهلب البعثري؟ ربما يكون جفا غيره ، ولكن ما بينه البعثري وبين تصرفات المهلب مع بعض من أبناء أسرته ، ولكنهم لا يستأيمون جميعاً تمثل ذلك ، كما لا يستأيمون جميعاً التعبير عما يقول في خواطرهم شعرا .
وان الشعراء أقدر من غيرهم على ذلك ، وعلى ذلك فقد بطور موقفي البعثري أكثر من غيره . وشكوى البعثري المستمرة تدل على أن المهالبة لم يغيروا نظرتهم إليه فهو ((من اكمل فتیان السرب جما لا وبينا ونجدة وشعرا . وان بنو المهلب يمسدون لفضله)) (٣) وقد عاملهم المعاملة نفسها : اذا انفصل عنهم شي ثورتهم . واستمر

١ - أمالي القتالي : ١٣٣/٢

٢ - المصدر نفسه : ١٣٣/٢

٣ - المصدر نفسه : ١٣٣/٢

على موقفه المناهض لأبناء عمه . ورفض الانضمام إلى ثورتهم معتمداً على العدة
الأمويين ، لأنه ((يكره ما صنع يزيد))^(١) . وشايعه على ذلك أحد أقاربه ، واسمة سبرة
ابن مخنف بن أبي صفرة ، الذي طالب منه يزيد بن المهلب أن ينضم إليه قائلاً : ((ولا
أمن أن ينالك بغزو المدثرية ، فيذهب ملك))^(٢) فكان جوابه : ((فنزل عديسا
ولزم بيته))^(٣) . أما البعترى فاتجه إلى الشام ، وهناك قامت بولده المبهشات
فتيل ليزيد بن عبد الملك . اند عز ليزيد بن المهلب فحبسه ، فقال قعيدته
التي يقول فيها^(٤) : -

فان اكن فردا بالشام مستربا دوني رتاج له قفل واقلبيد
واسبت بعد قرب الدار نازحة ام الخليل بأرض دونها البيد

واعتقال الأمويين له : يدل على أن الأمويين لم يتساهلوا حتى
مع المنشقين من المهالبة . وأن حسن النية في تصرفاتهم لم يكن وارداً فسي
تفسير الأمويين لمواقفهم .

-
- ١- متناول انساب الاشراف : ص ٢٠٤ .
 - ٢- المصدر نفسه : ص ٢٠٤ .
 - ٣- المصدر نفسه : ص ٢٠٤ .
 - ٤- المصدر نفسه : ص ٢٠٤ .

واخيرا ، نرى ان المهادلة اتملوا على مد الفترة ، التي عاشوا فيها بكبار السياسيين : الذين اتوا الدراق وخراسان . سواء اكان المهادلة تمت امرتهم كالمساج والعارث بن ابي ربيعة ، وغالد بن عبدالله ، او كانوا هم تحت امرة المهادلة كالخيار بن سبرة ومحمد بن القاسم ، اكانوا نظرا ، ثم كفتياب بن ورقاء الرياسي . ويبدو ان طبيعة ما انيط بهم فرض عليهم الاحتكاك بهؤلاء السياسيين .

وزاد من ان اتملوا بهم ، ينتمون الى مثل الكتل القبلية التي كانت آنذاك . فالعجاج وقتيبة ومحمد بن القاسم قيسيون ، وغالد القسري يمنسي والبشرى بن المازيرة بن ابي صبرة عتكي ازدي .

وفلان كذلك ان علاقاتهم لم تقتصر على اصدقاؤهم الدولة ، ولأنها ، بل تعدتها الى اعدائهم من الزارقة . يقول احد الشعراء الخوارج في قتل نافع بن الزرق (١) :-

شمت المهلبي والموادجمة	والشامتون بنافع بن الزرق
ان مات غير مدائن في دينه	ومتى يمر بذكر نار يطمق
والموت امر لا محالة واقع	من لا يصبره نهرا يطرق
فلئن مئينا بالمهلبي انه	لأشعر الحروب وليث اهل المشرق
ولعله يشجى بنا ولحننا	نشجى به في كل ما قد نلتقي
بالسمر نختطف النور ذوا بلا	وبكل ابيض صارم ذي رونق
فيذيقنا في حربنا ونذيقه	كل مقاتله لما به نذيق

وربما يكون للظروف الاقتصادية دور في سوء العلاقات بين المهادلة وبعض القادة . يذكر البلاذري عن المدائني : ((حفر يزيد بن المهلب نهر يزيد في قلعة الحبيد الله بن ابي برة . فقال لبشير بن عبدالله : اكتب لي كتابا بان هذا النهر في مقي . قال : لا والله ، ولئن عزلت لخاصتك)) (٢) وكثرة الاقفااعات وما كانت تدره على الولاة من ريع كبير ، ربما كان سببا في توتر العلاقات بين المهادلة وكثير من الولاة .

وهكذا تشافت عدة عوامل في سبيل بلورة علاقات المهادلة السياسية

ببعضها .

١ - الاخبار الطوال : ص ٣٧٤ .

٢ - فتوح البلدان : ٣٦٥ .

٤ - الاتجاه الاجتماعي في شعر المهالبة
في المصيبة القليّة.

كانت الحصبية مظهرها شاماً من مظاهر العصر الأموي (١) ، وميسماً بارزاً وسمت به أحداث العصر الأموي ، بدءاً من تبلور حركة معاوية بن أبي سفيان ، وانتهاءً بخلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (٢) . وقد أفاد المحاكمون من هذه الظاهرة ، فتظاهر بعضهم بمساندة هذا الطرف وأعمال ذلك . فمثلاً ناصر الوليد بن عبد الملك مصر واعتمد على رجالها ، وأدخل اليمن ، وجعلهم يدينون فسي الظل (٣) ، أما خليفته سليمان فقد ناصر اليمن ، وأفاد منهم ، وأدخل مضر (٤) . أما هشام بن عبد الملك فقد احتقر اليمن وربيعة ، وتعصب عليهم (٥) . والمحاكمون هؤلاء يقدّمون هذا الطرف القبلي على ذلك ، لأن مهلكتهم تقتضي بذلك .

أما المهالبة ، ولاة الأمويين ، فقد عملوا بالأسلوب نفسه . فهم يتركبون أحياناً قبيلتهم ، ان لا يحفظوا أن في تحركها مصلحة لهم (٦) . فالمهلب لا يكثر بما كانت تمر به قبيلته من ظروف صعبة عام ٦٤٤ د ، في فتنة مسعود بن عمرو العتكي (٧) ، وينهي المهلب على قبيلته موقفها من عبيد الله بن زياد . ويترك قبيلته ، ويرفض تسلّم قيادتهم ، كما عرض عليه زياد بن عمرو العتكي . وقد وقف يزيد بن المهلب الموقف نفسه ، حين ولي خراسان مرة أخرى عام ٥٩٦ هـ . وناجى أبناء قبيلته بقسوة في مطالبه الذي افتتح عهد به . ولم يصح إلى رجاء مخلص بن يزيد ،

١- الطرمّاح بن حكيم الحنائي ، عزمي المالحي : ص ١١١ مجرير ، محمد ابراهيم جمعة : ص ٢٠ .

٢- الأخبار الملوّال : ٣٥١ .

٣- لحلّ علاقته مع القيسيين ، وعزله المهالبة ، يدلّ أن على ذلك .

٤- لحلّ علاقته بالمهالبة ، ومشاركتة القيسيين ، يشبان ذلك .

٥- الأخبار الملوّال : ٣٤٠ - ٣٤١ .

٦- قد يكون هذا موقف كثير من زعماء الأزدي . انظر ما فعله أزد ، مثل صبرة بن شيثان ، عندما نهاه كعب بن سور عن محاربة أزد الحراق لأزد الشام في صفين ، فقد رفض هذه

الدعوة ، وبرز رأس أزد الدمام ، فقتله الشامي . الطبري : ٣/٨٠٣ .

٧- انساب الأشراف : ج ٤ ق ١٢١/٢ .

الذي طالب منه أن يدع لـ «أهـ» قومه (١) . غير أن هذه المواقف لا توحي تماماً ، بأن نفوسهم كانت خالية من العصبية لتبيلتهم . فقد خدمتهم قبيلتهم طوال فترة ولايتهم ، وتحزبت لهم في غيابهم ، حتى ليدنس بعضهم إلى أن من أسباب تمرد الأزد على قتيبة - فقد دم عليه ، لأنه أسهم في نكبة المهالبة ومما زاد (٢) وأن من أسباب عزل هشام بن عبد الملك خالد القسري تعصب خالد ليمانيته ، وأنه حاول أن يشأر للمهالبة (٣) .

وقد حاول المهالبة توجيه جهودهم ، وجهد قبيلتهم الأزد ، وأحياناً اليمن بعامه ، لخدمة مصالح الأمويين . فقد كانت الأزد تشكل القوة الرئيسية التي اعتمد عليها المهلب في تربيته ضد الخوارج وقد اعتمد عليها أبناءه من بعده ، وبخاصة في خلافة سليمان بن عبد الملك .

وقد تكون الأزد أدركت ذلك ، فنجد أن تكتل الأزد الكبير في خراسان ، لا يشارك في معركة العفر ، بجانب زعيمهم يزيد بن المهلب . وإنما يتقون موقف المترقب ، ولا يخامرون بمستقبلهم (٤) بالرغم من استشعار يزيد لتأثيرهم القوي على مجرى الأحداث (٥) .

وبهذا الموقف من الأزد ، لا يعني أن الأزد بخافة ، واليمن بعامه ، لم يستفيدوا من حكم المهالبة ، بل ربحوا كثيراً (٦) . وقد وفت الأزد للمهالبة ،

١- نقائض جرير والفرزدق ١/٢٦٧ - ٣٦٨ .

٢- المصدر نفسه : ١/٣٥٨ .

٣- الطبري : ٩/١٤٩٧ - ١٤٩٨ . وانظر تعذيب خالد القسري في الأخبار الطوال :

٣٤٨ - ٣٤٩ . ويوافق الدكتور أحمد التايب على أن خالد القسري قتل عمر بن يزيد الأسدي ، انتقاماً للمهالبة . انظر : تاريخ الشعر السياسي : ص ٦٧ ، كما قيل مثل ذلك في ثورة جديح الكرمان . انظر : تاريخ الدولة العبرية : ص ٤٥٩ .

٤- ابن الأثير : ٥/٧٥ .

٥- الطبري : ٩/١٣٩٨ .

٦- أنظر : تاريخ الدولة العبرية : ص ٦٥ ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي : ص ٧٩ .

وظل أفرادها على طوال الحمر الأموي ، يمثلون المعارضة السياسية (١) ، حتى
سودوا الأعلام ، منيرة السياسيين ، وما يجد ذكره أن ثورة المهالبة ، كان لها
تأثير سلبي على الأزدي ، فقد تنكر لها خلفاء بني أمية (٢) .

قال المهلب بن أبي صفرة في وصيته لبنيه : ((يا بني ، قومكم ، قومكم ،
انه ليس لكم فضل عليهم ، بل هم أغفل منكم ، اذ فصلوكم ، وأولوا أعتابكم ، ولّخوا
فيما أزدتم . وأعانوكم . فان طالبوا فاعطوهم ، وان سألوا فاعطوهم ، وان لم يسألوا
فابتدوهم وان شتموا فاجعلوهم ، وان غشوا أبوابكم ، فلتفتح لهم ، ولا تغلق دونهم)) (٣) .
يبيّن المهلب لبنيه في وصيته هذه ، أسلوب تعاملهم مع أبناء قبيلتهم .
ويطلب منهم أن يحترموا أبناءها لأنه بجهودهم ، وصل المهالبة الى ما وصلوا
اليه ، وهذا يظهر فلسفة المهلب في تعامله مع الآخرين ، فهو يتعامل مع الناس بقدر
ما يستفيد منهم ، حتى قبيلته التي يطلب من أبناءها مساندتها . لأنها قبيلتهم فقط ،
وانما لانها وطدت دعائم السلطنة لهم . والسؤال الآن : هل كان المهلب يعمل بمسا
دعا أبناءه الى التزامه ؟ وهل التزم أبناءه بما دعاهم اليه ؟

لقد تزعم المهلب قبيلته ، يقول أبو حنيفة الدينوري عن مسعود بن عمرو :
(لو كان رئيس الأزد كلها بعد المهلب بن أبي صفرة) (٤) ، والمهلب زعيم الأزد ،
كان من أقوى الشخصيات السياسية في شرقي الدولة ، وأصبح بعد فروقه من أمـ
الخوارج والي خراسان ، وقد أحب المهلب قومه ، وعدل عليهم ، وتعصب لهم ، فحين
حارب المختار ، قال : ((والله ما أرى استحرار القتل اليوم إلا في قومي)) (٥) .
وقد كان جهمرة رسله من قومه (٦) . وقد قدرت لهم قبيلتهم هذه المواقف فنامرتهم

١- تاريخ الدولة العربية : ص ٤٥٩ ، ص ٤٨٨ ، العصبية القبلية : ٥٦٢ .

٢- تاريخ الدولة العربية : ص ٣١٢ .

٣- لباب الآداب : ص ٢٩٠ .

٤- الأخبار الطوال : ٢٨٣ .

٥- النبرين : ٧٢٣/٨ .

٦- انظر : الاشتقاق : ٤٨٣ ، ٥٠٦ ، البيان والتبيين : ٣٥٨/١ ، النبري :

٨٢٣/٨ - ٨٢٤ ، ٨٢٥/٩ ، شرح نهج البلاغة : ١٥٨/٤ - ١٥٩ .

في أسلاك الظروف (١) .

والأزد قبيلة المهلب ، لم تظهر قوة لها وزنها ، وتأثيرها في الأحداث ،
 إلا في آخر خلافة معاوية ، وأول خلافة يزيد بن معاوية ، حين هاجرت إلى البصرة ،
 (فلما قدموا ، قالوا لعمير بن عبد الله بن أبي سفيان : يا أبا سفيان ، قال : قبل أن تسبقنا
 إليهم ربيعة . فقال الأحنف : ان أتوكم فاقبلوهم ، ولا تأتوهم ، فانكم ان أتيتهم ،
 حرمتم لهم اتباعا ، فأتاهم مالك بن مسمع ، ورئيس الأزد يومئذ مسعود بن عمرو المصعني .
 ومقال : العتكي . فقال مالك : جددوا دلفنا ودلف كندة في الجاهلية ، ودلف
 بني ذئب من شلبة في بني أد في بني شعل . ففعلوا ذلك . فقال الأحنف : أما
 إذا أتوهم ، فلن يزالوا لهم أذنا . (٢) . وقد جدد هذا الدلف عقب نقض القبائل
 ما عادت عليه عبيد الله بن زياد سنة ٦٤ هـ ، وقد ترأس الدلف مسعود بن عمرو من
 الأزد (٣) وما أورده أبو عبيدة بحدود التحالف القبلي ، يدل على أن كل طرف
 من الطرفين الموجودين في البصرة ، تميم وربيع ، يحرص على ضم القوة القادمة
 إليه . ولكن الأحنف لا يريد الدلف بأي ثمن ، وإنما يريد له صالحه ، ولذا رفض أن
 يبادر بطرح فكرة التحالف . أما ربيعة فقد سارعت إلى ذلك . وقد تحقق ما تنبأ
 به الأحنف ، من أن ربيعة ظلت تابعة للأزد ، وربما يكون ظهور المهالبة قادة وولاة
 أكبر الأثر في تحقق ذلك . وما ذكره أبو عبيدة في النتائج يدل على أنه لم يكن للأزد
 في البداية تأثير على سير الأحداث . ولم يكن لها وزنها في ذلك . وأن القوتين
 الأساسيتين : كانتا قوة تميم وقوة ربيعة فقط . وأن التحالف القبلي كان يهدف إلى

(١) نقاض جرير والفرزدق : ٣٦٧/١ - ٣٦٨ ، الطبري : ١٣٥١/٩ - ١٣٥٢٠ ،
 ابن الأثير : ٤٩/٥ - ٥٠ ، وفيات الأعيان : ٢٦٩/٦ - ٣٠٠ ، تاريخ الدولة
 الحربية : ٤١٩ .

(٢) نقاض جرير والفرزدق : ٧٣٠/٢ ، وانظر عن الدلف : جهمرة انساب العرب :

٣٨٠ . وقد دعى بهذا الدلف الشاعر عمارة بن بدر . يقول :

لا تحسبن فؤادي ناعراً غزواً إذا تحالف حزب البكر والنون
 انظر : البيان والتبيين : ٦٦/٤ .

(٣) نقاض جرير والفرزدق : ٧٣٠/٢ .

تحقيق التوازن العددي لصالح ربيعة ، إذ ((ان مضر كانت تكثر ربيعة بالهمزة) (١) .
وعندما جاء الربيعيون لنسج خيوط الدلف ، اتكأوا على سوابق جاشلية .

ويظهر أن المهلب لم يكن راضياً في البداية عن هذا التحالف ، حتى
نازعه عتاب بن رزقاء التميمي ، ووقف البكريون الربيعيون صفاً واحداً الى جانب زعيمهم
حليفهم الأزدي يقول المبرد : ((وقد كان المهلب كارهاً للدلف ، فلما رأى نصرة
بكر بن وائل سره الدلف ، واغتبط به ، ولم يزل يؤكد (٢) . وقد رأى شعراء
الدلف في المهلب ملاذاً يلوذون به . يقول نهار بن تَوْسِعة (٣) : —

تليف به قد عصبت به وأحلافها من حي بكر وتغلب
وقال أبو البهاء الأزدي (٤) : —
قل للمهلب ان نائمك نائبسة فادع الأشاقر وانهبك بالجراميز

فالشاعر يدعو الى الاستئجار بقبيلته والاستعانة بها ، في سبيل
تجاوز ما يلاقيه من مصاعب . وقد أظهر المهلب تعاونه مع المعدل البكري ، أحمد
بني قيس بن ثعلبة ، لأنه مدح العتيك ، وهذا المهلب الأقربين يقول (٥) : —

جزى الله فتیان العتيك وان بأت بي الدار عنهم خير ما كان بازيا
متاعهم قوصى فنداً في ديارهم ولا يحسنون الشر إلا تنادياً
هم نكأوني بالفتوس واكرموا ال صحابة لما هم ما كان اتياً
كان دنائراً على قسماهم اذا الموت للأبطال كان تناسياً

١ — المصدر نفسه : ٢ / ٧٢٩ .

٢ — الكامل : ٣ / ٣٨١ .

٣ — الذهبي : ٨ / ١٠٨٤ .

٤ — سمط اللالي : ١ / ٥٨٨ — ٥٨٩ .

٥ — معجم الشعراء : ٣٠٤ .

وذين تقدم على المهلب أكرمه ، وقال للحاضرين : ((يا معشر الأزد ، هذا الذي يقول : وأنشد هذه الأبيات ٠٠ فجمعوا له خمسين وديفا ، وأعانه المهلب مثلها)) (١) .

وقد تحسن مركز الأزد بصورة خاصة ، وتبائل الحلف اليمني الرعي بصورة عامة في عهد المهالبة (٢) ، إذ ان المهالبة اعتمدوا على قبيلتهم في ادارة دفة الأمور ، ولولمهم المناصب الرفيعة تقديرا لشقلهم السياسي ، ومدركين أن المهلب ترك خراسان عام ٦٤ هـ ، ولم يستأجر ابن خازم لقلّة من معه من قومه في خراسان (٣) . وقسّد هذا ول المهالبة حمل الأزد على رقاب الناس ، وهذا ما كشف عنه يزيد ابن المهلب ، يقول : ((يا معشر الأزد ، كنتم أذلّ خمس بخراسان ، حتى ان الرجل من الحيّ الآخر ، ليشتري الشيء فيتسخرّكم ، فتعلمونه له ، حتى قدم المهلب ، وقدمت فلم ندع موضعا يستخرج منه درهم ، الا استعملناكم عليه ، وعلناكم على رقاب الناس ، حتى ميرتم وجنونا)) (٤) . وشعر شعراء الأزد ان خراسان في ذلّ المهالبة ملك لهم ، وبناء على ذلك يجب أن يتولّى رجالات الأزد الاماكن الحساسة دون غيرهم من ابناء القبائل الاخرى وعلى ذلك فقد انتقد شعراء الأزد سياسة المهالبة أحيانا ، يقول ثابت قطانة (٥) : —

ما زال رأيك يا مهلب فاشلاً	حتى بنيت سرادقاً لو كبري
وجعلته رياءً على اربابيه	ورفعت عبداً كان غير رفيح
لورا أبوه سرادقاً ادّثته	لبكى وفاءت عينه بدموع

- ١ — المصدر نفسه : ص ٣٠٤ .
- ٢ — تاريخ الدولة العربية : ص ٦٥ ، الفرق الاسلاميه في الشعر الأموي : ص ٧٩ .
- ٣ — تاريخ الدولة العربية : ٣٩٧ — ٣٩٨ ، الحموية القبلية : ٣٩٨ .
- ٤ — نقباء بنو جبرير والفرزدق : ٣٦٧/١ .
- ٥ — البيان والتبيين : ٥١/٤ — ٥٢ .

فثبت يبين أن رأي المهلب لم يكن صائباً حين ولّى هذا الرجل ، ذلك
المنصب ، لانه غير دقيق به . وهذا الانتقاد يرجع الى واحد من اثنين . أمّا
أن يكون الوالي ضعيفاً وأما أن يكون الساعر قد احتل مكانة عظيمة في نفس الوالي .
ولعلّ الرأي الثاني هو المحتمل أكثر .

وقد شكّل المهلب ممدراً عتزاز لليمن وأحلافها من ربيعة (١) . وتعرض
الدكتور حسين علوان لأبيات نهار بن توسعة التي رثى بها المهلب بن أبي سفرة ،
وأرجع ما فيها من مبالغة الى تعصبه له ، لا الى منجزات المهلب العسكرية الضخمة ،
وقال : ((ابن المهلب لم يحرز هذه الانتصارات العظيمة)) (٢) . والدقيق
أن الذي يستعرضه دروب المهلب ، وبخاصة مع الأزارقة يجد أنها انجاز عسكري شائل ،
عجز عن تحقيقه غيره من السادة . ولكن ذلك لا ينفي تعصب نهار لدليفة المهلب .

أمّا أبناء المهلب فلم يكونوا أقلّ تعصباً من والدتهم (٣) ، بل غاثوه .
فعندما استخلف يزيد بن المهلب ابنه مخلداً على جرجان ، أوماه بقومه قائلين :
((فكن لهم ، كما قال العباس :
فقومك إن المرء كما عاش قومه)) وان لا مهم ليسوا له بأبعد (٤)

كما أوماه بحليفاتهم ربيعة قائل : ((فانهم شيعتك وانصارك ، فاقض حقوقهم
ومدّ متهم ، فان أديبت أن تبلغ برضائهم ، فأحسن لهم بني تميم ، ولا تدنهم فينا فمحو
اليك ، ولا تنقمهم فينا وأعدك ، وكن بين المدني والقاسمي ، وبين السامح والمذليح ،
وانذر رجلك فيهم فمهلهم)) (٥) . فيزيد لم ينس الإشارة الى أنه إن أراد أن يخاطر
بإتزام ربيعة فعليه بإثانة بني تميم .

١- العقد الفريد : ٣/ ٣٣٠ ، أخبار الحمقى والمغفلين : ١٦٦ - ١٦٧ .

٢- الشعر العربي بخراسان : ٢٢٤ .

٣- العصر الاسلامي : ١٦٣ .

٤- محاضرات الأدباء : ٢٥٨ .

٥- تاريخ جرجان : ١٠ - ١١ .

وقد برزت عصبية يزيد بن المهلب بشكل واضح في عام ٨٣هـ، حين تمكن من القضاء على فل ابن الأشعث . وأسرا الأسرى ، وأطلق بعضا من أسرى اليمانية ، وقد اشعلت هذه الخطوة الحقد في نفوس المضربين ، وكانت من أسباب غضب الحجاج عليهم ، فعندما تقدم الحجاج أحد المضربين قال ، (لا رأيت عيناك يا حجاج الجنة ، ان أقلت ابن المهلب بما صنع . قال : وما صنع ؟ قال :

لأنه كاسر في الانلاق أسرته وقاد ندوك في أغلالها مضرا
وقى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك ادنى عنده خطرا

فأطرق الحجاج ملياً ، ووقرت في قلبه . وقال : وما أنت وذاك ؟ اضرب عنقه . فضربت عنقه ، ولم تنزل في نفس الحجاج ، حتى عزل يزيد عن خراسان ، وحبس (١) .

غالبه اعريظهم أن ابن المهلب فدى قومه ، وتحصب لهم ، وأرسل المضربين ، ليلقوا مصيرهم على يد الحجاج المضري . وقد قام يزيد بن المهلب بحمل آخر ، شعر هو أنه مخامرة ذلك أن حبيب بن المهلب طلب منه ألا يرسل ابن سلقته من بين الأسرى الى الحجاج ، قائلا : (بأى وجه تنظر الى اليمانية ، وقد بحث ابن سلقته ؟ فقال يزيد : هو الحجاج ، ولا يتعرض له . وقال : وتلن نفسك على العزل ، ولا ترسل به ، فان له عندنا بلاء . قال : وما بلاءه ؟ قال : لزم المهلب في مسجد الجماعة يمئتي ألف ، فأدأها طلحة عنه ، فألقه ، وأرسل بالبايتين ، فقال الفرزدق :

وجد ابن سلقته يوم لاقى قومه قد نال يوم ذراه خير المعمر (٢)

فالمهالبة أطلقوا ابن طلحة عصبية لقبيلتهم . وهذان التعريفان اللذان تعرفهما ابن المهلب نحو أسرى اليمانية من قومه ، يدلان على عصبية شديدة لهم ،

١ - العايزي : ١١٢١/٨ .

٢ - المصدر نفسه : ١١١٩/٨ .

واستعداداته للمغامرة بمركزه في سبيل الدفاع على أبناء قبيلته ، وربما لم يظلمهم
هذا التهور في الظاهر التعذيب عند المهلب بالذات فقد كان محباً أكثر من أبائهم .
نتيجة لسياستهم القبلية المتميزة ، انفر الأزد بآلاف المراكز الجيدة في الدولة ، حتى
لقد نفسوا على من وليّ منصباً بسيطاً ، حتى لو كان المتولي ذاك المنصب من حلفاءهم .
فكعب الاشقرى يقول لما وليّ يزيد بن المهلب مديناً : يقال له : عمرو بن عُمير
الزَّم (١) :-

لقد فازت ربيعة بالمصالي	وفاز اليحمدي بعهد زَم
فان تك راضياً عنهم بهذا	فراذل ربنا غمّاً بغم
اذا الأزدى وصح عارضاه	وكانت أمة من حبي جرم
فثم حماقة لا شك فيها	مناقلة فمن حال وعلم

يرى الشاعر أن زماً لا تليق باليحمدي ، واليحمدي فرع من الأزد . وينفخ الشاعر
في رأس اليحمدي ، فيرفض المنصب الذي ولّاه إياه يزيد . وهذا خروج على سياسة
يزيد ، فهو لا يستريح تولية خراسان جميعها للأزديين ، لأنها ليست لهم من دون
القبائل ، وهو وإن اكرم أبناء قبيلته ، لا يستطيع أن يساير هواهم ، وعلى ذلك نراه
يحزل اليحمدي ، ويحرمه من المنصب مدة سنة . فسألت ساه ، وتردت ، وعاتب في
ذلك كتباً ، مبيناً أنه على أية حال لو تولّى زماً ما آل لنا آل اليه (٢) .

وبعد وأن شعراء الأزد لم يكونوا - يانا راضين عن أولادهم من ربيعة فضلاً
عن أبيق بعضهم - أي شعراء الأزد - بالتنام شمل القبائل اليمانية في ظل المهالبة ،
ولعل ذلك عائد الى أن هذه القبائل كانت تشاءن الأزديين المكتسبات التي كانت

١ - الأغاني : ١٤ / ٢٩٤ .

٢ - يقول اليحمدي مخاطباً الاشقرى :

لو كنت خلّيتني يا كعب متكباً	في دور زَم لما أقفرتُ من علف
ومن نبذ ومن لحم أعل به	لكن شهرك أمر كان من حرفي
ان الشقي بمرو من أقام بها	يقارع السوق من يسح ومن خلف

الأغاني : ١٤ / ٢٩٤ .

لهم في عهد المهالبة . وكان المهالبة يحترمون قبائل اليمن وربيعة ، وكان المهلب وابنه يزيد ((ينزلان هاتين القبيلتين في محلتهم)) (٢) . وقد استشار هذا التصرف كعبا ، فقال (٤) : —

(٤) واجعلهم ونداداً أسوة الخمر غير النواكز والافراط في الهذر أهل الفسأ وأهل الفتن والشذر حتى ترانا ميّداً من السكر غير رغيده ولا شيء من الخطر من الرياح على الأضياء من مضر كما أخذنا بحظ الدلف والمنهر	(٣) لا ترجو دنائياً لمهالبة حيان ما لهما في الأزد مأثرة واجعل لكيزاً وراء الناس كلهم قوم علينا فباب من فسائهم أبلغ يزيد بأننا ليس ينفعنا حتى تحمل لكيزاً فوق مدرجة ليأخذوا لنزار حظ سببها
--	---

فهو يطلب من المهالبة ، ابتعاد ديني دناء ونداد ، لأن هذين الدين لم يجلبا للأزد — كما يقول الشاعر — منفعة . وسهاجم الشاعر لكيزا إحدى قبائل عبد القيس البكرية حليفهم . ويدلحن هذه القبيلة الدليقة ، بما درج على طعنها بسوء الشعراء الآخرون ، ونحو ما أدعي من كثرة فسائهم .

وفي سنة ٩٦ بدأ يزيد بن المهلب إلى الحكم ، بعد اثانة وسجن سبيلين ، وقرب ((أهل الشام ، وقوما من أهل خراسان)) (٥) . ولعله فعل ذلك لاستئصال الأزد وربيعة بعثه عليهم لاستسلامهم لقتيبة ، وتركهم المهالبة لمسيرهم ، حين حلت نعمة الحجاج بهم . وأخيراً اترارهم لركيح التميمي (٦) بالامر بعد قتيبة . وقد استمر حتى هذا التصرف نهار بن توسعة . فقال : (٧)

وما كنا نؤمل من أمير كما كنا نؤمل من يزيد

-
- ١ — الاغاني : ٢٩٠ / ١٤ .
 - ٢ — المصدر نفسه : ٢٩٠ / ١٤ .
 - ٣ — الهناني ، بنم الهاء ، وفتح النون ، هذه النسبة إلى دناء بن مالك بن فهم . انظر : أنساب السمعاني : ٥٩٢ ، ويضيف صاحب اللباب في تهذيب الانساب : ٣٩٣ / ١٣ بعد فهم ((ابن غنم بن دوس ، يظن من الأزد)) .
 - ٤ — الهدادي ، بفتح الهاء والالف بين الدالين مفتحتين . هذه النسبة إلى هداد ، وهو يظن من الأزد انظر : أنساب السمعاني : ٥٨٨ . ويضيف صاحب اللباب : ٣٨٢ / ٣ ((هداد بن زيد مناة بن العجر بن عمران بن عمرو بن عامر بن ماء السماء ، بن من الأزد)) .
 - ٥ — الطبري : ١٣١٣ / ٩ .
 - ٦ — نقاشن جرير والفرزدق : ٣٦٧ / ١ — ٣٦٨ .
 - ٧ — الطبري : ١٣١٣ / ٩ .

فأخذنا نانا نينه وقد ما زددنا نني مدارة الزهيد
إذا لم يجرنا نينا أمير مشينا نوه مثل الأسود
فمهلاً يا يزيد أنب النساء ودعنا من معارة السبيد
نبي فلا نرى إلا سوداً على أنا نسلّم من بخييد
نرجع خائبين بلا نكوال فما بال التّبهم والمسدود

يوم نهار ذبيبة الأمل التي يدم بها دلف الأزد وربيعة ، إذ ان يزيد
كان منتظرا لاسلاح المعادلة التي أدخل بها قتيبة ، نهار تهر ان الوظائف ستكون
سكرا على الأزد وربيعة ، ولكنه فوجيء بتجههم الحامك غير المتوقع ، وقد شجا نهار
يزيد بن المهلب : فقال (١) : —

لقد سبرت للذل أعواد منبر تقوم عليها في يدك قعيب
رأيتك لما شبت أدركك الذي يريب شيوخ الأزد دمين تريب
بخفة أحلام وثلة نائل وفيك لمن عاب المزون معيب

لم تكن الحميرية تعدد تصرفات المهالبة دائما ، على الرغم من ابراز
الحجاج مثلا على شهم تصرفاتهم جميعها بأنها متخلقة من منطلق قبلي (٢) ،
فقد حقن المهالبة دماء الأسماء التميميين عندما طلب الحجاج تباعا من
يزيد بن المهلب ، وأخيه المفئل بن المهلب أن يقتلهم (٣) ، فقال كعب
الاشقري (٤) : —

- ١ — نقائض جرير والفرزدق : ٣٦٨/١ .
- ٢ — حين اقترح المهلب عليه ألا يواجه ابن الأشعث . قال : ((مالي نظر)) .
البداية والنهاية : ٣٦/٩ ، ابن الأثير : ٤٦٤/٤ ، سر الحيرن : ٢٠٥ .
وشتم الحجاج قبيلة المهلب . الكامل : ٣٧٠/٣ ، شرح نهج البلاغة :
١٨٦/٤ — ١٨٧ . ويرى فلمها وزن في تاريخ الدولة الحربية : ٣٠٢ والدكتور
احسان النصري في الحميرية القبلية : ٢٦٣ — ٢٦٤ ، والدكتور شوقي ضيف
في العصر الاسلامي : ١٥٩ — ١٦٠ ، والدكتور حسين علوان في الشعر
العربي بخراسان : ٣٧ : أن الحجاج اتهم حميرية .
- ٣ — نقائض جرير والفرزدق : ٣٥١/١ .
- ٤ — الأغاني : ٢٩٣/١٤ .

قل للأهاتم من يعودُ بفناء له بعد المفضل والأغرّ يزير
ردّا بهـ اثفـ تفكـم بمعاذر رجعت أشائم طيركم بسعود
ردّا على الحجاج فيكم أمره فجزيتم أسانه ببحر سود
فالיום ناعتبروا فعال أخذكم ان القياس لبادل ورشيد
وهذا يدل على ذكاء المهالبة ، ومن تعاملهم مع الناس ، على
حين أن تنبئة بالرغم من التعالف القائم بين قيس وتميم (مضر) ضد اليمن ، لم
يتورع عن قتلهم ، وهذا شكّل عاملاً قوياً من عوامل ارفضاض القبائل من قبله
حين أعلن تمرده (١) .

والمهلب لم يكن يتحصب دائماً لقبيلته ، فعندما دعا جدي كعب الأشقر
زياداً الأعجم مولى عبد القيس . نجد أن المهلب لم ينتصر لكعب شاعر الأزد .
وإنما ندأ الاعرين ، بأن أصلح بين الأزد وعبد القيس ، وكانت تجارتنا ، فعمل
المهلب ((ما أخذ كل فريق على الآخر ، وأدى ديّاته)) (٢) . وهذا السلوك
يدل على أن المهلب كان يكيح جماع نفسه ، ويكظم عصبية لقبيلته (٣) .

غير أن هذا لا يعني أن المهالبة كانوا يتساملون مع من يتعرض لهم
من الشعراء أياً كان . ويبدو أياً ما ان الشعراء لم يظفوا ذلك ، وراعوه في علاقاتهم
بالمهالبة ، فعندما تعرض القطامي لهم ، بنّده ، وتعدّوه ، حتى لقد اقترح
عليه العوذ بابن الزبير . وهذا يدل على أن شخصية المهلب كانت شخصية قوية ،
الى درجة أن أي شخصية أخرى لم تجرؤ على اجارة القطامي من المهلب ، كما
يدل على تبين الناس لعظمة الذنب الذي ارتكبه ضد المهالبة . ولكن الشعاعس
يتكي . على قوة قبيلته وتعصبها له ، فهي لا تسلمه ، وشولن يظلم من عزسها
بالانصراف الى ابن الزبير . رغم شيوع شجره في المهلب ، والقطامي صليب العوذ ،

١ - العصر الاسلامي : ١٦٣ .

٢ - الأغاني : ٢٨٧ / ١٤ .

٣ - يرى الدكتور أسان النسي في كتابه العصبية القبلية : ((أن المهلب رأى
كعباً ليس بكفو لزياد ، ولذا أصلح بينهما)) انظر : ص ٤٤٤ ، ويرى الدكتور
« حسين عطوان في كتابه الشعر العربي بخراسان أن المهالبة ((كانوا
يؤثرون العمل سرا لتحقيق مآلهم ومآربهم)) انظر : ص ٨٦ - ٨٧ .

ويلاد بكر وربينة فيها متسح ياوى اليه • يقول (١) :-

أتاني من الأزدي النذيرة بعد ما تشاد قولي بالعراق المجالس
فقالوا : عليك ابن الزبير فعذب به أبى الله أن أخزي وعز خنا بـس
واني امرؤ في الحود منى صلابه وفي جبلي بكر وتغلب شابس

وقد استندعى يزيد بن المهلب ، ونوب جرجان ، والفرزدق ، بعد ما
سلف من شجائهم لهم ، فرفض ذلك رغم الاغراءات المادية (٢) التي تقدمت له ، مقابل
الشخص اليه في جرجان • يقول الفرزدق (٣) :-

دعاني الى جرجان والرثى دونه أبو خالد اني اذن لزور
لائي من آل المهلب ثائسراً بأعرا ضها والدائرات تدور
سأبى رثأبي لي تميم وربما أبيت غلم يقدر علي أمير
كأنى ورثلي والمنافي ترتضي بنا بدروب الشيطان حميم

ويظهر أن الفرزدق كان يبتس بحسبية شاذية لقومه في تعاملهم مع
الأزد والمهالبة • ولعلنا نستطيع تبين ذلك من خلال هذا الحوار (٤) الذي
دار بين الفرزدق وأزدي • يقول الأزدي للفرزدق : ألسن القائل :-

ولا عز إلا عزنا قاهر لـه ويسألنا النصف الذليل فينصف
فهذا يزيد يخاب علي المنبر ، وقومك أذل الناس • فيقول الفرزدق : ((انما

١- ديوان القسامي : ص ٢٨ •

٢- تاريخ جرجان ١٥٠ - ١٦ ، طبقات فضول الشعراء ص ٢٨٦ •

٣- ديوان الفرزدق : ١٩٩/١ •

٤- انظر المحاور في ديوان الفرزدق : ٦٥٩/٢ - ٦٦٠ •

هو شرطي لمولانا صالح بن عبد الرحمن () . يقول فـ

سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ ظُلْمِي وَهَشَلْ
وَمَلُومَةً فِيهَا الدَّيْدُ كَثِيفَةً
خَالِكَ لَوْرَامِ ابْنِ دَحْمَةَ ظَلَمْنَا
رَأَيْتُ تَمِيمًا وَالسَّيُونَ عَيْنُهُمْ
فَلَا تَدَسُّنَا لِلْعَدُوِّ وَمَنْ بَغَى
وَضِيَّةً بِالْبَيْتِ الدَّيْدُ بِقَالِهَا
إِذَا مَا أَرْجَحْتِ بِالْمَنَايَا خَالِهَا
رَأَى لَا مَسَاتِ الْمَوْتِ يَبْرُقُ خَالِهَا
إِذَا زَحَفْتَ نَحْوَ الْمَنَايَا رَجَالِهَا
ظَلَمْنَا شَمًا يَذُوبُ خَالِهَا

فالفرزدق يبيح عن أي شيء ليقلل به من قيمة ابن المهلب ، فلا يجد
غير صالح بن عبد الرحمن (١) ، بالرغم من أن صالح بن مولى ، ولكنه يضييق على ابن المهلب
ويرفض أن يسايره في مشاريع الكرم التي تبناها (٢) . فأصبح كما يقول فلها وزن :
كالقابض على قربي البقرة وغيره يعلبها (٣) . والفرزدق ينفى أن يكون هو أو أبناء
قبيلته واقعين تحت سائلة ابن المهلب .

استغلت الحموية استغلالا جيدا لصالح الطرفين المتنازعين ، المهالبة
والامويين ، في ثورة المهالبة فقد وقف غالبية يمن العراق بجانب أبناء المهلب ، وسهلوا
مهمتهم (٤) ، أما يمن الشام فقد أبدوا تعاطفهم مع المهالبة ، فعين أرسل يزيد بن
المهلب وفدا ليأخذ له أمانا من يزيد بن عبد الملك عارضت مضر في ذلك . أما اليمن
فقالوا : ((تؤمنه ، فتدخن الدماء)) (٥) . وعين أجهز جند الشام على تمرد المهالبة .

- ١- ولي خراج خراسان بتزكية من يزيد بن المهلب . تاريخ خليفة بن خياط : ٣١٧/١ ،
المطيري : ١٣٠٦/٩ ، ابن الاثير : ٢٠/٥ .
- ٢- مخطوط أنساب الاشراف : ١٩٩ .
- ٣- تاريخ الدولة الحربية : ص ٢٧ . ربما يكون هذا الكلام مبالغا فيه ، إذا علمنا
أن صالحا كان من منافع يزيد بن المهلب في ضوء العلاقات السلبية بسليمان
ابن عبد الملك . انظر : مخطوط أنساب الاشراف : ص ٢٠١ ، تاريخ
اليحويي : ٢٩٥/٢ ، المطيري : ١٣٥٠/٩ ، البدء والتاريخ : ٤٦/٦ ،
ابن الاثير : ٤٩/٥ ، نسبة الايام : ٢٦٣ .
- ٤- مخطوط أنساب الاشراف : ٢٠٣ ، ٢٠٤ . حين قدم يزيد بن المهلب البصرة ،
قال خراسها من الازد له : ((قدمتم خير مقدم ، ادخلوا بسلام)) . مخطوط
أنساب الاشراف : ص ٢٠٣ . غير أن ثقة يزيد ببجده كانت مهترية . المطيري :
١٣٩٨/٩ .
- ٥- مخطوط أنساب الاشراف : ٢١١ .

قال يمّني ليزيد بن عبد الملك ، لما سأله ، كيف كانت غزائكم ؟ . قال : ((قتلنا
أهراشاً وجثنان) (١) . ووقفت القبائل المضربة ببنايب بئد الخلافة انتقاماً لما
فعله المهالبة برجالهم في خلافة سليمان بن عبد الملك (٢) .

وقد شكّل قتل المهالبة لبئد أقطاب المضربة ، أحد الحوامل القوية
لحفز قبائلهم على الحمل ضد المهالبة . وقد اتسكأ الحـراء على ذلك ليحرّكوا
نفوس تلك القبائل . يقول جرير (٣) : -

قتل الخيار بنو المهلب عنوةً	فخذوا القلائد بعده وثقنوا
وُنيء الخيار ولا تخافم جاشع	حتى تحكّم في حشاه الأملح
ودعا الخيار بني عقال دعسوة	كجزعا وليس إلى عقال مجزع
لو كان ناعترفوا وكيع منكم	فرعت عمان فما لكم لم تفرعوا ؟
تنت الخيار غداة أدرك روجه	بمجاهع وأخوة كتارة يسمع
لا يفرعن بنو المهلب أنسه	لا يذرك الترة الذليل الأضخ

يهزأ جرير بتوّم الخيار ، الذين أسلموه للموت ، دون أن يحاولوا استنقاذه
أو الأخذ بثأره من المهالبة الذين قتلوه .

أمّا الأزد وحلفاؤها فقد ناصروا ابن المهلب ، ففي سنة ١٠١ هـ عيّن
يزيد بن المهلب أخاه مدركا على خراسان أثناء تمرده ، فلما انتهى إلى رأس المفازة

١ - المبدّر نفسه : ٢٢٢ .

٢ - تاريخ خليفة : ٣٢٤ / ١ ، المبدّر : ٤٨٢ ، الاشتقاق : ٢٤١ ، ديوان جرير :
٥٢١ / ١ ، فتوح البلدان : ٤٤٠ ، تاريخ اليعقوبي : ٢٩٦ / ٢ ، الطبري :
١٢٨٢ / ٦ - ١٢٨٣ .

٣ - ديوان جرير : ٩١٥ / ٢ - ٩١٦ .

علمت بنو تميم بذلك ، فخرجوا والمقتلوه • فعلمت الأزد فتبعتهم لحمايتهم ، واستنصحوهم
من تميم عن سبب خروجهم فتعللوا بأشياء • وواصلت الأزد مسيرهم ، حتى بلغوه ،
وذلك قالوا له : ((انك أحب الناس إلينا ، وأعزهم علينا ، وقد خرج أخوك ،
ونابذه • فان يظهره الله ، فانما ذلك لنا ، ونحن أسرع الناس إليكم ، أهل
البيت وأحقه بذلك • وان تكن الآخر ، فوالله ، مالك في أن يغشينا ما يعثرنا فيه
من البلاء راحة • فعزم له رأي على الانصراف)) (١) • فقال ثابت قطنة (٢) : -

ألم تر دَ وَسْرًا مَنَعْتَ أَخَاهَا	وقد شدت لتقتله تميم
رأوا من دونه الزرق العوالي	وحيا ما يباح لهم - درم
شئونها وعمران بن - - -	ذلك المجد والسبب الصميم
فما حملوا ولكن نهنتهم	رما الأزد والعز القديم
رددنا مدركا بمرء - - -	وليس بوجهه منكم كل يوم
وخيل كالقداح مسومات	لدى أرض مخانيها الجميم
عليها كل أميد دوسر	عزيز لا يفتر ولا يريم
بهم تستعجب السفها - - -	تري السفها تردعها المدوم

فثبت يؤكد على أن الأزد لم تتخل عم مدرك بن المهلب ، غير عابثة
بمعارضة الأمويين ولا التميميين • كما دعا عن الهدف الحقيقي الذي دفع تميما للخروج
خفية ، دون علم الأزد ، مبينا أن سبب عودتها راجع إلى قوة الأزد ، ومحافظتها
على معارضاها ، وبذلها كل شيء في سبيل ذلك • فالأزد حمت مدركا بكل ما أوتيت
من قوة ، حتى عاد إلى مأمنه دون أن يمسره

١ - الديري : ١٣٩٠/٩ - ١٣٩١

٢ - المصدر نفسه : ١٣٩١/٩

وهذا الحديث يدلنا على أن موقف الأزدي كان أقوى من موقف تميم
بدليل أن الأخيرة خرجت سرا وانها تراجعت، وتعللت بالحلل، حين علمت
الأزد بذلك . ولحل موقف الأزدي ذلك عائد الى أن خراسان تبعت اسميا يزيد بن
المهلب الذي كان ينفذ مخططة ضد الأمريين . وربما خشيت تميم نجات مخططة ابن
المهلب ، الذي أفلح في هذه الاثناء في دحر عدي بن ارنانة الغزاري ممثل الدولة
وتأكد جيوشها في البصرة ، وهكذا تراجعت تميم . وبدلنا بهذا الحدث أيضا على أن
أزد خراسان كانوا يتحصبون للمهالبة ، ويضربون من أجلهم . ولحل ما قاله يزيد بن
المهلب - حين تمنى أن يكون قومه من سكان خراسان معه بدلا من جيشه - يدل على
ذلك . وقوله يزيد قد تلقي أصواء ساطعة على هذه الحادثة ، كما يدل على أن يزيد
تحقق قومه ، وعرف قدرهم . ولكنهم مع ذلك يؤثرون موقف المترقب من ثورة يزيد بن المهلب ،
ولا يخامرون بمستقبلهم جميعا قبل أن يتبلور مستقبل ثورة ابن المهلب .

وهين قدم يزيد بن المهلب البصرة ، دعا اليمن وحلفائنا من ربيعة ، ((فجاءت
الأزد وأبداً ربيعة)) (١) أمّا ابن مسمج ، زعيما بكر ، فقد وثقا ضد
ابن المهلب ((فحبسهما مع عدي)) (٢) . وبالرغم من موقف الربيعيين من
حلفائهم الأزديين ، نجد ثابت قلانة يرى في هذا الحلف قوة يستلجح ابن المهلب
الاعتماد عليها في دعم تمرده . يقول (٣) :

والحي من يمن وهاب كئودا	ان امراً بعدت ربيعة ولكه
ان لم يلف الى الجنود جنودا	له حيف ما غمت جوانح صدره
كأبيك لا رعشا ولا رعديدا	أيزيد كن في الحرب اذ عيج جتتها
فرايت ذمك في المهوم بحيدا	شاورت أكرم من تناول ما جدد

١ - مشطوط أنساب الاشراف : ٢٠٤ .

٢ - المصدر نفسه : ٢١٠ .

٣ - الأغاني : ١٤ / ٢٧٧ - ٢٧٨ .

ما كان في أبويك قادح دجاجة
فكيف زندق في الزناد ملودا
أنا لفرابون في كسر الوفي
رأى المتوج أن أراد جدودا
وتر إذا كفر العجائج ترى لنا
في كل معركة فوارس سيدا
يأليت أسرتك الذين تخببوا
كانوا ليومك بالحراق شهودا
وترى موازيتهم إذا اختلف القنا
والمشرقية يلتانين وتكسودا
وكان ثابتاً أدرك أهمية قوله يزيد يوم العترة (١) ، وكأنه تبين أن رابطة

الدم والعصبية بما اللتان تقاتلان ، لا الأحلاف والمصاهرات ، فالمعركة
معركة الأزدي ، وهم يعتبرون احراز النصر قضيتهم الأساسية ، حتى لا يوصل الى زعيمهم ،
ولذا فهو على استعداد للتضحية والتفاني في سبيل المهالبة .

ويبدو أن دعائم حلف اليمن وربيعة كانت تتعرض للخطر ، إذ رأى أسعد
الطرفين ما يوجب ذلك . فعين : خبت ربيعة على يزيد بن المهلب ، ولم تعد الى
حظيرته ، إلا بعد أن ترضاًنا . قال ثابت قلانة (٢) : -

عما فير ترو في الفساد وفي الوفي
إذا راعها روع جمامح بروق
أأحلم عن ذبان بكر بن وائل
ويعلق من نفسي الاذي كل معلق
لحمرك ما استخلفت بكر ليثغبوا
علي وما في حلفكم من معلق
ضممتكم ضمّاً التي وأنتم
شكات كفتح القاعة المتفرق
فأنتم على الأدنى أسود خفية
وأتم على الأعداء خزان سملق

فشابت متوتر ، مضطرب من موقف حلفاء قبيلتهم من بكر وربيعة الخاذل له
في أدق الظروف وأحرجها . فقد صاب جنام غضبه عليهم ، مسقها إياهم ، مجرداً لهم
من الفضائل ، التي كان الانسان العربي يعتز بها . وتبين من مجموع هذا النقاش والفتنة التي الصقها
ثابت بربيعة ما يحتمل في نفسه من أسي وعتب شديد بن عليهم .

١ - الظهري : ٩ / ١٣٩٨ .

٢ - الاغانى : ١٤ / ٢٨٠ .

غير أن هذا اللحاء لا ينبغي أن البكرين أو الرعيين جميعها تغلوا عن
المهالبة وإنما قاتلوا معهم ، بالرغم من سجن يزيد بن المهلب لابني مسمع . فأنسي
أول تماس بين مقدمة جيزر المهالبة ، التي كان يقودها عبد الملك بن المهلب وبين
جيزر مسلمة قتل المنتوف من بكر بن وائل . فقال الفرزدق (١) :-

تبكي على المنتوف بكر بن وائل وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما
غلامين بآفي الشراب وأدركا كرام المساعي قبل وهل لساكنهما
ولو كان حياً مالك وابن مالك إذا أرتدوا نارين يحلوسناهما

يستشير الفرزدق في البكرين الحموية ضد المهالبة مذكراً إياهم بمركز
ابني مسمع . ويوضح أن موقف البكرين خاطيء في هذه الفتنة ، فهم يجزعون على
المنتوف الذي يحارب معهم إلى جانب ابن المهلب ، وينهون عن ذكر ابني مسمع (٢) .
وهم ما جدان كريمان ، وموقف الفرزدق بهذا طبيعياً جداً ، فهو يريد
أن يقدح أوامر الحلف القائم بين الازد وربيعة ، حتى يتمكن الاميون من سحق المهالبة
بسهولة ، بعد أن يتخلى عنهم حلفائهم ، فرد عليه الجعد بن درهم (٣) :-

نَبِكِّي على المنتوف في ندر قومه ولسنا نَبِكِّي الشائدين أباهما
أراداً فناء الحَيِّ بكر بن وائل فعزّ تميم لو أميب فناهما
فلا لقا روجاً من الله ساعة ولا رقا عينا شجّي بكاهما
أفي الخرنبكي ان بكينا عليهما وقد لقا بالبر فينا رداهما

فرد الجعد يستند على مستندات قبيلة . فالمنتوف مات دفاعاً عن مواقف
قبيلته بكر بن وائل . أما ابنا مسمع فقد قتلا لسيماهما ضد القبيلة حين خالفا . دليل
قبيلتهما ابن المهلب . فهما يسعيان لهدم مجد بكر . وهذا سيجعل تميماً أقوى وأعزّ

١- الطبري : ١٣٩٦/٩ .

٢- مخطوطات انساب الاشراف : ٢١٠ .

٣- الطبري : ١٣٩٦/٩ - ١٣٩٧ .

نفرا • أما المنتوف فقد دند الى رفع شأن قبيلته • لهذا لا مسوغ للبكاء على —
ابني مسيح • فما غادران • وكأن الجعد يدعو الى التمسك بأواصر الدلف •

وبعد معركة الحقر ١٠٢ هـ ، أسرت أعداد كبيرة من عساكر المهالبة وكان
من بينهم بعض التميميين • وصدر قرار بقتل الاسرى اصناما في مشاركة المهالبة ،
ورغبة في ابادته من كان يشايحهم (١) • وطلب التميميون البدء بهم أملين من وراء ذلك
اطلاق سراحهم ، أو عدم تنفيذ الحكم بهم ، مستددين في ذلك على أنهم انهزموا بالناس
ولم يشفع لهم ذلك ، فأخرجهم أمير الشرطة الحريان بن الهيثم وقتلهم ، ولما فرغ من ذلك
جاء أمر بتأفية الاسرى • فقتل حاجب بن ذبيان (٢) —

لحمى لقد خاضت معي دما نسا بأسيافها حتى انتهى بهم الوحل
وما حمل الاقوام أعنكم من دم حرام ولا دخل اذا التصر الذذل
وقى بهم الحريان فرسان قومسه فيا عجباً أين الامانة والسددل ؟

وفار التميميين بالناس ، يدل على أنهم يتحدسون على يزيد بن المهلب
وأنتهم — وان كانوا في عداد جيران يزيد — بعيدون عن الاتصال له ، ودين له ذلوا
الفرصة سانحة للمهرب هربوا ، وتركوا شجرة في جيبان ابن المهلب • والذي يراجع سير
معركة الحقر ، يجد أن الهزيمة لم يكن لها ما يبررها ، إذ لم يحصل كبير قتال يدعو
الى ذلك (٣) • وربما تكون العصبية أحد العوامل القوية في هزيمة جفوف ابن
المهلب •

وقد ولد استعمال المهالبة ردة فعل قبلية عنيفة ، سارت في اتجاهين :
الأول ، حزين باك غاضب • وقد تزعم هذا الاتجاه شاعر المهالبة ثابت قلزنة (٤) •
والثاني ، تشفى أمجاد بما حل بالمهالبة والازد ، ولعل شاعر تميم جريرا مشتمل

-
- ١- انظر : أنساب الاشراف : ١٦٢/٥ ، نقائض جريير والفرزدق : ٣٦٣/١ ، الطبري :
١٢٩٧/٩ ، ١٤٠٧ ، البداية والنهاية : ٢٢١/٩ ، ابن الاثير : ٨٤/٥ ، ١٨٢ ، ٩٠ ، ٩١ —
٢- الطبري : ١٤٠٨/٩
٣- مخطوطات انساب الاشراف : ٢١٥ ، الطبري : ١٤٠٣/٩ ، وفيات الاعيان : ٣٠٥/٦ ،
شرح نهج البلاغة : ٥٢/٣ ، البداية والنهاية : ٢٢١/٩ ، ابن الاثير : ٨٢/٥
٤- الاغاني : ٢٧٩/١٤ ، الطبري : ١٤١٤/٩

هَذَا الْإِتْجَاهَ ، وَرَبَّمَا شَجَعَهُ عَلَى الْمَنِيِّ قَدْ مَا فِي هَذَا الْإِتْجَاهِ أَنْ الْقَائِدَ الَّذِي تَوَلَّى
مِنَارِدَةَ الْمَهَالِبَةِ فِي قَنْدَاهِيلَ تَمِيْمِي ، وَنَوْدَلَالِ بْنِ أَجْرُ الْمَازَنِ . يَقُولُ
جَرِير (١) : —

مَتَى مَا تَجَلَّ الْخُمَرَاتُ يَحْلَمُ	دُرَيْمَ وَأَبْنُ أَحْمَرَ مَا أَلَامَا
عَمَّا إِذَا دَاخَلْنَا عَنْ جَمَانِمَا	وَنَارَ الْحَرْبِ تَفْطَلُ مِنْ أَضْطَرَامَا
إِذَا غَدَرَتْ رَيْبَةُ وَاسْتَفَادَا	لِنَاغِيَةِ دَعَا بِشَرِّ الْخُفَامَا
فَمَنَاهُمْ مَتَى لَمْ تُخْنِ شَيْئًا	غَلَامَ الْأَزْدِ وَاتَّبِعُوا الْغِلَامَا
فَوَلَّوهُ الظُّهُورَ وَأَسْلَمُوا	بِمَلْجَمَةِ إِذَا مَا الْكُفْرُ إِذَا مَا
وَلَمْ يَخْنَمُوا النِّسَاءَ وَقَدْ رَأَوْنَا	وَأَسْرَمَا يُوَارِيْنَ الْخِدَامَا
وَمَنْ يَخْرُجُ بِنَا الرُّوْقَيْنِ يَخْرُفُ	لَنَا الرَّأْسَ الْقَدِيمَ وَالسَّنَامَا
أَلَمْ تَرَوْهُ نَجَا مِنْهُمْ سَلِيمًا	عَلَيْهِمْ فِي مَحَافِظَةِ ذِمَامَا
وَأَعَزَّنَا السُّيُوفَ مَجْرَدَاتِ	بِهِمْ الْأَزْدُ قَبِيحَ ذَاكَ هَامَا
نَكَرَ الْخَيْلَ عَائِدَةً عَلَيْهِمْ	كَوْطًا مِنْهُمْ قَتَلَى لثَامَا
وَمَنْ أَظَلَّ الْيَمَامَةَ أَبْفَلَّ	تَرَى بِأُهْرَدِهِمْ مَنَا كِلَامَا
وَمَنْ بَلَغُوا الْحَزِيْزَ وَهُمْ عَجَالُ	وَقَدْ جَعَلُوا وَرَاءَهُمْ سَنَامَا
فَذَوْقُوا وَقْعَ أَطْرَافِ الْحَوَالِي	فِيَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ لَا يَمَامَا
وَكُرِّدْ رَفْعَنَا السَّيْفَ عَنْهَا	وَلَوْلَا ذَاكَ لَا تَنْشَرُوا الْقَتَامَا
فَوَدَّ وَابْنُ يَوْمٍ ذَلِكَ إِذَا رَأَيْنَا	نَحْنُ الْأَسَدَ لَوْرَكِبُوا النِّعَامَا
وَعَبْدَ الْقَيْسِ قَدْ رَجَعُوا خَزَايَا	وَأَهْلَ عَمَانَ قَدْ لَاقُوا غَرَامَا
مَشَوْا مِنْ وَاسْطِنَا مَتَى تَنَاهَيْتِ	فَلَوْلَهُمْ وَقَدْ وَرَدَ تَوَامَا
فَمَنْهُمْ مَنْ نَجَا مِنْ جَرِيرِ	وَأَخَارَ مُقَحَّصَ لَقَى الْحَرَامَا

يَنْظُرُ جَرِيرَ إِلَى مَا تَوَلَّى بِالْمَهَالِبَةِ مِنْ وَجْهَةِ نَهَارٍ قَبْلِيَّةٍ ، وَهَدَفَ الْحَرْبِ —

كَمَا يَرَى الشَّاعِرُ — هَدَفَ قَبْلِي ، يَرْمِي إِلَى رَدِّ اعْتِبَارِ تَمِيمٍ ، الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعْ دَرْءَ خُفَارِ
الْمَهَالِبَةِ عَنِ الْبَصْرَةِ ، مَتَى اسْتَعْرَى خُفَارُهُمْ ، وَأَسْرَا عِدَدًا مِنْ رَجَالَاتِ الْبَصْرَةِ الْمَزَالِيْنَ
لِسُلْطَةِ الْأُمَوِيِّينَ . وَمَعْظَمُ الْأَسْرَى مِنَ الْمَضْرِبِينَ . وَقَدْ تَغَيَّرَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ بِسَعْتِ الْمَهَالِبَةِ

واشياعهم ، وبخامة حين ولي أمر العرب تميمان • وهما : علال بن أحمز المازني
وثریم بن أبي الحمة المجاشعي •

أما اتباع يزيد بن المهلب ، فهم طغام ، سفلة ، لا أصل لهم ، ولا سنتي ،
وإذا يدل على أنه لم يكن يستمد — في نظر الشاعر — على قوة قبلية معينة . وقد اتبعه
من اتبعه لأنه وعدهم بالوعد الكثيرة • وهذا يدل ساروا منه انطلاقا من عقائد مادية
بعيدا عن القناعة الراسخة ، التي ينطلق منها المقاتلون المؤمنون بما يدافعون عنه •
فجندة مرتزقة ، ولذا فروا ، وتركوا أبناء المهلب درئية رماح تميم • كما أنهم لم يحرموا نساءهم
وبذله خلال لا توجد بني العربي •

وبين جرير ما حلّ به دلف اليمن وربيعة ، نقد تشتم شمله ، واتجه كل
فريق منهم في صوب ، تنوشه الرماح ، وتشارده الفرسان • فالأزد وبكر وعبد القيس
أصابهم القتل ، وسقى عليهم الحذاب ، وحلّت بهم جراح • وهكذا أصبح دلفهم موزعا
بين القتل والجرح والنسجن والهرب الذي يهيم • ساء به بالعار • فقد هربوا من واسط
مركزهم حتى تؤام وضوماً بحمان • وهكذا كان المهالبة — كما يرى ذلك جرير — سببا
في تشييت شمل هذا الحلف ، كما كانوا سابقا سببا في تقويته ، وشد أزره ، والرفح
من قيمة القبائل المشاركة فيه •

وأخيرا يفخر الشاعر بقبيلته ، ويحتزبها ، مصورا أن النصر هذا ، يعود
إلى قبيلته ، فهو نصر تميمي مدقق بأيد تميمية ، وأنه لولا سيطرة قريش لسيطرت تميم
بدلا منها •

وقد تسقى بهم جرير غير مرة ، فقال في ذلك (١) ف
آل المهلب جدّ الله دابرهم أمسوا رمادا فلا أصل ولا سكرف
قد لهمفوا • بين أغزى الله شيختهم آل المهلب من ذل وقد لهمفوا
ما نالت الأزد من دعوى مضلهم ألا المتاعم والأعتلق تختلف

فهو يبين ما جرته ثورة المهالبة على قبيلتهم الأزد من الويلات، وهذا يشير الى أن الأزد اضططعت بدور كبير في ثورة ابن المهلب، وتعممت النتائج وقال يحيى ابن أبي حفصة يذكر خروجهم (١) :-

لا يصلح الناس إلا السيف ان فتنوا
لو كان حياً غداة الأزد اذا نكثوا
لم تأته الأزد عند الباب تربصه
من كل أفحج ذي حنف مخالفة
لهفي عليك ولا حجاج للديين
لم يحص قتلهم حساب ديريين
مثل الجراد تنزي في التبايين
أرقت به السفن علجاً غير مجنون

فالشاعر ناظم على المهالبة، متأسف على الحجاج، الذي لو كان حياً حين أعلن المهالبة تمردهم لقسا عليهم. والشاعر يدالب من الأمويين معاملة المهالبة بقسوة.

وقد ولدت ثورة المهالبة جواً من السخط وعدم الرضى عن اليمن في الأوساط الحاكمة من الأسرة الأموية، وفهمت تصرفات الولاة اليمنيين على أنها تنزع الى الأخذ بشار المهالبة (٢)، فمن ذلك أن خالد القسري قتل عمر بن يزيد الأسدي. فقال الفرزدق (٣) :-

وثار بقتل ابن المهلب خالد
أرى مضر المصيرين قد دال منورها
فمن ملع بالشام قيسا وخند فسا
أحاديثك منا نشتكيها اليهم
فان من بها لم ينكر الضميم منهم
يعد مثلها من مثلهم فنيككوا
بنلباء من جمهورها مضمرة
وفينا بقيات الهدى واما مهسا
ولكن قيسا لا يذل شامها
أحاديثك ما يشقى بمر سقامها
ومالمة يفسى الوجوه ظلامها
فيفض منها كهلها وفلامها
فيعلم أهل الجور كيف انتقامها
تزايد فيها أزع القوم لامها

١ - الأغاني : ٧٦/١٠.

٢ - حين عذب يوسف بن عمر الثقفي خالد بن عبد الله القسري حتى مات قال الوليد ابن يزيد :-

شددنا ملكنا ببني نزار
وهذا خالد فينا قتيلا
ولو كانت بنو قحطان عربا
ولا تركوه مسلوبا أسيرا
ولكن المذلة ضمضت منهم
وقومنا بهم من كان مسالا
ألا منعه ان كانوا رجلا
لما ذهبت صنائعه ضلالا
نحمله سلاسلنا الثقلا
فلم يجدوا لذتهم مقسالا

حتى تألفت عليه اليمانية، وعزلته، وولوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك، الأخبار الطوال : ٣٤٨. أما هشام بن عبد الملك فقال : (لا حاجة لي في اليمانية، وكان هشام يفيض اليمانية. الأخبار الطوال : ٣٤٠.

٣ - ديوان الفرزدق : ٢/٧٩١-٧٩٢.

حتى يقول :-

فَخَيَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَانْهَارَ يَمَانِيَةً مَقَاءً أَنْتَ شَامَهَا

فالشاعر يرجع تصرفات خالد القسري الى عوامل قبلية ، ولعل الشاعر انطلق مما أشيع من أن خالد تعصب لقومه وأنه تفرغ لغيرهم . وقد يكون خالد قتل عمر بقرولته في مجلس الشام بن عبد الملك (١) ، بحسرة خالد القسري () والله ان فتحت فتنة في الاسلام ألا باليمن . لقد قتلوا أمير المؤمنين عثمان ، ولقد خرج ابن الأشعث على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإن سيوفنا تقطر من دماء بني المهلب () (٢) .

وبما أن نظرة الشاعر الى ما قام به خالد نظرة قبلية ، فهو يحاول استشارة الخليفة من هذه الزاوية ، مشيراً الى أن ما قام به خالد إنما هو عمل يهدف السعي الادالة ممن أسهموا في نكبة المهالبة . وموقفاً في الخليفة حب الملك ، وضرورة المحافظة عليه ، محذراً إياه من خطر اليمانية ممثلين في شخص خالد القسري ، معتبراً ما قام به ضد عمر الأسدي محاولة قد تتلوها حيلوات أخرى . وقد اثمرت هذه الدعوة وغيرها من الدعوات التي يرفض تعصب خالد ، فعزل خالد القسري عن ولايته (٣) .

والشاعر بالرغم من سيطرة خالد القسري على الأمور ، لا يتضاغر ولا يخضع ، وإنما يحتزّ بقوة الدولة وقوة قومه من الشاميين .

استشارت عزيمة المهالبة في العقر ١٠٢ هـ ، الشعراء الفرزدق التميمي المضري والطرماح الدثائي اليماني (٤) . وأدت الى نشوب معارك شخيرة بين الشعراء ، تبادل

١- الطبري : ١٤٦٧/٩ - ١٤٦٨ . ويرى الدكتور أحمد الشايب في الشعر السياسي ، ص ٢٦٧ . أن خالد () انتقم من مضر ، لقتل يزيد بن المهلب ، وكان من ضحاياه عمر بن يزيد الأسدي التميمي () .

٢- طبقات فحول الشعراء : ٢٩٨ ، ابن الأثير : ١٢٤/٥ .

٣- الطبري : ١٤٦٧/٩ - ١٤٦٨ .

٤- تعصب الطرماح لقومه . انظر : البيان والتبيين : ٤٦/١ ، الشعر والشعراء : ٣٦٩ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٣/٧ . وانظر : الطرماح بن حكيم الدثائي ، (عزمي الصالح) ١٠٥ ، ١١١ ، ٣٤٥ ، العصر الاسلامي : ٣١٢ .

فيها القهائد الهجائية التي تعتمد في مجملها على تيارات قبلية • فقد اعتبر الفرزدق نحر الأمويين في الحقر نصراً تيمياً ورفعة للمضرية • وتصور أنها ستدخل اليها البلاد دون اليمن • أما الطرماح فقد اعتبر هزيمة يزيد بن المهلب هزيمة لليمن ، إذ كانت ثورة يزيد بن المهلب كما يقول عزمي الصالحى : ((أمل القحطانية ، فانتصار الثورة معناه انتقال الخلافة من نزار الى قحطان ، فهناك القضاء على القيسية ، ولذلك اتفق القيسيون والتيميون ما وسعهم الاتفاق على إسقاط الثورة) (١) .

تقاذف الشاعران مجموعة من القوائد (٢) ، ويرى عزمي الصالحى أن الفرزدق بدأنا (٣) بقصيدته التي مطلعها (٤) : —

أجلّ هريم يوم بابل بالقنا نذرت نساء من تميم فحلّت

والفرزدق في هذه القصيدة يصمّم ما قام به هريم المجاشعي ، تعميماً لقبيلته ونحو بتضحيته لما قام به هريم يصمّم مشاركة تميم في إسقاط مخططة المهالبة • يقول (٥) : —

أجلّ هريم يوم بابل بالقنا	نذرت نساء من تميم فحلّت
فأهجن لا يشرين نفساً بنفسه	من الناس إن عنه المنية زلت
يكون أمّ الخيل أول طاعن	ويضرباً خراها إذا هي ولّت
عشية لا يدرى يزيد أين تنحني	على السيف أم يعطى يداً حين شئت

- ١- الطرماح بن حكيم الدثائي : ٢٨٢ • هذا لا يعني أن مخر لم تكن مخرته على اليمن ، بل العكس فقد تعزبت منذ زمن أبعد من ثورة ابن المهلب ، ومن أيام فتته مسعود •
- ٢- أهاجي الطرماح والفرزدق كثيرة ، ولا يهمننا في هذا المقام إلا ما تعلّق منها بالمهالبة ، وخاتمة تلك التي لها أبعاد ثأرية •
- ٣- الطرماح بن حكيم الدثائي : ٢٨٣ •
- ٤- ديوان الفرزدق : ١٣٢/١ •
- ٥- المسند لنفسه : ١٣٢/١ — ١٣٣ •

وأصبح كالشعراء تنخران منحت
 كحمرى لقد جلى شريم بسيفه
 وقائلة كيف المقتال ولو رأيت
 وماكر إلا كان أول شاعرين
 أذاك ابن مروان يقود جنوده
 فلم يخفن ما خندقت ذلك نقرة
 كأن رؤوس الأزد خفبان خندل
 أنتك جنود الشام يخفق فوقها
 تخبرك الكهان أنك ناقص
 يهزور المشطا من فرع ذى الشرى
 ألم يك للبراءة عاد يقيمها
 أتابعة الأوثان بكر بن وائل

وتضرب ساقها إذا ما تولت
 ويدها علتها غيرة فتجلت
 كريمة لدارت عينها واسمك درت
 ولا عانيت الخيل إلا اسمك درت
 ثمانين ألفاً يلبها قد أنزلت
 من البين من أعقادها حين سالت
 تنخر على أكتافهم حين ولت
 لها خرق كالحرير بين استقلت
 دمشق التي كانت إذا الحرب هزت
 فانتمت فمالت على رغم العدى فاشمخت
 على الحق إذ كانت بها الأزد تلت
 وقد أسلمت تسعين عاماً وهلت

يسر الفرزدق القبلي المتعمق في نفوس التميميين رد المهالبة ،
 فالجرب ردهم حرب قبلية ، بلخت بنساء تميم الى نذر النذران . نزم المهالبة ، وعليه
 فقد تنحمت قيمة شريم في نفوس نساء تميم لأنه أهل نذران . وقد تحملت الأزد قبيلة
 ابن المهلب الحب الأكبر من أعباء ثورة ابن المهلب . والفرزدق لا ينسى أن ينص على بكر
 ابن وائل مشايختها للمهالبة ، ومشاربتها معهم . والفرزدق يعرف أسمية هذا الحلف ،
 ويذكر للملح عدم وأبهره .

وقد رد عليه الفرماح بقصيدة على نفس الوزن والقافية ، ومطلعها (١) :-

ألا ان سلمى عن ديوانا تسلت
 وميتت قوى ما بيننا وأدلت

وكما هو واضح بدأ الشاعر قصيدته بغزل تسوده نزعة حزينة ، وقد سيطر
 على هذه القصيدة جو من الفخر القبلي بمآثر مليء وقصائد (٢) ، وقد أرى الفرماح

١- ديوان الفرماح : ص ٤٦ .

٢- يفخر الشاعر على لول القصيدة بقومه . فهم شجعان ، لا يستباح لهم شريم ،
 وهو يفخر بالأنصار ، ومشاركتهم في وقائع التاريخ وأحداثه الهامة ، وبخاصة أسهامهم
 في اجهاض حركة الردة ، وقد شبتوا أركان الدولة . ويرى على قبائل تميم وعكل ونبيه
 والتميم ، فهم عديمو التأثير على الأحداث قليلة العدد .

انظر : ديوان الفرماح : ٤٦-٦٦ .

على الفرزدق التميمي ، يقول (١) :-

بأجى بلاد تالعب العز بعد ما	بمولدنا هانت تميم وذلت
أقرت تميم لابن دومة حكمه	وكانت اذا سميت هوانا أقرت
وكانت تميم وسط قحطان اذا سميت	كمقدوفة في البحر ليلا فحلت
ونجارك من أزد العراق كتائب	لقحطان أدل الشام لما استهلت

فقد فرغ يزيد بن المهلب نفسه على القبائل جميعا بما فيهم تميم التي
رغبحت وأجبرت على ناعته • ويواصل الدلماج سخريته من تميم وشاعر دنا الفرزدق ،
فيقول (٢) :-

فخرت بيوم العقر شرقي بابل	وقد جُبنيت فيه تميم وقلست
فخرت بيوم لم يكن لك فخره	وقد نهلت منك الرماح وكلت
كفخر الاماء الرائدات عيسى	برقم جد وج الحبيبين استقلت
فبالعقر قتلى من تميم ذبيحة	وللمير أخرى منهم ما أُنست
فما لقيت قتلى تميم شهسادة	ولا سبرت للعرب حبيبن استملت
فأين تميم يوم تغدر بالقنا	كتائب منا أُنعت وأُلت
كتائب من قحطان بالعقر وقعت	وقائع فيها أعظمت وأُلت

وهكذا يصور الدلماج الفرزدق التميمي ، فيشير الى قلة قومه التميميين ،
وجنبهم وفخرهم بيوم العقر ، لأن قبائل تميم لم يكن لها كبير أثر في المعارك التي
دارت للسيطرة على البصرة وفي العقر • ونحن نعلم أن تميم العراق أخضعهم يزيد بن
المهلب أثناء اقتحامه البصرة • ويرى الشاعر أن التميميين ليسوا شهداء لأن الاسلام
لم يتعمق نفوسهم ، ولأنهم غير مبرورين عند اللئاء • أما القحطانيون فقد كانوا بعكس
التميميين ، فهم شجعان أشداء وهم ذاتهم الذين حسموا الموقف لصالح الأمويين يوم
العقر • وكان الشاعر رثي كتائب قحطانية شامية على يزيد بن المهلب القحطاني ،

١ - المصدر نفسه : ٥١

٢ - المصدر نفسه : ٥٦ - ٥٩

ورأى في هذا السلوك نخرا له .

وقد ردّ الفرزدق على الطرماح بقصيدة مطلعها (١) :-

لقد كنتك العبدُ الطرماحُ شترهُ وأصلى بنارِ قومهُ نتعلّت
ولا تخلدُ عن قصيدةِ الطرماحِ في شيءٍ ، فهي تقوم على دعامين : أولاً ،
الازراء على شيءٍ واليمن وتحقيرهم وسبهم والافداس في ذلك . وثانيهما ، الاختصار
بقوله وبأعمالهم . يقول (٢) :-

أَتَذْكُرُ أَنَّ الْأَزْدَ ؟ مَا أَنْتَ مِنْهُمْ	وَمَا لَكَيْتَ مَنَا عَمَانُ وَذَلِكَ
قَتَلْنَا نَحْمُ حَتَّى أَبْرَأَ شَرِيدَهُمْ	وَقَدْ سُبَيْتَ نَسْوَانَهُمْ رَأْسَهُ
نَسَيْتُمْ بَقْدَابِيلَ يَوْمًا مَذْكُورًا	شَهِيرًا وَقَتْلَى الْأَزْدَ بِالْقَاعِ بَرَّتْ
مَلْنَا عَلَى جُرْدِ الْبِخَالِ رُؤُوسَهُمْ	إِلَى الشَّامِ مِنْ أَقْصَى الْعِرَاقِ تَدَلَّتْ
وَكَمْ مِنْ رَئِيسٍ قَدْ قَتَلْنَاهُ رَاغِبًا	إِذَا الْحَرْبُ عَنْ رَوْقِ قَوَارِجِ عُسْرَتْ
بِمَعْتَرِكِ نَمْنُكَ بِهِ قَهْدُ الْقَتَا	وَصَحْنَا بِهِ أَقْدَامَنَا فَاسْتَقْسَرَتْ
تَرَكْنَا بِهِ عِنْدَ اللَّقَاءِ مَلَا دَمًا	عَلَيْهِمْ رِمَانًا بِالْأَنْيَا اسْتَحَرَّتْ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا بَنُ يُوْدَى زَكَاتُهُ	إِلَيْنَا وَمَعَطِ حِزْبِيَّ حِينَ مَلَّتْ

فروجه نهاية المهالبة ، بهذه الصورة من التشفي ، يدل على تمثّل الشاعر
لكفرة الصراع القبلي ، الذي يدلغى على كل شيء عنده . حتى على رابطة الدين حين
بين استلال سبائ المهالبة من النساء ، ونويحير الدنما . بيوم قنديل بالنمط الذي
اتبعه مع قرنه جرير في نقائضها ، ويستعمل المعاني نفسها تقريباً .

وقد استمرّ الشاعران يتقاذفان الاتجا في اللّاذعة . فيقول الفرزدق (٣) :-

لَقَدْ كَذَّبَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ شَقِوَةً	بَقَعْدَانِهَا أَعْرَارُنَا وَعَبِيدَهُمَا
يُرْوَمُونَ . قَالَ لِلْخَلِيفَةِ وَاضْحًا	شَدِيدًا وَأَسِيهَا بِطُولِ أَعْمُودِنَا
فَانْ تَهَبِّرَا فِينَا نَقَرُوا بِحَكْمِنَا	وَأَنْ عُدُّتُمْ فِيهَا فَسُوفَ نَعِيدُنَا

١ - ديوان الفرزدق : ١ / ١٣٥ .

٢ - المصدر نفسه : ١ / ١٣٥ - ١٣٦ .

٣ - المصدر نفسه : ١ / ١٨٧ - ١٨٨ .

لقد كان في آل المهلب عبرة
يقدمهم في السند سيث ابن أخوز
أسود لثاق من تميم تمت لهم
لعمري لقد عابوا الخلافة إذ سافوا
فما راعهم إلا كئيباً مبيناً
فما رآوا كمن قد كان مغالفاً قبلهم
أبت، مضر الحمراء إلا تكرمها
حتى يقول (١) :-

ومنا نبي الله يتلو كتابه
به د ردت أوثانها ربهودها

لقد استخرقت الشاعر النظرة القبلية • فهو يرى أن الرسالة المحمدية
تشكل دعماً للحلف المصري على اليمن ، بدليل أن النبي مضرى (٢) . وتهيبسن على
الشاعر المعاني الجاهلية في الفخر ويظهر أن الاغراق في المبالغة سمتها المميزة • وقد
يكون النظراً - رد عليه بهذه القبيدة (٣) :-

فلو كان يبكي القبر من لؤم شوه
أليست تميم يوم قتل عديتها
ودانت تميم للحتيك وأسلمت
تلقى تميماً شيعتها عند بابها
تميم تمنى الحرب ما لم تلاقها
ألدتم بني الحرب العوان زعمهم
نهبلاً منعتم بآركم وأميركم
بكت من تميم كل يوم قبورنا
تسير أعماها وتاه بهيرنا
تميم وأودى خنجرنا وزئيرنا
ذليلاً ويغذى بالهوان مخيرنا
وهم قبيح الصيدان في الحرب خورنا
ومن غيركم فتيانها وسقورنا
بأسيافكم والخيول تدمى نـورنا

١- المبرد نفسه : ١٨٩/١

٢- أكثر من ذلك ، الفرزدق • يقول :

أبي مـ بر منه الرسول الذي مدى
ديوان الفرزدق : ٣٨/٢

٣- ديوان الظرماء : ٢٥٤ - ٢٥٥

به الله من هبلى بخرب ومشرق

ولما رأيت بكر الحراق بن وائل وأزد عمان ضل عنها سجيئتها
رجت أن تنال النصف بالصلح بعدما أدار رحنى العوان مديرتها
يزيد غدا في عارض متألست في مكرته الصبا واستنصتته دبورتها

يفخر الظرماع على تميم واعرثا الفرزدق بما فعله المهالبة بوالي البصرة
المصرى عدى بن أرسطاة الفزاري ، الذي هزم واعتقل ومن ثم قتل^(١) ، وينعى الشاعر
على تميم ، موقفها المتخاذل إزاء عدى الفزاري المصرى ، وينعى عليها تهديداتها
ووعيدها بالحرب ما لم تنشب فإذا نذبت فلا وزن لها فيها ، وينعى عليهم كذلك
عدم حمايتهم لعدى خوفا من سيف بكر والأزد . وأخيرا يفخر بجيش يزيد بن المهلب .
وعكذا يرد الشاعر ما افتخر به الفرزدق الى نحره ، وبفخر الفرزدق ، الذي اعتز
بقبائل منير ، بحلف الأزد وربيعة . يقول الظرماع (٢) : -

وما انت ان قرما أمية أجهدا	نجوماً من الأزد ين بعد نجوم
بذى السرور نالهم أمية بعدما	منهم رماح الأزد كل حريم
أبعد غداة الأزد تدلح أن ترى	لقومك يوماً ثم غير ذميم
فان لا تكت حتى تحلك عينا عينا	ندن مثلها في عقر دار تميم
وقد ألجأتك الأزد يوم لقيتها	الى حسب يا ابن القيون لثيم

وعكذا نجد أن تنفذ المهالبة وسيطرتهم على مقاليد الأمور فترة طويلة
في شرف الدولة الإسلامية عامل فخر واعتزاز لليميني . كما كون جبهة معارضة لهم
ولسياساتهم تتألف من مجموع القبائل المضربة ، وقد بين الأدب ذلك . فالدارماح يهاجم
قبيلة الفرزدق مؤيها أن ما حصل للمهالبة لا يشرف تميما ، لأنها لم تمنح ذلك النصر
لامية ، ولأن المكسب الذي حقق استفادات منه قريش أما تميم فلا . وهو لا ينسى أن يبرق

١ - المحارف : ٣٦٤ ، مخطوط انساب الاشراف : ٢١٠، ٢٠٣ ، تاريخ اليعقوبي :
٣١٠/٢ ، تاريخ خليفته : ٣٢٨/١ ، التنبيه والأشراف : ٣٢٠-٣٢١ ، الطبري :
١٣٧٩/٦ - ١٣٨٠ ، ابن الأثير : ٧١/٥ - ٧٢ .
٢ - ديوان الظرماع : ٤٦٣ - ٤٦٤ .

ويرعد ، ويهدد ويتوعد تميماً بالثأر منهم للمهالبة ، نذكر لأنّها لم تدخّر جهداً فسي سبيل الجهاد. ثمرة المهالبة • والطرماح : نحن لا ينسى استغلال مثالب الفرزدق العامه ، التي استغلها جرير في نقائضه ، وهي رسمه بأنه قين ابن قين •

ولو أولنا اجراء تقصّ للمعاني التي طرحها الشاعران لوجدنا أنها قائمة على ركنين أساسيين : أولهما ، أن كلا الشاعرين يفخر بقومه ، ويعدد مآثرهم في الجاهلية والاسلام ويصفهم بصفات تقليدية واسلامية ، ويكشف مواقف قبيلته ، ويشيد برجالها ، ويذكر بأبرز أعمالها ، وبما أنهما واقعان تحت حكم بني أمية يحذران الاخلاص لهم من المناقب المديدة • وثانيهما ، أن الشاعرين لجأ الى تعقير قبيلة الخصم ، عن طريق تهميم معاييبها • فالتاعران يجمعان على أن قبيلة الخصم ، كافرة ، قليلة العدد ، عديمة التأثير في الأحداث ، غير أن الملاحظ أن الفرزدق يفدح في رده على الطرماح ، على حين أننا لا نعدّ في شعر الطرماح الموجه الى الفرزدق مثل هذا الافداس ، وان كان يذكر الفرزدق بجيشن وابن قين •

وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه شعراء النقائض في نقائضهما ، والمعروف أن الفرزدق هو أحد الذين لمحووا في هذا النوع من الشعر • أما الطرماح فقد عاش في البيئة العراقية ، التي كان فرسان النقائض يقيمون نقائضهم فيها • ومن هنا جاء التنبه بين العرب فيلما تبادلوا من قبائل الهذلاء •

ومكذا تتبدّى لنا العصبية في الشعر ، الذي قيل بسبب المهالبة ، وقد نستطيع تبين ثلاثة تيارات شعرية أولها شعر العصبية • أولها : شعر شعراء الأزدي ، وهم رهط المهلب الأقربون ، وقد وقف هؤلاء الشعراء في صف المهالبة أيام عزّهم ، مدافعين عنهم ، رادين خصومهم ، مقارعين عن «ياضهم» ، فآخرين بقبليتهم صراحة ، مستفيدين من قوة المهالبة وعلو مرتبتهم ، مشيدين بالمهالبة ، ناشرين مآثرهم ومآثر الأزدي • قال كعب الأشقر في مجلس الحجاج ، عندما أرسله المهلب ، ليعلن أمر انهاء الخوارج (١) —

وفي مواضع قبل اليوم قد سَلَفَتْ قد كان للأزد فيها الحمد والظافر
في كل يوم تلاقي الأزد مُفَضِّلَةً يشيب في ساعة من دولها المشعر
والأزد قومي خيار النار قد علموا إذا قروهم يوم الوغى خلسوا
فيهم معاقل من عزّ يلاذ بها يوما إذا شمرت حرب لها درر
حي بأسيا فهم يبغون مجد نعم ان المكارم في المكروه تبتدر

وهكذا وجد الشاعر في قيادة المهلب للناس في حرب الخوارج ، مادة للفخر
القبلي المستند على مركز المهلب ، ودوره الفعّال في القضاء على الخوارج . ويقول كعب (١) :-

لقومي الأزد في الغمرات أمسى وأونى ذمة وأعزّ حصارا
هم قادوا الجياد على وجاهل من الأملار يقذفن المهارا
بكل مفازة ويكل سَهْلًا بسنا بئر لا يرون لها منارا
ويقول (٢) :-

منائحنا السَّوَابِغُ والمذاكي ومن بالمصير يحتلب العشارا

والشاعر في فخره بدور قبيلته الهام في حرب الخوارج ، يطارق ناحية تتناسب
والحرب وهي افتخاره بتشجاعة أبناء قبيلته ، ودورهم المؤثر في ساحة المعركة ، نظرا
لما يتمتعون به من مزايا قيادية ، لم تتأتّ لغيرهم ، بحيث تركتهم فرسان المصير ، وجعلت
غيرهم ممن يسكنون المصير ، رعاة أمهات شاة ، وهكذا سما الشاعر عبقريته فوق التباثل
جميعا وميزهم عن سائر الناس . وقد ثبت الشاعر ثابت قنينة على ولائه للمهالبة وتوهم الأزد
مدافعا عنهم ، ناعيا قتلى المهالبة ، يقول في رثاء يزيد بن المهلب (٣) :-

وانّا لعداؤون بالحلم بعد ما نرى الجاهل من فرط اللثيم تكرّما

١- الأغاني : ٢٩٥/١٤ - ٢٩٦

٢- المصدر نفسه : ٢٩٦/١٤

٣- اللبدي : ١٤١٦/٩

وانا لدلّالون بالشعر لا نرى
نرى أن لدجيران حاجباً وسرمه
وانا لنقرى الضيف من قمح الذرى
وراحة بهيراد ملتجئ ليلسده
أبونا أبو الأنهار عمرو بن عامر
وقد كان في غسان مجدك يحده
به ساكننا إلا الخميس العرمما
إذا الناس لم يرعوا الذى الجار محرما
إذا كان رعد الرافدين تجشّما
على اللّذع أرمكا من الشهب صيما
ونهم ولد وا عونا وكعبا وأسلمما
وعادية كانت من المجد مصظما

فنكبة المهالبة لم تثبت عزيمة ثابتة ، وانما أوجعت الذقد في نفسة مولدت شعورا بالاعتداد القبلي بين جوانده . فالشاعر يفخر بقبيلته لتمييزها عن غيرها من القبائل ، فأبناء قبليته حلدا ، يفتخرون بحقوق الجار ، أصحاب ماض تليد ، وليس هذا ما يميزهم بل ان الذى يميزهم أنهم يتمتعون بهذه المناقب في الوقت الذى يتخلى غيرهم عنها .

وقد يكون افتخار الشاعر بأزد غسان والأنصار وغيرهم من قبائل الأزد دليلا على حرص الشاعر على أن يظل الأزديون متعددين أقباء ، عليهم يثارون للمهالبة ، الذين نكبهم الأمويون بمساعدة قبائل الحلف الآخر . أما موقف شعراء الأزد من حلفائهم الرعييين ، فأتت غالبا يسر ما يرونه في الرعييين من عبء ثقيل ، وان استعانوا بهم أحيانا ورأوا فيهم قوة مساندة .

أما التيار الثاني فهو تيار شعراء ربيعة ، الذين أشادوا بالمهالبة أحيانا ، ولكنهم على أى حال يحرصون على تصوير قبليتهم غالبا ، ان نرى نهار بن توسعة لا يجد بأسا في معاتبة يزيد بن المهلب عتابا شديدا ، حين تقدم الشاميين . ولا يجد بأسا أيضا في هجاء المهالبة والأزد عموما حين شعر أن ذلك ضرورى (١) .

أما التيار الثالث فهو تيار شعراء الحلف الآخر ، الذى شكّل شعراء تميم غالبتهم ، وبخاصة جرير والفرزدق . وقد وقف هؤلاء الشعراء غالبا موقف العداء من المهالبة ولعل سبب

ذلك يهود الى أن المهالبة، كانوا يكرمون أبناء قبيلتهم ويسمون بهم على سائر القبائل (١). وقد رأينا هؤلاء الشمراء يكبرون أعمال القادة التميميين الذين اسهموا في اباداة المهالبة، ويظهرون بمظاهر الأبطال، الذين أنجزوا انجازات تسمى بعلى غيرهم (٢).

ومكنا نجد أن القبلية، قد أثرت تأثيرا واسما في مواقف الشمراء.

١ — تاريخ الدولة العربية: ٦٥.

٢ — العصبية القبلية: ٦٠٤، شعر البصرة في العصر الاموي: ٢٢٢-٢٢٣.

الفصل الثالث

وقفه عند أعلام من شمرائهم

- ١ - ثابت قطنة المتكبر
- ٢ - كعب الأشقر
- ٣ - خمزة بن بدي
- ٤ - زيار الأعرج

أحاط بالمهالبة عدد كبير من الشعراء ، وقد اختلفت الأسباب التي دفعتهم إلى الاحاطة بهم ، باختلاف نوايا الشاعر ، وانتمائه القبلي أمّا أغلبية الشعراء فقد رأوا أن المهالبة سطعوا في أفق السياسة ، وأن لديهم بسبب ذلك الهبات الضخمة ، والأموال الكثيرة . وهؤلاء الشعراء يقصدون كل ذي مال ، يتفاعل بالأحداث تفاعلاً حاراً ، فقصده المهالبة في حدود طلب المال ، دون أن يكون في ذهنهم أن يتبنوا قضاياهم ولكنهم كانوا يقصدون الترويج لقضاياهم من وراء ألسنتهم . وقد يكون من بينهم من هجا المهالبة قبل أن يمدحهم ، كالفرزدق مثلاً ، ولكنه عندما رأى أنهم سادوا تزلف إليهم ، وامتدحهم لينال بعضاً من هباتهم ، ولكنه عندما قضى عليهم شمت بهم ، واقدع في هجائهم ، وقد نستطيع القول : أن معظم الشعراء الذين امتدحوا المهالبة كانوا على شاكله الفرزدق .

وقد اتصل بهم بعض الشعراء حباً بهم ، وتمصباً لهم ، وهم قلة . منهم مثلاً ثابت قطنة ، الذي تبنى قضايا المهالبة ، وأهتم بهم اهتماماً كاد أن يؤدي به ، وقد تجلّى إخلاصه لهم بعد نكبتهم . فرأهم وبكاهم . وقد حمل بعض الشعراء قضايا المهالبة ، ومعظمهم حملوها عصبية لهم ، وانتصاراً لقبليته في وجه القبائل الأخرى كالطرماح الذي رثى المهالبة ، وهجا الفرزدق التميمي عندما تشقّى بالمهالبة ، وفخر بدور قبيلته .

وهناك قسم آخر من شعراء المهالبة ، امتدحوهم غير أنهم لم يرثوهم ، ولا ذوا بالصمت . ولوذهم بالصمت ربما يكون دليلاً على حبهم لهم أو لمطاياهم ، وخوفهم من تنفّذ الأمويين وولايتهم ، الذين كانوا يحملون سياستهم ، ألا أن عدم وجود كثير من الشعراء في رثائهم ليس دليلاً على أنهم لم يرثوهم ، وقد يكون دليلاً على عدم تداول الناس لهذا الرثاء ، أو خوفهم من روائته ، أو خوف الشاعر من انتشار هذا الشعر حرصاً على نفسه .

ويلاحظ أن الذين هجوا المهالبة في حياتهم قليلون جداً ، ومعظمهم من الكتل القبليّة الأخرى . وقد يكون هدف الهجاء قبلياً أو شخصياً . إلا أن هؤلاء ان قيسوا بعدد من مدحهم لا يكادون يذكرون . وقد تداول المادحون والمهاجون معاني تقليدية . فهم كرماء ، شجعان ، أمنا ، منسيون أو المكس . وقد رصد الشعراء الذين اتصلوا بالمهالبة مسيرة المهالبة ، وعلاقاتهم السياسية والاجتماعية رصداً كشف لنا عن معالم شخصيتهم . ويلاحظ أن الشعراء تابعوا خطوات المهلب بشكل أدق بكثير مما تابعوا به خطوات أبنائه . وقد يكون السبب في ذلك عائداً إلى قدرات المهلب ، وتألفه في ضوء استئصاله خطر الخوارج ، الذي عجز غيره عن القيام به .

وقد ارتأينا أن نقف عند أربعة من شعراء المهالبة يمثل كل اثنين منهم اتجاههما ، إذ تيهتت ثابت قطنه وكعب الأشقرى قضايا المهالبة ، ودافعا عنهم أو تحملا في سبيل ذلك المتاعب . وإن كانت أبيات كعب في قتيبة والمهالبة ، تظل ملبسة ، غير واضحة ، إلا أن موته قبل أن يقضى على المهالبة يظل غافرا له عدم رثائه لهم . ويمثل زياد الأعجم وحمزة بن بيهض الاتجاه المادى ، الذى يسمى أصحابه للمادة ، ويتكسبون بشعرهم . وهذا ما سنكشف عنه .

أما السبب في اختياهم دون غيرهم ، فهو أن أشعارهم في المهالبة ، تشكل أغلبية شعرهم ، الذى عندنا . وقد يقول قائل : إن الفرزدق والطرماح لهما عدد من القصائد في المهالبة ، فلم لم تترجم لهم ؟ ونقول : إن هذين الشاعريين مدرسان دراسة واسعة فضلا عن أن نسبة شعرهما في المهالبة الى مجموع شعرهما قليلة ، زد عليه أنهما لم يسيرا مع المهالبة ، بل ظلّا في العراق ، على عكس ثابت أو كعب مثلا ، اللذين كانا يخوضان الممارك مع المهالبة ، ويرافقانهم في حلهم وترحالهم .

وقد ارتأينا أن نترجم للأربعة ترجمة وافية ، لنرى مدى ارتباطهم بقضايا المهالبة في شعرهم ، الذى قالوه في غير المهالبة ، ولنبين صدق دعوانا في كل شاعر منهم .

ثابت قطننة

=====

هو ثابت قطننة بن كعب المتكى (١) ، وينقل ابن خلكان شجرة نسبه عن ابن الكلبي في جمهرة النسب بأنه ((ثابت بن كعب بن جابر (٢) بن كعب بن كزمان ابن طرفة بن وهب بن مازن بن يمم بن الأسد بن الحارث بن المتكى بن الأسد بن عمران بن عمرو ومزيقيا بن عامر ما السماء (٣) ويكنى أبا الحلاء (٤) . ولقب بثابت قطننة لأن سهما أصابه في إحدى عينيه ، فذهب بها في إحدى مغاربه ضد الترك ، وكان يحشو عينه قطننا ، فلقب بذلك (٥) . وقد أجمعت جمهرة المصادر على أنه عتكي أزدي . وذكر صاحب الأغاني عبارة ((وقيل بل هو مولى لهم) (٦) . وقد انقسم الباحثون المحدثون الى قسمين ، قسم ذكر أنه مولى (٧) ، وقسم رجح أن أنه أزدي (٨) . ونحن نرى صواب ما تبناه الدكتور حسين عطوان بالنظر لما أجمعت عليه جمهرة المصادر ، ولأن صاحب الأغاني ذكر رواية الطعن في نسب ثابت بصيغة ضعيفة ((وقيل) (٩) . ونظرا لسيرة ثابت ، وتعصبه لقومه تعصبا جامعا كان أن يؤدى به ، ويضع عددا لحياته (٩) .

- ١- الطبرى : ١٤٨٠/٩ ، الاشتقاق : ٤٨٣ ، الأغاني : ٢٦٣/١٤ ، وفيهات الأعيان : ٣٠٨/٦ ، أمالي السيد المرتضى : ٦٨/٢ ، خزانة الأدب : ١٨٥/٤ ، الحماسة الشجرية : ٣٣٠/١ ، الحماسة البصرية : ٢٧٦/٩ ، المزهر : ٤٣٣/٢ ، شرح شواهد مغني اللبيب : ٨٩/١-٩٠ . يذكر صاحب شواهد المغني بأنه ثابت بن قطننة . انظر : ٨٩/١ ، ويرى ابو الفرج أنه ثابت بن كعب . ((وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب) (٩) . انظر : الاغاني : ٢٦٣/١٤ .
- ٢- ابن الأثير : ٨٩/٥ .
- ٣- وفيات الأعيان : ٣٠٨/٦ .
- ٤- الأغاني : ٢٦٣/١٤ ، الحماسة البصرية : ٢٠/١ ، خزانة الادب : ١٨٥/٤ ، شرح شواهد مغني اللبيب : ٨٩/١ .
- ٥- فتوح البلدان : ٤٢٩ ، الاشتقاق : ٤٨٣ ، الأغاني : ٢٦٣/١٤ ، وفيات الأعيان : ٣٠٨/٦ ، ابن الأثير : ٨٩/٥ ، خزانة الأدب : ١٨٥/٤ ، المزهر : ٤٣٣/٢ ، شرح شواهد المغني : ٩٠/١ .
- ٦- الأغاني : ٢٦٣/١٤ ، خزانة الأدب : ١٨٥/٤ .
- ٧- السيادة العربية ، فان فلوثن : ٦١ ، المصيبة القبلية : ٣٧٢ ، الفرق الاسلامية : ٧٢٤ .
- ٨- الشعر العربي بخراسان : ٢٣٧ .
- ٩- الأغاني : ٢٧١/١٤ .

وقد تكون رواية أنه مولى موضوعة من جانب المضربة للطعن في نسب ثابت الذي عرف بتعصبه ، ولماذا لا يلمنونه في نسبة كما لمعنوا في انتماء زعيم قبيلته المهلب ، حين أفل نجم المهالبة .

ولم تحدثنا المصادر التي بين أيدينا عن طفولة ثابت ، وإنما أظهرته فارسا من فرسان يزيد بن المهلب ، الذين كان يزيد يعتمد عليهم . وقد ذكر الطبري وصاحب الأغاني روايتين تتحدثان عن ثابت قبل المهالبة ، أولاهما : ذكرهما الطبري وتعود إلى سنة ٦٥ هـ ، حيث حاصر الترك قصر أسفاد () وفيه ناس من الأزد ، وهم أكثر من فيه () (١) . وقد تمكنت مجموعات من بني تميم من فك الحصار ، ومطاردة الترك . فقال ثابت قطنه (٢) :-

فدت نفسي فوارس من تميم	على ما كان من صَنك المقام
بقصر الباهلي وقد أراشي	أحامي حين قل به المحامي
بسيقي بعد كسر الرمح فيهم	أزودهم يذئ شطبي حسام
أكر عليهم اليموم كسرا	ككسر الشربزانية المدام
فلولا الله ليس له شريك	وضري قونس الطك الهمام
إذا فاطت نساء بني دثار	أمام الترك بادية الخدام

وما تفيد هذه الأبيات أن ثابتا كان أما من حوصروا في القصر ، أو من الأزد بين الذين بعث المحاصرون اليهم طالبين النجدة (٣) . وهذا يكشف عن النشأة العسكرية التي نشأها الشاعر ، وعن قدرته الفائقة ، التي أهلته لأن يقيم في المسالح الأمامية المواجهة للعدو ، ولا عجب فقد أثبتت سيرته أنه مقاتل شرس ، حتى آخر لحظة من حياته ، فكيف به الآن ، وهو في سن الشباب والاندفاع ؟ وتبين هذه الأبيات أيضا صلة ثابت قطنه الحكرة بخمرسان . ولعلها توضح أيضا أن ثابتا كرس جهده لمواجهة العدو الخارجي (الترك) ، وأنه لم ينخرط في جيش المهلب ، الذي كان يواجه الخوارج ، وأن كان المهلب قد استعان به في الرد على ابن الكواء الشكري (٤) ، أن لم تذكره المصادر مشاركا في حرب الخوارج .

- ١- الطبري : ٤٩٣/٧ .
- ٢- المصدر نفسه : ٤٩٤/٧ .
- ٣- المصدر نفسه : ٤٩٣/٧ .
- ٤- الأغاني : ٢٧٧/١٤ .

ويبدو أن ثابتاً كان مرموقاً ، لدى البلاط الأموي . ففي سنة ٥٧٨ هـ -
على الأرجح - يرسل رسالة يطمئن فيها على أمية بن عبد الله إلى عبد الملك
((فقرأها ، ثم عزله عن خراسان)) (١) . وعمل ثابت هذا يدل على اعتداده
بنفسه وشعوره بمركز قيادي ، وهذه الرواية - أن صحت - تدل على أن عبد الملك
ابن مروان يطمئن إلى صدق ثابت ونزاهته .

وعلاقة ثابت قطنية بالمهلب بن أبي صفرة - والي خراسان ، الذي خلف
أمية - غير متبلورة ، وقد عثمت المصادر عليها ، غير أن الدارس يستطيع أن يرى أنها
كانت وثيقة . فالمهلب يختار ثابتاً من بين الشعراء الذين كانوا عنده ، ويطلب منه
أن يرد على ابن الكواكبي (٢) . وما يدل على تقدير المهلب له ، أن ثابتاً
انتقد المهلب ، عندما ولي رجلاً اسمه وكيع عملاً . فقال (٣) :-

ما زال رأيك يا مهلب فاضلاً	حتى بنيت سرادقاً لوكيع
وجعلته رباً على أرباب	ورفعت عبداً كان غير رفيق
لورا أبوه سرادقاً أحدثته	لبكى وفاضت عينه بدموع

وقد احتمل له المهلب ذلك تقدير له . وعندما تولى إمارة خراسان
يزيد بن المهلب عظم منزلة ثابت ، وتحسن مركزه ، نظراً لأنه ابن قبيلته ، ولم
تمتع به من خصائص إدارية كشفت عنها التجربة . فقد كان يزيد ((يولييه أعمالاً من
أعمال الشفور ، فيحمد فيها مكانة لكفايته وشجاعته)) (٤) . وقد كان علي جانب من
الاحاطة بالأموال البغية ، إذ تقدم يزيد بن المهلب إلى ثابت قطنية ((أن ينصلي
بالناس يوم الجمعة)) (٥) ، ولكنه كصر على المنبر ، فقال (٦) :-

- ١- المصدر نفسه : ٢٨٢/١٤ .
- ٢- الاغانى : ٢٧٦-٢٧٧ .
- ٣- البيان والتبيين : ٥١/٤ - ٥٢ .
- ٤- الاغانى : ٢٦٣/١٤ ، خزائن الادب : ١٨٥/٤ .
- ٥- الاغانى : ٢٦٤/١٤ .
- ٦- الشعر والشعراء : ٤٠١ ، عيون الأخبار : ٢٥٧/٢ ، الاخبار الموفقيات :
٢٠٢ ، الاغانى : ٢٦٣/١٤ ، المقدم الفريد : ١٤٧/٤ ، وفيات الأعيان :
٣٨/٦ ، حماسة التبريزي : ٢٢٧/٢ ، شرح شواهد المغني : ١/١٠ ،
محاضرات الادباء : ١٣٧ .

فان لا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي اذا جدّ الوغى لخطيب

وعندما ولي قتيبة بن مسلم خراسان ، خفت صوت ثابت ، ولم يعد له ذكر ، حتى سنة ٩١ هـ ، عندما غدر بنيزك طرخان (١) ، فقال ثابت (٢) :
 لا تحسن الغدر حزمًا فرثما ترقى به الأقدام يوماً فزلت (٣)
 ضمن ثابت بيته هذا ، ما كان النار يتناقلونه بقولم : ((غدر قتيبة بنيزك)) ، وقد يكون ثابت وجّه هذا التحذير الى قتيبة من منطلق ديني ، فالدين يرفض الغدر ، والنكث بالعهد . وقد اثبتت سيرة ثابت أنه كان على جانب من الاحاطة بالامور الدينية . يقول ثابت : ((الدين عقلة الشريف)) (٤) . فغلا عن أنسه كان مطلعاً على ما كانت تتداوله الفرق الاسلامية من أمور دينية ، وانضم أخيراً الى المرجئة (٥) . هذا زيادة على أنه كان يصلي بالناس ، أحياناً (٦) ، ولا يصلي بالناس غالباً . إلا من كان على جانب من الاحاطة بالامور الدينية . وهكذا نرى أنه قد يكون وجه هذا التحذير الى قتيبة مدفوعاً بخلفية دينية ، مع أن ما أورده الدكتور حسين عطوان — من أن ثابتاً وجد ((الفرصة مهيأة لكي ينصحه نصحا مشوياً بالطمع عليه ، والهجاء له)) (٧) .

١ — يذكر الطبري رواية عن علي بن محمد : أن قتيبة خرج غازياً ، فغفّر ببلاد كثيرة ، وحصر أخوه عبد الرحمن بن مسلم بنيزك طرخان ، في كرز الحصينة المنيعة . وخاف قتيبة الداء فأرسل سليماً الناصح لاحتضار بنيزك بلا أمان ، أو بأمان ان لم يكن من ذلك بُدّ وطلب سليم حين توجه لتنفيذ تلك المهمة من عبد الرحمن أن يخرج خيلاً عند فم الشعب . تحول بين بنيزك وبين الشعب ، اذا خرج مع سليم ، وهذا ما حصل ، إلا أن بنيزكا خرج بأمان وأرسل قتيبة كتاباً الى الحجاج يستأذنه قتل بنيزك ، فأتاه الرد بمسند أربعين يوماً بالموافقة ، فقتله . انظر : الطبري : ١٢١٨/٨ — ١٢١٩ .

٢ — انطبري : ١٢٢٥/٨ .

٣ — المصدر نفسه : ١٢٢٥/٨ .

٤ — عيون الأخبار : ٢٥٤/١ .

٥ — الاغانى : ٢٦٩/١٤ — ٢٧٠ ، خزانة الادب : ١٨٦/٤ — ١٨٧ .

٦ — الاغانى : ٢٦٤/١٤ .

٧ — الشعر العربي بخراسان : ١٦١ .

((لكي ينفس عن حقه الدفين عليه)) (١) — يظل قويا • وقد يكون ثابت غاضبا على قتيبة بن مسلم لما مارسه ضد الصهابة والأزد (٢) . وقد انتهر فرصة هزيمة باهله ، فقال (٣) : —

توافقت تميم في السلطان وعمد
كما كفاه يرهب الناس بعد نسم
تسامون كعبا في الخلا وكلابها
بهيبة لما عانت معشرا غلبا
إذا ما مكثوا في الحرب تسبهم كبا
وهيهات أن تلقوا كلابا ولا كعبا

بهاجم ثابت باهلة ، وشيد بقائل تميم • ويبدو أن الشاعر عمل بنقله جديدة (٤) حين فعل ذلك ، قاصدا الايقاع بين قبائل الحلف المضري ، مستغلا سوء العلاقات التي كانت بين قيس و تميم ، نتيجة قتل قتيبة الأناثم ، واحتقاره وكبح بن أبي سود زعيم تميم في خراسان ، الذي حقد بدوره على قتيبة (٥) ، وترجم حركة الاطاحة به •

وكذا يتضح لنا أن ثابتا لم ينظر بعين الرضى الى قتيبة الباهلي ، أمير خراسان ، ووالي الحجاج ، الذي أسان الصهابة وأذلهم ، متحديا مشاعر الأزديين ، وقد استغل ثابت ثورة القبائل ، في وجه قتيبة ، ليظهر تشفيه وحقه عليه • يقول (٦) : —

ألم تر أن الباهلي ابن مسلم
تمور أسابي الدماء بوجهه
بفرغانة القسوى بدار هوان
وقد كان صعبا دائم الخطران

ولما عاد يزيد بن المهلب (٩٧هـ) الى ولاية خراسان مرة أخرى ، قرية حتى نعت بأنه ((شاعره)) • وقد أشاد ثابت به • فقال (٧) —
أبا خالد لم يبق بعدك سوقة
ولا ملك ممن يحين على الرشد

- ١ — الشعر العربي بخراسان : ١٧٠ •
- ٢ — هناك رواية — ان — تعتد — تبين سوء علاقات ثابت الشخصية بقتيبة • يقول صاحب الاغاني : ((أنبرني محمد بن خلف المربان ، قال : حدثني أبو بكر العامري قال : قال القحذمي : دخل ثابت قلعة على بعض أمراء خراسان — أظنه قتيبة بن مسلم — فمدحه ، وسأله حاجة فلم يقبلها)) • انظر الاغاني : ٢٨١ / ١٤ •
- ٣ — الاغاني : ٢٧٤ / ١٤ •
- ٤ — يرى الدكتور نعمان القاضي : أنه وقف هذا الموقف ، لأن تميما شكلت جبهة معارضة ضد قتيبة • انظر : الفرق الاسلامية : ٧٢٨ •
- ٥ — حين قتل قتيبة عددا من الأناثم لم ((يمل وكبح يومئذ الظاهر ولا العصر ولا المغرب • فقيل له : ألا تعلمي يا أبا المصنف ؟ فقال ما أصنع بالصلاة ، وقد قتل من بني الانثم من قتل لا ينضب لهم أحد لا من في الارض ولا من في السماء • انظر : نقائص جرير والفرزدق : ٣٥١ / ١ •
- ٦ — نقائص جرير والفرزدق : ٣٠٧ / ٦ •
- ٧ — الاغاني : ٢٨١ / ١٤ •

ولا فاعلك يرجو المقلون فضله
لو أن المنايا سامحت ذا حفيظسقة
ولا قائل ينكا العدو على حقد
لأكرمه أو عجن عنه على عمد
وقال (١) :-

أبا خالد زدت الحياة محبة إلى الناس إن كنت الأمير المتوجا
وحق لهم أن يرغبوا في حياتهم ربابك مستوح لمن خاف أو رجا
تريد الذي يرجو نذك تفضلا وتؤمن ذا الاجرام إن كان محرجا

وتد وقد ثابت مع يزيد بن المهلب من البداية في شورته (٢)، مؤيدا إياه ومعرضا له على النضي قدما في شورته ، ومدافعا عنه ، ناعيا على حلفائه تخاذلهم بوقلة حيلتهم مبينا أنهم في حلفهم ، يسكلون عبأ شقيلا يشقل كاسل الأزدي ، نسم يفرعون إلى الحلف ، ويتمسكون به ، أن شعروا أن في الحلف قوة لهم ، أو دعما لمواقفهم .
يقول (٣) :-

بكرأخذونا إذا نابته ناعية وليس منا إذا ما خوفه أمنا
اني لأرمي بنبلي من ورائهم وما أرى الأمر أشجانا لهم تمنجنا

أما عندما يشعرون أنهم في غنى عن الحلف ، أو أنهم في بحبوحة ، آمنون فلا يفكرون بالحلف ، ولا يهتمون به . وكذا صور الشاعر البكريين بصورة النفعيين المتسلقين واظهر الخسارة التي تتجملها الأزدي من هذا الحلف . وكذا يسمى الشاعر للتقليل من قيمة بكر ، ويرفع من قيمة قبيلة الأزدي .

بكى ثابت المهالبة ، ويزيد بالذات ، حين قتلوا ، مهددا ، متوعدا الامويين والقبائل التي شاركت في ذلك بالنارات المبيرة . ويذكر السيوطي : أن ثابتا كان مع يزيد ابن المهلب يوم الحقر (٤) ، غير أن ثابتا يقول غير ذلك (٥) :-

أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهدا تسليت أن لم يجمع الحي ماتما
وعدم حضوره وقعة الحقر شكّل عامل شجى عميق في نفس الشاعر . ينول (٦) :
ليوم عند ابيات أورت ذلّة قومي ويوم الحقر شيب مفرقسي

- ١- رسائل الجاحظ : ٨٣/٢ .
- ٢- الاغانى : ٢٧٧/١٤ - ٢٧٨ .
- ٣- حماسة البحترى : ١١٢ .
- ٤- شرح سواند مخني اللبيب : ٩٠/١ .
- ٥- الطبرى : ٩/ ١٤١٥ .
- ٦- مخطوط انساب الاشراف : ٢٢٧ .

يا هندُ ان أخاك صادق حقه
وتغيبت عنه الكماة وغالته
والدهر لا يبقى على حدثانه
كيف المزاء وقد أصيب ذوالحجبا مناً وأهل النائل المتدفق

ويبدو أن الشاعر مفيظ محقق ، آسف بمرارة على زعماء قومه ، الذين قتلوا يوم المقر وقتل أبيل ، وهو متوتر مضطرب ، واقع تحت تأثير الضمير ووجز الندم ، بعد أن أصيب زعماء قومه ، وقد أحاط الشاعر بأبعاد نكبة المهالبة ، فالذل أصبح قاب قوسين أو أدنى من قومه . الذين لم يتبينوا ذلك ، ولم يحضروا جميعاً وقعة المقر ، وقد نجى من ذلك استباحة ما لم يكن مستطاعاً استباحته أيام المهالبة . وهكذا يرى الشاعر أن عز قومه قد تلاشى بتلاشي سلطان المهالبة . وقال ثابت (١) :-

يا هندُ كيف بنصب يات يئبني
كأن ليلي والأصداء هاجدة
لما حنى الدهر من قوسي وعد رني
إذا ذكرت أبا غسان أرقني
كان المفضل عزافي ذوى يمن
غيثاً لدى أزمة غير شاتية
اني تذكرت قتلى لو شهدتهم
لا خير في العيش ان لم نجن بعد
لا خير في طمع يدي الى طبع
انار في الأرميين الجواب به
لا أكثر القول فيما ينهضون به
لا أركب الأمرتري بي عواقبه
لا يغلب الجبل حلمي عند مقدرة
كم من عدو رماني لو قصدت له

وعاثر في سوان العين يؤذيني
ليل السليم وأعيان يد اويني
شئني وقاسيت أمر الغلظ واللين
هم اذا عرس السارون يشجيني
وعصمة وثمالاً للمساكين
من السنين وماوى كل مسكين
في حومة الموت لم يصلوا بها دوني
هم حربا تبي بهم قتلى فتشفيني
وعفة من قليل العيش تكفيني
ولست انظر فيما ليس يعنيني
من الكلام قليل منه يكفيني
ولا يعاب به عرضي ولا ديني
ولا المضيئة من ذى الضغن تكفيني
لم يأخذ النصف منه حين يرميني

فثبت فاني في قضيتي ، مستشعر لخطيئة كبيرة ارتكبها حين لم يشارك

المهالبة في معركتهم ليشاركهم في مصيرهم (١).

وهكذا يتبدى لنا أن ثابت قطنة قد أخلص للمهالبة أحياء وأمواتاً ، وحمل قضاياهم ، وتمثل همومهم تمثلاً لم يشاركه فيه أي شاعر فمن اتصلوا بهم ، وقد كاد إخلاصه لهم أن يودي به ، فعندما ولي سعيد حُدَيْنة خراسان ((جلس يعرض الناس ، وعنده جُميد الرّواسي ، وعبادة المحاربي . فلما دعي بثابت قطنة تقدّم ، وكان ثامّ السلاح جواد الفرس ، فارساً من الفرسان ، فسأل عنه . فقيل : هذا ثابت قطنة . وهو أحد فرسان الثُغور ، فأمضاه ، وأجاز على اسمه ، فلما انصرف ، قال له حميد وعبادة : هذا أصلحك الله الذي يقول :

أنا لضرابون في حمس الوغى رأس الخليفة ان أراد صدودا
فقال سعيد : علي به . فردوه ، وهو يريد قتله . فلما أتاها قال له : أنت القاتل : أنا لضربون
في حمس الوغى ؟ قال : نعم أنا القاتل :

أنا لضرابون في حمس الوغى رأس المتوّح ان أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه ان رام افسادا وكرّ عنكودا

فقال له سعيد : أولى لك . لولا أنك خرجت منها ، لضربت عنقك (٢) . وقد تخلّص ثابت بذلك من هذا المأزق . وهذه الرواية تدل على ما جرّه حب المهالبة ، وإخلاصه لهم من صواب . وقد تعصّب ثابت لقبيلته وافتخربها . يقول (٣) :

وانّا لنعطى النصف ذا الحق ان غدا ضعيفاً ونلويه الأبيّ الفشمشما .

١- يبدو أن نكبة المهالبة قد ولدت شعوراً باليأس من الدنيا في نفس الشاعر . يقول :

أصبحت لا المال في الدنيا يطاوعني لكنه كيف ما قلبت يمصيني
وكم طعمت فما حصلت من طممي غير العناء وقولي ليس يرضيني
لا خير في طمع يدعو الى طمع وخير في كفا من قوام العيش تكفيني
وما اشتريت بما لي قط محسنة الا تيقنت أني غير مغبون
وما دعيت الى مجد ومكرمة الا أجيء اليه من يناديني
كم عدوّ رمانى لو قصدت لــــه لم يأخذ النصف مني حين يرميني

انظر : الحماسة البصرية : ٢٦/٢ - ٢٧ . وانظر المصدر نفسه : ٢٠/١ .

٢- الاغانى : ٢٧١/١٤ .

٣- حماسة البحتري : ٢٤٢ .

ولا نخذل المولى وان كان ظالماً ونهدي له عذراً وان كان ألوماً

وقد عذف عن التمرض لقبيلته ، حتى عندما كانت تقصر ازاؤه ولا تنهض بما يطلبه منها . فعندما استنصرها في مأزق وقع به ، لم تنصره . قال (١) : —

تمقفت عن شتم المشيرة انني وجدتك أهي عفاً عن شتمها قبلي
حليماً اذا ما الحلم كان مروءةً وأجهل أحياناً اذا التمسوا جهلي

وعندما قتل جثهم بن زحر الجعفي في العذاب . قال ثابت (٢) : —

أتذهب أياي ولم أسق ترفلاً وأشياعه الكأس الذي صحو أجهما
ولم يقرها السعدى عمرو بن مالك فيشعب من حوض المنايا لها قسما

فهو يهدد قطة جهم ، ويتوعدهم ، كما تهدد قتله المهبالية وتوعدهم ، ويبدو أن تهديداته لم تكن لديها القوة التي تنفذها أو تدعها . ولعل ما نجم عن نكبة المهبالية من تشرد للأزلة ، ومما ردة لأعيانها ، كان السبب في عدم إيجاد قوة تضرب بسيف ثابت . أو لعل تهديدات ثابت صدرت عن شخص موتور ، أى أنها دعوة ذاتية ، لم يشركه فيها إلا قلة لا حول لها ولا طول . وهذا الموقف من الشاعر يدل على أنه تمثل هموم قبيلته وزعمائها ، وصدر عنها في شعره .

لم يترك ثابت خراسان بعد أن انقضى نفوذ المهبالية ، إذ يشارك مشاركة فعالة سنة ١٠٢ هـ في انقاذ المحاصرين من المسلمين في قصر الباهلي . وقد

١- الأغاني : ٢٨١/١٤ لمباب الآداب : ٣٨٢ .

٢- أنساب الاشراف : ١٦٢/٥ .

يقول البلاذري : (وفي أيام خديعة قتل جثهم بن زحر بن قيس الجعفي ، سعى به اليه ترفل ، وهو عبيد الله بن عبد الحميد بن عبد الكريم بن عامر — كزير ، الذي قتله أبو مسلم بخراسان . وسعى بعدة معه من اليمانية ، وقال : انهم قد ولوا يزيد بن المهلب ، وعندهم أموال قد احتججوها واختانوها وسماهم له . فأرسل اليهم ، فحبسهم في قهندر مرو فليل له : انهم لا يؤثرون بالحبس دون البسط عليهم ، فأمر باحضار جهم ، فجيء به على حمار ، فقام اليه الفيض ابن عمران ، فوجأ أنفه . فقال له جهم : يا فاسق ، هلاً فعلت هذا حين في الخمر ، فغضب سعيد على جهم . وقال : اتجترى علي أن تكلم بهكذا الكلام بحضرتي ؟ وحمل عليه ، فضربه مئتي سوط ، فكبر أهل السوق ، ثم دفع جهما وأولئك اليمانية الى الزبير بن نسيط ، مولى باهلة ، ليستأديهم ، فمذبذبهم ، فمات جهم في الحبس) . انظر : أنساب الاشراف : ١٦٢/٥ .

تولّى قيادة ميسرة تلك القوة ، التي اتجهت بقيادة المسيب بن بشر الرياحي وقاتل،
ثابت قتالا شرسا في تلك المعركة ، وكان فيمن ترجل عندما أحرق العدو بهم ، وضرب
واحدا من عظماء الترك ، وقد نجحت القوة في تحقيق أهدافها (١) . فقال ثابت (٢) : -

فَدَّتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ	غداة الرّوغ في ضنك المّقام
فَدَّتْ نَفْسِي فَوَارِسَ اكْتَفُونِي	على الأعداء في رَهَج القتّام
بقصر الباهلي وقد رأوني	أحامي حين ضن به الصّامي
بسيّفي بعد تحطّم الرمح قدّما	أزودهم يذى شطّاب حُمام
أكرّ عليهم اليموم كـرّا	ككّر الشرب أنية المّدام
أكرّبه لدى الفخرات حتى	تجلّت لا يضيق بها مقامي
فلولا الله ليس له شريك	وضربي قونس الملك الهّمام
إذا لسمت نساء بني يثّار	أما التّرك بادية الخّدام
فمن مثل المسيّب في تميم	أبي بشر كقادة الحمّام

ويعترف الشاعر بدور التميميين في هذه الغارة ، التي ضمت عددا من خيرة
فرسان تميم (٣) ، كما يثني على المسيب الذي طلب - أثناء - توجيهه لفك الحصار عن
عن القصر - ممن لا يرغب في الاستماتة في القتال العودة (٤) . إلا أن ثابتا خصص
قسما كبيرا من مقطوعته للافتخار بنفسه ، والاشادة بموقفه في ساحة المعركة ، موضحا
اجادته لضروب القتال ، وبشجّة الأسلحة المتوفرة لديه ، ومبيناً دوره الساطع في
انقاذ المسلمين من السبي والأسر ، وقد شهد له الرواة بدور مشرف (٥) .

وفي سنة ١٠٤ هـ ، أنزل سعيد الحرشي بأهل حُجّنده ، اثر غدرهم ، واستمراض
زعيمهم كازرنج عددا من المسلمين ، فقال ثابت قطنة ببيتين ضمنهما أسما زعماء الترك
الذين قتلهم سعيد (٦) : -

أقرّ العين مصرع كازرنج وكشّين (٧) وما لا قى بيار

-
- ١- الطبري : ٩ / ١٤٢٠ - ١٤٢٧ .
 - ٢- الطبري : ٩ / ١٤٢٦ - ١٤٢٦ ، ابن الأثير : ٥ / ٩٤ .
 - ٣- الطبري : ٩ / ١٤٢٢ .
 - ٤- ابن الأثير : ٥ / ٩٢ .
 - ٥- الطبري : ٩ / ١٤٢٠ - ١٤٢٧ ، ابن الأثير : ٥ / ٩٣ .
 - ٦- الطبري : ٩ / ١٤٤٦ ، ابن الأثير : ٥ / ١٠٩ .
 - ٧- ويروي كشكيس .

ودىوا شى (١) ومبما لا قى جُلنَج (٢) بحصن حَجَنَدَ اذ د مروا فباروا

وفي سنة ١٠٧هـ، امتدى أسد القسرى الى خطة حربية جديدة ، مكنته من غنيمة أموال كثيرة ، وسلب أسلاب ضخمة ، فقد عمد أهل الفور الى أثقالهم ووضعوها في كهف منيع ، شائك المسالك ، وعرا الطرق ، لا سبيل اليه . فقام أسد باحضار توابيت ، ووضع بها رجالا ، وعلّقها بسلاسل ، ودلّاها الى الكهف ، فنزل الرجال منها ، وسلبوا ما قدروا عليه (٣) . فقال ثابت (٤) :

أوى أسداً تضمنَ سَفَطَمَاتِ	تهيها الطوك ذوو الحجاب
سما بالخيل في أكناف مرو	وتوفّهن بين هلا وهساب
الى غورين حيث حوى أرب	وصك بالسيوف وبالحراب
هدانا الله بالقتلى تراها	مصلبة بأفواه الشعباب
ملاحم لم تدع لسراق كلب	مهاجرة ولا لبنى كلاب
فاوردّها النّهاب وآب منها	بأفضل ما يصاب من النّهاب
وكان اذا أناخ بدار قسوم	أراها المخزيات من المذاب
ألم يزر الجبال جبال مملع	ترى من دونها قطع السّحاب
بأرعن لم يدع لهم شريد	وعاقبها المص من العقاب

يفخر ثابت قطنه الأزدي اليميني بأسد بن عبد الله الأسدي اليميني . ويؤوّه بأعماله ، مفضلاً إياه على غيره من المتنفذين والحكام ، مفاخره به كلبا وكلا با ، وكأن الشاعر يفضلّه على ساداتهم . ويمجّد الشاعر أسداً مبيناً أن طريقه التي يسير فيها لا يضل فيها انسان لأن أسداً وضع عليها شواخص ، وتتمثل هذه الشواخص في الدمار والخراب والقتلى ، الذين أصابهم جيش أسد في مسيرته عبر منطقة عطياته بد ١٠ من مرو وانتهاه بنفوسهم . والشاعر يرى أن أسداً ليس طارثاً على ميدان القتال . بل هو عريق معروف يشهد له ماضيه ، ومعاركه التي خاضها قبل ذلك . وهكذا نرى أن الشاعر مهتد بذلك ليخلص الى أن نتيجة معارك أسد ، كانت مشرفة ، وذات مردود اقتصادي جيد على الاقليم والجند . نتساءل : ما السبب الذي دفع ثابتاً الى هذا الوصف المثير ؟ هل وقف ذلك عصبية لآسد ، الذى تعصّب لليمانية تعصبا شديداً فأدى بحكمه

- ١- واسمه د هواشنج .
- ٢- هو ابن أخ كازرنج .
- ٣- الطبرى : ١٤٨٩/٩ .
- ٤- المصدر نفسه : ١٤٨٩/٩ .

(١) وسلطته الى الانهيار ؟ أم هل وقف ذلك الموقف استشعاراً منه للعلاقات الطيبة التي كانت تربطه بالدا القسري وأخاه أسدا بالمهالبة ؟ فقد قدرهما المهالبة ، وسعوا لمنح تنفيذ قرار قطع يد خالد القسري . وقد دخل خالد الجميل ، ففراه يقتل عمر الأسيدي ، كما يرى ذلك الفرزدق انتقاماً لهم ، وأخذوا بثأرهم . وبالتالي وجد ثابت في ابني قسري القوة التي تأخذ بثأر المهالبة ، وتضع على عاتقها تنفيذ تهديداته لقتلة المهالبة . قال ثابت عندما غزا أسد بن عبدالله غورين سنة ١٠٩ هـ (٢) -

وأرى أسداً في الحرب إذ نزلت به تناول أرض السبل خاقان رداءه أنتك وفؤد الترك ما بين كابل فما يخمر الأعداء من ليل غابسة ألم يك في الحصن المبارك عصمة بنى لك عبدالله حصناً ورثته	وتأرع أهل الحرب فاز وأوجبوا فحرق ما استعصى عليه وخربوا وغورين إذ لم يهزبوا منك مبردا أبي ضاربات حره فحرقوه فحرقوا لجندك إذ هاب الجبان وأرتبا قدماً إذا عُدَّ القديم وأنجبا
---	---

ويظهر أن الشاعر لم يهج بتمجيد أسد لأنه حقق متغصلاً للقبائل اليمنية التوسعية عيض جناحها ، وأذلت ، وأنزلت منزلة المردول المحتقر عقب نكبة المهالبة . فلا غرابسة ان وجدنا ثابتاً يهلل لفتوح أسد . فقد صمت فترة طويلة ، اجتر فيها الالم وتحمل الاذى .

ويبدو أن أسدا لم يكن راضياً عن سلوك ثابت وتعريفاته جميعها ، ويستدل على ذلك من أن أسدا وجه عيسى بن شداد البرجمي ((في وجهه ، وجهه على ثابت)) (٣) فقال ثابت (٤) : -

أرى كل قوم يحرضون أبادهم أني وجدت أبي أباك فلا تكن أرمي بسهمي من رماك بسهمه أسد بن عبدالله جلل عفو	وأيو بجيلة بينهم يتذبذب ألبا علي مع الحد وتجليب وعيد من عاديته غير مكذب أنا الذنوب قذية من لم يذنب ؟
---	---

- ١- المهد رنفسه : ١٤٩٧/٩
- ٢- المهد رنفسه : ١٤٩٦/٩ - ١٤٩٧
- ٣- المهد رنفسه : ١٥٠٣/٩
- ٤- المهد رنفسه : ١٥٠٣/٩

والبرجمي هو اللئيم المعقوب
يأتي سكيناً خاملاً في المركب
تبعاً لعبد من تميم محقوب

اجعلتني للبرجمي حقيبة
عبد اذ استبق الكرام رأيت
اني أعوذ بقبر كرز أن أرى

والملاحظ من لهجة الشاعر في هذه الأبيات ، أن حدة ثابت وعنته في توجيه الخطاب قد خفت . فما السبب ؟ يبدو أن نكبة المهالبة قد حشت من قوس ثابت ، علاوة على أنه كان يتعصب — غالباً — في إطار رسته الأديني . ولم يكن يتعصب على نطاق اليمن عامة . وقد يكون هذا الموقف آثار حفيظة أسد عليه ، فضلاً عن أن الشاعر كان في خريف العمر أو في أخريات أيامه . وقضية العمر قد يكون لها أثر في ذلك .

وفي سنة ١١٠ هـ ، انضم ثابت إلى مطلب أهل سمرقند العادل ، الذين طلبوا برفع الخراج عنهم ، لأنهم أسلموا . وسالوا بمعاملتهم بناءً على ذلك ، معاملة غيرهم من المسلمين . ولما رفض أشروس بن عبد الله السلمي ألا أخذ الخراج منهم ، رغم إسلامهم (١) ، كان ثابت من أوائل الذين سارعوا إلى رفض هذا الاجراء في عدد من الفقهاء ، وقد كشف عن ذلك بقوله مادحا نصر بن سيار ، حين أحسن إليه (٢) .

دوني الحشيرة واستبطأت أنماري
البا علي رث الدبل من جاري
به علي ولا دنست أطمساري
حقاً علي ولا قارفت من عمار

ناضلت عني نضال الحرّاذ فمّرت
وسار كل صديق كنت أملكه
وما تلبست بالامر الذي وقفتوا
ولا عصيت أماً كان طاعته

فهو يبين أنه قد تامل في سبيل ذلك الأذى والسجن والتعذيب (٣) ، وتكبر الأدل والحشيرة . والسؤال الآن . ما السبب الذي دفع ثابتاً إلى تأييد حركتهم ؟ نل نسير في ركب الذين رجحوا أنه مولى (٤) أم نسايج فان فلوتن في ان ثابتا كان زعيما من زعماء الموالى (٥) رجحنا أن ثابتاً أزدى ، وليس مولى للأزد . وهكذا ينتفي لدينا هذا الاعتدال . قد يكون ثابت انطلق من حدود ثقافته الدينية . وقلنا انه كان على جانب من الاحاطة بالامور الدينية ، جعلته يتخذ لنفسه موقفاً ثابتاً في ضوء التيارات الكثيرة التي كانت تمر بها الساحة . والمسلم البسيط يشتر أنهم على حق وثابت لم يكن العربي الوحيد ، الذي أزر الموالى في تمردهم ذاك ، وشاركه غير واحد من أبناء

١- المصدر نفسه : ١٥٠٧/٩ - ١٥١٢ .

٢- المصدر نفسه : ١٥١١/٩ - ١٥١٢ .

٣- فتوح البلدان : ٤٢٩ .

٤- الفرق الاسلامية : ٧٢٤ ، العصية القبلية : ٣٧٢ .

٥- السيادة العربية : ٦١ .

القبائل^(١) وقد نستطيع ارجاع موقفه ذلك الى أن ثابتاً فوجي* بعزل أسد القسري ، وتولي
أشهر السلمي ، فأثر الانضمام الى جبهة معارضة للوالي الجديد التي وضع نفسه فيها
منذ أن اختطف ايدى المنون زعماء المفضلين المهالبة .

غير أن الشاعر — وان كان في مجال الاعتراف بالجميل ، الذي أسداه نصر بن سيار
له — لا ينسى أن يفخر بنفسه ، وشيد بقبليته ، وزكاه فرعه . يقول^(٢) —

اني وان كنت من جذم الذي نصرت
منه الفروع وزندي الثاقب الواري

وفي سنة ١١٠ هـ ، غزا أشروس ، ونزل آمل ، وأخرج ((ثابت قطنه ، بكفالة عبدالله
ابن بسلام بن مسعود بن عمرو ، فوجهه مع عبدالله بن بسطام في الخيل ، فاتبعوا الترك
فقاتلواهم بآمل ، حتى استنقذوا ما بأيديهم^(٣))) وأخرج ثابت من سجنه ليخوض المعركة
معناه أن قادة المسلمين عرفوا مكانة ثابت وقد راته العسكرية ، التي لم تتأت لغيره ،
ولذا أخرجوه من السجن ، ولكنهم مع ذلك أخذوا عليه ضماناً وكفالة وهذا يدل على أنهم
كانوا يحسبون له حساباً . وقد قاتل ثابت بضراوة في هذه المعركة التي كاد المسلمون أن
يفنوا بها ، نظراً لشدة عطشهم . ونجد أن ثابتاً يهرب مثلاً راعياً في الشجاعة والتضحية ،
اذ يقول لأصحابه : ((أنا أعلم بقتال هؤلاء القوم منكم^(٤))) وينقل لنا ابن أبي الحديد
أن الناصر اشتد عطشهم وعظم كربهم . فقال ثابت . ((والله لا ينظر الي بنو أمية غداً ،
مشدوداً في الحديد ، أطلب النداء ، اللهم ان كنت ضيف ابن بسطام الباردة ، فاجعلني
ضيفك الليلة . ثم حمل معه جماعة ، فكسرتهم الترك . فرجع أصحابه ، وثبت هو ،
فرمي برذنه ، فشب وضربه ، فأقدم . فصرع ثابت وارتث . فقال : اللهم انك استجبت دعوتي ،
وأنا الآن ضيفك . فاجعل قرأى الجنة . فنزل تركي ، فأجهز عليه^(٥))) وهكذا كانت
نهاية ثابت فقد بدأ حياته فارساً ، وقضى نحبه فارساً شجاعاً ، يقود الفرسان ، ويوجههم ،
ولا يتراجع ان يتراجعوا .

- ١- كان معهم ((رفيع بن عمران التميمي ، والقاسم الشيباني ، وأبو فاطمة الأزدي ، وشمر
ابن حنبل مزارعي)) . انظر : الطبري : ١٥٠٨/٩ .
- ٢- الطبري : ١٥١١/٩ .
- ٣- المصدر نفسه : ١٥١٢/٩ . وانظر بشأن الكفالة : فتوح البلدان : ٤٢٩ .
- ٤- الطبري : ١٥١٤/٩ ، ابن الأثير : ١٥٠/٥ .
- ٥- شرح نهج البلاغة : ٢٩١/٣ ، ابن الأثير : ١٥٠/٥ .

وشعر ثابت الشخصي ، الذي يكشف عن علاقته الشخصية بالآخرين قليل جداً ، لا يتمكن الباحث من تبين معالم شخصية ثابت من خلاله فلم يبق لدينا من شعرة الشخصية إلا متطوعات قليلة . فقد بقيت لنا عدة أبيات تكشف عن علاقته بحاجب بن ذبيان ، ويبدو أن علاقتهما ساءت بسبب قسوة مدحية ، نظمها حاجب في يزيد بن المهلب ، أشعرت ثابتاً أن حاجباً لم يأت لمدح ، بل ليستعطي ويفخر ، فجابه حاجباً بقوله ((. . . مدحت الأمير ببيتين وسألته حوائجك في عشرة أبيات ، وختمت شعرك ببيت تفخر عليه به))^(١) . وكان ثابتاً نذر نفسه لحمل موم المهالبة حتى في مجالسهم ، وهكذا كان حبه للمهالبة سبباً وجيهاً في استنار نار الهجاء بينهما ، فافتم حاجب فرصة حصر ثابت على المنبر . فقال (١) : -

أبا العلاء لقد لقيت معضلة أما القرآن فلم تخلق لمحكمه لما رمتك عيون الناس هبتهم تلوى اللسان وقد رمت الكلام به وقال حاجب (٢) -	يوم القيامة من كرب وتفرق ولم تسدد من الدنيا لتوفيق فكدت تشرق لما حمت بالريق كما هوى زلق من شاطئ النيق
---	--

نقضي الأمور ويكر غير شاعدها ما يعرف الناس منه غير قطنته	بين المجاديف والسكان مشغول وما سوانا من آباء مجهول^(٤)
--	---

استقر حاجب ثابتاً حين أتاه من مكان يحز عليه ، أو يتمثله ويثور لأجله فهو يطحنه بأبيه بحار عريق ، مجهول النسب ، مخمور الحسب ، لا يعرف إلا بعاذته ، وقد رد عليه ثابت بقوله (٥) -

أحاجب لولا أن أصلك زيف	وانك مطبوع على اللؤم والكفر
-------------------------------	------------------------------------

- ١ - الاغاني : ٢٦٦/١٤
- ٢ - الاغاني : ٢٦٤/١٤ ، الطبري : ١٤٨٥-١٤٨٦ ، أمالي السيد المرتضى : ٢١/٤ ، رفيات الأعيان : ٣٠٨/٦ ، خزائن الأدب : ١٨٥/٤
- ٣ - الاغاني : ٢٦٨-٢٦٩ ، الطبري : ١٤٨٠/٩ ، الشعر والشعراء : ٤٠٠ ، خزائن الأدب : ١٨٥/٤
- ٤ - ومثال : ان هذا البيت ، كان ثابت قد نذمه ، وتكهن بأنه سيمجي به ، فلما هجاه حاجب به ، قال ثابت :
- هيهات ذلك بيت قد سبقته
فاطلب له ثانياً يا حاجب الفيل
انظر : الاغاني : ٢٦٨/١٤ ، خزائن الأدب : ١٨٥/٤
- ٥ - الاغاني : ٢٦٧/١٤ - ٢٦٨

رميتك رميا لا يبيد يد الدهر
بمثلك هل في مازن لك من ظهر؟
أبوك من الفر الجحاحدة الزهر
ولكنها لا شك وافية المظفر
سأ كرم نفسي عن سبا برد وى الهجر

واني لو أكثرت فيك متهمس
فقل لي ولا تكذب ناني عالم
فانك منهم غير شك ولم يكن
أبرك ديا في وأمك حشرة
فلمست بهاج ابن ذ بيان انني

وقد يكون حاجب بن ذ بيان أحسن باعتماد ثابت على نفوذ المصالبة ، فرد عليه
رداً عم فيه الهجاء على التحطائيين ، وتجننى عليهم جميعاً . يقول (١) —

تتح ولا تقرب مصاولة البزل
من أبناء قحطان العفا شلة الخزل
أذل على وطء الهوان من النعل
وحيرانهم نهب الفوارس والرجل

دعوني وقحطاناً وتولوا لثابت
فللنزع خير حين تنسب والداً
أناس إذا الهيجا شبت رأيتهم
نساءهم فومئى لمن كان عادراً

وما دعو موجود من شعر حاجب وثابت لا يحطينا أكثر من ذلك ، ولا يميظ اللثام
لنا أكثر من مسيرة الهجاء المتبادل بينهما . غير أن الملاحظ أن ثابتاً هو الذى تسبب
في ذلك . وقد تراشق الشعاران المعناني ذاتهما ، وتركزت في معظمها حول الطعن المتبادل
في النسب والقبيلة . وقد رأينا أن ثابتاً أطلق تلك الشارة ، التي أضرمت نار الهجاء حبا ،
منه للمصالبة ، ودرسا على مصالحيهم ، ورغبة في كسر حدة مخاضهم .

وقد هجا ثابت محمد بن مالك بن بدر الهمداني ، الذى لم يحفل به ، ولم يكرمه حين
مر بالمدينة التي كان محمد أميرها (٢) وشجارا وبيته حين أفشى أبياته التي هجا فيها بأهله (٣)
كما هجا جوير بن سعيد المحدث ، الذى وسطه لخطبة امرأة ، فخطبها جوير لنفسه . (٤)

١— المصدر نفسه : ٢٦٨ / ١٤

٢— المصدر نفسه : ٢٧٢ / ١٤

٣— المصدر نفسه : ٢٧٤ / ١٤

٤— المصدر نفسه : ٢٧٨ / ١٤ — ٢٧٩

وثابت في رجائه لهؤلاء الثلاثة يلجأ الى تكرار معان تقليدية في الهجاء ،
تتعلق بالنسب والنحل ، وعدم حفظ السر . وغيرها من المعاني التي تتفق وطبيعة المهجو ،
والمخالفة التي ارتكبها بحته .

وقد ترك لنا قصيدة في الارجاء ، وقد يكون ثابت اعتنق مذهب الارجاء عقب نكبة
المهالبة ، مطاردة الأزد . ومعروف أن المرجئة ترجي^(١) أمر صاحب الكبيرة الى ربه ولا
يحكمون عليه^(٢) كما يفعل الخوارج مثلاً . ومعروف كذلك أن المهالبة نكبوا ، ودعسا
ثابت دعوات صريحه وقويه الى الأخذ بثأرهم ، وببذره أنه رأى أن الأخذ بثأرهم على
المدى القريب أمر صعب جداً ، ولذا أجل الانتقام لهم . أولعله رأى أن المهالبة
ظلموا ، وأرجأ أمر ظالمهم الى الله . فهل يكون فناء الشاعر في حب المهالبة هو
الذي دفعه الى اعتناق مذهب المرجئة دون غيره من المبادئ ، اذا تبين أن نفسية
ثابت ثائرة ولا تتناسب وتعاليم الارجاء . وقد نستطيع دعوى جهة نظرنا هذه بالرجوع
الى ان الشاعر وجه خطابه الى المدعوة (هند) ، وهي التي كان يوجه خطابه اليها
في قصائده التي بكا فيها المهالبة^(٣) . وقد تكون هند بنت المهلب^(٤) يقول^(٥) : -

ولا أرى الأمر إلا مدبرا نكدا
الآن يكتن يومنا هذا فقد أفدا
جوارح قتلى كراما جاوروا أحدا
أن نعبك الله لم نشرك به أحدا
نصدق القول فيمن جار او عدا
والمشركون امتوا دينهم قسدا
م الناس شركا اذا ما وحدوا الصدا
سفك الدماء طريقا واحدا جددا
أجر التقى اذا وفى الحساب غدا
رد وما يقض من شيء يكن رشدا

يا هند اني أظن العير قد نفذ
اني رهينة يوم لست سابتك
بايعت ربي بيعاً أن وفيت به
يا هند فاستمعي لي ان سيرتنا
ترجي الأمور اذا كانت مشبهة
المسلمون على الإسلام كلهم
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحدا
لا نسفك الدماء إلا أن يراد بنا
من يتقى الله في الدنيا فان له
وما قضى الله من أمر فليس له

- ١- الملل والنحل ، النهرستاني : ١ / ١٣٩ .
- ٢- الطبري : ٩ / ١٤١٤ - ١٤١٥ ، الاغانى : ١٤ / ٢٧٥ ، أمالي الزجاجي : ١٣٠ .
- ٣- الاغانى : ١٤ / ٢٧٦ .
- ٤- الاغانى : ١٤ / ٢٦٩ - ٢٧٠ ، خزانة الادب : ٤ / ١٨٦ - ١٨٧ .

كل الخوارج مخطئ في مقالته
أما علي وعثمان فانهم
وكان بينهما شغب وقد شهدا
يهرز علي وعثمان بسمعيهما
الله يعلم ماذا يحضران به
ولو تميدّ فيما قال واجتهدا
عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا
شقّ العصا وبمين الله ما شهدا
ولست أدري بحق أيتسمة وردا
وكل عبد سيلقى الله منفسردا
وهكذا ضمنّ قصيدته كثيرا من تعاليم المرجئة (١) .

وأخيرا فاننا ندرك أنه قد يصح لنا القول : أن ثابت قطنة كان شاعر
المهالبة ، الذي لم يسع للاشراء من وراءه علاقته بهم ، أولا انتهاز الفرصة لتحقيق
مكسب شخصي ، بل اخترم المهالبة ، وقدّهم عصية لهم ، وقد وفى لهم ، وتحمل
في سبيل ذلك ، ألا زدى وضحك الميش والسجن .

-
- ١- انظر : فجر الاسلام : ٢٨٢ ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي : ٨٥ ،
التطور والتجديد : ٧٦-٧٧ ، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى
عصر بني امية ، نلينو : ٢٥٤-٢٥٦ ، أدب السياسة في العصر الاموي ،
أحمد الحوفي : ٢٤٥ .

كعب الأشقرى

هو كعب بن معدان الأشقرى^(١) ويذكر صاحب سمط اللالي بأنه يكنى أبا مالك^(٢). والأشقر أحدى قبائل الأزدي^(٣) فهو أشقرى أزدي. وأمه من عبد القيس^(٤) وهذا يدل على أنه عربي صليبية غير مطعون في نسبة من جهة الأب، وغير مطعون في نسبته من ناحية الأم. وإن كان هو غير راغب أن يكون العبد يون أخواله. يقول^(٥):-

اني وإن كنتُ فرجَ الأزدي قد علّموا أخزي إذا قيلَ عبدُ القيسِ أخوالي

فهو متّحرج من كون شؤولته في عبد القيس، ولذا لم يتعرج من الطعن عليهم، وسبهم حين لجّ التهاجي بينه وبين زياد الأعجم.

أما نشأة الشاعر فمجهولة، غير أنه قد يمكننا تحديد مولده من خلال أحد أبياته التي نظمها ضمن اعتذاريته الى يزيد بن المهلب. يقول^(٦):-

أفنيّتُ خمسين عاماً في مديحك ثم اغتررتُ بقول الظالم العادي

والفترة الزمنية التي برز فيها المهالبة، لا تساوي خمسين عاماً حتى سنة ٨٥هـ وبقي السنة التي نحي المهالبة فيها عن الحكم. وهذا يجعلنا نخرج بنتيجة أن عمر الشاعر

١- أجمعت المصادر على أنه أشقرى. انظر: الطبري: ٤٩٣/٧، الاشتقاق: ٥٠١،

جمهرة اللغة: ٣٤٦/٢، الاغانى: ٢٨٣/١٤، جمهرة انساب العرب: ٣٨١،

شرح نهج البلاغة: ٢١٩/٤-٢٢٠، اللباب في تهذيب الانساب: ٦٥/١،

الدماسة البصرية: ٣٤٥/٢-٣٤٦، ابن الاثير: ٤٩٩/٤، معجم البلدان:

١٦٨/٣، ٢٨٦/٤، سمط اللالي: ٥٨٨/١-٥٨٩، نهاية الارب: ٤٠٤/١.

٢- سمط اللالي: ٥٨٩/١.

٣- الطبري: ١٠٠٨/٨، الاغانى: ٢٨٤/١٤. ((والأشقر هو: سعد بن مالك بن

عمرو بن مالك بن فهم)) انظر: الاشتقاق: ٥٠١، جمهرة اللغة: ٣٤٦/٢.

الاشاقر: ((هم ولد سعد بن عائد بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم))

انظر جمهرة انساب العرب: ٣٨١. والأشقر: ((واسمه سعد بن عائد بن

مالك بن عمرو بن وائل بن عمرو بن مالك بن فهم الأزدي. وانما قيل له أشقر

لأنه كان أشقر اللون)) انظر: اللباب في تهذيب الانساب:

٦٥/١.

٤- الاغانى: ٢٨٤/١٤.

٥- المصدر نفسه: ٢٨٨/١٤.

٦- المصدر نفسه: ٢٩٢/١٤.

كله حين أفل نجم المهالبة (٨٥هـ) كان خمسين عاما ، وعليه نستطيع القول أنه ولد في حدود سنة ١٢٥هـ . وفي هذه الاثناء كان كثير من الأزديين قد استوطنوا البصرة ، وبذا يدفعنا الى الاعتقاد أنه ولد في البصرة ونشأ وترعرع بها ^(١) وبدعم هذا الاعتقاد احاطة الشاعر احاطة قد تكون تامة بأحوال البصرة ، وظروف الناس بها ، وموقفهم من الخوارج قبل المهلب وهذا ما كشف عنه في مطولته ^(٢) . ولعل أول حادث اقترن ذكر كعب الاشقرى به . هو تغليب الحامرين سنة ١٦٥هـ في قصر اسفاد ، الذي قال كعب فيه ^(٣) : -

أناك أناك الخوئ في برق عارض أبو أن يكفوا حشوا ما تجمع القرى ورزقهم من راحات تزيئها	دروع وبيض حشوهن تميم فضمهم يوم اللقاء تميم فروع عريضا العواصر كوم
---	--

يشيد كعب في أبياته تلك بموقف التميميين ، ويبدو أنه أشاد بهم اعترافا منه بجميلهم . فقد انتقدوا الحامرين ، الذين كان أغلبهم من الأزد . وقد يكون موقف الشاعر هذا طبيعيا ، ولا يدعو للغرابة أو الدهشة بالنظر لتعصبه الذي سيدمخ أحواله وتصرفاته فيما بعد . ففي هذه الفترة لم يكن المهالبة قد بلوروا لأنفسهم موقفا ثابتا ، أو قل : لم يظهروا قوة ذات زخم مادي . ربما أن كعبا ارتبط تعصبه بالمهالبة ، فلا غرابه من موقفه ذلك ، زد عليه أن التميميين والأزديين وغيرهم من القبائل ، كانوا ينسبون التعصب ويتجاوزون العقد القبلية عندما يتعرضون لخزوة أو لحرب من جانب أعدائهم .

ويبدو أن كعبا سار في ركب المهلب ، وحارب معه الخوارج ، وأخلص له ، وتاجم أعداءه ، حتى لقد هاجم الحجاج ، حقه ، وأزرى به ازراء أثار حفيظة الحجاج ، وجعله يستدعيه . يقول : ^(٤)

ان ابن يوسف غره من غزوكم لو شاد الله فغن حين تلاقيا من ارض سابور الجنود وجلسنا	حفص المقام بجانب الامبار ضائق عليه رحبة الاقطار مثل القداح برتيبها بشفار
---	---

- ١- الشعر العربي بخراسان : ٢٦١ .
- ٢- الطبري : ١٠١٠/٨ - ١٠١١ .
- ٣- المصدر نفسه : ٤٩٣/٧ - ٤٩٤ .
- ٤- الاغانى : ٢٩١/١٤ .

وقَّعَ الخطباءُ معَ القنا الخطَّارِ
أزْمانَ كانَ محالْفَ الاقتارِ
وعليكِ كُلُّ خريدةٍ مُخطَّارِ

من كلِّ خنْذِيذٍ يرى بلبانه
ورأى معاودةَ الرِّجَاعِ غنيمَةً
فدعَ الحروبَ لشبيبها وشبابها

ولكن المهلب استنقده باستيهاة أياه من عبد الملك بن مروان ، ومن خلال ما دار بين الحجاج وكعب ، نلمح حرص كعب على تنظيم المهلب ، وتضخيم المهمة التي يقوم بها ، وصعوبتها . يقول : ((والله لو ددتني بعض ما شأنته في تلك الحروب وأزانتها وما يوردنا المهلب من خطرنا ، أن أنجو منها ، وأكون حجاجا أو حاكما^(١) . وهكذا خاطر الشاعر بنفسه في سبيل المهالبة . وهذا الموقف يدل على أن الشاعر كان يباشر القتال بنفسه ، ويرى صعوبته ، وهذا أيضا يبين صحة ما يفقه به المؤرخون ، بأنه فارس شهير من فرسان المهلب السعد ودين^(٢) .

أخلص كعب للمهالبة ، وتعصب لهم ، متبينا أهتمامهم في تحسين وضعه الاقتصادي ، فهو يطالحننا في مقدمة مطولته بطلب صريح . يقول : -

أها سعيد فاني جئتُ منتجعاً
أرجو نوالك لما مسني الضرُّ
ولعلَّ نذا يظهرنا على فرق كبير بينه وبين ثابت ، اذ يكاد الباحث لا يهتجر على مثل هذه النخمة في شعر ثابت ، بينما يجدوها في غير موضع من شعر كعب في المهالبة وهذا يبين لنا أن كعبا لم يتصل بالمهالبة عصبية لهم فقط - بالرغم من أنه أكثر من قال فيهم - بل لقد كان للمال دور كبير في اتصاله بهم .

وقد تابع كعب أعمال المهالبة ، ورصدها رسدا دقيقا ، وبخاصة حرب الخوارج ، وقد تكون دقة الشاعر في وصف الأحداث ، دليلا على مشاركة كعب في هذه الأحداث . والذي يقرأ شعر كعب يكاد أن يستطلع ما قام به المهالبة ، ويكون تصورا - ربما - يغنيه عما ذكره المؤرخون . فهو يستعرض أوضاع الناس قبل مجيء المهلب ، حيث سيطر عليهم الخوف والرعب ، وتملكهم القلق والفقر ، وما ان تسلم المهلب زمام الأمور حتى خاض مجموعة منارك على مدى عدة سنوات ، كان الفوز - غالبا - حليفا له . وكانت الدماء مظهر هذه المحارك المميز لها ، والقتلى والجرحى كانوا كثيرين دائما في معاركه ، حتى مكّن الله له الامر . والشاعر في خلال ذلك لا ينسى أن ينيو بالمهلب ، فهو القائد المنتظر ، الذي

١ - المصدر نفسه : ٢٩٢/١٤ .

٢ - المصدر نفسه : ٢٨٣/١٤ - ٢٨٤ - سهيل اللالي : ٥٨٨/١ - ٥٨٩ .

٣ - الطبري : ١٠٠٩/٨ .

جنىل الامر ترجح لصالح الامويين . وهو القائد المكث الخبير بأمر الحرب ، السذي يوجهها بعناية ولا ينسى أن يحتاط ، ويسلح جيشه بأسلحة الحرب اللازمة . والشاعر يلح على صفة الكرم والشجاعة اللتين تهماّن المقاتل . وعندما مات المهلب ، تابع الشاعر مواقف أبنائه حتى سنة ٨٥ هـ (١) . وتدخل أحيانا في سياستهم منتقدا بعض مواقفهم وبخاصة تصرفاتهم المؤيدة لحلفائهم . فقد انتقدنا ، وهاجم الربيعيين وبعض قبائل اليمن أحيانا (٢)

ويبدو أن كعبا لم يوفر قدراته في سبيل الاشادة بالمهالبة ، والتنويه بهم . فقد أرسله المهلب لما انتهى أمر الخوارج يحمل بشارة النصر ، وسأله الحجاج : ((فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : حنة للحريم نمارا ، وفرسان بالليل أيقاظا . قال : فأين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العيان . قال صفهم رجلا رجلا . قال : الصغيرة فارسهم وسيدتهم ، نار ذاكية ، وصعدة عالية . وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبحرجم العباب . وجوادهم قبيصة ، ليث المغار ، وحامي الذمار . ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك . فكيف لا يفر من الموت الحاضر والاسد العاذر . وعبد الملك سم ناقح وسيف قاطع . وحبيب الموت الذعاف ، انما هو طود شامخ ، وفخر باذخ . وأبو عيينة البطل الهمام والسيف الحسام . وكفاك بالمفضل نبهه ، ليث عمار وبحر موار . ومحمد ليث غاب ، وحسام ضرب . قال : فأيهم أفضل ؟ قال : نعم كالحلقة المفرقة لا يحرف طرفاها . قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال ، أدركوا ما رجوا وأمنوا فما سافوا ، وأرضاهم العدل ، وأغناهم النمل . قال : كيف رضاهم عن المهلب ؟ قال : أحسن رضا . وكيف لا يكونون كذلك ، وهم لا يخدمون منه رضا الوالد ، ولا يعدم منهم بر الولد (٣) . وهذه المحاورة الباردة التي دارت بين كعب وبين الحجاج تبين مدى اخلاص الشاعر للمهالبة ، وفنائه في قضايائهم ، وتمثله لمفاتيحهم ، وحرصه على ما يندبون .

- ١- راجع نسوبا شعرية لكعب - لا نذكرها تجنباً للتكرار - في : معجم الشعراء : ٢٣٦ - ٢٣٧ ، الحيوان : ٤٢٨/٦ ، الطبرى : ١٠٠٨/٨ - ١٠١٧ ، ١٠٧٩/٨ - ١٠٨٠ ، ١١٢٩/٨ - ١١٣٠ ، ١١٤٤/٨ - ١١٤٥ ، الاغانى : ٢٨٣/١٤ - ٢٨٦ ، ٢٨٦/١٤ - ٢٩٠/١٤ ، ٢٩١/١٤ - ٢٩٣/١٤ ، شرح نهج البلاغة : ٢١٤/٤ - ٢٢٠ ، ابن الاثير : ٢٩٩/٤ ، معجم البلدان : ١٣٠/٢ ، ١٦٨/٣ ، ٢٨٦/٤ .
- ٢- الاغانى : ٢٩٠/١٤ ، ٢٩٤ ، الطبرى : ١١٢٩/٨ - ١١٣١ ، ١١٤٤ - ١١٤٥ .
- ٣- الاغانى : ٢٨٥/١٤ ، شرح نهج البلاغة : ٢١٥/٤ - ٢١٦ ، ابن الاثير : ٤٤٠/٤ - ٤٤١ ، زهر الاداب : ٨٠٦/٣ - ٨٠٧ ، شرح المقامات الحبرية : ٣١١/٢ ، سمط اللبى : ٥٨٩/١ - ٥٩٠ ، نهاية الرب : ٢٢١/٣ .

وتكشف هذه المحاورة أيضا عن موهبة كعب ، واجادته لفنون الكلام ، وحسن المدخل وروعة المخرج . وهذا يثبت ما تناقله بعض المؤرخين من أنه كان خطيبا السى جانب كونه شاعرا (١).

غير أن موقف كعب من المهالبة في ولاية قتيبة بن مسلم يظل محيرا ، فقد عثرت على مقطوعته وقصيدة له في هذه الفترة ، أما المقطوعة ففيها طعن على قتيبة — واشادة بالمهالبة ، وهي التي تتعلق بقتل قتيبة للأهاتم . يقول (٢) —

قل للأهاتم من يعودُ بفضلة	بعد المفضل والأغر يزيد
ردا صحائف حثفكم بمعاذير	رجعت أشأتم طيركم بسعود
ردا على الحجاج فيكم أميرة	فجزيتم احسانه بجحود
فاليوم فاعتبروا فعأل أخيكس	ان القياس لجاعل ورشيد

فكعب غاضب على الأهاتم ، الذين وتبعوا في المهالبة ، بالرغم من أنهم حققوا دماءهم بعد أن كان الحجاج أصدر أمره لابن المهلب بقتلهم . وهكذا نرى أنه نظم هذه المقطوعة حرصا منه على أن يبين للتمييز الفرق البائن بين المهالبة ، الذي كانوا يقدرون الناس — كما يقول — وبين قتيبة الذي يلتزم بحرفية قرارات الحجاج . وهذا الموقف بحد ذاته فيه اشادة بالمهالبة ، وغض من قيمة قتيبة . أما القصيدة فقد نظمها في سنة ٩٣هـ عندما فتح قتيبة مدينة خوارزم فيل ، التي مطلعها (٣) : —
رمتك فيل بما فيها وما ظلمت
ورامها قبلك الفجاجة المني

وقد أرى الشاعر في هذه المقطوعة على المهالبة ، ومجده قتيبة (٤) . ولكن ، ما

- ١ — الاغاني : ٢٨٣/١٤ ، سمند اللآلي : ٥٨٨/١ — ٥٨٩ .
كانت معاني كعب وقصائد جيدة ، حتى لقد لفتت نظر عبد الملك بن مروان الأموي ، والمنصور العباسي . انظر : معجم الشعراء : ٢٣٦ — ٢٣٧ ، شرح نهج البلاغة : ٢١٦/٤ ، شرح المقامات الحزيرية : ٣١١/٢ — ٣١٢ .
- ٢ — الاغاني : ٢٩٤/١٤ .
- ٣ — فتوح البلدان : ٤٢١ ، الطبري : ١٢٣٩/٨ — ١٢٤٠ ، الروزي المعطار : ٢٢٥ .
- ٤ — هذه مقشورة نسبت الى كعب الأشقرى أو لرجل من جحفي يقول :
كل يوم يحوي قتيبة شها
باندلي قد البس التاج حتى
دوخ الصغد بالكتائب حتى
فوليد يبكي لفقد أبيه
انظر : ابن الاثير : ٥٥٧٥/٤ .

هذا الانحراف في سلوك كعب الاشقرى ؟ هل تخلى كعب عن المهالبة ؟ قد تكون منطوقته التي نظمها في مقتل الالهاتم قريبة العهد بالمهالبة ، فما زال تأثيرهم واقعاً على الشاعر ، ولذا آثر أن يمجّد هم . أما قصيدته في فتح فيل فقد قيلت سنة ٩٣ هـ ، وهذا يعني أنه مضى على حكم قتيبة ثمانى سنوات . وقد يكون ذلك ولّد شعوراً في نفس الشاعر أن نجم المهالبة قد أفل الى الأبد . وان نجم القيسيين ومؤيديهم قد سطع أيضاً في ظل خلافة الوليد بن عبد الملك ، الذى حاول تنصيب ابنه عبد العزيز ولياً للعهد بدلا من سليمان بن عبد الملك ، وعلى ذلك فقد يكون كعب أحس أن نفوذهم سيطول . وهذا كله مع انقطاع أموال المهالبة عنه . وقد أصبح قتيبة هو الذى يدهوى الأموال ، ولذا رأى أن يتزلف اليه ، ويبين إخلاصه له ، وحسن نيته ، ورغبته في صحبته عن طريق اقذاعه في هجاء أعدائه ، وأهم مدّحي كعب في فترة سابقة .

ولما عاد المهالبة الى ولاية خراسان سنة ٩٧ هـ ، أدرك كعب أن ما ارتكبته بحق المهالبة ، لا يحتمله المهالبة له ، ولا يغفره ، فهو في نظرهم عاق لهم ، ناكسر لجميلهم ، ناكث بعهدهم ، تغيير نظر . وهو عندهم ليس أى شاعر ، بالنظر الى سابق علاقاته بهم ، ولأنه ابن قبيلتهم . وقد ترك كعب مروا ميمما عمان على طريق الطبسيين . وقال (١) -

الى الطبسيين محتام عمانا
فكنّا أهل شروتها زمانسا

واني تارك مروا ورائسي
لاوى محقلاً فيها وجرزا

فكعب يعلن أنه لم يترك مروا عن طيب خاطر ، وإنما ليبحث عن ملجأ يأوى اليه . ونلاحظ من خلال هذين البيتين أن نبرة الشاعر قوية غير مشعرة بالانكسار ، ولكن هذه النغمة تخفّرت . يقول (٢) -

دحرّ الحج بطارفي وتلادى
ححرّاً قد أذن أدله بهمداد
والفقر بعد كرامة ومهاد
وتعبير بهجة ما ترى لنفاذ

يا قوم غيرني وأذهب قوتي
فكأنما في المال نازكاً بشرت
كبر ووتجّحوادث نزلت بنا
تفتال كل مؤجل أيامه

تسيطر على هذه الابيات مسحة تشاؤمية ، فقد تبدلت حاله ، وأصبح الفقر ميسمه ، بعد أن ذهب ماله ، ولم يبق معه شيء . وما يزيد في لوعة الشاعر أن هذا الوضع أعقب

١ - الاغاني : ١٤ / ٢٦٢ .

٢ - حماسة البحتري : ٢٣٥ .

وضحا كان الشاعر يحسد عليه ، وقد نجم هذا الوضع عن تشرده وتخفيه لثلا تحتجته «بائل
ابن المهلب ، وعن انقطاع الاموال التي كانت تنصب في جيبه من عطايا الأمراء وبخاصة
المهالبة ، الذي حصل عندهم منزلة رفيعة فضلا عن فقده لسطائه الذي كان يأخذه .
وهكذا وقع الشاعر بين واقع مؤلم ونفسية نادمة وقد حاول الشاعر استدراك الوضع ، فأرسل
رسالة شهرية يتعطف فيها ابن المهلب . يقول (١) :-

بشر التبذل من مرو وساكنها	أرض عمان وسكنى تحت أطواد
يضحى السحاب من أيراد ون منصفها	كان أجبالها عكست بفرصاد
يا لهف نفسي على امرئ خالكت به	وما شفيت به غمري وأحقادي
أفنيت خمسين عاما في مدحك	ثم اغتررت بقول الظالم السادي
أبلغ يزيد قرين الجود مألوكه	بأن كعباً أسير بين اصفاد
فان عفوت فبيك الجود بيتكم	والدمر طوران من غي وارشاد
وان مننت به بفتح أو سمحت به	نزعتن حوك أظنايي واورثادي

والشاعر يعترف أنه خدع ، وهذا معناه أنه شجا، المهالبة تحت تأثير ذلك الخداع
ومعنى هذا أيضا أنه مجاهم عمدا غير مكره . ويبدو أن الشاعر لم يجد من يوفر له الحماية
والامن والاستقرار النفسي في ظل خلافة سليمان بن عبد الملك ، الذي أكرم المهالبة ،
وأطلق أيديهم في شؤون الدولة . وهذا يجعلنا نظن أن الشاعر لم يوجه اعتذاره نادما ،
بل حرصا على مصالحة المادية التي نددت ، وجبا في ألا يتعرض له المهالبة بمكروه ،
في ضوء غياب قوة تحميه ، غير أنه أعفق في تحقيق ذلك . ويبدو أن أحوال الشاعر ساءت
على طول ، حتى بعد رد المهالبة الى السجن في خلافة عمر بن عبد العزيز . يقول (٢) :-

ان كنت تهف ظما يليك فانما	عمال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعوله	حتى تجلد بالسيوف رقاب
بأكف منصليتين أهل بماء	في قشعرهم مازجر وعقاب
هلا ترمين ذكرت بشخورها	حزم وأحلام هناك رغاب
لولا قريش نصرها ودفاعها	ألفيت منقطعا بي الاسباب

١- الاغاني : ١٤ / ٢٩٢ .

٢- البيان والتبيين : ٣ / ٣٥٨ - ٣٥٩ .

يستمر كعيب في شرح وضعه المتردي ، الذي نجم عن جفوة المهالبة لـه ،
 ووضع هذا — فيما يبدو — لن يعود لسابق عهده بالنظر لسياسة عمر بن عبد العزيز
 المالية ، ولكن كعيبا رغم ذلك معترف لقريش بدورهما المهم ، الذي ساعده على ألا تنقطع
 به الأسباب وكأنه يشير إلى أنه بفضل القرشيين سلم من غضبة المهالبة . وإشادة الشاعر
 بقريش تدل على أن حبه للمهالبة ، وتحصيه للآزد قد عطف .

والشاعر في مقطوعته هذه يبين أن اصلاحات عمر لم تؤت أكلها لأن الولاة لم
 ينفذوها ، وإنما سحوا لما فيه صالحهم ، وما يحقق لهم المكاسب . وقد يكون هذا مسوغا
 لتسميته لهم بـ (الذئاب) ، كما قد يكون مسوغا لطلبة من عمر أخذهم بالشدة والعنف .
 ولمثل هذه المقطوعة قيمة اجتماعية واقتصادية تدل على تدور أحوال الرعية وفقدهم من
 أجل اشراء عدد من الناس الجشعين .

وعندما أعلن المهالبة تمردهم ، دسّ المهالبة ابن أخي كعب ، فقتله ،
 مستغلا عداوته الشخصية له ، ومدفوعا كذلك بما وعده به المهالبة من مال مقابل قتله (١)
 وهذا الموضع حثبه المهالبة ، ومهاجمته لهم لآدمه . ولم تجد اعتذاراته ، ولم ينفعه
 ندمه فتبلا .

أما علاقة كعب بالشعراء فيبدو أنها كانت طيبة ، حتى لقد أشاد الفرزدق
 به ، ومدحه (٢) ، إلا أن كعبا هارث زيدا الأعجم ، واستطار الهجاء بينهما ، بسبب
 حرب دارت بين الآزد وعبد القيس ، حدّأها المهلب ، وتحمل الديات (٣) ويبدو أن كعبا

١ — دجا كعب ابن أخيه ، معيرا إياه بأن أمه سوداء . يقول :
 ان السواد الذي سريت تعرفه
 أشبهت خالك خال اللوم مؤتسيا
 ميراث جدك عن آباءه النوب
 بهذيه سالكا في شر أسلوب
 انظر : الاغانى : ٢٩٨ / ١٤ .

٢ — يذكر أبو الفرج باسناده روايتين . الأولى يقول الفرزدق بها : ((شعراء الاسلام أربعة :
 أنا ، وجريز ، والاخلط وكعب الأشقرى)) . الاغانى : ٢٨٣ / ١٤ . والثانية يرد فيها
 على المتلمس الذي يقول : ((قلت للفرزدق : يا أبا فراس ، أشعرت أنه قد نبغ من
 عمان شاعر من الآزد ، يقال له كعب ؟ فقال الفرزدق : أي والذي خلق الشعر)) .
 الاغانى : ٢٨٣ / ١٤ .

٣ — الاغانى : ٢٨٧ / ١٤ .

هو الذي بدأ بالتعرض للعبدين انتصارا لقبيلته ، وكعب لم يتعرض لهم في هذه المرة فقط ، بل تعرض لهم في غيرها (١) قال كعب في هجاء عبد القيس (٢) —

اني وان كنتُ فرع الأزد قد علموا أخزي اذا قيل عبد القيس أخوالي
فهم أبو مالك بالمجد شرفني ودنس العبد عبد القيس سريالسي

وهكذا نرى أن الدافع الأول الذي جعل كعبا يشترك بزياد دافع قبلي ، منطلق من مصلحة قبيلته وحب لزعمائها . أشار هذا الشعر حفيظة زياد (٣) فقال يرد عليه (٤) —

نبئت أشقر تهجونا فقلت لهم ما كنت أمدسهم كانوا ولا خلقوا
لا يكثرون وان طالت حيا تسهم ولو يبول عليهم شطب غرقوا
قوم من الحسب الأدنى بمنزلة كالققع بالقاع لا أصل ولا ورق
ان الأشاقر قد أصبحوا بمنزلة لو يردنون بنعلي عبدنا غلقوا
وقال (٥) —

قبيلة خيرها شرها وأصدقها الكاذب الأثم
وضيفهم وسط أبياتهم وان لم يكن صائما مائما

وهذه المعاني الهجائية ، توجي بتأثر زياد ، تأثرا شديدا بهجاء كعب ، كما تدل على سلاطة لسان الشاعر . زياد يجردهم مما كان الضربي يعتز به . فهم اشرار ،

١ — الاغاني : ٢٩٠ / ١٤ .

٢ — المصدر نفسه : ٢٨٧ / ١٤ .

٣ — عندما بلغ هجاء زياد . قال : ((يا عجا للعبد بن العبد بن الحيتان والسرطان :: يقول هذا في عبد القيس وهو يعلم موضعي فيهم ؟ والله لأدعنه ، وقومه غرضا لكل لسان)) . انظر : الاغاني : ٢٨٨ / ١٤ .

٤ — الاغاني : ٢٨٨ / ١٤ ، العقد الفريد : ٣٠١ / ٥ ، ديوان المصنفي : ١٧٧ / ١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٠٣ / ٥ ، الحماسة البصرية : ٢٦٨ / ٢ — ٢٦٩ ، الفرائد الخوالي : ١٨٢ / ٣ .

٥ — الشعر والشعراء : ٢٥٩ ، الاغاني : ٣٩٣ / ١٥ ، العقد الفريد : ٣٠٢ / ٥ .

يهيمن الشر عليهم ، طارئون على كل شيء • وقد هاجم زياد كعبا مهاجمة شخصية بقوله (١) -

ألا قل لكعب الأشرى بلومكم علمنا بأن اللوم في الأرض أشقر
بيوتك أشباه البيوت وأهلها غنازير أنباط تحاف وتقذر
توا سوا بذبح الكلب ان جرسوته لهم طارقا والريح ككباء صرصر
فما ترك الكلب النباح مخافسة على زادهم لكن على النفس يحذر
وقال (٢) -

إذا عذب الله الرجال بشعرهم أمنت لكعب أن يعذب بالشعر
وهكذا نجد ان زيادا ما زال يهجو كعبا ، ويمسره قطه الأدنين ، دون أن
يعمم • وقد رد كعب بقوله (٣) -

شوى عامين في الجيف اللواتي مطرحة على باب الفصيل
أحب الي من ظل وكبر لعبد القيس في أصل الفصيل
إذا ثار الفساء بهم تخنوا ألم ترع على الد من المثل
تظل لها ضبايات علينا موانح من مبيت أو مقيل

والذي ينظر الى شعر الشاعرين يلحظ البون الشاسح بينهما ، والفرق البائن
لصالح زياد الأعجم ، غير أنه ليس هذا فقط ، الذي استثار زيادا ، وان الذي استثاره كما
صرح بذلك للمهلب • قول كعب (٤) -

لعل عبيد القيس تدسب أنها كتخلي في يوم الحفيظة أو بكر
يضعض عبد القيس في الناس منسب دنيء وأحساب جبرن على كسر
إذا شاع أمر الناس وأنشقت العصا فان لكيزا لا تريش ولا تبرى

وهذه المقطوعة هي أعمق أشعار كعب التي طعن العبديين بها • ولما شعر
زياد أن كعبا يعتمد على قوة المهالبة في مهاجمة عبد القيس ، هاجم الأزدي مهاجمة فهم

- ١- الحماسة البصرية ٢٥٢/٢٢ ، محاضرات الادباء : ٦٦٥/٢ .
- ٢- الشعر والشعراء : ٢٥٨ ، الاغاني : ٣٩٣/١٥ .
- ٣- الاغاني : ٢٨٩/١٤ .
- ٤- المصدر نفسه : ٢٨٨/١٤ .

منها أنه عنى المهالبة^(١) وقال^(٢) -

تساقط من مناخرها الجواف

أنتك الأزد مصفراً لحاها
وقال^(٣) -

أقصر فأنك ان أدركت مصروع
عن حثفها وخباب الأرض مربوع

يا أيها الجارى ليدركني
يا كعب لآنك كالعنز التي بحثت
وقال^(٤) -

لأرمنيك رميا غير ترفيح
منها المجاجيع ذكرا غير موضوع

لئن نصبت لي الروقين معترضا
ان المآثر والاحساب أورثني

وهكذا استطار الهجاء بين الشعاعين ، وما تفيد أبيات زياد تدهذه أن زيادا يدرك أن كعبا مغلب ، ولا يستطيع أن يجاريه ، وهذا يدل على أن زيادا يحيط بقدره خصمه الشعرية ، وقد ثبت صدق ما تنبأ به زياد ، اذ اتجه كعب الى المهلب ، طالبا نصرته . ولكن المهلب عرف قيمة زياد ، وسلاطه لسانه ، غطلب من كعب أن يكف عن نفسه ، وعاتب زيادا ، وأقسم عليهما ((أن يهطلحا ، فاعطلحا ، وتكافأ^(٥))) . وهكذا انتهت هذه المصراع الشعرية بين الشعاعين بعد تدخل المهلب ، وقد رأينا أن هذا الهجاء بدأه كعب الأشقرى مدفوعا بحمىبيته لقومه^(٦) وحب لزعما قومه من المهالبة ، الذين وجد فيهم ملاذا يلوذ به ، ومفرعا يفرع اليه ، حين تبين تفوق زياد . غير أن كعبا لم يحافظ

- ١- لم يتحرج زياد من أن يهجو كعبا بمعان مكشوفة . انظر : الاغاني : ١٥ / ٣٩٢ .
- ٢- الاغاني : ١٥ / ٣٩٤ ، الشعر والسعراء : ٢٥٨ .
- ٣- الاغاني : ١٤ / ٢٨٩ .
- ٤- المصدر نفسه : ١٤ / ٢٨٩ .
- ٥- المصدر نفسه : ١٤ / ٢٨٩ .
- ٦- العصر الاسلامي : ٢٢٧ .

على قومه من المهالبة شأن ثابت قطنة ، بل تخلّى عنهم . وهذا العمل لا يقوم به الشاعر الصادق العصبيّة ، والذي ((يأبى الاقتدام على هذا الأمر مهما كان الثواب الذي يتوقعه لقاء مديحة مغريا ^(١))) . وعلى ذلك نرى أن فرقا كبيرا بين الشاعرين . فقد أخلص كلاهما للمهالبة أيام عزهم ، ولم ينحرف عن ذلك ثابت بل ظل مؤيدا لهم أحياء وأمواتا . بينما نرى كعبا يقلب لهم ظهر المجن بعد سجن الحجاج لهم . وهذا يدل على أنه بأى حال لم يكن يتعصب لهم ، إلا لأن التمسّح بالعصبيّة يجلب المنفعة له والخير الواسع العميم ، بالرغم من أن معظم شعره نظم في المهالبة . وبما لرغم من أن المهالبة استمره ، وأجلوه ، ووشقوا به ، حتى جعله المهلب رسوله الى الحجاج ، الذي يبشّر الناس بنصره .

حمزة بن بيض الحنفـي

هو حمزة بن بيض^(١) بن نمر بن عبد الله بن شهر بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزى ابن سحيم بن مرة بن الدول^(٢) وندو حنفي^(٣) أحد بني بكر بن وائل^(٤) وتجمع جمهرة من المصادر على أنه كوفي خليع ماجن^(٥) . ويبدو أن مصدر النعتين السابقين ، يعود الى أن الشاعر كان خفيف الظل^(٦) ، حسن النكتة^(٧) ، جازح الاجابة أحيانا^(٨) ، فضلا عن استهتاره ببعض أمـور الدين أحيانا^(٩) . وقد رمي بالحق^(١٠) ، غير أن المصادر أجمعت على اجادته الشعر ، وتصرفه

- ١- فتوح البلدان : ٤٤١ ، رسائل الجاحظ : ٢٩٧/١ ، المطارف : ٥٩١ ، عيون الاخبار : ٢٢٩/١ ، ١٥٠/٣ ، الاغانى : ١٠٢/١٦ ، الوساطة بين المتنبى وخصومه : ٢٨١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٤٠/٤ ، النصف الثاني من كتاب الزندقة : ١١٣ ، ابن الأثير : ٥٨٩/٤ ، الأعلام النفيسة : ٢٢٨ ، فوات الوفيات : ٢٩٠/١ ، معجم الادباء : ٢٨٩/١٠ ، نهاية الأرب : ٦٥/٤ — ٦٦ ، بهجة المجالس : ٥١٥/١ .
- ٢- المؤلف والمختلف : ١٤١ .
- ٣- فتوح البلدان : ٤٤١ ، الاغانى : ٢٠٢/١٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٤٠/٤ ، فوات الوفيات : ٢٩٠/١ .
- ٤- فوات الوفيات : ٢٩٠/١ ، وانظر : جمهرة انساب العرب : ٣٠٩ .
- ٥- الاغانى : ٢٠٢/١٦ ، فوات الوفيات : ٢٩٠/١ ، نهاية الأرب : ٦٥/٤ .
- ٦- الاغانى : ٢١٥/١٦ — ٢١٦ ، فوات الوفيات : ٢٩١/١ — ٢٩٣ ، نهاية الأرب : ٦٦/٤ — ٦٨ .
- ٧- ((قال شامي لحمزة بن بيض : لم يرفع الكلب رجله ، اذا بال ؟ قال : مخافة أن ينجس سراويله)) . انظر محاضرات الادباء : ١٣٦ .
- ٨- الامتاع والمؤانسة : ١٨٥/٣ .
- ٩- ((كان حمزة بن بيض شاعرا ظريفا ، نساتم ما بين الزبرقان ، وكان من ظرفاء أهل الكوفة وكلاهما صاحب شراب ، وكان حماد يتهم بالزندقة ، فمشى الرجل بينهما حتى اصطلحا ، فدخلا يوما على بعض ولاية الكوفة ، فقال لابن بيض : أراك قد صالحت حمادا ؟ فقال ابن بيض : نعم . أملئ لك الله ، على ألا امره بالصلاة ، ولا ينهاني عنها)) . انظر : الاغانى : ٢٢٣/١٦ .
- ١٠- المحاسن والمساوى : ١٣٣ ، أخبار الحمقى والمخفلين : ٢٩ .

به تصرفاً جيداً^(١) حتى لقد عدّه أبو الفرج من فحول طبقة (٢)

اتصل حمزة بالمهالبة ، واختصهم ، وقال فيضا من عطايائهم^(٣) ، ونظم فيهم
أشعاراً تدور في مجملها حول كرمهم ، ونزأ أريحيتهم ، بغية مزيد من العطاء ، الذي
يضخم ثروته ، وينميها وقد يكون به في عطايا المهالبة ، هو الذي جعله يمتدحهم .
ونذا ما كشف عنه المؤرخون حين تعرضوا لأخلاق ابن بيض^(٤) كانت أشعار حمزة في
المهالبة تدور حول شخصية الفتى الحادم مخلد بن يزيد ، وقد تكون شهرة نذا في بذل
الاموال واعطاء العطايا ، هي التي دفعت الشاعر الى الاتصال به ، ألا ان بدايئة
اتصال ابن بيض بالمهالبة غير واضحة .

وقد أمر في مدح ممدوحه على استثارة عاطفة الكرم . يقول في مخلد بن
يزيد^(٥)

وَجَدْتُ فَقُلْتُ: الْأَسَائِلُ
فَمَنْكَ الْحَطِيئَةُ لِلْأَسَائِلِينَ
فِيَقُولُ^(٦)

يَجُودُونَ حَتَّى يَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهُمْ
غِيُوثُ لِمَنْ يَرْجُونَ دَانَهُمْ وَجُودَهُمْ
وَيَقُولُ^(٧)

أَمْخَلَدٌ لَمْ تَتْرِكْ لِنَفْسِي بَغِيَّةً
فَكُنْتُ كَمَا قَدْ قَالَ مَعْنُ ثَانِيهِ
وَجَدْتُ كَثِيرَ الْمَالِ إِذَا صَنَعَ مَخْدَمَا

- ١- المؤلف والمختلّف : ١٤١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤ / ٤٤٢ ، فوات الوفيات :
١ / ٢٩٠ ، نهاية الأرب : ٤ / ٦٥ .
- ٢- الأغاني : ١٦ / ٢٠٢ .
- ٣- الأغاني : ١٦ / ٢٠٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤ / ٤٤٠ ، معجم الأدباء :
١٠ / ٢٨٠ .
- ٤- الأغاني : ١٦ / ٢٠٢ ، فوات الوفيات : ١ / ٢٩٠ ، نهاية الأرب : ٤ / ٦٦ .
- ٥- الأغاني : ١٦ / ٢٠٣ .
- ٦- المصدر نفسه : ١٦ / ٢٢١ .
- ٧- المصدر نفسه : ١٦ / ٢٢٢ .

أبواه جواداً للمكارم يجزل
أغراً إذا ما جئته يتمهل
فقلت ناني مثل ذلك أفتل
يقصر عنها السابق المتمهل
إليك جمال الطالب الخير ترهل
تدب عزاليمها عليه وتمهل
تغن على المصروف والمال يعقل
إذا كان ذا مال يضمن ويخل

وان أحق الناس بالحد من رأى
ترتب الذي قد كان قدّم واليد
وجدت يزيداً والمهلب سزاً
فقرت كما فازوا وجازت غايمة
فأنت غياث للثامي وعممة
أصاب الذي رجي نداك منيلة
ولم تلف إذ رجوا نوالك بأخلا
وموت الفتى خير له من حياته

ومجمل القول أن الشاعر ردّد باستمرار معنى مؤداه أن مدد وحيه كرام . وهو بهذا يسقط ما في نفسه من حب المادّة ، والسعي للحصول عليها ، والتكسب من أجلها ، يسقط ذلك في شعره ، راميًا من وراء ذلك الكسب المادي . وقد استغل كل ما يمكنه استغلاله في علاقته مع المهالبة في سبيل ذلك ، يشهد بذلك عتابه مخلد بمن يزيد عتاباً يحمل في طياته الحنف (١) وأصراره على الطلب ، وتوظيفه الأحلام في سبيل ذلك (٢) . وقد استغل العصبية لصالحه حين أعطى مخلد الكميّة قائلًا : ((واني لحليفة ، وناصره في العصبية على الكميّة ، وعلى مضر جميعاً)) (٣) . مع أنه لم تثبت عصبية نحو قومه ، وقد صرح بذلك علناً (٤) . وقد لجأ إلى ادراج المهالبة أحياناً (٥) وعدم قبوله عطايانم لا استقلاله أياها أحياناً ، حتى وهم في السبن ، فترى يزيد يحطيه فصاً يا قوتا ،

١- المصدر نفسه : ٢٢٠/١٦ - ٢٢١ .

٢- الأغاني : ٢٢٤/١٦ - ٢٢٥ ، ٢٨١/١٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٤٠/٤ ،

معجم الأدباء : ٢٨٣/١٠ ، نهاية الأرب : ٦٨/٤ .

٣- الأغاني : ٢١١/١٦ .

٤- يقول أبو الفرج : ((نسخت من كتاب أبي اسحق الشامي ، قال ابن الأعرابي :

وقع بين بني - نيفه شر حتى نشبت الحرب بينهم . فقال رجل لدمزة بن بغي :

ألا تأتي هؤلاء القوم فتدفعهم عن قومك ، فانك ذميان ومارضة . قال :

ألا لا تلمني يا ابن ماهان انني أخاف على فذارتي أن تهظما

ولو أنني أبتاعني السوق مثلها رجلك ما باليت أن أتقدم ما

الأغاني : ٢٠٧/١٦ .

٥- انظر : حالة رفضه للمعطية وأصراره على العود بقبر المهلب . الأغاني : ٢١٢/١٦ .

موهما اياه بأنه دينار فأراد حمزة أن يردّه ، لولا استدراك يزيد الأمر ، وقوله له سّرا :
 ((خذه ، ولا تخدع عنه))^(١) . وقد يشهد على ما قلناه أنه لم يرث المهالبة في نكبتهم ،
 لكنه رثى مخذلا لأنه مات سنة ٥٠٠ هـ في حياة المهالبة^(٢) . يقول^(٣) : —

وَعُطِّلَتِ الْأَسْرَةُ مِنْكَ إِلَّا سريرك يوم تحجب بالشباب
 وآخر عهدنا بك يوم يحثي عليك بدابق سهل التراب

وهكذا نجد أنه اتصل بالمهالبة وبخيرهم ، متكسبا راجيا أن ينال مزيدا من
 المال بشعره ، ويخرج بأن حمزة لم يحمل شموه المهالبة وقضاياهم ، وإنما تملقهم وتوسّل
 اليهم بشعره ، ولم يتخرج من انتقاد الكميت في مجلس مخذل ، باخسا اياه شعره في سبيل
 مزيد من المال^(٤) .

لم يتملق حمزة المهالبة فحسب ، ولم ينوّه بكرمهم فقط ، بل اتصل بمتنفذي عصره
 وخصّهم بالجوّد والكرم . يقول في الحكم بن مروان^(٥) : —

تقول لي والسيوي حاجة أتمّ علينا يوما فلم أقم
 قالت : فأبى الوجوه ؟ قلت لها : لاى وجه إلا الى الحكم
 متى يقل حاجبا سرادقعه هذا ابن بيض الباب بيتسم
 قد كنت أسلمت فيك مقبلا فهات اذ حلّ أعطني سلمي

وعليه نرى أنه لم يتصل بالحكم إلا طمعا بماله .
 واتصل حمزة بقتيبة بن مسلم^(٦) ، والملاحظ أن علاقته بمد بن القاسم الثقفي كانت

- ١ — الاغانى : ٢٠٩/١٦ .
- ٢ — الطبرى : ١٣٥١/٩ .
- ٣ — وفيات الأعيان : ٢٨٦/٦ .
- ٤ — ((ولما مدح الكميت بن زيد الأسدي مخذل بن يزيد بن المهلب . فقال له ابن بيض :
 انك يا أبا المستهل لكجالب التمر الى دجر . قال : نعم . ولكن تمرنا أجود من
 تمركم)) . البيان والتبيين : ١٦٨/٢ .
- ٥ — الاغانى : ٢١٣/١٦ ، طبقات النعمان واللخوين : ٥٦ ، ديوان المصناني : ١٠/١ .
 — ١١ ، الصمدية : ١٤١/٢ ، أمالي السيد المرتضى : ٤٧/٣ ، تهذيب تاريخ
 ابن عساكر : ٤٤١/٤ — ٤٤٢ ، معجم الأدباء : ٢٨٦/١٠ — ٢٨٧ ، تاج العروس :
 ١٤/٥ — ١٥ مادة بيفن .
- ٦ — الطبرى : ١٢٤٦/٨ — ١٢٤٧ .

أقوى من علاقته بخيره من القيسيين ، الذين تنفذوا عقب نكبة المهالبة ، ونستدل على ذلك بأنه رثي مدمدا دون غيره من زعماء القيسية ، عندما أفل نجمهم في خلافة سليمان بن عبد الملك . يقول (١) :-

ان المروءة والسماحة والندي
سائر الجيوش لسبع عشرة حجة
لمحمد بن القاسم بن محمد
يا قرب ذلك سوداً من مولد
ودنو في رثائه مدمدا يكرر المناني ذاتها ، التي امتدح بها ممدد بن يزيد
من أنه نابه ، بذ ، الاقران ، وسابق الزمن ، ليصبح في مصاف الرجال .

امتدح حمزة سليمان بن عبد الملك وعزف على الوتر الذي اعتاد أن يعزف عليه
ودنو محاولة تملق ممدد رده عن طريق خلع نعوت الكرم والجود عليه ، بغية تمزأريحته . يقول (٢) :-

أتينا سليمان الامير نوره
اذا كنت بالنجوى به متقددا
كفى سائليه سؤلهم من ضميره
وقال (٣) :-

لم تدبر ما لا ؟ فلست قائلها
ولم تؤامر بتلك ممترياً
وعني على أنها الخفيفة أذ
لما تعودت من نعم فنعم
الا يكن عاجل تعجله بعد
وما تعد في غد يكن غدك ال

هذه هي المعاني التي أدارها حمزة حول ممدد وحيه ، فهم كرماء ، صادقوا الوعد .
حمزة في مدح سليمان تعرض لاجارة سليمان للمهالبة ، وانثنى يمجده ويمدحه ويصفه بالوفاء ،
وكأن للشاعر المتكسب أراد أن يصطاد عصفورين بحجر واحد ، أراد أن ينال عطايا سليمان ،
والمهالبة في آن واحد . يقول (٤) :-

- ١- فتوح البلدان : ٤٤١ ، ابن الاثير : ٥٨٩/٤ .
- ٢- تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٤٠/٤ ، معجم الادباء : ٢٨٠/١٠ - ٢٨١ .
- ٣- تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٤٠/٤ ، معجم الادباء : ٢٨٢/١٠ .
- ٤- الاغاني : ٢١٠/١٦ ، وانظر : البيان والتبيين : ٣٧١/٣ .

ساس الخلافة والداك كلاهما
أبوك ثم أخوك أسيح ثالثاً
سريت خوف بني المهلب بعدما
ليس الذي ولاك ربك منهم

من بين سخطه ساخط أو طائع
وعلى جبينك نور ملك رابع
نظروا اليك بسم موت ناقح
عند الاله وعند دم بالنساء

وقد اتهم حمزة ببلال بن أبي بردة ، قاضي البصرة ، وأميرها . ويبدو أن
علاقتهما كانت وطيدة ، الى حد أنهما كانا يفحشان في المزح (١) غير أن ذلك لا يعني
أن حمزة قد تدخل عن النهج الذي اختطه لنفسه ، وهو اللجاف في الطلب والمسالمة
قال في بلال حين طال مقام الشاعر عنده واشتاق الى عياله (٢) —

كلت رحالي وأعواني وأحراسي
الى امرئ مشبح مجداً ومكرمة
فلست منك ولا مما مننت به
اني واياك والاخوان كلهم
وذاك مما ينوب الدهر من حدث
يبيد هذا فيبلى بعد جدته
وأنت لي دائم باق بشاشته

الى الأمير وادلاجي واملاسي
عادية فهو حالٍ منهما كاسي
من فضل وذك كالمرمي في راسي
في العسر واليسر لو قيسوا بمقياس
كالورد في المثل المضروب والاس
عضاً وآخره رهن بانيناس
تهتر في عود لا عش ولا عاسي

أما علاقته مع خالد بن عبد الله فلم تكن حسنة كما يظهر ، فقد سجنه خالد ، وقد
ظلت النظرة المادية المتكسبة تتبع الشاعر ، فهو يتذلل لخالد بن عبد الله ، ويتوسل اليه
بمصرعه أن يرفض أنوال العذال ، الذين رموا الشاعر بما ليس فيه . يقول : (٣) —

شادب ناحل الصدر يمان
زمناً ثم عاد عضباً حساماً
لم تكن عن جناية لحقتني
بل جناها أخ علي كريم
كان بي واثقاً فلما دعاني
وبلاء من البلاء عظيم
لم تلمني نفس عليه ولم أق

صادق الوعد لك في غير جفن
وجلّ صفحتيه حد المسن
عن يساري ولا يميني جنتني
وعلى أهلها براقرة تجني
ونوفي مأزق شديد وسجن
قلت لبيك حين قال أجنبي
رع بظفر من الندامة سني

- ١ — الاغاني : ٢٠٢/١٦ ، معاهد التصحيح : ٢١١/٤ — ٢١٢ .
- ٢ — الاغاني : ٢٢٤/١٦ .
- ٣ — تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٤١/٤ وانظر : البيان والتبيين : ١/٢٦٩ ،
الحيوان : ٤٥٥/٥ ، شارالقلوب : ٣١٤ .

وبكذا نرى أن نزعة الاعتزاز بالذات والنزعة الرفضية، اختفتا من شعره
هكذا ، ولجأ الى وصف حاله التي ساءت بسبب الحدال .

لم يتورع حمزة عن طلب الأمراء حتى المتسكين ، وقد كان ابن الوليد البجلي
منهم ، وهو ابن أخت خالد القسري ، وقد استجداه حمزة ، وطلب منه بقوله (١) :-

يا ابن الوليد المرتجى سيبه	ومن يجلي الدودث الحالكا
سبيل معروفك مني عسير	بال فما بالي على بالكا
حش وقميصي شاعر فليق	والجود أمسى حشو سريالكا
يلومك الناس على محبتي	والمسك قد يستحب الرامكا
ان كنت لا تصحب الا فتى	مثلك لن تؤتى بأمثالكا
اني امرؤ جئت أريد الهدى	فعد على جهلي بأسلامكا

ونحن نرى أن حمزة يستجدي بمدحه بأى ثمن ، حتى ولو كان في ذلك مرأته
على كرامته وعزته .

وبد وأن نظرة التكسب التي أخذ حمزة نفسه بها ، سيطرت على تفكيره ، وعالج
معظم الأمور من هذا المنطلق ، فعندما أعلن زيد بن علي سنة ١٢٢ هـ تمرده (٢) منع أهل
مكة والمدينة أعطياهم . قال حمزة (٣) :-

ومليت سماء الضر بالضر بعد ما	زعمت سماء الضر عنا ستقلح
فليت هشاماً كان حياً يسوسنا	وكنا كما كنا نرجي ونطمع

فلم يلفت نظر حمزة من المبادئ التي أغلغها زيد بن علي إلا ما تعلّق منها
بالعود المادية ، وهذا ما يتلاءم مع نفسية حمزة . لم يهيج حمزة أولي الأمر إلا مرة
واحدة وهي التي تتعلّق بالوليد بن يزيد . فقد تعرض له ، ونهى عليه سياسته ،
وعاجمه . وقد تكون سيرة الوليد سببا وجيها في ذلك ، فقد عرف فسق الوليد ، وعرف عنه
ميله الى القيسية (٤) يقول حمزة (٥) :-
يا وليد الخنا تركت الطريقا
واضحا واركتبت فجأ عميقا

١- العقد المفرد : ٦١/٣ ، معجم الادباء : ٢٨٥/١٠ .

٢- الطبرى : ١٦٩٨/٩ .

٣- معجم الادباء : ٢٨٤/١٠ .

٤- الطبرى : ١٩٠٥/٩ .

٥- ابن الاثير : ٢٨٣/٥ .

تَ وَأَغْرَيْتَ وَأَنْبَعَثَ فَسَوْقَا
ثُمَّ هَاتِي حَتَّى تَخْرُ صَعِيقَا
تَقُ فُتْقًا وَقَدْ فُتِقَتْ فَتَرْقَا

وَتَمَادَيْتَ وَاعْتَدَيْتَ وَاسْرِفْ
أَبْدًا هَاتِي ثُمَّ هَاتِي وَهَاتِي
أَنْتَ سَكْرَانٌ مَا تَفِيْقُ فَمَا تَرِ

وقد يكون حب المادة عنده ، هو الذي حدّد علاقاته بالناس ، وجعله يحسد حتى أضعف الناس ، فقد مرّ بتعميم اسمه صدقة ، أحسن اليه عبد الرحمن بن عنبسة وأكرمه وتبنّاه ، وقد حسد ابن بيض هذا اليتيم ، ونفس عليه حياته تلك ، وهذا يلقي ظلالا على نفسية حمزة المتملئة الجشعة . يقول (١) :-

وَأَنْتَ صَافِي الْأَدِيمِ وَالْحَدَقَةِ
يَلْقَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتَ يَا حِدَقَةَ
أَمَكُ فِي الشَّامِ بِالْعِرَاقِ مَتَهُ
نَأْنْتُ فِي كَسْوَةٍ وَفِي نَفَقَةٍ
وَلَحْمِ طَيْرٍ مَا عَشْتِ أَوْ مَرَقَةٍ
زَادَا عَلَى وَالِدِيكَ فِي الشَّفَقَةِ
مَا تَقْلَعُ فِي الدَّمَاءِ وَالسَّرَقَةِ
وَضَلَّ عَنْهُمْ وَخَادِنُ الْفَسَقَةِ
لَصِوْتُهُ فِي الصَّهِيلِ صَهِيلُهُ
رَبِّ دَنَانِيرَ جَمَّةٍ وَرَقَسِهِ

يُشَعِّتُ صَبِيَانَنَا وَمَا يُتَمُّوْا
فَلَيْتَ صَبِيَانَنَا إِذَا يُتَمُّوْا
عَوَضُكَ اللَّهُ مِنْ أَبِيكَ وَمَنْ
كَفَاكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَدْ لَمَّا
تَظَلَّ فِي ذَرْمِكَ وَنَاكِهِةٍ
تَأْوَى إِلَى حَاضِنٍ وَخَاضِنِهِ
فَكَلَّ هَنِئًا مَا عَاشِي ثُمَّ إِذَا
وَخَالَفَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَتَهُمْ
وَاشْتَرَى نَهْدَ التَّلِيلِ إِذَا خَمَلُ
وَاقْطَعَ الطَّرِيقَ تَلَفَ غَسَدًا

هذه نظرة سوداء حاقة ، ينظر حمزة من خلالها الى الناس ، فهو ينفس على هذا الطفل حسن المال ، الذي آل اليه في ظل عبد الرحمن بن عنبسة ، وهو ذو نفس حاقة مولعة بالمادة . قد تدلّ على أن الشاعر مرّ في حياته بصدمة متينة أرتته قيمة المادة ، ولعلها الفقر فتعلق بالمادة ، وسعى ليظلّ محافظا على ثروته . . . وما تمناء للطفل بأن يصبح سارقا ، قاتلا لصاً يسير في ركاب اللصوص ، وقاطع طريق ، يدلّ على أنه ذو نفس حاقة على الناس . ويظهر أن حمزة لم يكن يجد حرجا في الاذراء على الناس العاديين لأنهم لا يملكون سلطة ترهب ولا مالا يرغب ، فقد مرّ بقرية لم يكرمه أهلها . فقال (٢) :-

فَأُضَاغِنِي لَيْلًا أَلِيهَا الْمَغْرِبُ
وَالْحَالِبِينَ وَلَيْسَ لِي مَا أَحْلُبُ

لَحْنُ اللَّهِ قَرْيَةً يَمْتَنُّهَا
الزَّرَاعِينَ وَلَيْسَ لِي زَرْعُهَا

فلعلّ ذاك الزرع يودى أهله
ولعلّ طاعونا يصيب علوجها
ولعلّ ذاك الشاء يوماً يجرب
ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

بهذه النظرة عامل الآخرين ، فهو يتعنى أن تفنى ثروتهم ، ممثلة في زروعهم وشائهم وأن يشملهم الطاعون والخراب ، وهذه النظرة الى الآخرين ، قد تدل على تبين الشاعر لقيمة المال ، وحسده لأصحاب المال ، وحبه في أن ينال ما في أيديهم فليفسد مالهم . ويبدو أن حمزة لم يكن يدع مثل هذه الأحداث تحدث دون أن يسجلها او يربدها فقد مر بقوم لم يحسنوا اليه ، ولم يهيفوه ، وأتوه بخبز يابس ، وألفوا لبخلته تبنا . فقال (١) -

أحسبها ليلة أدلجتها
قد أتى ربك خبزاً يابساً
فكلي ان شئت تبنا أو ذرى
فتعزى محه واصطبرى

فهو يخاطب بخلته ، واصفا لها حالته ، واساءه مضيفه اليها واليه ، نكسها أتوه بخبز يابس ، أتوها بتبن غير مخلوط ، وهذا التصرف فيه كشف عن قيمة الضيف فسي نفوس المضيفين ، وفيه كشف كذلك عن أخلاق المضيفين . غير أن تصرفهم ذاك قد يدل على وضاعة الضيف ، وثقل قيمته ، وبالتالي لم يظفر باحترام مضيفيه .

وكان حمزة فكها ، ساخرا ، فقد ذكر أن أحد أصدقائه استودع مبلخا من المال لدى نبيذى ، واستودع مثلها لدى ناسك . فأكل الناسك المال ، وحافظ النبيذى على الامانة ، التي أمن عليها . فقال في ذلك حمزة (٢) -

ألا لا يغرنك ذو سجدة
كان بحبيته جلبنة
وما للثقي لزمت وجهه
فلا تتفرن من أهل النبيذ
فحسبك علم بما تد خبر
ثلاثون ألفاً حواها السجود
بنى الدار من غير ما له
مهائراً من غير مال حواه
يظل بها دائماً يخدع
يسبح طورا ويسترجع
ولكن ليفتر مستودع
وان قيل يشرب لا يفلح
تأن كان علم بهم ينفع
فليست الى اعلمها ترجع
واصبح في بيته أربع
يقاتون أرزاقهم جوع

١ - الاغاني : ٢٠٦/١٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٤٩/٤ ،

معجم الادباء : ٢٨٩/١٠ .

٢ - الاغاني : ٢٠٧/١٦ ، معجم الادباء : ٢٨٧/١٠ ، فوات الوفيات :

٢٩١/١ - ٢٩٢ .

يطلق حمزة حكمه على النساك والنبذيين بناءً على حادثة فردية ، خان فيها ناسك وتزوج أربعا ، ونى دارا بما أوتمن عليه . وأدى الأمانة نبذى ، وحكم حمزه ذاك يدل على استهتاره بالمتدينين واستخفافه بهم وتقديره لغيرهم ، وهذا يكشف عن نفسية الشاعر . وشاعرنا — فيما يبدو — كان سليطا ، لم يسلم منه ابن عمه^(١) .

توفي حمزة بن بيض فيما بين ١٢٦-١٣٢ هـ . ويدلنا على ذلك مهاجمة الشاعر للوليد بن يزيد الذى توفي ١٢٦ هـ . وتقول أبي الفرج : ((ولم يدرك الدولة العباسية))^(٢) وهذا يجعلنا نرفض رواية ياقوت الحموي من أنه توفي ١١٦ هـ أو ١٢٠ هـ^(٣) .

١ — انظر قصيدة له في الاغانى : ٢١٩/١٦ = ٢٢٠ .

٢ — الاغانى : ٢٠٢/١٦ .

٣ — معجم الادباء : ٢٨٩/١٠ ، فوات الوفيات : ٢٩٠/١ .

زياد الأعجم

هو أبو أمامه ، زياد بن سليم أو سليمان ، وقيل : ابن سلمى (١) . ولقب بالأعجم (٢) لأنه كان يتعثر في لفظ بعض الأحرف (٣) وقد أحس زياد نفسه بذلك العيب ، واعتزف به ، حين ألقى عليه بعض الشعراء لغزا بقوله : —

فما صفراء تكنى أم عوف
فأجابه على البديهة : —
عنيت جرادة وأظن أيضا
بأنك إنما تمنى لساني (٤)

- ١ — ينقل أبو الفرج عن محمد بن العباس اليزيدي : أنه زياد بن جابر بن عمرو . الاغاني : ٣٨٠/١٥ . وزاد ابن قتيبة ، عامر بن عمرو . انظر : الشعر والشعراء : ٢٥٧ . وانظر : طبقات الشعراء لابن سلام : ١٤٢ ، المؤلف والمختلف : ١٩٣ ، الاشتقاق : ٣٣٣ ، الامالي : ١٠١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٠١/٥ ، وفيات الأعيان : ٣٥٤/٥ ، نهاية الأرب : ٣٨٢/٣ ، شرح شواهد مغني اللبيب : ٢٠٦/١ ، خزانة الأدب : ١٩٣/٤ .
- ٢ — انظر : الحيوان : ١٥١/٧ ، رسائل الجاحظ : ٢٩٨/١ ، المقتضب : ٢٩/٢ ، الكامل : ٢٣٦/٢ ، الشعر والشعراء : ٢٥٨ ، معجم الشعراء : ٢٤٤ ، تاريخ اليعقوبي : ٢٨٩/٢ ، الأخبار الموثقة : ٤٧٥ ، الوساطة : ٣٨٥ ، العقد الفريد : ٢٨٧/٣ ، ذيل الامالي والنوادر : ٧ ، المستجد من فعلات الأجواد : ٢٠٤ ، أمالي السيد المرتضى : ٣٢١/١ ، الحمدة : ٣٢١/١ ، الحماسة البصرية : ٢٤٥/٢ ، وفيات الأعيان : ٣٥٦/٥ ، أمالي الشجري : ٣٠٤/١ ، الحماسة الشجرية : ٥٩٩/٢ ، لباب الأدب : ٣٦٤ ، النصف الثاني من كتاب الزهرة : ١٣٤ ، سمط اللآلي : ٩٢١ ، تمام المتنون في شرح رسالة ابن زيدون : ٢٦٠ ، خزانة الأدب : ١٩٢/٤ .
- ٣ — كان يلفظ كلمة السلطان في قوله —
فني زاده السلطان في الورد رفعة
إذا غير السلطان كل خليل
السلطان والسلطان . انظر : الكامل : ٢٣٦/٢ ، البيان والتبيين : ٧١/١ ، العقد الفريد : ٤٧٨/٢ ، وقد تأول هؤلاء ذلك ، بقولهم : ان بين التاء والطاء تسبا ، فلذلك قلبها تاء ، لأن التاء من مخرج الطاء . ومن ذلك أنه دعا غلاما له ، فأبطأ عليه فقال له : ((منذ لدن دوتك الى أن قلت لي ، ما كنت تسأ ؟ يريد : منذ لدن دعوتك ، الى أن قلت لي بك ماذا كنت تصنع)) الاغاني : ٣٨٠/١٥ ، خزانة الأدب : ١٩٣/٤ . وكان احيانا يتجاهز بعض قواعد اللغة . يقول :
عجبت والدهر كثير عجبه
من عزى سبني لم أضربه
انظر : كتاب سيبويه : ٢٨٧/٢ ، ضرائر الشعر : ١٨٥ — ١٨٦ .
- ٤ — شمار القلوب : ٢٠٦ .

وقد كان طويلا ، مضطرب الطول^(١) ، وقد أجمعت جمهرة المصادر على أنه مولى لعبد القيس^(٢) . وقد يكون زياد أحد موالي العرب في الجاهلية ، بدليل أنه شارك في حصار امبطخر مع أبي موسى الأشعري سنة ٢٣ هـ^(٣) ، أما الدليل الآخر فهو آجاده الشعر ، وافحامه بعض شعراء عصره ، بما فيهم الفرزدق . وهذا يدل على أن الشاعر قد أصبح مولى وهو طفل ، فنشأ بين أناس فصحاء ، والتقط اللغة منهم ، ليخرج مشاعر مغلقة .

مبد وأنه لم يكن أعجميا أصلا ، إذ يحاول أبو الفرج أن يردّ عجمته الى مخالطته الاصطخريين^(٤) ، ويحاول ابن قتيبة أن يردّ عجمته الى أنه ولد ونشأ بفارس^(٥) . وقد يكون ما أشار اليه أبو الفرج وابن قتيبة يرصد حركة زياد قبل أن يتبع الصبد بين بالولاء ، لأننا نراه في فترة نضوجه ينتجع أبواب الأمراء والمتفذين حيث وفير المال ، وقد ثقف ، الثقافة اللغوية التي جعلته جزل الشعر^(٦) ، وثقف الثقافة الدينية ، فروي الحديث عن أبي موسى الأشعري ، وعبد الله بن عمر ، كما حدث عنه طاووس وغيره^(٧) . وقد كان - الى جانب كونه شاعرا - خطيبا كاتباً داهية^(٨) . وهكذا نرى تنوع ثقافته وتعدد روافدها ، مما جعل

١- الاغاني : ٣٩١/١٥ .

٢- ذكر صاحب سبائك الذهب^٧ أن زيادا عربي . وانظر : المؤلف والمختلف : ١٩٣ ، العقد الفريد : ٢ / ٤٧٨ ، الاغاني : ٣٨٠ / ١٥ ، أمالي اليزيدي : ص ١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٠١ / ٥ ، شرح شواهد مغني اللبيب : ٢٠٦ / ١ . ويذكر أنه أحد بني عامر بن الحارث ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية ، المؤلف والمختلف : ١٣ ، الاغاني : ٣٨٠ / ١٥ ، أمالي اليزيدي : ص ١ ، خزانة الادب : ١٩٣ / ٤ .

٣- الاغاني : ٣٨٠ / ١٥ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٠١ / ٥ ، شرح شواهد مغني اللبيب : ٢٠٦ / ١ .

٤- الاغاني : ٣٨٠ / ١٥ .

٥- الشعر والشعراء : ٢٥٧ ، خزانة الادب : ١٩٣ / ٤ .

٦- الاغاني : ١٥ / ٣٨٠ ، خزانة الادب : ١٩٣ / ٤ .

٧- خزانة الادب : ٤ / ١٩٤ .

٨- البيان والتبيين : ٧١ / ١ ، نهاية الأرب : ٣ / ٣٨٢ .

منه شاعرا فذا ، عدّه ابن سلام في الطبقة السابعة من الشعراء الاسلاميين (١) ويبدو أنه كان شاعرا مكثرا ، وكان له ديوان شعر رآه ابن خلكان (٢) .

اتصل زياد بمعظم سادة عصره ، مادحا اياهم أوداماً لهم ، ومخلص من قراءة ما جمع من شعره الى أنه كان سليخا ، ذا لسان طويل حاد ، فقد كان يمدح ويذم . وعندما ما تعرض له المهالبة اذ مدحهم ثم أقذع لهم في حياتهم ، رغم اكرامهم له ، وحرس المهلب بالذات على معاملته بالتي دني أحسن ، ولو كان في ذلك ما يسيء الى أفراد أسرته فنراه يدفع حبيبا ابنه على دفع دية حمامة قتلها ، بعد أن أعلن الشاعر اجارته لها ، وقوله (٣) —

تَغْنِيَّ أَنْتَ فِي ذِمِّي وَهَدِي	ذِمَّةُ وَالِدِي إِنْ لَمْ تُطَارِي
وَيَتَكَ نَاصِلِحِيهِ وَلَا تَخَافِي	عَلَى صَفَرٍ مَزْغِيَةٍ صَغَارِي
فَانْكَ كُلَّمَا غَنَيْتَ صَوْتِي	ذَكَرْتُ أَحَبِّي وَذَكَرْتُ دَارِي
فَأَمَّا يَقْتُلُوكَ طَلِبْتُ ثَارَا	لَهُ نَبَأٌ لَأَنْكَ فِي جِسَارِي

اثر ذلك نزع حبيب بن المهلب لها سهما ، ورماها به ، فقتلها ، فاشتكاها زياد الى المهلب ، الذي أمر حبيبا بدفع دية الحمامة ألف دينار . فقال زياد (٤) —

غَلَلَهُ عَيْنَا مِنْ رَأْيِ كَقَضِيَّةٍ	قَضَى بِهَا قُرْمُ الْحَرَاقِ الْمَهْلَبُ
رَمَاهَا حَبِيبُ بْنُ الْمَهْلَبِ رَمِيَةً	فَاشْتَبَهَا بِالسَّهْمِ وَالسَّهْمُ يَخْرِبُ
فَالزَمَهُ عَقْلَ الْقَتِيلِ إِنْ سُرَّةٍ	وَقَالَ حَبِيبٌ : إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ
فَقَالَ : زِيَادُ لَا يَرُوعُ جَارُهُ	وَجَارُهُ جَارِيٌ مِثْلُ جُلْدِي وَأَقْرَبُ

وهذا يدل على احترام المهلب لزياد ، وأن الشعراء يشقون بعدل المهلب ، واحترامه لهم ، وقد كان المهلب عند ظن زياد . فقد وضع زيادا ندا لابنه ، وقضى لصالح زياد ، وهذا يبين أن المهلب لم يرد أن يخيب أمل الشاعر به ، ولم يرد كذلك أن يرجعه خاسرا مع أن المقتول حمامة .

وتدل أيضا على ضلعة الشاعر في الفن الشعري ، فقد ارتجل هذه الأبيات ارتجالا وهذا يدل على قدرته الشعرية . فقد صاغ لنا ما جرى صياغته قصصية ، تبدأ بعرض المشكل وتطوره ليصل الى الذروة ممثلة في عقدة الحدث ثم بالحل الملائم ، الذي جاء لصالحه ، وهو

- ١- تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٠٢/٥ .
- ٢- وفيات الاعيان : ٢٠٨/٦ .
- ٣- الاغانى : ٣٨٣/١٥ .
- ٤- المصدر نفسه : ٣٨٣/١٥ .

ومو في ذلك يضمن شعره أسلوباً حوارياً ، بل انه يقتبس أقوال حبيب ابن المهلب والمهلب مضافاً عليهما من قدرته الشعرية بحيث خضعت للوزن الشعري . والمهلب يتصرفه هذا كان أول من ودى الحمامة دية الحر ألف دينار (١) . وهكذا نرى أن المهالبة أكرموا زيادا ، وأنزلوه منزلاً عالياً ، بالرغم من أنه هاجهم ، حين هاجس كعباً الأشقرى . . . ولكن المهلب أصلح بينهما ، وتناضى عما هاجهم به زياد .

وقد رثى زياد الأعجم المغميرة بن المهلب بقصيدة طويلة بلغت حوالي خمسين بيتاً يقول فيها (٢) : —

يا مَنْ بِمَفْذَى الشَّمْسِ أَوْ بِمِزَانِهَا قَلَّ لِلْقَوَائِلِ وَالْفُزَاةِ إِذَا فُزُوا إِنْ السَّمَاحَةِ وَالْمَرْوَةِ ضُمَّتَا فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِه فاعْقِرْ بِهِ وَأَنْصَحْ كَهَوَانِ قَبْرِه بِدَائِمِهَا وَأَظْهَرْ بِبِزَّتِهِ وَعَقْدِ لَوَائِمِهِ أَبَ الْجُنُودِ مَحَقّاً أَوْ قَافِلاً وَأَرَى الْمَكَارِمَ يَوْمَ زَيْلِ بِنْدَمِهِ رَجَفَتْ لِمَصْرَعِهِ الْبَلَادُ وَأَصْبَحَتْ أَلَانٌ لَمَّا كُنْتَ أَكْمَلَ مِنْ مَشْيِ وَتَكَا مَلَتْ فَيْكِ الْمَرْوَةُ كُلِّهَا فَكَفَى لَنَا حَزْناً بِبَيْتِ حَلِّهِ فَصَفَتْ مَنَابِرَهُ وَحَقَّ سُرُوجِهِ وَإِذَا أَيْنَاجٌ عَلَى أَمْرٍ فُتِلِمْنَ تَبْكِي الْمَغْمِيرَةَ خَيْلَنَا وَرَمَانَنَا	أَوْ مَنْ يَكُونُ بِقَرْنِهَا الْمُتَنَازِحِ لِلْبَاكِرِينَ وَلِلْمَجْدِ الرَّائِحِ قَبْرًا بِمَرْوَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ كَوْمَ الْجَلَالِ وَكُلَّ طَرَفِ سَابِحِ فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَادِمٌ وَذُبَائِحِ وَاعْتَقَ بِدَعْوَةِ مَصْلَتَيْنِ شَرَامِخِ وَأَقَامَ رَهْناً حَفِيرَةً وَضَرَائِحِ زَالَتْ بِفَضْلِ فَوَاضِلٍ وَمَدَائِحِ مَنَّا الْقُلُوبُ لَذَاكَ غَيْرَ صَحَائِحِ وَافْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شَبَاهِ الْقَارِحِ وَأَعْنَتْ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ أَحَدَى الْمُنُونِ فَلَيْسَ عَنْهُ بِيَارِحِ عَنْ كُلِّ طَامِحَةٍ وَطَرَفِ طَامِحِ أَنَّ الْمَغْمِيرَةَ فَوْقَ نَوْحِ النَّائِحِ وَالْبَاكِيَاتِ بِرَنَّةٍ وَتَصَايِحِ
---	---

ثم يشرع زياد في تعداد مناقب المغميرة ، وقد نسبت هذه القصيدة إلى الصلتان المبدى . وقد ناقش اضطراب النسبة هذه للمستشرق كرينكو ، ونسبها إلى زياد ،

- ١- نزهة الجليس : ٣٠٢/١ .
- ٢- ذيل الامالي والنوادر : ٨ - ٩ .

ونفاها عن الصلتان (١). وهذا - أكبر الظن - هو الصحيح نظرا لصلة زياد الوثيقة بالمهالبة ، والنموض الذي يلف حياة الصلتان ، فضلا عن جملنا بعلاقاته بالمهالبة .

وزياد في قصيدته هذه بيد ومنفصلا بموضوعه ، متأثرا به ، فانيا فيه يقول كرينكو : ان هذه المرثية ((هي دفق من أعماق قلب الشاعر (٢) ، وقد أعجبت المهالبة وسهرتهم ، وجعلتهم يخلعون العطايا والمنع على الشاعر (٣) .

ولكن . ما سر هذا الابداع ؟ الملاحظ أولا أن الشاعر نظم هذه القصيدة والمهالبة في أوج عزهم ، وشموخهم السياسي . فالمهلب أقوى شخصيات المهالبة ما زال حيا ، وكان قد فرغ من أعظم انتصار يحوزه ، ويلي خراسان ، ويحرز مزيدا من الانتصارات في نواحي كس ونسف وعلى ذلك فقد يكون ابداعه في قصيدته تلك عائد الى حرص الشاعر على نيل عطايائهم . وهكذا نرى أن مجمل ما تقوله لنا أشعار زياد في المهالبة ، أنه اتصل بهم بغية الحصول على أموالهم ، ولم يحمل قضاياهم أو يتمثل بمومهم ، ولم يدافع عنهم شأن ثابت قطنه مثلا . وشعره فيهم يشمرنا بأنه مستجد ، بدليل أنه لم يتورع عن عتاب جارحا عندما كانت عطايائهم تبطي عليه ، ولم يتورع عن مجاثمهم هجاء مقدعا ، وزياد لم يسلك هذا السلوك مع المهالبة فحسب ، بل سلكه مع معظم من اتصل بهم من ساسة ، حتى لقد عاتب صديقه عمر بن عبيد الله بن معمر .

وزياد يحاول أن يهز أريجيه الممدوح ليعطيه ، فقد كان عمر بن عبيد الله بن معمر وعده لئن ولي ليعطيه ، حتى لا يحتاج أحدا ، فلما ولي فارس كتب اليه زياد :

F. KRENKOW, THE ELEGY-UFON AL-MUGHIRA IBN AL-MUHALLAB, ISLAMICA, Vol. 2, 1926, P. 345. -١

F. KRENKOW, THE ELEGY-UFON AL-MUGHIRA IBN AL-MUHALLAB, ISLAMICA, Vol. 2, 1926, P. 346. -٢

٣- الشعر والشعراء : ٢٥٨ ، الامالي : ص ٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٠٢-٤٠٣ ، خزانة الادب : ١٩٣/٤ .

— ٢٦٤ —

((ابلغ أبا حفص رسالة ناصح
فانك مثل الشمس لا سترودونها
فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامها أبدا . فقال زياد : —
لقد كنت ادعو الله في السران ارى

امور معد في يدك نظامها
فقال له عمر : قد رأيت ذلك . فقال : —

فلما أتاني ما أردت تباشرت
قال : فهو عامهن ان شاء الله تعالى . فقال : —
فاني وأرضا أنت فيها ابن معمر
قال : فهي كذلك يا زياد ، فقال : —

اذا اخترت أرضا للمقام رضىتها
وكنت أمني النفس منك ابن معمر
قال : أتمها الله عليك . فقال : —

فلا أك كالمجرى الى رأس غايصة
قال : لست كذلك . فسل حاجتك (((١) . فطالب حاجته . ومن خلال هذه المحاورة
ندرك أن الشاعر يملق ممدوحه بطرق عدة . وقد ألح على الطالب من عمر . يقول (٢) : —

سألناه الجزيل فما تأبى
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا
مرارا ونوت اليه
وقال (٣) : —

أخ لك ليس خلته بمذق
أخ لك لا تراه الدهر الا
اذا ما عاد فقير أخيه عبادا
على الصلوات بقاما جوادا

فممدوحه كريم لا يمل المصطفى ، وهو شاعر ناشد للمال ، وقد فهم كثيرا من الأمور على
هذه المشاكلة . فقد انتقد عراك بن محمد الفقيه ، عندما قدم من معمر ليحدث عمر بن عبيد الله
حديث الفقهاء ، فقال زياد (٤) : —

١ — الاغاني ١٥ : ٣٨٥ — ٣٨٦ .

٢ — الاغاني ١٥ : ٣٧٩ ، فوات الوفيات ١ : ٣٣٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٠٢ .

٣ — الاغاني ١٥ : ٣٨٧ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٠٢ ، حماسة المروزي : ١٧٩٦ / ٤ .

٤ — الاغاني ١٥ : ٣٨٥ .

يَدُنَا أَنْ الْقِيَامَةَ قَدْ أَتَتْ
فَكَمْ بَيْنَ الثُّوبَانِ كُنْتَ صَادِقًا
وَجَاءَ عِرَاكَ يَبْتَخِي الْمَالَ مِنْ مَصْرٍ
وَأَيَّانَ كَسْرَى مِنْ فَلَاقٍ رَمَنَ قَهْمِ

ينتقد زياد عراكا ، مبينا أنه قدم الى عمر طامعا في ماله . ولما استبطأ
زياد عمر في زيارته كتب اليه (١) : —

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودُكَ الْعَيْنُ يَا عَمْرُ
أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَمَاحَتِكَ صِلْبَةٌ
سَنَرَقِيكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَعْلَهَا
فَنَحْنُ لَهَا نَبْخِي التَّمَائِمَ وَالنُّشْرَ
رَبَّارِبِ عَيْنٍ مِلْبَةٌ تَفْلُقُ الدَّجَرَ
نَانَ لَمْ تُفَرِّقْ يَوْمًا رَقِينَاكَ بِالسُّورِ

وقد امتدح عبد الله بن الحارث أمير نيسابور بقوله (٢) : —
ان السَّامِحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى
مَلِكٌ أَغْرَمَتْ رُجُذُ وَنَائِلُ
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ الْمَنَابِرَ بِالتَّقَى
لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِيًا لِنَوَالِكُمْ
فِي قُبَّةٍ صُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَارِثِ
لِلْمُحْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنُجْ
بَعْدَ الْكُنْبِيِّ الْمَسْتَلْفَى الْمُتَحَرِّجِ
أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يَرْتَجِ

وامتدح زياد ابن الأشهب . يقول (٣) : —
إِذَا كُنْتَ مَرْتَادَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى
فَسَائِلُ بِخَيْرٍ عَنْ زِيَادِ الْأَشْهَبِ

وقد امتدح قطر بن قبيصة الهلالي . يقول (٤) : —
أَمِنْ قَدَارٍ دَالَتْ فَقُلْتُ لَهَا قَرَى
وَقِيلَ دَوْلَاءُ مَدَحَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ . يقول (٥) : —

١- الاغانى : ٣٨٩/١٥ . يظهر أن هذا كان يميز تعامل زياد مع الآخرين ، يقول

لَخِيَاظُ بَنِ سَخِينِ بْنِ الْمُنْذَرِ
وَسَمِيَّتْ غِيَاظًا وَلَسْتُ بِغَائِظٍ
عَدُوُّكَ مَسْرُورٌ رِذْوَانٌ بِالَّذِي
نَسِيْتُ لَمَّا أُولِيْتَ مِنْ صَالِحٍ مَضَى
تَلِينَ لِأَهْلِ الْخَلِّ وَالْخَمْرِ مِنْهُمْ
عَدُوٌّ وَلَكِنْ الصَّدِيقُ تَغِيظُ
أَتَى مِنْكَ مِنْ غِيظٍ عَلَيْكَ كَغِيظِ
وَأَنْتَ لِتَعْدَادِ الذُّنُوبِ دَفِيظُ
وَأَنْتَ عَلَى أَهْلِ الصَّفَاءِ فَظِيظُ

انظر : نقد الشعر : ١٠٤ ، بهجة المجالس : ٦٩٢/١ .

٢- معاهد التتبع : ١٣٧/٢ ، الامابة : ٣٧٧/١ ، شرح شواهد الكشاف : ٥٩ ،
المستطرف : ١٦٥/١ .

٣- الاصابة : ٥٧٩/١ .

٤- تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٠٢/٥ .

٥- أنساب الأشراف : ١٣١/٥ .

وأنت اليوم خير منك أمس
كذلك تكون سادة عبد شمس

رأيتك أمس خير بني لؤي
وأنت غداً تزيد الضعيف خيراً

ويقول في سلم بن زياد (١) —

غدّت سفواً من قره البغال
ولا عدّلت شمالك من شمال

إلى سلم أبي حرب ابن حرب
فما عدّلت يمينك من يمين

وقد امتدح زياد جبير بن الزبير النعمري (٢) :

جبيرا خير مختبط لساري
كريم المرق من عود نضار
كريم في زناد المجد وأرى
بطائشة الكموب ولا قصار

وجدت العامري ابن الزبير
وجدتك إذ بلاك الأعر عليها
وزندك حين تنسب من نمير
لعمرك ما رمان بني نمير

هذه هي المعاني التي أدارها زياد حول مدد وحيد ، فهم كرماء ، أجواد ،
يحنون العطايا الكثيرة ، وقد يدون زياد ردّ هذه المعاني أملا في هز أريحيتهم
ودفعهم للخطأ ، أما عندما لم يكونوا يعطونه ، فقد كان يجرد لسانه قائلا (٣) —

ولم يحمها مني أبحث حماهما
إذا ألبسا كان بطيئا بلاهما

وكنّت إذا ما عاملت عني أمّهم
كسوتهم بردين من يميني

فهو يندر أيّ عامل مغبة التقدير ، وحرمانه من العطايا ، لأن ذلك يستثير
الشاعر ، ويجعله يلجأ إلى المقصود ثوبا من الخزى لا يبلى . وقد قال في عباد بن
الحصين الحبطي لما لم يحطه حين سأله (٤) —

وكنّت أراه قريبا يسيرا
فأوالصنع لي لم أسأله نغيرا

سألت أبا جهنم حاججة
فلو أنني خفت منه الخلا

١ — أنساب الأشراف : ج ٤ ق ٢ / ٧٥ ، البصائر والدخائر : ٢ / ٦٧٩ .

٢ — المؤتلف والمختلف : ١١٠ ، ١٩٥ ، ديوان المعاني : ١٧٠ / ١ ، حماسة الخالدين :
٩٩ / ١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٠٢ / ٥ ، المستطرف : ٢٣٢ / ١ ، شرح
شواهد مغني اللبيب : ٢٠٦ / ١ .
٣ — مثالب الزيرين : ٦١ .
٤ — الأغاني : ٣٩٠ / ١٥ .

وكيف الرجاء لما عنده
أقلني أبا جهضم حاجتي
وقد خالط البخل منه الضميرا
فاني امرؤ كان ظني غرورا

وهذا ما أثار حفيظة الشاعر ، فعاتب عبّادا هذا العتاب ، ولم يلبث أن هجاه .
يقول (١) -

فان تلك يا عبّاد وليت شرطة
فباست زمان صرت منه تكلم

وهكذا نرى أن مذائح زياد قد شملت عددا كبيرا من سادة العصر الأموي ،
وهؤلاء الساسة ينتمون إلى معظم الكتل القبلية ، وقد ركّز على خلة الكرم ، بخية هــز
أريحية المدد وحين ، ودفعهم إلى مزيد من العطاء .

هارش زبّاد مجموعة من الشعراء ، من بينهم كعب الأشقرى ، والمغيرة بن
حبّاء التميمي (٢) ويبدو أن سبب تهاجيه والمغيرة بن حبّاء عائد إلى أن المهلب أجزل
عطية زياد ، فحسده المغيرة ، وقال للمهلب : ((أصلح الله الأمير ، ما السبب في تفضيل
الأمير زياد علينا ؟ فوالله ما يغني غناء بني الحرب ، ولا هو بأفضلنا شعبا ، ولا أصدقنا
ودا ، ولا أشرفنا أبا ، ولا أنصنا لسانا (٣))) . ويطن ابن حبّاء زيادا في كفايته الحربية ،
واخلاصه للمهالبة ، وشرفه ، وفصاحته ، وهذا ما كان العربي يفخر به ، ولما بلغ ذلك زيادا .
قال (٤) -

أرى كل قوم ينسل اللؤم عندهم
يشب مع المولود مثل شبابيه
ويُرْمَعه من ثدى أم لئيمة
تعالوا فعدوا في الزمان الذي مضى
لكم بفعال يعرف الناس فضله
فغازيكم في الجيش ألام من غزا
وما أنتم من مالك غير أنكم
بنو مالك زهر الوجوه وأنتم

وقد استشارت هذه الابيات المغيرة ، فردّ عليه (٥)
أزياد أنك والذى أنا عبده
ما دون آدم من أب لك يعلم

١- أنساب الأشراف : ٢٧٨/٥ .

٢- نقائض جرير والفرزدق : ٧٣٦/٢ ، الاغانى : ٨٤/١٣ .

٣- الاغانى : ١٠/١٣ .

٤- المصدر نفسه : ٩٠/١٣ .

٥- المصدر نفسه : ٩٢/١٣ .

ما لا تليق وأنت عليّ اعجم
قوس سرت بها قفاك وأبيهم
والعلج تعرفه اذا يتخيم
أخزأك ربي اذ غدوت تترنم
ألا وأنت ببظر أمك ملجس
سبا وأنت العلج حين تكلم
والعالمين من الكهول فأقسموا
حسب رانك يا زياد مَسْؤُومٌ

فالحق بأرضك يا زياد ولا ترم
أظننت ليكم يا زياد يسده
علج تعصب ثم راق بقوسه
الق العصابة يا زياد نائما
واعلم بأنك لست مني ناجيا
تهجو الكرام وأنت ألام من مشي
ولقد سألت بني نزار كلمهم
بالله مالك في معد كلهم

والملاحظ أن زيادا شمل الأحابن جميعا في هجائه ، أما المغيرة فقد خص
زيادا فحسب ، ويبدو أن سبب ذلك يعود الى أن زيادا مطعون في نسبه ، فضلا عن
اعتقاد زياد على هذا الضرب من الهجاء * وقد رد زياد عليه بقوله (١) : -

لأبقي من كلاب بني تميم
كذاك يرد ذوالحق اللئيم
كسرت كعوبها وتستقيم
وهم تبع كزائدة الظلّيم
يمر على نواجذك القدوم
فانك بعد ثالثة رميهم
للؤمكم وليس لكم كريم
على الفحشاء والبطح اللئيم

ألم تر أنني وثرت قوسي
عوى فرميتهم بسهام موت
وكننت اذا غزت قناة قوم
دم الحشو القليل لكل حسي
فلمست بساقي هرما ولما
فحاول كيف تنجو من وقاعي
سرا تكم الكلاب البشع فيكم
فقد قدست عبودكم ودمتم
وقال زياد (٢) -

فدعوه من لؤم حبناء
مي وذوالداء ينتج الأدواء

ان حبناء كان يدعى جبيرا
وكذا العور منه والبصر والجذ
وقال (٣) :

لوجدت في شيان نسبة دغفل
شر الأنام ومن عبد أغفل

بل لو سألت أخا ربيعة دغفلا
ان الأحابن الذين يلونهم

يفتح زياد في هجائه بني حبناء ، ويغيرهم بعاهاتهم التي ابتلاهم الله بها فقد كان
المغيرة بن حبناء ((أبرص ، وأخوه صخر أعور ، وأخوه الآخر مجذوما ، وكان أبائهم حبناء ،

١- الاغاني : ١٣/٩٣ ، شرح شواهد مغني اللبيب : ٢٠٥/١ .

٢- الاغاني : ١٣/٩٩ .

٣- البيان والتبيين : ١/٣٢٣ .

فلقلب حبناء ، واسه جبير بن عمرو^(١) . وهذا يكشف لنا عما يوظفه زياد للآراء على مهجوه واحتقاره ، كما يكشف عن نفسية الشاعر ، التي لا تتفاعل مع الآخرين ، ولا تتأثر بما يثبهم .

ويبدو أن الهجاء قد لجح بين الشعارين ، حتى شمل كل منهما قوم الآخر . وكانت ربعة - فيما يبدو - تشجع زيادا بقولها : ((يا زياد ، أنت لساننا ، فاذيب عن أعراضنا بشعرك ، فان سيفنا منك^(٢))) . فقال المغيرة بن حنبل^(٣) : -

ليوقظ في الحرب الملمة نائما	يقولون ذبب يا زياد ولم يكن
فيمنعهم أو ما جذا أو مراغما	ولو أنهم جاءوا به ذا حفيظة
له حجج سيعون يصبح رازما	ولكنهم جاءوا بأكلف قد مضت
إذا نال دنا لم ينال المكارما	لثيما ذميما أعجميا لسانه
إذا ذكر الناس العلا والعظما	وما خلت عبد القيس إلا نفاية
على حذر منه إذا كان طاعما	إذا كنت للعبدى جارا فلا تزل
إذا شبعوا عند الجباه الدراهما	أناسا يعدون الفساء لجارهم
ويحطون مولاهم إذا كان غارما	من الفسوي يقصون الحقوق عليهم
سمعت زفيرا فيهم دهماهما	لهم زجل فيه إذا تجاوسوا
ربعة مني يوم ذلك سالما	لعيرك ما نجى ابن زروان إذ عوى
أسلم عرضي أو أهاب المقامما	أظن الخبيث ابن الخبيثين أنني

يهاجم المغيرة زيادا ، ويدمغه بأنه لثيم ، ذميم ، أعجمي اللسان . وهو لا يتنحى بمهاجمة زياد فقط ، بل يهاجم العبديين ، ناعيا عليهم طلبهم من زياد أن يذب عن أحسابهم ، ناسبا إياهم إلى الخدر ، مهاجما قوم زياد بما أشيع عنهم من كثرة الفساء . ويظهر أن شعر المغيرة قد أصابهم في الصميم ، وربما أحسوا أن زيادا عاجز عن عقارته ، فأتوا إلى المغيرة قائلين : ((يا هذا ، مالنا ولك ؟ تخمنا بالهجاء ، لأن نبحك منا كلب ، فقال : وقالت : قد تبرأنا إليك منه ، فان هجأك فاهجة ، وخل عنا ، ودعنا وأنت وصاحبك ، اعلم فليس منا له عليك ناصر^(٤))) . فقال^(٥) :

- ١- الاغاني : ٩٩/١٣
- ٢- المصدر نفسه : ٩٤/١٣
- ٣- المصدر نفسه : ٩٤/١٣
- ٤- المصدر نفسه : ٩٥/١٤
- ٥- المصدر نفسه : ٩٥/١٤

لمحتقر في دعوة الود زاهد
وما لك في الأرض العريضة والد
فلا قيت ما لم يلق في الناس واحد
لكيزين أفصى منك والجنود حاشد
بنفك سكان القرى والمساجد
بناتك يعلم أنهن ولا تسد
حواليك لم تجرح بهن الحدايد
يثر عليها المقرفات الكواسد
جديدا ولا تلقى لهن الوسائد
ولا ولدك المحصنات المواجد
بينها ولا جبيت عليك القلائد
تفاك وخديك البظور الحوارد
وعرضك يستبان السيف شاهد
إذا ماتت ألا مات علج معاهد

لحمرك اني لابن زروان إذ عوى
وما لك أصل يا زياد تعده
ألم تر عبد القيس منك تبرأت
وما طاش سهمي عنك يوم تبرأت
ولا غاب قرن الشمس حين تحدث
فأصبحت علجاً من يزرع ومن يزر
وأبجدن قلغاً يختزلن بأجرة
تفرن من الموسى وأقررن بالتي
باصطخر لم يلبس من طول فاقه
وما أنيت بالمنسوب في آل عامر
ولا رببتك الحنظلية لذي غدت
ولكن غذاك المشركون وزاحمت
ولم أر مثلي يا زياد بحر ضسة
ولو أنني غشيتك السيك لم يقل

ينسبه الى غير العرب ، فلا أصل له ، ولا زالد معروف له ، وقد برثت منه العشيرة
التي لحق بها ازدراء منها له . وهذا يثبت كفاءة المغيرة ، وتمكنه من حطم علاقة زياد بعبد
القيس ، واجبارها على التبرؤ منه رغم أنها - رمت على - توثيق صلتها به في فترة سابقة .
وبجرد المغيرة زيادا من صلتها بالعرب ، فهو علج ، وبناته عاملات ، بالغزل بأجر ، وهذا
يدل على ضنطته وفقرة وثقلته - يلمته - ، ويعدده عن خلائق العربي الذي يفخر باعزاز بناته ، وحتى
ولو كان فقيرا ، ويستمر الشاعر في تجريده من الفضائل التي اعتر بها العربي ، وينسبه الى
الفقر ، الذي كان محذوقا به في اصطخر .

وخلاصة القول أن الشاعرين ، تراشقا بأشعار ، حملت مضامين تقليدية غير
أن المغيرة انتصف من زياد ، وشمل بالهجاء عبد القيس ، مما اضطرها الى التبرؤ منه .

وبعد وأن زيادا لم يكن دائما عصرا على مواقفه ، فقد نصحه يزيد بن حبناء بترك
الهجاء . فقال زياد (١) :

الى الموت يهجد وجاهداً ويروح
وان عاش دهرأ في البلاد يسبح
أخاك وعظ نفساً فأنت جنوح
لأهل التقى والمسلمين يلوح

يحدوني الموت ابن حبناء والفتى
وكل امرئ لا بد للموت صائر
فقل ليزيد يا ابن حبناء لا تعظ
تركت التقى والدين دين محمد

وتابعت مَرَّاقَ العراقيين سادراً وأنت غليظُ القصرين صحيح

وعندما سمع هذه الأبيات يزيد بن عاصم الشَّني ، قال : ((أراه واللسه سيأتي على نفسك ، ثم لا تحقق فيك عنزان ، اذهب ويحك فأته ، واعتذر اليه ، لعله يقبل عذرك ، فمضى اليه بجماعة من عبد القيس ، فشفعوا اليه فيه . فقال : لا تريب ، لست واجدا عليه بعد يومي هذا)) (١) .

فقد تراجع عن موقفه ، عندما أحس أن الخطر قد دهمه ، وهذا يفصح عن شخصيته - التي قد يصح لنا أن نصفها بأنها انتهازية - التي تنظر الى الأمور بقدر ما تحقق لها من مكاسب . وقد يثبت ذلك كثرة من مدحهم ، وكثرة من ذمهم وهارشمهم من الشعراء وغيرهم . وقد يكون موقف زياد آلاني من يزيد بن حبناء متأثراً بصراعة ، مع اخيه المغيرة بن حبناء .

وزياد لم يشترك مع ابن حبناء فقط ، فقد حاول الفرزدق أن يتناول زيادا بالهجاء ، بعد انتهاء المعركة الشعرية ، التي دارت بين كعب الأشقرى وزيادا غير أن زيادا قطع على الفرزدق ذلك وكتب اليه (٢) : -

وما ترك الهاجون لي ان هجوتهُ
ولا تركوا عظماً يُرى تحت لحمه
سأكبرُ ما أبقوه لي من عظامه
وانا وما تُهدى لنا ان هجوتنا
مصحاً أراه في أديم الفرزدق
لكاسره أبقوا للمتـسرق
وأنكتُ مخ الساق منه وانتقي
لكالبحر مهما يُلق في البحر يفرق

وعندما سمع الفرزدق ذلك عزف عن مهاجمة زياد . وهذا التصرف من الفرزدق يدل على تبيينه لقدرة زياد لقدرة زياد الشعرية ، وسبر زياد على مهارشة الشعراء ، وله من هارشمهم زياد دليل .

هاجى زياد شعراء يشكر ، كابي جسلده (٣) ، وسويد بن أبي كاهل (٤) ،

١- المصدر نفسه : ٣٩٠/١٥ .

٢- الشعر والشعراء : ٢٥٧ - ٢٥٨ ، الأغاني : ٣٩٢/١٥ ، الممثلة : ٦٤/١ ،

خزانة الأدب : ١٩٣/٤ .

٣- الشعر والشعراء : ٤٦٠ .

٤- الأغاني : ١٠٣/١٣ .

وَقَتَادَةُ بْنُ مُغْرَبٍ الْيَشْكُرِيُّ (١) ، يَقُولُ فِي هَجَاءِ الْيَشْكُرِيِّينَ (٢) : —

اِذَا يَشْكُرِي مَسَّ ثَوْبِكَ ثَوْبِيهِ فَلَا تَذَكَّرَنَّ اللَّهَ حَتَّى تَطْهَّرَا
فَلَوْ أَنَّ مِنْ لَوْثٍ مَوْتٌ قَبِيلِيهِ اِذَا لَا مَاتَ اللَّوْثُ لَا شَكَّ يَشْكُرَا

اثر ذلك استجدت يشكر بسويد بن أبي كاهل ليُرَدَّ على زياد فرفض سويد ذلك ، فقال زياد (٣) : —

وَأَنْبَتَتْهُمْ يَسْتَصْرِخُونَ ابْنَ كَاهِلٍ وَلِلْثَوْبِ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ
فَإِنْ يَأْتِنَا يَرْجِعُ سَوِيدٌ وَوَجْهُهُ عَلَيْهِ الْخَزَايَا غَبْرَةٌ وَقَتَامٌ

فلم يسلم سويد من شره ، رغم أنه رفض عرض يشكر عليه ، وهذا السلوك من زياد ، قد يكشف عن ولوعه بتجريح الخصم وإعانتته . وقد يكون هذا آتيا للشاعر من أصله المغموز والمطمون فيه صراحة . وهذا ما جعله يصّر على غمز نسب الشاعر الذي يهاجمه ، ويشمل في الهجاء قبيلته . وقال في اليشكريين (٤) : —

وَيَشْكُرُ لَا تَسْتَطِيعُ الْوَفَاءُ وَتَمَجِّزُ يَشْكُرُ أَنْ تَغْدِرَا

ويقول أمير بن أحمد اليشكري (٥) : —

لَوْ لَا أَمِيرٌ عَلَّكَتْ يَشْكُرُ وَيَشْكُرُ هَلَكَى عَلَى كُلِّ حَالٍ

فهو ينبغي ، على اليشكريين قلة وفائهم ، ويستدرك على ذلك حتى لا يظن بأنهم لا يفون عن قوة أو تنفد ، فهم لا يفون لأنهم أصلا لا يجيدون القدر ، وهذا العجز بعينه ، غير أن البيت الثاني يبين عن خلق زياد النسطق ، إذ يستثني أمير من اليشكريين ، ويخصه بالثناء . ولم لا ؟ فالمال بيده والسلطة لديه ومدهحه

- ١- الشعر والشعراء : ٢٥٧ .
- ٢- الاغاني : ١٣ / ١٠٣ .
- ٣- الاغاني : ١٣ / ١٠٣ ، البديع لابن المصتر : ٢٦ ، الموازنة : ٢٧٥ / ١ ، نقد الشعر : ١٨٥ ، سر الفصاحة : ٢٢٨ ، خزانة الأدب للحموي : ٦٩ ، نهاية الأرب : ٩٩ / ٧ ، ١١٢ .
- ٤- الشعر والشعراء : ٢٥٧ ، حماسة الخالدين : ٣٦ / ١ .
- ٥- فتوح البلدان : ٣٩٤-٣٩٥ ، ابن الأثير : ١٢٩ / ٣ . ولاه عبد الرحمن ابن سرّة أسير على سجستان ، فأخرجه أهلها سنة ٣١ هـ .

طريق للكسب . ويقول في الشكرين كذلك (١) :

لو أن بكرًا براه الله راحةً
ليسوا إليه ولكن يملقون به
لكتان يشكرُ منها موضع الذنب
كما تعلق راقى النخل بالكرب

ينفي نسبة الشكرين الى بكر ، ويبين خستهم وضالتهم ، وقلة قيمتهم .
وهكذا نرى أن زيادا يصر على تهجين الشكرين . وهو بهذا يستقطب ما في نفسه على
الآخرين .

هاجم زياد الأعجم الجرميين . ولم تسعفنا المصادر بسبب هجموه لهم ،
واحتقاره اياهم حتى لقد صال الباحثون يستشهدون ببعض أبياته في الجرميين ليدلوا
على التناهي في الحقارة . يقول زياد (٢) :

إذا ما اتقى الله امرؤً والجماعه
وابو جندب جرم على رأس نملة
فليس به بأس وإن كان من جرم
لباتوا شباعا يضطرون من الشحم

هجا جرم ولما يهجمهم أحد
لا يبلغ الناس ما فيهم وإن جهدوا
ويقول (٣)

ومن أنتم أنا نسينا من أنتم
وأنتم أولى جئتم مع البقل والدبا
فلم تسموا إلا بمن كان قبلكم
وربحكم من أي ربح الأعرس
فطار وهذا شخصكم غير طائر
ولم تدركوا إلا مدق الحوافز

فأى قوم هؤلاء الذين لو اجتمعوا على رأس نملة لشبعوا ؟ وأى تناء في
الحقارة هذا الذي لن يستطيع انسان أن يصفه مهما كان بليغا ؟ وأى قوم هؤلاء الذين
خلقوا مع البقل والدبا ، فطار الدبا فأفقا منهم ؟ وعلى ذلك نرى أن زيادا يبين
أنهم قليلو العدد ، عديمو التأثير في الأحداث ، وقد ردد هذا المعنى فيهم بقول
لأبي قلابة الجرمي (٥) :

قم صاغرا ياكهل جرم فأنما
فانك شيخ ميت ومورث
يقال لكهل الصدقر قم غير صاغر
قضاة ميراث البسوس وقاشير

١- طبقات الشعراء ، ابن سلا م : ١٤٣ .

٢- ديوان الصائفي : ١ / ١٨٠ .

٣- نقد الشعر : ١٠٨ .

٤- حماسة التبريزي : ١٠٧ / ٤ - ١٠٨ ، حماسة المروزي : ١٥٣٩ / ٣ .

٥- الأغاني : ٣٩٤ / ١٥ ، العقد الفريد : ٣٠١ / ٥ - ٣٠٢ ، الحماسة البصرية : ٢ / ٢٧٠ .

بقية خلق الله آخر آخر
ولم تدركوا إلا مدق الحوافر
إلى حقه لم تدفنوا في المقابر

قضى الله خلق الناس ثم خلقتهم
فلم تسمعوا إلا بما كان قبلكم
فلورث أهل الحق من مات منكم

و يقول فيهم (١) —

وما جرم وما ذاك السويق ؟
ولا غالوا به في يوم سويق
ثلاثا يا بابت جرم أن تنفوقوا

تكلّفني سويق الكرم جرم
فما شربوه إذ كانت حلالا
فأولى ثم أولى ثم أولى

وهكذا أغالى زياد في احتقار الجرميين ، ناسبا لهم ذم الصفات ، هضيفا
لهم كل نقیصة مكنة ، مع التركيز على قتلهم (٢) —

وقد هجا زياد تسم اللات بقوله (٣) —

وتيمم اللات ليس لها نجوم
فمدوها إذا عد القديم

لكل قبيلة قمر ونجم
أناس وبه النحيين منهم

وهكذا نرى أن زيادا قد هجا عددا كبيرا من الشعراء وغير الشعراء ،
وعمّ قبايلهم بهجاءه .

وقد ذكر الكتبي أن زيادا توفي في حدود سنة مئة هجرية (٤) ، غير أن
السيوطي ذكر أن زيادا وفد على هشام بن عبد الملك ، وشهد وفاته بالرصافة (٥) ، ومعروف
أن هشاما مات في سنة ١٢٥ هـ ، وعلى ذلك نرى أن الأجل قد امتد بزياد إلى ما
بعد الربع الأول من القرن الثاني الهجري . وقد يتفق هذا مع ما ذكره البغدادي
من أن عمر الشاعر قد طال وامتد (٦) .

- ١- الشعر والشعراء : ٢٥٩ ، وفيات الاعيان : ٤٨٦/٢ .
- ٢- هناك بيتان في نسبتهما ليس . وقال رجل من جرم لزياد الأعجم :
دلفت الى صميمك بالقوافي عشية مجفل فهتمت فاك
وصدق قد ما أقول عليك قسوم عرفت أبا نعم ونفوا أباكم
- انظر : حماسة التبريزي : ١٠٧/٤ .
- ٣- الحماسة البصرية : ٢٨٣/٢ .
- ٤- فوات الوفيات : ٣٣٣/١ .
- ٥- شرح شواهد مفعي اللبيب : ٢٠٦/١ ، خزانة الأدب : ١٩٤/٣ .
- ٦- خزانة الادب : ١٩٤/٤ .

خاتمة

لم يدرس المهالبة دراسة متخصصة تتناول علاقاتهم بالأحداث وعلاقات الشعراء بهم، وإن كان المهلب بالذات قد درس ضمن دراستين تاريخيتين، أداغت عليهما الأولى لراشد صقر (١)، والثانية لعمر أبي النصر (٢)، وقد اقتصرت الدراستان العرض أساساً لهما، ودراسة عمر أبي النصر لا تعدو عدة صفحات. وقد تناولت الدراستان المهلب قائداً عسكرياً. وقد درس بعض الشعراء الذين اتصلوا بالمهالبة ما دخن أو زامن، درسوا ضمن دراسات دارت حول بعض الموضوعات. فقد درس استاذي الدكتور حسين عداوان في الشعر العربي بخراسان (٣) عدداً منهم، ودرس الدكتور نعمان القاضي بعضهم في شعر الفرق الإسلامية في الشعر الأموي (٤)، ودرس الدكتور شوقي ضيف، بعضهم في العصر الإسلامي (٥)، كما درس الدكتور محمد الكفراوي عدداً منهم في تاريخ الشعر العربي (٦). وقد تناولت دراستي هذه المهالبة، وعلاقتهم بالأحداث، ودرهم الفاعل فيها، كما تناولت الحركة الشعرية التي دارت حولهم.

وقد توصلت إلى عدة نتائج منها: أن المهالبة (والمهلب بالذات) يفتخرون من ولائهم السياسي، فهم تارة مع السفليين، ومرة مع الزبيريين وأخرى مع المروانيين. غير أنهم حين ثبت سلطان بني أمية، صاروا يمثلون سلطان الأمويين أينما ذهبوا، ولذا ادأمان الأمويون إليهم، وبخاصة حين اهرت مزاياهم المميزة. غير أن حساد المهالبة، سموا للالاقاع بهم لأسباب كثيرة، ناقشتها. ونجحوا في إيفار قلوب الأمويين عليهم، فأوقعوا بهم.

- ١ — راشد صقر، المهلب بن أبي صفرة قائداً وجندياً، تقديم زياب الفهد، ط١، ١٩٧١.
- ٢ — عمر أبو النصر، المهلب بن أبي صفرة قاهر الخوارج ومن أشهر قواد العرب في التعبئة، المكتبة الأهلية، بيروت.
- ٣ — حسين عداوان، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، ط١، مكتبة المحتسب عمان، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤.
- ٤ — نعمان القاضي، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر.
- ٥ — شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ط٧، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣.
- ٦ — محمد عبدالعزيز الكفراوي، تاريخ الشعر العربي، مكتبة نهضة مصر بالفضالة، ١٩٦١.

وقد تبين المهالبة قيمة الشعر في عصرهم، فاجتذبا الشعراء الى مجالسهم،
مخربين اياهم بنشر الاموال امامهم، مدافعين عنهم بأى ثمن، ولذا خلع عليهم الشعراء صفة
الكرم، وهي من عناصر السيادة، وقد لصر الشعراء طبيعة المهمة التي اضطلع بها
المهالبة، فنعتوهم بالشجاعة، وهي من الصفات التي يجب ان تمتلك القادة. وهكذا وصفتهم
الشعراء بهاتين الصفتين. وقد خلع الشعراء عليهم صفات جديدة (اسلامية) فقد
استخدم الدين في ذلك العصر سلاخا سياسا تتسلح به القوى المتصارعة في الساحة.

وقد حدد انتما المهالبة القبلي علاقاتهم بالولاة والسياسيين أحيانا مـ
أن مجالسهم شملت كثيرا من الشعراء من متعدي الكتل القبلية التي كانت في الساحة.
وكانت علاقتهم بلقيسية سيئة. ولعل موقف الحجاج منهم، وهو الذي زاد من هذا سوء.

ولكن هذا لا يعني ان المهالبة لم يثلبوا، فقد ثلبوا وهجوا حتى من شعرائهم.
مما يدل على أن ولا الشعراء لهم لم يكن صادقا بل كان مرحونا بظروف متغيرة تحدد لها
المصلحة وحسب العطاء. وقد هجاهم بعض الشعراء في حياتهم كالفرزدق، وذمهم
عدد كبير من الشعراء، وتشفوا بهم بعد القنأ عليهم، وتصفية نفوذهم، ومن هنا رأيت
أن مواقف شعراء المهالبة تدل على أنهم كانوا متكسبين، غير ملتزمين بولايتهم للمهالبة.

المصادر

- ١ - الأمدى، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى .
أ) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م - ١٣٨٠هـ .
ب) المؤلف والمختلف، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م - ١٣٨١هـ .
- ٢ - الابشيهي، شهاب الدين أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، ط ٢، مطبعة المعاهد، القاهرة، ١٩٣٥م - ١٣٥٤هـ .
- ٣ - ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني .
أ) الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م - ١٣٨٥هـ .
ب) اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد .
- ٤ - ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد،
الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ٤، مطبعة السعادة، ١٩٦١م - ١٣٨٠هـ .
- ٥ - اسامة بن منقذ، لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٥م - ١٣٥٤هـ .
- ٦ - ابن ابيك الصفدي، خليل، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة المدني، ١٩٦٩م - ١٣٧٩هـ .
- ٧ - البحتري، أبو عباد، حماسة البحتري، ضبطه وعلق حواشيه كمال مصطفى، ط ١، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٢٩م .
- ٨ - البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي، التاريخ الكبير، ط ١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، ١٣٦٠هـ .
- ٩ - البصري، صدر الدين، بن أبي الفرج بن الحسين، الحماسة البصرية، اعتنى بتصحيحه الدكتور مختار الدين أحمد، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن بالهند، ١٩٦٤م - ١٣٨٣هـ .
- ١٠ - البغدادي، أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، وقف على طبعة محمد بدر، مطبعة المعارف بمصر، ١٩١٠م - ١٣٢٨هـ .

- ١١- البديعي، يوسف، هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام، تعليقات ناشره محمود مصطفي،
مراجعة سيد يسن احمد، مطبعة العلوم بالسيدة زينب، ١٩٣٤م - ١٣٥٢هـ .
- ١٢- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب على شواهد
شرح الكافية، ط ١، المطبعة الأميرية، بولاق .
- ١٣- البكري، أبو عبيد الأوني، سمط اللآلي، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م - ١٣٥٤هـ .
- ١٤- البلاذري، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر،
أ) أنساب الأشراف، ج ١، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، دار المعارف، مصر،
١٩٥٩م ج ٢، تحقيق ماكس شليزنجر، مطبعة الجامعة، القدس، ١٩٣٨م، ج ٤،
ق ١، تحقيق جويتين، القدس، مطبعة الجامعة الصربية، ١٩٣٦م ج ٥ يطلب من
مكتبة المثنى .
ب) مخطوط أنساب الأشراف، اسطنبول، السليمانية (مكتبة رئيس الكتاب) ،
رقم ٥٩٨ .
ج) فتوح البلدان، تحقيق دي جويه، ط ٢، مطبعة بريل، ١٩٦٨م .
- ١٥- البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل، البدء والتاريخ، تحقيق كليمان هوار، ١٨٩٦-
١٩١٦م .
- ١٦- البيهقي، ابراهيم بن محمد، المحاسن والمساوي، دار صادر للطباعة والنشر
ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م - ١٣٨٠هـ .
- ١٧- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب، شرح ديوان الحماسة، حققه وضبط
غريبه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة .
- ١٨- أبو تمام الطائي، حبيب بن أوس، ديوان الحماسة، علق عليه وراجعه محمد عبد المنعم
خفاجي، مطبعة محمد علي سبيح وأولاده، ١٩٥٥م - ١٣٧٤هـ .
- ١٩- التنوكي، أبو علي الحسن بن علي، المستجاد من فعاليات الجواد، عني بنشره
وتحقيقه محمد كرد علي، ١٩٧٠م .
- ٢٠- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل .
أ) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تصحيح محمد حسين، مطبعة الظاهر،
القاهرة، ١٩٠٨م - ١٣٢٦هـ .
ب) أحاسن كلم النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام
والوزراء، الكتاب والبلغاء والحكام والعلماء، تحقيق جوزيف يوحنا فليبيوس
فالتون، الأكاديمية الجغرافية، ١٨٤٤م .

(ح) الجواهر المصنف، تحقيق إبراهيم البيار، وحسن كامل السيفي، دار احياء الكتب العربية، ١٦٠م - ١٣٧٩ هـ .

٢١- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر .

(أ) البخلاء، حقق نصه وعلق عليه طه العاجري، دار المصنف بمصر .

(ب) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م - ١٣٨١ هـ .

(ح) الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٣٨ - ١٩٤٥م، ١٣٥٦ - ١٣٦٤ هـ .

(د) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،

١٩٦٤م - ١٣٨٤ هـ .

(هـ) المحاسن والأضداد، مطبعة المصنف، القاهرة، ١٩٣٢م - ١٣٨٦ هـ .

٢٢- الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبئ وخصومه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي،

١٦٦م - ١٣٨٦ هـ .

٢٣- جرير، ديوان جرير، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المصنف بمصر،

١٩٧١م .

٢٤- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة

دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٥٢م - ١٣٧١ هـ .

٢٥- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر، المغرب من الكلام

الأعجمي، تحقيق وشرح ابو الأشبال احمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب

المصرية، القاهرة، ١٣٦١ هـ .

٢٦- ابن الجوزي، الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي .

(أ) أخبار المغفلين والحمقى، تحقيق كاظم المظفر، المكتبة الحيدريّة

ومطبتها بالنجف، ١٦٦م - ١٣٨٦ هـ .

(ب) الأذكياء، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت .

٢٧- الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق

أحمد عبد الففور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر .

٢٨- ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي،

المحبر، اعتنت بتصحيحه الدكتورة ايلزه ليختن شتيتز، مطبعة دائرة المعارف

العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٦١ هـ .

٢٩- ابن حجة الحموي، تقي الدين بن أبي بكر .

(أ) ثمرات الأوراق في المحاضرات، ط٢، مطبعة المصنف، القاهرة، ١٩٣٥م -

١٣٥٤ هـ .

- (ب) خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت.
- ٣٠- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي.
- (أ) الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٢٨ هـ.
- (ب) تهذيب التهذيب، ط ١، مطبعة مطحس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن بالهند، ١٣٢٧ هـ.
- ٣١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩م - ١٣٧٩ هـ.
- ٣٢- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م - ١٣٨٢ هـ.
- ٣٣- الحصري، أبو اسحق إبراهيم بن علي القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٣، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٣م - ١٣٧٣ هـ.
- ٣٤- الحميري، محمد بن عبد الصنع، الروض المصنوع في خبر الأقطار، حققه احسان عباس، دار القلم للطباعة، لبنان، ١٩٧٥م.
- ٣٥- ابو حنيفة الدينوي، أحمد بن داود، الاخبار الطوال، تحقيق عبد الصنع عامر، مراجعة الدكتور جمال الدين الشيال، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٣٦- ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن علي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٣٧- أبو حيان التوحيدى.
- (أ) الامتاع والموائسة، صححه وضبطه أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- (ب) البهائم والذخائر، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني، مكتبة اطلس ومكتبة الانشاس، دمشق، ١٩٦٤.
- (ج) مثالب الوزيرين، أخلاق الساجد بن عباد وابن العميد، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني. دار الفكر، دمشق، ١٩٦١.
- ٣٨- الخالدي، أبو بكر محمد وابو عثمان سعيد ابنا هاشم.
- (أ) الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والمتأخرين، حققه الدكتور السيد محمد يوسف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٨.
- (ب) المختار من شعر بشار، تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوى، مطبعة الاعتماد، ١٩٣٤م - ١٣٠٣ هـ.
- ٣٩- ابن خرداذبه، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، بريل، ١٨٨٩.

- ٤٠- الخزرجي، عز الدين عبد الوهاب بن ابراهيم، شرح المضمون به على غير أهله، شرحه عبید الله بن الكافي المبيدي، دار البيان بغداد، دار صعب بيروت.
- ٤١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المصري، تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م - ١٣٩٦هـ.
- ٤٢- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفیات الاعيان، حققه الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- ٤٣- خليفة بن خياط المصفرى .
 أ) تاريخ خليفة بن خياط، حققه وقدّم له أكرم ضياء العمرى، ط ١، مطبعة الاداب في النجف الاشرف، ١٩٦٧م - ١٣٨٦هـ.
 ب) الطبقات، حققه وقدّم له أكرم ضياء العمرى، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٦٧م.
- ٤٤- ابن داود الأصفهاني، ابو بكر محمد، النسخة الثانية من كتاب الزهرة، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور نوري القيسي، منشورات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية، ١٩٧٥م.
- ٤٥- ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن .
 أ) الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٨م - ١٣٧٨هـ.
 ب) جوهرة اللغة، مكتبة المثنى بغداد بالأوفست، ١٩٧٠م.
- ٤٦- الدولاوي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد، الكني والاسماء، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن، ١٣٢٢هـ.
- ٤٧- الذهبي، الحافظ شمس الدين ابو محمد بن احمد بن عثمان بن قايمز التركماني
 أ) دول الاسلام في التاريخ، ط ٢، مطبعة جمعية دائرة المعارف العشمانية، بحيدرآباد الدكن، ١٣٦٤هـ.
 ب) سير أعلام النبلاء، تحقيق الدكتور محمد اسعد اطلس واخريين، دار المعارف القاهرة.
- ٤٨- الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الجرح والتعديل، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العشمانية بحيدرآباد الدكن بالهند، ١٩٥٣م - ١٣٧٢هـ.

- ٤٩- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، ١٩٦١.
- ٥٠- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١ م.
- ٥١- رؤيفة بن المجاج، ديوان رؤفة، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم الورد البروسي، ليبك، ١٩٣٠ م.
- ٥٢- الزبيدي، السيد محمد مرتضى، دار صادر بيروت، ١٩٦٦ م- ١٣٨٦ هـ.
- ٥٣- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، ط ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وقف على طبعه ونشره محمد سامي أمين الخانجي، ١٩٥٤ م- ١٣٧٣ هـ.
- ٥٤- الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢ م- ١٣٦٢ هـ.
- ٥٥- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق، الأمل، شرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، ط ١، مطابع السعادة.
- ٥٦- الزرقاني، شرح المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني، ط ١، المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٢٥ هـ.
- ٥٧- الزمخشري، جابر الله أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل، تحقيق J.P. Broch بروك.
- ٥٨- سراقه البارقي، ديوان سراقه البارقي، حققه الدكتور حسين نصار، ط ١، ١٩٤٧ م- ١٣٦٦ هـ.
- ٥٩- ابن سعد، محمد، الطبقات الكبير، عني بتصحيحه إدوارد سخو، مكتبة المثنى، بغداد.
- ٦٠- ابن سلام الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، شرحه محمود محمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر.
- ٦١- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، اعتنى بتصحيحه عبد الرحمن بن يحيى اليماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٩٦٢ م- ١٣٨٢ هـ. وطبعة مرجوليوث، ليدن، بريل، ١٩١٢ م.
- ٦٢- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، سر الفصاحة، صححه عبد المتعال الصفيدي، مطبعة محمد علي صبيح، ١٩٥٣ م- ١٣٧٢ هـ.
- ٦٣- السهيمي، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم، تاريخ جرجان أو كتاب معرفة علماء أهل جرجان، قدم له عبد الرحمن بن يحيى اليماني، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن بالهند، ١٩٥٠ م- ١٣٦٩ هـ.

- ٦٤- السويدى، أبو الفوز أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ١٣٠٥ هـ .
- ٦٥- سيبويه، أبو بشر عمرو الكتاب، ط ١، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق ١٣١٧ هـ .
- ٦٦- السيد المرتضى، الشريف أبو القاسم علي بن الطاهر أبو الحسين، أمالي السيد المرتضى، صححه وضبطه السيد محمد بدر الدين النمساوي الحلبي، ط ١، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٠٧ م - ١٣٢٥ هـ .
- ٦٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (أ) تاريخ الخلفاء، دار الفكر، ١٩٧٤ م - ١٣٦٤ هـ .
(ب) شرح شواهد مثنى اللبيب، تصحيح العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركي، الشنقيطي، مطبعة لجنة التراث العربي .
(ج) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، عيسى محمد البهاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية .
- ٦٨- ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني .
(أ) الأمالي الشجرية، ط ١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٤٦ هـ .
(ب) الحماسة الشجرية، تحقيق أسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠ .
- ٦٩- الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن، شرح المقامات الحبرية، مطبعة بولاق، مصر، ١٢٨٤ هـ .
- ٧٠- الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الطل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨ م - ١٣٨٧ هـ .
- ٧١- صاعد الاندلسي، صاعد بن أحمد، طبقات الامم، وضع المقدمة السيد محمد بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ .
- ٧٢- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، طبع لیسدن، ١٨٩٧ م .
- ٧٣- الطراوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري المالكي، سراج الملوك، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٩ هـ .
- ٧٤- الطرامح بن حكيم الطائي، ديوان الطرامح، تحقيق الدكتور عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٨ م - ١٣٨٨ هـ .

- ٧٥ - العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٧ م - ١٣٦٧ هـ.
- ٧٦ - ابن عبد البر القردابي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. (أ) بهجة المجالس وأنس المجالس وشهد الزاكن الهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي ومراجعة الدكتور عبد القادر القط، دار الجيل للطباعة والدار المصرية للتأليف والترجمة.
- (ب) الانباه على قبائل الرواة، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٠ هـ.
- ٧٧ - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، المقدر الفريد، تحقيق أحمد أمين وأبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠ - ١٩٤٩، ١٣٥٩ - ١٣٦٨ هـ.
- ٧٨ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، علق حواشيه أحمد مصطفى المراغسي، المكتبة التجارية الكبرى.
- ٧٩ - عبد الله بن الزبير الأسدي، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار الجربة للطباعة، بغداد، ١٩٧٤ م - ١٣٩٤ هـ.
- ٨٠ - أبو عبيدة، معمر بن المثنى، نقاش جرير والفرزدق، تحقيق بيفان، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٥٥ م.
- ٨١ - أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواضع، حققه مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥ - ١٩٥١ م - ١٣٦٤ - ١٣٧١ هـ.
- ٨٢ - العميد، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد، التذكرة السمعية في الأسماء العربية، تحقيق عبد الله الجبوري، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٢ م - ١٣٩١ هـ.
- ٨٣ - ابن عساكر الشافعي، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن شبة الله، تهذيب تاريخ ابن عساكر، تصحيح الشيخ عبد القادر بدران، مطبعة روضة الشام، ١٣٣٠ هـ.
- ٨٤ - ابن المماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- ٨٥ - عمر بن لجأ التيمي، شعر عمر بن لجأ التيمي، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ.
- ٨٦ - أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- ٨٧- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد، الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥ م. ج ١- ج ١٨، ومن ج ١٨- ج ٢٣. طبعة دار الثقافة.
- ٨٨- الفرزدق، حمام بن غالب، ديوان الفرزدق، عني بجمعه عبد الله السماوي، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٣٦ م - ١٣٥٤ هـ.
- ٨٩- ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، تحقيق دى جويه، بريل، ١٨٨٥ م.
- ٩٠- الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩١٣ م.
- ٩١- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم.
أ) الامالي، ط ٣، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٣ م - ١٣٧٣ هـ.
ب) ذيل الامالي والنوادر، ب. ن. ب. ت.
- ٩٢- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم.
أ) الشعر والشعراء، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢ م.
ب) معجم الامراء، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٠-١٩٣٠ م - ١٣٤٣-١٣٤٨ هـ.
- ح) المعارف، حققه الدكتور ثروت عكاشة، ط ٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦ م - ١٣٨٨ هـ.
- ٩٣- القطامي، عمير بن شبيب بن عمرو التغلبي، ديوان القياامي، تحقيق بارث، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢ م.
- ٩٤- قدامة بن جعفر، أبو الفرج، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٣ م.
- ٩٥- القزاز القيرواني، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي، غرر الشعر في كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق الدكتور محمد زقلول سلام ومحمد مصطفى إدارة، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٢ م.
- ٩٦- القلقشندي، أبو المباس أحمد بن علي.
أ) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣ م.
ب) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الابيارى، ط ١، القاهرة، ١٩٥٩ م.

- ٩٧- ابن قيس الرقيات، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٨م - ١٣٧٨هـ .
- ٩٨- ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر، الأنساب المثقة، مكتبة المثنى، بغداد .
- ٩٩- ابن القيم الجوزي، الحافظ أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ١، المطبعة المصرية، ١٩٢٨م - ١٣٤٧هـ .
- ١٠٠- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية .
- ١٠١- كثير عزة، ديوان كثير عزة، جمعة وشرحه الدكتور إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م - ١٣٩٦هـ .
- ١٠٢- ابن كثير القرشي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن القرشي الدمشقي، البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، مصر .
- ١٠٣- الكلبي، أبو المنذر، شام بن محمد بن السائب، الأعيان، تحقيق أحمد زكي، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٢٤م - ١٣٤٧هـ .
- ١٠٤- الكميت بن زيد الأسدي، شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقويم الدكتور داود سلام، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٩م .
- ١٠٥- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدنية، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٦م - ١٣٨٦هـ .
- ١٠٦- الصرد، أبو المباسم محمد بن يزيد .
- أ) الكامل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وإبراهيم السيد شحاته، مطبعة نهضة مصر بالفجالة .
- ب) المقتضب ز تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، ولجنة أحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٣م - ١٣٨٢هـ .
- ج) نسب عدنان وقحطان، تحقيق عبد الميزان الميمني الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م - ١٣٥٤هـ .
- ١٠٧- محب الدين، تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات، شرح شواهد الكشاف، صححه نصر الهوريني أبو الوفا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٨هـ .
- ١٠٨- محسن آل الشيخ، الفرائد الفوالي على شواهد الأمل للشيخ المرتضى، تحقيق محمد حسن الجواهرى، ط ١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ .

- ١٠٩- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى .
 (أ) معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احيا الكتب العربية،
 ١٩٦٠م - ١٣٧٦هـ .
- ب) الموضح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق محب الدين الخطيب،
 ط ٢، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٥هـ .
- ١١٠- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، تحقيق
 أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،
 القاهرة، ١٩٥١م - ١٣٧١هـ .
- ١١١- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .
 (أ) التنبيه والاشراف، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥م .
 ب) مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت .
- ١١٢- ابن المعتز، عبد الله .
 (أ) البديع، تحقيق اغناطيوس كراتشكوفسكي، لندن، لوزاك وشركاه، ١٩٣٥م .
 ب) طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م .
- ١١٣- المكي، المباسم بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي، نزهة الجليس ومنية
 الأريب الأنيس، وضع المقدمة السيد محمد مهدي الخراسان، المطبعة الحيدرية،
 النجف الأشرف، ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ .
- ١١٤- ابن مناور المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار
 صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م - ١٣٨٨هـ .
- ١١٥- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، منشورات دار
 مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م .
- ١١٦- نابغة بني شيان، ديوان نابغة بني شيان، قدم له أحمد نسيم ط ١، مطبعة
 دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م - ١٣٥١هـ .
- ١١٧- ابن ناقي البغدادي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين، الجمان غني
 تشبيهات القرآن، تحقيق عدنان محمد زرزور ومحمد رضوان الدايه، ط ١،
 المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٦٨م - ١٣٨٧هـ .
- ١١٨- ابن نباتة المصري، جمال الدين، شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون،
 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدني، ١٩٦٤م - ١٣٨٣هـ .
- ١١٩- النرشنجي، أبو بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخاري، حققه الدكتور أمين عبد المجيد
 بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م - ١٣٨٥هـ .

- ١٢٠ — النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والدعاية والنشر، سن ج ١ — ج ١٨، ج ١٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و ج ٢٠ تحقيق محمد رفعت فتح الله، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥ م — ١٣٩٥ هـ .
- ١٢١ — نصر بن مزاحم المنقري، وقصة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، مطبعة المدني، ١٦٦٢ م — ١٣٨٢ هـ .
- ١٢٢ — ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر .
- ١٢٣ — أبو نلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل .
أ) ديوان الصماني، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢ هـ .
ب) المذاعتين، الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ١٢٤ — الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود .
أ) صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨ م .
ب) الاكليل، تحقيق الأب انستاس ماري الكرملّي البغدادي، مطبعة السريان الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣١ م .
- ١٢٥ — الوشاء، أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى، الموشى أو الظرف والظرفساء، تحقيق كمال مصاقي، ط ٢، مطبعة الاعتماد، ١٩٥٣ م — ١٣٧٢ هـ .
- ١٢٦ — وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف المثمانية، حيد آباد الدكن، ١٣٤٧ هـ .
- ١٢٧ — ياقوت الحفوي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي .
أ) معجم الأدباء، راجعته وزارة المعارف العمومية، الطبعة الأخيرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
ب) معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥ م — ١٣٧٤ هـ .
- ١٢٨ — اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن المباس بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك، الأمالي، كتب مقدمة الكتاب الحبيب عبد الله بن أحمد العلوي الحسيني الحضرمي، ط ١، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدرآباد الدكن بالهند، ١٩٣٨ م — ١٣٦٨ هـ .

- ١٢٩ — اليمقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح .
أ) تاريخ اليمقوبي، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر،
بيروت، ١٩٦٠م — ١٣٧٩هـ .
ب) البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٦١م .
١٣٠ — ابن يعيش النحوي، موفق الدين يعيش بن علي النحوي، شرح المفصل،
ادارة الطباعة المنيرية .

المراجعـــــــــــــــــع

- ١ - احسان النسي، المصيبة القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ط ٢، دار الفكر، ١٩٧٣.
- ٢ - احمد الشايب :-
أ) تاريخ الشعر السياسي في منتصف القرن الثاني، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٤٥.
ب) تاريخ النقاد في الشعر العربي، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤.
- ٣ - أحمد أمين :-
أ) فجر الاسلام، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥.
ب) ضحى الاسلام، ط ٦، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١.
- ٤ - احمد أبو حقة، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ط ١، دار الشرق الجديد، بيروت، ١٩٦٢.
- ٥ - احمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ط ١، مكتبة نهضة مصر
بالقاهرة، ١٩٦٠.
- ٦ - أمين المعلوف، معجم الحيوان، ٥ دية المقتطف السنوية، ١٩٣٢.
- ٧ - ايليا حاوي، فن الهجاء وتناوبه عند العرب، دار الثقافة، بيروت.
- ٨ - بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت.
- ٩ - ثابت اسماعيل الراوي، العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية، ط ٢، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٠.
- ١٠ - جلال الخياط، التكسب بالشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٠.
- ١١ - جورج غريب، عصر بني أمية، ط ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨.
- ١٢ - حسين مطوان، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، ط ١، مكتبة المحتسب
عمان ودار الجيل بيروت، ١٩٧٤.
- ١٣ - راشد صقر، المهلب بن أبي صفرة قائدا وجنديا، تقديم زياب الفهد، ط ١، ١٩٧١ م.
- ١٤ - الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط ٣، بيروت، ١٩٦٩ م.
- ١٥ - زكي المحاسني، شعر الحرب في ادب العرب في العصورين الأموي والعباسي
الى عهد سيف الدولة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧.

- ١٦- سامي الدهان، المديح، دار المعارف، مصر . . . ب. ت.
- ١٧- السباعي السباعي، تاريخ الأديب العربي في صدر الإسلام والمصر الأموي، مطبعة العلوم، ١٣٢٢م - ١٣٥١هـ.
- ١٨- سيد بن علي المرعفي، رغبة الآمل من كتاب الكامل، ط. ١، مطبعة النهضة بمصر، ١٩٣٠م - ١٣٤٨هـ.
- ١٩- شاعر الفحام، الفرزدق، دار الفكر، ط. ١، ١٩٧٧م - ١٣٩٣هـ.
- ٢٠- شكرى فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، نشأتها، مقوماتها، تطورها، اللغوى والأدبي، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٢م - ١٣٧١هـ.
- ٢١- شوقي ضيف: -
 أ) العصر الإسلامي، ط. ٧، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣.
 ب) التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط. ٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥.
- ٢٢- عبد الأمير عبد حسين دكسن، الخلافة الأموية، ط. ١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣.
- ٢٣- عبد الله مهدي الخطيب، الحكم الأموي في خراسان، ط. ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ودار التربية، بغداد، ١٩٧٥-١٣٩٥هـ.
- ٢٤- عزمي الصالحى، الشاعر الخارجي الطرماح بن حكيم الطائي، بغداد، مطبعة الاقتصاد، ١٩٧١.
- ٢٥- علي حسني الخربوطلي، الدولة العربية الإسلامية، دار احيا الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٠-١٣٨٠هـ.
- ٢٦- عمر رضا كحالة: -
 أ) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩-١٣٦٨هـ.
 ب) معجم المؤلفين، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٥٧م - ١٣٧٦هـ.
- ٢٧- عمر ابو النصر: -
 أ) عبد الملك بن مروان، ط. ١، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٢.
 ب) المهلب بن أبي صفرة قائد الخوارج، من أشهر قواد العرب في التمهئة، المكتبة الأهلية، بيروت.

- ٢٨ — عون الشريف قاسم، شعر البصرة في العصر الأموي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢ —
١٣٦٢ هـ.
- ٢٩ — فان فلوثن، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمته
عن الفرنسية وعلق عليه الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم، ط. ٢، مطبعة
السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- ٣٠ — محمد ابراهيم جمعة، جبرير، دار المعارف، مصر.
- ٣١ — محمد شريف سليم، ملخص تاريخ الخوارج منذ ظهورهم الى ان شئت المهلب
شملهم، دار التقدم، مصر، ١٩٢٤ — ١٣٤٢ هـ.
- ٣٢ — محمد عبد العزيز الكفراوي، تاريخ الشعر السياسي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة،
١١٦١ هـ.
- ٣٣ — محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، أيام العرب في الاسلام، ط. ٣، دار
احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٨ — ١٣٨٨ هـ.
- ٣٤ — محمد ثابت الفندي وآخرون، دائرة المعارف الاسلامية، انتشارات جيهان، طهران.
- ٣٥ — محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية عصر بني أمية، دار الطباعة المحمدية،
القاهرة.
- ٣٦ — نالينو، كارل، تاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، اعتنت
بنشرها مريم نالينو، تقديم طه حسين، ط. ٢، دار المعارف، بمصر، ١٩٧٠ هـ.
- ٣٧ — نجيب محمد المهيبي، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري،
مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٦١ — ١٣٨١ هـ.
- ٣٨ — نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، دار المعارف، مصر.
- ٣٩ — واصف بطرس غالي، تقاليد الغروسية عند العرب، تقديم طه حسين وترجمة الدكتور
أنور لوقا ومراجعة حسني محمد، دار المعارف، مصر.
- ٤٠ — يوليوس فلهاوزن : —
أ) تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية، نقله
عن الألمانية وعلق عليه الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده، وراجع الترجمة
الدكتور حسين مؤنس، ط. ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨ م.

ب) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوان: والشيمسة،

ترجمه عن الألمانية عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦.

٤١ - يوهانفك، العربية دراسات في اللفه واللهجات والاساليب، نقله الى العربية وحققه

ونهرس له الدكتور عبد الحليم النجار، تصديرالدكتور احمد أمين وتقديم الدكتور محمد

يوسف موسى، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٦٥١ - ١٣٧٠ هـ.

sometimes limited their relationship with the governors, politicians and poets, despite the fact that their Court included many poets from different tribal groups that were in the field. It is noticeable also that Al-Mahaleba and Al-Modarieen were on bad terms. It was said that Al-Hajjaj was behind this bad relationship between the two sides, and the poets revealed this later on. On the whole, whatever mentioned before doesn't mean that Al-Mahaleba were not exposed to condemnation and lampoon. In fact, they were lampooned even by their own poets. This indicates that the poets were not genuinely loyal to Al-Mahaleba, and that their loyalty depended on certain circumstances based on interest and greed. Thus, we see that some of those poets condemned them while they were alive like Al-Farazdag. The majority of the poets condemned them and were glad to put an end to their influence. A careful study of Al-Mahaleba poets, leads the student to realize that their sole aim was to gain material benefits. Consequently, the phenomenon of asking for donations and begging through poetry, began to appear on the scene gradually, till it reached its climax in Al-Abbasid era.

Extract.

The field of this study is Al-Mahaleba, their relationship with events of their times, and their impact on these events. Moreover this study covers the enormous poetic movement relevant to the circumstances of the forementioned family. The following conclusions have emerged from this study: Al-Mahaleba (Particularly Al-Muhalab) were inconsistent in their political loyalty. They were sometimes on the side of Al-Sufianiy, othertimes either with Al-Zubairiy or with Al-Marwaniy. But when the Umayyad domination settled down, Al-Mahaleba came to the representative for the Umayyad wherever they roamed. Consequently, the Umayyads felt that Al-Mahaleba were trust worthy, particularly as their distinctive features were prominent. Yet, those who flet envious of Al-Mahaleba attempted to cause them trouble for various reasons discussed in the thesis. Those envious people succeeded in achieving their goals by antagonizing the Umayyads against Al-Mahaleba.

Al-Mahaleba recognized the value of poetry and its importance in the society, and so they attracted many poets to their court, tempting them with abundant gifts and defending them vehemently. As a result, the poets pointed out their generosity, which was one of their main characteristics. Furthermore, the poets realized the importance of the role that Al-Mahaleba played, and so they dwelled on the subject of their bravery and generosity. In addition, the poets attributed to them certain Islamic characteristics, as religion was used at the time, as a political weapon by rival forces in the field.

Not only did the poets confine themselves to the detailed description of Al-Mahalebas' battles, but at the same time they illustrated to the reader some essential aspects in Al-Mahaleba wars. It is noteworthy that Al-Mahalebas' tribal affinities